

العلاقات العربيه اليهوديه حتى نهايه عهد الخلفاء الراشدين

تأليف
الدكتور صالح موسى دمرآذكه
رئيس قسم التاريخ في الجامعة الاردنيه

الأهليّة للنشر والتوزيع

العلاقات العربيه اليهوديه
حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

عمان

٩٥٦,٠٣

صال صالح مؤنس درادكة

العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين /

صال صالح مؤنس درادكة .- عمان . الأهلية للنشر والتوزيع . ١٩٩٢ .

(٥٦٠) ص .

ر.أ (١٩٨٧/٤/١٤٤) .

١- التاريخ الإسلامي أ - العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية)

رقم الإيداع: ١٩٨٧/٤/١٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء

- الى روحي والديّ اللذين تعهداني صغيراً ودعوا ربهما ليحفظني كبيراً.
 - إلى زوجتي وأولادي الذين قاسوا وصبروا، وشدوا أزري عبر رحلتي الطويلة في تأليف هذا الكتاب.
 - الى أرواح الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الحق في فلسطين.
 - الى طلبة العلم وعشاق الحقيقة. اليهم جميعاً أهدي كتابي هذا.
- « المؤلف »

المقدمة

أحمد الله الذي لا اله الا هو، وأشكره شكر الطائعين المخلصين، وأعوذ به مما لا يرضيه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلني ممن يسمعون الكلم ويتبعون أحسنه، والصلاة وأفضل التسليم على سيدنا محمد وآله أجمعين وبعد.

فمنذ بدأت دراسة التاريخ، كنت أشعر بالرغبة في الاطلاع على أسباب الصراع العربي اليهودي، وكانت هذه الرغبة تزداد سنة بعد سنة.

وفي مرحلة الدراسات العليا كنت أشعر بعوامل متعددة تدفعني إلى الاطلاع على التاريخ اليهودي للوقوف على بداية العلاقات العربية اليهودية. ولما أصبحت أمام اختيار موضوع رسالة الدكتوراه، رأيت أن حوافزي على وشك أن تقترب من غايتها. فسجلت موضوع «العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين». ومن أبرز الحوافز التي حملتني على اختيار هذا الموضوع هو افتخاري العميق بالانتماء للأمة العربية، وإيماني بقدرة هذه الأمة على تخطي العقبات إذا حازمت أمرها وتبينت طريقها.

وأرى أن الأمة العربية عبر تاريخها الطويل لم تواجه عقبة استنفذت من طاقاتها ما استنفذت وأكلت من شبابها ما أكلت، واستعصرت من أفكار كتابها ومؤرخيها ما استعصرت، كالمعضلة اليهودية، على الرغم من كثرة المعضلات والنكبات التي اعترضت مسيرة امتنا عبر تاريخها الطويل. وأنا كواحد من أبناء هذا الجيل الذين عاشوا النكبة العربية بفلسطين وما زالوا يعيشون اخطار الصهيونية العالمية واطباعها في الوطن العربي. ولا يكاد يمر يوم دون أن يهتز الانسان العربي لما يسمعه أو يقرأه أو يراه، من متابعة الصهيونية العالمية لمخططاتها وإصرارها على مواصلة عدوانها بأساليب غاية في المكر والدهاء.

وعلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع الخطير. فلا زالت المكتبة العربية والاسلامية بحاجة الى دراسة علمية وموضوعية ومتكاملة لبداية العلاقات العربية اليهودية وخصوصا في الفترة التي اخترت البحث فيها، لأن مثل هذه الدراسة من شأنها أن تكشف عن طبيعة العلاقات

العربية اليهودية في مراحلها الأولى لأن هذا الكشف ضروري لمعالجة العلاقات العربية اليهودية المعاصرة وتحليلها تحليلًا موضوعيًا يمكن من القدرة على اتخاذ الوسائل الناجعة في التغلب على هذه المعضلة المستعصية.

ولإني إذ أعترف بأن المكتبة التاريخية غنية بالابحاث الوافية عن التاريخ اليهودي القديم وعن الحركة الصهيونية المعاصرة، فما زلت أشعر بمسيس الحاجة إلى سد هذه الثغرة الهامة والخطيرة في تسلسل العلاقات العربية اليهودية، وآمل أن يكون هذا البحث تنبيها متواضعا لمؤرخينا إلى أهمية هذه الفترة فيمنحونها عنايتهم ويكشفون بدراساتهم عن الأسباب الحقيقية للتناقضات العربية اليهودية، فتحصل بذلك المنفعة وتدرك الغاية.

وأرى أن أنه في هذه الدراسة إلى ملاحظتين جديرتين بالاعتبار هما:

١ - إن الدراسات التي تناولت تاريخ اليهود القديم تأثرت كثيرا بما ورد في التوراه، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتخدم كتاب التاريخ اليهودي وتبني أفكارهم دون مراعاة لشروط النزاهة والحياد في كتابة التاريخ.

والكتاب الذين اندفعوا بهذا الاتجاه فريقان: الاول رجال الدين المتعصبون للتوراة، من يهود ومسيحيين وهم الأكثرية وفريق آخر من العلماء والكتاب الذين انخرطوا في سلوكهم لتقصي الحقائق التاريخية، فأصبح أكثرهم عن قصد أو عن غير قصد دعاة لليهود قبل أن يكونوا رواد علم وحقائق^(١)

ويقتضي الانصاف بأن ننوه ببعض المؤرخين الغربيين الذين خرجوا عن هذا الطوق وكشفوا عن بعض حقائق التاريخ اليهودي، ومن هؤلاء المؤرخ الفرنسي الكبير غوستاف لوبون في مؤلفه: «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى»^(٢)

كما أشار «ول. ديورانت» إلى بعض جوانب التاريخ اليهودي، وذلك في سفره الكبير «قصة الحضارة»^(٣)

(١) انظر، احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مطبعة وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٢م المقدمة ص - ل.

(٢) ترجم هذا الكتاب الى العربية عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٠م.

(٣) انظر قصة الحضارة، م ١ ح ٢، ترجمة محمد بدران - ط ٢ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م.

٢ - إن معظم الذين تعرضوا لدراسة الحركة الصهيونية الحديثة تناولوها بشكل مستقل ومنفصل عن التاريخ اليهودي العام، واعتبروها وليدة الاستعمار الحديث، وهذا ما تنفيه وقائع التاريخ اليهودي في عصور ما قبل الاستعمار.

وعلى الرغم من صعوبة الحياد في مثل هذه الدراسة التي تتناول الصراع بين حائنين أحدهما محق لا محالة، فقد حرصت أن يكون ميلي مع الحقيقة التاريخية التي تقررها الوثائق والمستندات.

لقد كان اختياري لهذا البحث صعبا، ذلك أن الدعاية الصهيونية المضللة قد عملت على تزييف الحقائق التاريخية بما تملكه من وسائل الاعلام، وما تملكه من نفوذ في أوساط المال والسياسة في العالم. وقد أفضحت الصهيونية التاريخ اليهودي في الصراع العربي الاسرائيلي، بعد أن جعلت هذا التاريخ في صورة تخدم أغراضها.

ولهذه الأسباب فالمكتبة العربية خالية من أية دراسة علمية تتسم بالحياد التام والحرص على إظهار الحقائق التاريخية بدون التعصب لهذه الجهة أو تلك، فالمؤرخون المسلمون الأوائل تأثروا بقصص التوراة في كتاباتهم عن التاريخ اليهودي القديم، ومؤرخونا المحدثون تناولوا التاريخ اليهودي من وجهات نظر متعددة، كلها تعكس أفكارهم ومعتقداتهم الخاصة فحتملوا الحوادث التاريخية فوق طاقتها وعللوها بتعليلات بعدت بها عن الحقيقة في أحيان كثيرة.

ولهذا فما زالت المكتبة العربية بحاجة لدراسة للعلاقات العربية اليهودية تحفظ تسلسل هذه العلاقات وتكشف عن دوافع اليهود الحقيقة، وتبين الأساليب التي اتبعها الطرفان العربي واليهودي في تعاملهما معا، ثم تكشف علاقة الصهيونية الحديثة بالفكر اليهودي القديم. وأرى أن في مثل هذه الدراسة فائدة كبرى في معرفة الوسائل الناجعة التي يمكن استخدامها في الصراع الحالي لصالح الحق العربي.

تعالج هذه الدراسة فترتين متميزتين، الأولى توغل في القدم حتى عصر ابراهيم الخليل وتمتد حتى ظهور الاسلام. والثانية تشمل الفترة الاسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة. وكما اسلفنا فإن الفترة الأولى تعتبر مدخلا للفترة الثانية، وتهدف دراسة الفترتين معا، الى رسم الهيكل الكلي للعلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين.

وليس المقصود من الرجوع الى العهود القديمة دراسة احداث هذه الفترة الطويلة، والوقوف على تفاصيلها الدقيقة، لان الهدف انما يكمن في جمع الحوادث البارزة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، اعتمادا على ما اورده المصادر اليهودية في الدرجة الاولى. وفي حوادث العهد النبوي انتهج البحث استخلاص ما روته المصادر العربية الاولى، وما روته المصادر الاخرى اي اليهودية والاستشرافية، وعقد البحث مناقشة علمية وموضوعية بين الآراء المختلفة، لاقرار الرأي الذي تصل اليه المناقشة العلمية والمنطقية على ضوء المنهجية التاريخية. ويلاحظ الدارس لهذا البحث ان الباحث أولى عناية خاصة للفترة الاسلامية، فوقف عند دقائقها، واستقصى رواياتها، وذلك يعود الى ان هذه الفترة هي المقصودة بالدراسة اصلا، كما ان طبيعة البحث في العصر الاسلامي بعامه والمبكر منه بخاصة، تقتضي مثل هذه المنهجية، لوفرة المصادر، وكثرة الآراء وتعدد الآهواء كما هو معروف عند المؤرخين.

لعل في الآراء التي أوردتها عذرا في تبرير التوسع في الدراسة التي تجمع في ذاتها خصائص البحث الفكري العام والتخصص الدقيق. وعلى اي حال فموضوع الدراسة ليس واسعا فحسب، وانما هو معقد ايضا، والاحاطة بابعاده وأسراره، متعذره، ولذلك اسباب كثيرة: ندرة المصادر اليهودية عن الفترة الاسلامية بشكل خاص، ومنها غموض التأثيرات اللغوية والفكرية والدينية، والطقوس، والتأثيرات الاجتماعية، ومن ثم العلاقات السياسية والتأثيرات الدولية فيها.

وإدراكا من الباحث بضرورة المحاولة لدراسة هذا الموضوع الهام، عقد العزم على القيام بهذه المحاولة وهو يدرك ما يحف بها من اخطار.

ولا يفوت الباحث ان يكرر القول بان الغاية من تفصيل الاحداث الاسلامية الاولى تهدف الى غرض ابراز الوضع الفكري والديني والسياسي للمجتمع العربي قبيل الاسلام، وفي الفترة المبكرة من الدعوة الاسلامية وذلك لوصل الخط التاريخي للأمة العربية، وإبراز المكونات الحقيقية لشخصية الأمة العربية وفكرها، ومن ثم ليصار الى تقدير اهمية الاثر اليهودي بموضوعية ونزاهة. لهذا السبب كان لا بد من استكمال صورة المجتمع العربي في بدايات تكوينه، ما له وما عليه، والتعرف على خصائص حركته التاريخية بنظرة فاحصة وشمولية.

ونظرا لطول الفترة التي تتناولها الدراسة، يصعب استعراض المصادر التي استفادت منها بشكل مفصل. ففي فترة التاريخ القديم، كان لا بد من الاستفادة من الابحاث العربية والعالمية، سواء كان ذلك صادرا عن الدوائر المعنية في الدراسات الاثرية او الاكاديمية. ويجدر التنويه بمؤلف الدكتور جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» فهو اوسع دراسة نشرت حتى الآن عن تاريخ العرب قبل الاسلام، اذ جاء في عشرة مجلدات كبيرة، تتراوح صفحات الواحد منها ما بين ٦٦٠ - ٩٠٠.

وقد حشد المؤلف في هذا السفر الضخم معظم ما قيل في المصادر العربية والاجنبية، عن عرب قبل الاسلام حتى تاريخ نشره: ونظرا للمادة الغنية التي احتواها كتاب الدكتور جواد علي، فقد سميته طبري عصور ما قبل الاسلام.

وكذلك اعتمد البحث في هذه الفترة القديمة على التوراة، اذ تعتبر تاريخ اليهود واليهودية، وتعكس في نصوصها معاناة الشعب اليهودي، كما تعكس تطلعاته الى المستقبل. ويستطيع الدارس ان يستخلص كثيرا من النتائج حول ما قالته التوراه عن قصة الشعب اليهودي، وبالإضافة الى ما تقدم فقد ذكرت التوراه الكثير من اخبار العرب، وبخاصة أخبار الكيانات الآرامية والآشورية، وبشكل اكثر تفصيلاً النبطية والعهد المكابي.

ويعتبر كتاب يوسيفوس في التاريخ ذا قيمة، لان يوسيفوس كان معاصراً لاحداث القرن الاول الميلادي، وتتناول حروب بني اسرائيل في هذه الفترة وما سبقها، مع الرومان والعرب.

ولا يستغني الباحث في هذه الفترة عن الدوريات الاثرية والتاريخية، والروايات في المصادر العربية التاريخية والادبية والدينية، ولا يتيسر المجال في هذه المقدمة لاستعراضها.

وفي الفترة الاسلامية من هذه الدراسة، اعتمد البحث على القرآن الكريم، بشكل خاص، فهو كما هو معروف كتاب الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ، فهو علاوة على تصويره الصادق للموقف الاسلامي، يعتبر مصدرا معاصرا للاحداث. لذلك استفاد البحث كثيرا من المقارنات التي عقدت بين ما جاء في القرآن وكتب التفسير والحديث، وما جاء في التوراه والتلمود والمدراس. وفي الفترة الاسلامية المبكرة - عهد النبوه - لا يستغني عن سيرة ابن هشام (١٥١ هـ) ومغازي الواقدي (٢٠٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ).

فهذه المصادر الثلاثة، تتعاون في استجلاء الخبر التاريخي في فترة النبوة، وقد اعتمد البحث ايضا على المؤلفات التاريخية الأولية التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع بشكل خاص، وأتوه في هذا المجال: بمؤلفات البلاذري (٢٧٩هـ)، وابن خياط (٢٤٠هـ)، واليعقوبي (٢٩٢هـ) وابو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) وأخيراً مؤلف شيخ المؤرخين، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ).

لا يتوقف البحث في اعتماده على مصادر هذه الفترة المبكرة، بل استفاد من المصادر التاريخية المتأخرة، كما استفاد من المصادر الأدبية، ككتاب الأغاني للأصفهاني، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبدربه، بالإضافة إلى الدواوين والمجموعات الشعرية.

ولم يفت الباحث ان يستفيد من الكتب الجغرافية العربية، ككتب المسالك والممالك، والبلدان، وكتب الرحلات وخصص منها: رحلة ابن فضلان، التي انفرد صاحبها بالحديث عن بلاد الخزر.

ان طبيعة البحث تقتضي احيانا ان تتعامل مع المراجع الحديثة، بنفس روح التعامل مع المصادر الأولية، ذلك أن كثيراً من هذه المراجع هي مصادر البحث عن فترة العلاقات العربية اليهودية في العصور القديمة كما هي مصادرنا في دراسة هذه العلاقات في العصور الحديثة، وسيجد الدارس الاشارات إلى بعض المراجع عند الحديث عن فصول الدراسة. ويرر ما ذهبنا إليه كون هذه الدراسة التاريخ بطوله، والغرض منها كما اسلفنا وصل العلاقات في الفترة الإسلامية المبكرة بالماضي، ليجد الدارس تفسيراً لكثير من الحوادث، التي لا يمكن تفسيرها إلا على ضوء العوامل التي كونت الشخصية اليهودية، وهي لا شك تعود إلى بدايات التاريخ اليهودي السياسي والديني والاجتماعي، وكان لا بد للباحث من ايراد بعض الحوادث التاريخية المعاصرة من الصراع العربي اليهودي، ليجقق للقارئ رؤيا كلية متناسقة لهذه العلاقات التي بدأت على الأرض العربية في لحظة زمنية موعلة في القدم ولم تنته. انها التراجيديا، التي لا تنته فصولها على مسرح الزمان، يؤدي الأدوار فيها الآباء والأبناء وأحفاد الأحفاد. ويفترض الباحث انه وأن اختلفت الآراء في جزئيات القسم الأول من الدراسة، لا يعتقد بان ذلك يحدث بنفس الدرجة للصورة الكلية التي خلص البحث إلى تصورها لموضوع الدراسة.

وقد اضطررتني هذه الدراسة إلى استقصاء الروايات التاريخية وتحقيقها على مدى خمس سنوات متواصلة، لأنني وجدت نفسي مضطرا للبحث في المصادر الدينية على اختلافها والرجوع إلى تفسير نصوصها واستجلاء غوامضها، سواء في ذلك كتب اليهود أو النصارى أو المسلمين.

وكذلك اقتضاني البحث أن أرجع إلى كتب الأدب شعره ونثره وإلى معاجم اللغة، وإلى المراجع الأجنبية المترجمة وغير المترجمة بالإضافة إلى مصادر التاريخ القديم والحديث.

وتحقيقا لغاية البحث كنت مضطرا لزيارة المكتبات العربية ومقابلة المتخصصين والمهتمين بالتاريخ اليهودي في البلاد العربية، فزرت معظم اقطار الوطن العربي من المغرب الأقصى وحتى العراق، وراسلت امناء المكتبات في عدد من الدول الأجنبية، وأمدني بعض المتخصصين في التاريخ العربي في هذه البلدان بأرائهم وبعض المراجع المفقودة أو النادرة في بلادنا، سواء منها المخطوط باللغة العربية أو المطبوع باللغة الانجليزية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أمدتني مكتبة الامبروزيانا بإيطاليا بصورة لرسالة مخطوطة بعنوان «التنبية على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب - للشيخ العلامة صارم الدين بن عبد القادر بن أحمد، كتبت في المحرم من سنة ١٢١٩ هـ، بدون رقم»، وحصلت على بعض المخطوطات من جامعة مدريد، وزودني الاستاذ يعقوب فايرستون الذي يعمل في مركز دراسات الشرق الاوسط التابع لجامعة هارفارد في الولايات المتحدة ببعض المراجع مثل:

«العلاقات العربية الاسرائيلية قبل الاسلام - لمارجيلوث»

Margoliouth D.S.: «The Relations Between Arabs and Israelets prior to the Rise OF Islam, London 1924.

كما أرسل بعض المقالات والمقتبسات من مؤلفات «الزليجتنشادر»

«العلاقات الحضارية بين اليهود والعرب في العصور الوسطى»

Lichten standter. Ilse: Cultural Relations Between jews and Arabs in the Middle Ages.

New York 1948.

ومقتطفات من مؤلف المؤرخ اليهودي «غويته» اليهود والعرب .

Goitein, S.B.: Jews and Arabs, New Yourk 1964.

وبعض المطبوعات الأخرى ، كما زودني بآرائه وآراء زملائه المتخصصين بتاريخ شعوب الشرق الاوسط . وإنني أغتنم هذه المناسبة لأسجل له شكري وامتناني على خدماته الجليلة .

وفي سبيل هذه الغاية قابلت كلا من الأساتذة ، الدكتور جواد علي ، والدكتور صالح العلي ، والسيد أكرم العمري ، وجميعهم في جامعة بغداد ، وقد استفدت من نصائحهم وإرشاداتهم القيمة ، فجزاهم الله عني خيراً ، كما قابلت الدكتور عبدالعزيز الدوري في الجامعة الاردنية وأخذت شاكرًا بنصائحه وإرشاداته . وخلال تجوالي في البلاد العربية زرت مكاتب بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة والمغرب العربي بالإضافة إلى المكاتب الاردنية العامة والخاصة ، واطلعت على المصادر المخطوطة والمطبوعة .

ولا أملك إلا أن أتوجه بالشكر والثناء لكل المؤسسات والهيئات العربية والأجنبية التي تفضلت فأمدتني بما توفر لديها من مطبوعات أو معلومات تتعلق ببحثي ، وإلى الأساتذة والباحثين وأمناء المكاتب أياً كانت جنسيتهم - وهم كثر - فهم جديرون بالتنويه والشكر على إعانتهم لي سواء بالتوجيه والإرشاد أو بالامداد بالمطبوعات ، وأرجو من الله لهم حسن الثواب . وأخص بالشكر الاستاذ الدكتور عبدالفتاح شحاته الذي تفضل مشكوراً بالاشراف على هذا البحث .

وقد نهجت في بحثي أسلوباً خاصاً يقوم على جمع الروايات التاريخية إذا توافرت ، لتخدم الحقيقة التاريخية التي أسعى إلى بلوغها ، كما عمدت إلى الرد على بعض الآراء التي تبناها بعض المؤرخين والمستشرقين معزواً ردودي بالأدلة التاريخية ومحكمًا العقل والمنطق في بعض المواقف .

هذا ولم أذهب في تحليل الحوادث التاريخية وفق مذهب معين ، لاعتقادي بأن الحوادث التاريخية على اختلافها هي وليدة عوامل متعددة ، فلو كان الأمر غير ذلك لتشابهت هذه الحوادث وتكررت ، وهذا ما لا يراه الباحث المنصف .

ولم أعتمد في بعض المواقف إلى الادلاء برأيي إذا كانت الأدلة التاريخية لا تسمح بإعطاء

رأي، ففضلت ترك الروايات المتوافرة لفكر القاريء يرى فيها ما يشاء، ريثما تظهر أدلة جديدة تزيد مثل هذه الحوادث وضوحا.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وثمانية فصول وثلاثة ملاحق وخاتمة.

ففي المقدمة: أشرت إلى أهمية البحث والأسباب التي دعيتي إلى اختيار هذا الموضوع والصعوبات التي واجهتها خلال العمل . .

وفي الفصل الأول: «أصل اليهود وبداية تاريخهم» عرضت إلى الخطأ الذي وقع فيه معظم من كتبوا في التاريخ اليهودي لاعتمادهم على التوراة كمصدر مسلم به، كما تناولت التسميات التي أطلقها كتبة التوراة على أتباع التوراه وهي «العبرانيون» و «إسرائيل أو بنو إسرائيل» و «الموسويون أو أتباع موسى» و «اليهود» بالبحث والتحقيق.

وقد اعتمدت على الشواهد التاريخية واللغوية والدينية في إثبات ان التوراة هي سجلات لكتبة مختلفين يمثلون أزمانا مختلفة. وأوضحت أن التسمية العبرانية ليست علما على شعب بعينه وانما هي تسمية عامة تشير الى حياة البداوة التي مرت بها شعوب كثيرة في منطقة الشرق الأدنى القديم. وذهبت إلى أن العربي والعبري ذات دلالة مشتركة في التاريخ القديم، فقد أصبح مسلما ان جزيرة العرب هي المهد الأول لهذه الشعوب، وأن الاصول المشتركة لها، جعلت لها ملامح متشابهة بما في ذلك اللهجات والمسميات.

وبعد مناقشة العبرانية وأصلها تعرضت إلى قضية التوحيد عند اليهود وأوضحت قدم عقيدة التوحيد عند الشعوب السامية السابقة للتوراة. ثم أشرت إلى أثر المعتقدات الوثنية الكنعانية والبابلية واليمينية وغيرها في العقيدة التوراتية المتأخرة عن عهد موسى عليه السلام.

وقد خلصت إلى أن كتبة التوراة كانوا يهدفون إلى خلق عقيدة «الشعب المختار والارض الموعودة» وتثبيتها في أذهان اتباع التوراة وغيرهم. وقد جاء الفكر التوراتي كحصىلة لحياة التشرد والتشتت التي عاشها اليهود كغرباء مضطهدين فقدوا التوراة التي انزلت على سيدنا موسى، كما فقدوا الوطن الذي حفظوا له في انفسهم اجمل الذكريات. لهذا جاءت شريعتهم الجديدة تلبي رغباتهم السياسية وتعكس قلقهم الاجتماعي والديني، فوجدت جمهور اليهود في هذه الشريعة طريقا للخلاص من الأوضاع المزرية التي أردتهم اليها حياة

الشتات والاضطهاد، فتمسكوا بها كبرنامج عمل يضمن لهم العودة الى الفردوس المفقود.

ولنفس الغاية ربط اليهود نسبهم بابراهيم الخليل مع انه يمثل عصرا مستقلا في التاريخ سواء من ناحية الزمن او اللغة او الدين، عن عصور التسميات التي اطلقها كتبة التاريخ اليهودي على اليهود.

ثم تناولت تسمية «اسرائيل» التي اطلقت على يعقوب بن اسحاق واستعملها كتبة التوراة كعلم على الشعب اليهودي، فأوضحت ان عصر يعقوب هو نفس عصر ابراهيم، وانه ورث دينه ولغته، وان لا علاقة لهذا العصر بعصر موسى الذي نزلت عليه التوراة، وأشارت الى ان تسمية اسرائيل ويعقوب وابراهيم ليست جديدة في التاريخ وانما هي تسميات متوارثة استخدمتها الشعوب قبل مطلع هؤلاء على التاريخ. ووضحت القصد من وراء تعلق اليهود بهذه الأسماء المقدسة.

وفي الحديث عن الموسوية ناقشت الآراء المختلفة التي تعرضت لسيدنا موسى سواء من حيث اصله او دينه او لغته، وعلاقة ذلك باليهود، كما أشرت الى اختلاف الجموع التي قادها سواء من حيث السلالة او العقيدة. واعتبرت الخروج من مصر بداية للتاريخ اليهودي.

وبعد ذلك عرضت للتسمية الرابعة «اليهود» ووضحت اصل هذه التسمية وعلاقتها بيهودا، وفي نهاية هذا الفصل اوضحت ان لا علاقة بين يهود اليوم والمسميات القديمة التي عرضنا لها.

ولا يفوتني ان اذكر انني افدت في هذا الفصل من مؤلف «الدكتور احمد سوسة» - العرب واليهود في التاريخ - الذي نشرته وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٢ م. فقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب القيم على الوثائق والحفريات في تدعيم آرائه. ورغم ان هذا الكتاب يتناول تاريخ العرب واليهود في العصر الاسلامي وما بعده بايجاز شديد، الا ان الباحث في تاريخ العرب واليهود في الفترة السابقة لميلاد المسيح يجد فيه ما ينفعه.

كما أذكر من بين هذه المراجع «اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة» لابكار السقاف، عالم الكتب، ط ١، القاهرة ١٩٦٧ م.

ومن بين مراجع هذا الفصل «القبيلة الثالثة عشرة - أو امبراطورية الخزر اليهودية للكاتب اليهودي المجري «آرثر كويلر» الذي صدر عن دار هتشسن بلندن عام ١٩٧٦م، ونشرت بعض الصحف العربية تعليقات حوله.

فقد اوضح هذا الكتاب زيف الدعوى العنصرية الصهيونية، وأورد اخبار مملكة الخزر المغولية اليهودية، ووضح ان يهود الخزر انتشروا في اوربا بعد انهيار امبراطوريتهم وجلهم ارتحل الى فلسطين بعد اغتصابها، وفندّ دعوى اليهود القائلة بانهم اسباط يعقوب.

وفي الفصل الثاني: «العلاقات العربية اليهودية خارج الجزيرة العربية» عرضت لأول ذكر صريح للعرب في النصوص الاشورية وأثرهم في بعض أسفار التوراة وعلاقة العرب بمملكة سليمان، وناقشت قصة سليمان وبلقيس وخلصت من هذه القصة الى الصلات الوثيقة التي كانت تربط الجزيرة العربية بفلسطين.

ثم اشترت الى انقسام المملكة اليهودية بعد سليمان، ثم علاقة العرب بهاتين المملكتين.

ثم عرضت لعلاقة الانباط العرب باليهود وتتبع هذه العلاقة في اسفار التوراة ورددت على بعض المؤرخين اليهود في هذا الصدد، كما عرضت لعلاقة اليهود بتدمير وناقشت قضية تهود الزباء ملكة تدمر ووضحت عهد التسامح الديني الذي عاشته مختلف الطوائف في تدمر في عهد ملكتها الزباء «زنوبيا».

وقد أفدت في هذا الفصل من مؤلف الدكتور جواد علي «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» الذي سبقت الاشارة إليه.

واعتمدت في هذا الفصل اعتمادا كبيرا على التوراة وبعض المؤلفات المتعلقة بتوضيح نصوصها مثل «قاموس الكتاب المقدس» لجورج بوست - المطبعة الاميركانية - بيروت ١٨٩٤م.

وكذلك مؤلف جورج زيدان «تاريخ العرب قبل الاسلام» طبع دار الهلال. ومؤلف مارجليوث «العلاقات بين العرب والاسرائيليين قبل الاسلام» طبع لندن سنة ١٩٢٤م.

D.S. Margoliouth: The relations Between Arabs And Israelits prior to the Rise Of Islam, London 1924.

وعلى الرغم من ان مارجليوث يتظاهر الحرص في الكثير من ابحاثه على التمسك بالتحليل العلمي والموضوعي ، الا انه لا يلتزم الموضوعية كما هو واضح في مؤلفه السابق .

وفي الفصل الثالث : « اليهود في الجزيرة العربية » عرضت لتاريخ دخول اليهود جزيرة العرب ، ووضحت علاقتهم بفلسطين وباليهود خارج الجزيرة العربية . وقد ميزت بين احوال اليهود الدينية قبل السبي البابلي وبعده ، وأثر هذا التحول الفكري في تطوع اليهود لاقامة كيان مستقل خاص بهم ، ثم عرضت لمواطن اليهود في شمال الجزيرة العربية واسباب اختيار هذه الاماكن من قبلهم ، وناقشت الوجود اليهودي في مكة واستبعدت وجود جالية يهودية ذات شأن فيها .

وانتقلت الى الحديث عن يهود يثرب فأشرت الى تاريخ هذه المدينة وتاريخ سكن اليهود بها ، وكذلك عرضت لاقامة اليهود في تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر وغيرها ، ووضحت هذه الاماكن بخارطة خاصة . وبعد ذلك ناقشت اصول البطون اليهودية في هذه المستوطنات وفيما اذا كانت عربية ام يهودية .

وفي الحديث عن اليهودية في بلاد اليمن ناقشت آراء المؤرخين في ذلك وأوضحت العلاقة بين يهود اليمن ويهود الحجاز مبينا حجج اليهود بقدم وجودهم في اليمن اعتمادا على بعض النقوش والكتابات وأوضحت رأيي فيها .

وقد عرضت لاسباب تحول بعض أقبال حمير من الوثنية الى اليهودية وناقشت الاراء التي تعرضت لذلك ، كما بينت علاقة كل من الاحباش والبيزنطيين والفرس باليمن ، والصراع الذي احتدم بين النصرانية واليهودية في هذه البلاد ، وموقف العرب الوثنيين من هذا الصراع .

وفي الحديث عن مذبحة نجران ونتائجها ، ناقشت آراء المؤرخين في علاقة كل من الحبشة وبيزنطة في الحملة على اليمن ، ثم عرضت لأعمال الاحباش في اليمن ومحاوله تنصير سكانها ، ثم أوضحت دخول الفرس الى اليمن وبقاءهم بها حتى ظهور الاسلام .

ومن بين المراجع التي أفدت منها في هذا الفصل مؤلف الدكتور « اسراييل ولفنسون »

«تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام» مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٧م - وهو البحث الذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه تحت اشراف الدكتور طه حسين وقد ظهرت النزعة اليهودية واضحة في هذا البحث، ولكنه رغم ذلك اثار كثيرا من الملاحظات والآراء الجديرة بالاهتمام. وكذلك افدت من مؤلف الباتريك اغناطيوس يعقوب الثالث «الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية» طبع - بيروت. فقد اورد المؤلف آراء جديدة حول العلاقات البيزنطية الحبشية اليمنية.

ومن بين مراجع هذا الفصل كتاب المؤرخ اليهودي «غوتيه» - اليهود والعرب.

S.D.Goitien, Jews And Arabs «Newyork 1964

هذا بالاضافة الى العديد من المراجع العربية والاسلامية.

وفي الفصل الرابع: «بين العرب واليهود في يثرب» عرضت لاصل البطون العربية التي استوطنت يثرب واوضحت طبيعة العلاقات بين البطون اليهودية في يثرب قبل قدوم الاوس والخزرج، ثم استعرضت الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في هذه المدينة. وقد تبعت تطور العلاقات العربية اليهودية في يثرب حتى تمكن الأوس والخزرج من انتزاع السيادة في هذه المدينة من اليهود. وبعد ذلك عرضت للعلاقات بين الأوس والخزرج أنفسهم، ودور اليهود في افساد هذه العلاقات حتى نشب القتال بين هذين الحيين من العرب. ثم تعرضت لاثر اليهود في احوال يثرب الاقتصادية والفكرية وقارنتها بنتاج العرب، وخلصت الى أن تأثير العرب العقلي في اليهود - وخاصة في ميدان اللغة والأدب - كان أكثر وضوحاً، واعتبرت ذلك دليلاً على أن البيئة العربية قد صهرت الأقلية اليهودية في بوتقتها.

وقد ناقشت ما قيل عن اثر اليهود بالنسيء والنساء عند العرب، وكذلك ما قيل عن أثرهم في عادة الختان، واوضحت ان هذه العادات القبلية قديمة وجاءت تؤدي اغراضا خاصة لا علاقة لليهود بها.

وفي هذا الفصل أفدت من عدد من المصادر اللغوية والأدبية مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، طبع دار الكتب المصرية «وطبعات اخرى ذكرت في الهوامش» و «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي طبع دار المعارف بمصر، و «الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري، طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦٦، وطبعات اخرى ذكرت في الهوامش،

والمصادر الاولى التاريخية كالسير، وكتب الحوليات، وكتب التاريخ العام وكلها تناولت هذا الموضوع واوردت فيه روايات شتى .

ومن بين المراجع التي افدت منها في هذا الفصل «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى» لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعير، مطبعة الحلبي في القاهرة. وكذلك مؤلف «احمد ابراهيم الشريف» مكة والمدينة، دار الفكر العربي، ط ٢ - القاهرة، وبين مراجع هذا الفصل «الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية للخزاعي» وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية - تاريخ تيمور، رقم ١٩٣٨.

هذا علاوة على العديد من المراجع في ميادين اللغة والأدب والدين والتاريخ وغيرها.

وفي الفصل الخامس: «العرب واليهود ازاء الدعوة الاسلامية»، عرضت لموقف قريش من الدعوة الاسلامية وعوامل نجاح هذه الدعوة من خلال ثلاثة اعتبارات:

الاول: مركز مكة الاقتصادي والاجتماعي والديني في بلاد العرب .

الثاني: دور العصبية القبلية في مقاومة الدعوة الاسلامية ومساندتها.

الثالث: مركز الرسول في مكة .

وخلال هذا الاستعراض اوضحت الحالة الاجتماعية لاتباع الرسول ولاعدائهم، وهجرة المسلمين الاول الى الحبشة وآراء بعض المستشرقين في هذه الهجرة، ثم اوضحت موقف اليهود من الدعوة الاسلامية والآمال التي كانوا يعلقونها على هذه الدعوة في بداية الامر.

ونظرا لأهمية بيعة العقبة الكبرى في نجاح الدعوة الاسلامية فقد أوليتها عناية خاصة وبينت موقف كل من قريش واليهود من هذه البيعة التي ترتبت عليها نتائج هامة، توقف عليها مصير الجماعة الاسلامية فيما بعد .

وفي هذا الفصل أفدت من مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة ذكرت بعضها وأذكر من بينها كتاب «محمد في مكة» للمستشرق مونتغمري وات .

Montgomery, Watt, Muhammad At Mekka, Oxford 1956.

هذا الكتاب وإن اثقل بالافتراضات والاستنتاجات الخاطئة فلا تخل دراسته من فائدة.

وفي الفصل السادس: «محمد ﷺ في المدينة»، تعرضت لموقف الاسلام من اليهود على ضوء النص القرآني، وأشارت الى المنزلة الرفيعة للكتابيين في القرآن وكيف ان القرآن أقام نفسه حجة على الكتابيين والزمهم باتباع الاسلام، مؤيدا هذا الالتزام بما ورد على لسان موسى وعيسى عليهما السلام.

وفي مجال السلوك بينت كيف ارشد القرآن المسلمين الى أمثل الطرق في معاملة أهل الكتاب ومجادلتهم بالحسنى، بينما وقف موقفاً لا يعرف المهادنة من الوثنية. لذلك حرص الرسول ﷺ على اقامة افضل الروابط والصلات مع يهود المدينة انسجاما مع المنهج القرآني. وفي هذا الصدد المحت الى الفكر اليهودي القلق - الذي انتجته حياة الشتات - وانعكاساته على سلوك اليهود، وأثره في عزلتهم. لهذا عرضت لانحرافات الكتابيين عامة واليهود خاصة، وأوضححت هذه الانحرافات على ضوء ما أشارت اليه آيات القرآن المدنية. ومن هذا المنطلق نظر اليهود إلى هجرة الرسول ﷺ نظرة فيها خيفة في البداية، ثم اعتبروها حلفا مع الأوس والخزرج.

وفي مجال عرض أعمال الرسول في المدينة وقفت وقفة طويلة عند الوثيقة او الصحيفة التي كتبت بين المسلمين واليهود، واعتبرت اقدم دستور في الاسلام، وقد استقصيت هذه الوثيقة في المصادر التاريخية ومدى صحتها واهميتها في التاريخ الاسلامي، ثم أشارت الى تاريخ الوثيقة واقسامها وناقشت آراء المؤرخين في ذلك، وأثبت مضمون هذه الوثيقة من خلال استعراض موادها ثم أشارت الى موقف اليهود بعد هذه الوثيقة، وأوضححت كيف ان اليهود يظهرون عداؤهم للمسلمين كلما ازداد المسلمون منعة وقوة.

وقد ذكرت الاساليب التي اتبعها اليهود في محاربة المسلمين، وتبعت تطور هذه الاساليب حتى انفجار الصراع المسلح بين الجانبين.

وقد اعتمدت في هذا الفصل على مصادر ومراجع متعددة، وأجد من الواجب ان انوه بمؤلف الدكتور «محمد سيد طنطاوي» بنو اسرائيل في القرآن والسنة بغداد طبعة ١٩٦٨ م.

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية، شعبان بركات - المكتبة العصرية - صيدا وبيروت.

وقد جاء بحث السيد الطنطاوي في جزئين عالج فيهما المؤلف تاريخ اليهود من خلال التصور الاسلامي، وعزز تصوره بالحجج العقلية والمنطقية التي استخلصها من الكتاب والسنة، مما جعل هذا الكتاب من المصادر الهامة في دراسة اليهود خلال عهد النبوة^(١).

وخلال فترة تحضيري لهذا البحث ظهر مؤلف قيم للدكتور حسين مؤنس، وهو «عالم الاسلام» طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٧٣ م. ورغم ان هذا الكتاب جامع لتاريخ الجماعة الاسلامية في مختلف العصور والأمصار، فقد وقف عند بعض الحوادث التاريخية ليعللها تعليلا من وجهة نظر جديدة تستحق التنويه، وخاصة موقفه من الوثيقة التي كتبت بين المسلمين واليهود. كما أجد من الواجب التنويه بمقال للسيد «أكرم العمري» المدرس في قسم التاريخ في كلية الاداب في جامعة بغداد. بعنوان «اول دستور اعلنه الاسلام» وذلك في العدد الاول من مجلة كلية الامام الأعظم في عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م بغداد. ومن بين مراجع هذا الفصل «كتاب محمد في المدينة» مونتغمري وات^(٢).

Montgomery, Watt, «Muhammad At Medina, Oxford 1966.

وقد أخذنا ببعض آراء هذا المستشرق ورددنا على بعضها الآخر.

وفي الفصل السابع: «الصراع المسلح بين اليهود والمسلمين في العهد النبوي».

عرضت لهذه المرحلة الهامة من مراحل تطور العلاقات العربية اليهودية، فأبرزت أسباب هذا الصراع وأهدافه ونتائجه. لذلك ناقشت غزوة بني قينقاع ثم غزوة بني النضير، ودور هؤلاء في تحزيب العرب واليهود للثأر من المسلمين. وقد عرضت لغزوة الاحزاب موضعا اسبابها الحقيقية واحداثها البارزة، ودور اليهود فيها، ثم أشرت الى علاقة بني قريظة بالمسلمين والعهد الذي كان بين الطرفين ونكت بني قريظة لهذا العهد في أقسى الظروف التي مرت بالمسلمين لذلك عرضت لغزوة بني قريظة مبينا اسبابها ووقائعها ونتائجها، وناقشت آراء المؤرخين، وخاصة المستشرقين الذين اعتبروا معاملة الرسول ﷺ ليهود بني قريظة قسوة لا مبرر لها. ثم عرضت للحالة الاقتصادية في المدينة بعد جلاء اليهود عنها.

(١) نال المؤلف بموجب هذا البحث درجة الدكتوراة من كلية اصول الدين في جامعة الأزهر.

(٢) ترجم هذا الكتاب ايضا الى العربية شعبان بركات، المكتبة العصرية - صيدا وبيروت.

وقد أشرت في هذا الفصل الى أهم الاحداث بين جلاء بني قريظة عن المدينة وغزوة خيبر، وأوضحت الهدف من تحركات المسلمين في هذه الفترة، وبينت ان مقتل عدد من الشخصيات اليهودية مثل «أبي رافع سلام بن أبي الحقيق» و«أسير بن زارم» كانت من جملة الاستعدادات لدخول مكة.

وفي مجال هذه الاستعدادات عقد الرسول ﷺ مع قريش صلح الحديبية الذي اعتبر تمهيداً لدخول مكة، ذلك ان هذا الصلح جعل يهود خيبر وحدهم امام مواجهة المسلمين وبذلك سهل على الرسول التغلب عليهم والتفرغ لغزو مكة وقد أوضحت موقف قريش من انتصار المسلمين على يهود شمال الحجاز وخيبة املمهم في هزيمة اليهود.

وقد بينت اسباب غزوة خيبر وأهم حوادثها والنتائج التي حصل عليها المسلمون في خيبر، كما أوضحت احوال اليهود بعد هذه الغزوة التي وضعت حدا للوجود الاجتماعي والسياسي لليهود في الجزيرة العربية، وأشرت الى موقف المستوطنات اليهودية في شمال الحجاز، وتعرضت لعقود الصلح التي ابرمت بين الرسول وهذه المستوطنات.

وقد أفدت في هذا الفصل من مصادر ومراجع عديدة، وأرى من الواجب التنويه ببعض المصادر التي كشفت الغموض عن بعض الحوادث التاريخية التي اشتمل عليها هذا الفصل مثل الجزء الرابع من «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» تأليف الحافظ المحدث شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ وهو مخطوط محفوظ في خزانة القرويين في مدينة فاس برقم ٧٥٨/٤٠.

وتاريخ في المغازي والفتوح، لمؤلف مجهول، مخطوطة مصورة في معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية برقم ١٤٥٥.

وكذلك لا يسعني الا التنويه بمؤلف الدكتور محمد حميد الله «مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة» دار الارشاد بيروت ط ٣ ١٩٦٩م فقد اشتمل هذا الكتاب القيم على المعاهدات والرسائل المتبادلة بين الرسول والخلفاء الراشدين من جهة وبين طوائف العرب والأعاجم من جهة اخرى.

وفي الفصل الثامن: «العرب واليهود في عهد الخلفاء الراشدين» تناولت احوال اليهود في عهد الخليفة الاول أبي بكر، وتساءلت فيما اذا كان لهم دور في حوادث الردة، فأوضحت

الأسلوب الذي اتبعوه خلال هذه الحوادث الخطيرة دون ان ينتبه اليهم احد . كما بينت التزام ابي بكر في تنفيذ عهود الأمان التي اعطاها الرسول لليهود .

اما عن العلاقات العربية اليهودية في عهد عمر بن الخطاب فقد بحثت مراحل هذه العلاقات ابتداء بعهد التسامح والأمان الذي اتسمت به الفترة الاولى , من خلافة عمر ، وانتهاء باخراج اليهود من بلاد الحجاز . وقد اوضحت الاسباب التي حملت عمر على هذا التصرف وناقشت الآراء المختلفة التي تعرضت لهذه القضية ، وأثبت ملحقا قيميا يعالج سبب اخراج اليهود من بلاد الحجاز وعدم اخراجهم من بلاد اليمن .

وهذا الملحق هو رسالة مخطوطة بعنوان «التنبية على ما وجب من اخراج اليهود من جزيرة العرب» للشيخ العلامة صارم الدين بن عبدالقادر بن احمد وهي محفوظة في مكتبة الامبروزيانا بايطاليا ، وكتبت في المحرم من عام ١٣١٩ هـ^(١) وتمتاز هذه الرسالة بانها تعالج موضوع اخراج عمر لليهود من بلاد الحجاز وسبب عدم اخراجهم من بلاد اليمن وذلك من الناحية اللغوية والفقهية والتاريخية ، وبعد ذلك عرضت لعلاقة اليهود بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما تعرضت للسبئية وناقشت أصولها ودورها في الاحداث التي وقعت في عهد الخليفين عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وكذلك صلة الفكر السبئي بالفكر اليهودي .

وفي ختام هذا الفصل عرضت للاسرائيليات ودخولها الى بعض مصادر الفكر الاسلامي ، ونبهت الى خطورتها ، كمخطط يهودي يرمي الى نسف العقيدة الاسلامية من الداخل بعد ان فشل اليهود في نسفها بالسلاح والمؤامرات . ومن بين المراجع الكثيرة التي افدت منها أنه بكتاب «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» مطبعة الفرات ، ط ١ - بغداد ١٩٢٤ م . فقد ذكر المؤلف علاقة يهود العراق ببقية اليهود في بلاد العرب وكشف عن احوالهم الاقتصادية والاجتماعية . كما أفدت من كتاب «السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية» لفان فلوتن ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ ، ١٩٦٥ م . لقد كشف هذا المؤلف عن جذور الاسرائيليات في الفكر العربي منذ عهد الراشدين .

(١) المخطوطة بلا رقم .

وفي الملاحق: أثبت ثلاثة ملاحق الاول يبحث في مضمون كتاب أرثر كوستلر «امبراطورية الخزر وميراثها، القبيلة الثالثة عشرة»^(١).

والملاحق الثاني يتضمن نصوص الوثيقة او الدستور الذي عقده الرسول مع باقي سكان المدينة بعد الهجرة.

والملاحق الثالث يتضمن رسالة الشيخ صارم الدين «التنبية على ما وجب من اخراج اليهود من جزيرة العرب»

وفي الخاتمة: أوجزت النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث وعرضت للآراء الجديدة التي توصلت اليها في بعض المواقف، وأشارت الى موافقتي لبعض الآراء والمواقف من بعض الحوادث التاريخية، والترجيح والتساؤل عند بعضها الآخر. كما أشرت الى الغموض في بعض المواقف بسبب فقدان المادة التاريخية مما يفتح المجال للمنقبين والاثريين والمؤرخين في مواصلة العمل لاستجلاء هذا الغموض وكشف اسراره.

وفي ختام هذه المقدمة الموجزة اجد من الواجب علي ان اعترف بانني لم ابلغ الكمال في بحثي، ذلك ان الكمال لله وحده، ولكن حسبي هذا الجهد المبذول في هذا البحث الذي يتضمن عهودا تاريخية مختلفة، والذي ارجو أن يكون اشارة بدء لمجموعة من البحوث الجادة في هذه الفترة التاريخية، حتى ينتفع منها الاسلام والمسلمون. فان كنت أدركت الغاية ببحثي هذا فذلك ما كنت اجد في طلبه واسعى في بلوغه، دون ان ادخر وسعا او أكل سعيًا، وان حالت الصعوبات الكبيرة، في عدم بلوغي الغاية التي قصدها فحسبي اني لم آل جهدا أو أدخر وسعا في سبيل بلوغها خدمة للأمة التي أنتمي اليها، والتاريخ الذي اعتز به.

ومن يتوكل على الله فهو حسبه

صدق الله العظيم

صالح موسى درادكه

(١) قامت لجنة الدراسات الفلسطينية، بنقل هذا الكتاب الى العربية بعد سنوات من اعداد هذا البحث، وقام بالترجمة حمدي. علي مصطفى صالح. منشورات: فلسطين المحتلة. (دون تاريخ).

الفصل الأول

اليهود وبداية تاريخهم

- التوراة كمصدر للتاريخ.
- من هم العبرانيون.
- ابراهيم الخليل في التاريخ.
- هجرته عليه السلام إلى مصر.
- الاسرائيليون أو «بنو اسرائيل».
- اليهود.

الفصل الاول

اليهود وبداية تاريخهم

التوراة كمصدر للتاريخ :

يعود الفضل لكتبة التوراة الذين أضفوا هذه الصورة على التاريخ اليهودي ، فقد ظلت التوراة حتى عهد قريب المرجع الوحيد لمن يكتبون عن تاريخ الشرق القديم ، وذلك قبل الاكتشافات الاثرية في بلاد الرافدين وسوريا ومصر^(١)

ومن يطالع اسفار التوراة يلاحظ حرص كتبتها على تثبيت قصة الارض الموعودة بالعهد الذي قطعه اله اسرائيل مع آباء اليهودية . وحرص كتاب التوراة ايضا على التركيز بان هؤلاء الآباء المقدسين هم من سلالة ابراهيم الخليل عليه السلام الذي اكتسب شهرة مقدسة في أوساط الشعوب التي عاصرتة . ولا يخفى المغزى الذي رمى اليه هؤلاء الكتبة على ذي عقل ، وهو تبرير غزو الجموع التي خرجت من مصر بقيادة موسى التوراتي^(٢) لفلسطين وما قامت به هذه الجموع من اعمال وحشية وسفك لدماء الامنين من سكان فلسطين الابرياء بحجة ان هذه الارض وعدها الله لشعبه المختارا!

ويرى الباحث انه قد آن الاوان لوضع التوراة موضع البحث العلمي وتمحيص رواياتها والكشف هن اهداف كتبتها على ضوء المكتشفات العلمية وعلى ضوء الموازين العقلية التي لم تعد تقبل الأمور على علاقتها .

(١) نشطت البعثات الاثرية في حفرياتها منذ اواخر القرن الماضي ولا تزال عملية الكشف عن آثار الماضين مستمرة وخاصة في بلاد العراق ومصر وبلاد الشام وغيرها ، وعثر على مكتشفات هامة في عدد كبير من الاماكن في هذه البلدان منها ما كشف في «ماري» و «نمرود» في العراق ، ومكتشفات «راس شمرا» و «أغاريت» و «ألاخ» و «أريحا والبحر الميت» في سوريا وفلسطين ومكتشفات تل العمارنة والبرديات وغيرها في مصر .

(٢) اطلقنا اسم «موسى التوراتي» على الاسم الوارد في التوراة .

وأول فرية يصادفها الباحث في التوراة نسبتها الى سيدنا موسى عليه السلام وهو منها براء . ولا يكلفنا كتبة التوراة عناء البحث لتبرئة سيدنا موسى مما الصقوه به من نعوت تعالت عنها صفات الرجال العاديين وليس الرسل والأنبياء . فقد تضمنت التوراة شواهد لا يتطرق اليها الشك بأن هذه الاسفار التي بين ايدينا ليست لموسى عليه السلام ، فقد جاء فيها «وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»^(١). وفيها أيضاً «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل «بيت فغور» ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم»^(٢). وهناك شواهد جغرافية واسماء مدن وردت في التوراة وأماكن لم تكن ظاهرة ولا معروفة في زمن موسى عليه السلام ، وإنما عرفت بعده بزمان طويل^(٣).

وحسب ما جاء في التوراة فان سيدنا موسى تلقى شريعة ربه على جبل سيناء «وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحين حجري مكتوبين على جانبيها باصبع الله ، وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد ان القى موسى بهما على الأرض وكسرها بسبب غضبه لما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله»^(٤). ولكن أصل الشريعة التي كتبت على لوحين الحجري اختفت ولم يبق لها وجود، وما جاء في لوحين الحجري يمكن أن تتضمنه بضع صحائف من كتاب ، ولا يحتاج إلى مثل هذه الاسفار المطولة .

أما لغة شريعة الألواح فيرجح انها كانت اللغة المصرية ، وهي لغة قوم موسى ، وقد كتبت بالهيروغليفية التي كان موسى قد شب عليها في البلاط الفرعوني^(٥).

ويرى بعض الباحثين ان أسفار العهد القديم جمعت أول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن الأسر البابلي قد غير في الشعب اليهودي فحوّلهم الى شعب متحضر ومتحد بعد ان كانوا همجا لا توجد بينهم الا قلة تعرف الكتابة والقراءة^(٦).

(١) سفر العدد، ١٢: ٣، الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس، المطبعة الجامعية، كمبرج - بريطانيا. ١٩٥٢ م.

(٢) التثنية ، ٣٤: ٥.

(٣) انظر فؤاد حسنين علي ، «التوراة الهيروغليفية» دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ص ٤٢-٤٣.

(٤) سفر الخروج ، ٣١: ١٨ ، ٣٢: ١٥ - ١٦ ، ١٩ ، ٣٤: ١.

* يشير الرقم الأول بعد اسم السفر إلى : رقم الإصحاح والرقم من بعده لفقرات الإصحاح.

(٥) انظر فؤاد حسنين علي ، المرجع السابق.

(٦) انظر: Wills, Ashort history of the world. p 89

ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفاراً كانت تقرأ قبل السبي البابلي، ولكن السبي مذهبهم ووحدتهم وأبرز حاجتهم الى جمع تاريخهم ورسم تقاليدهم وتنميتها فبدأوا يدونون الاسفار من المصادر المختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم، فلما عادوا من الاسر كانوا شعباً يختلف اختلافا عظيماً عن الشعب الذي خرج، مما يصدق عليهم ما يقوله بعض المؤرخين «إن التوراة هي التي صنعت اليهود وليس اليهود هم الذين صنعوا التوراة»^(١)

ويقول ول ديورانت: «إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من اسفار التوراة هما القصتان اللتان تتحدث احدهما عن الخالق باسم يهوه، والاخرى التي تتحدث عنه باسم «الوهيم»، ويعتقد هؤلاء العلماء ان القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا^(٢)، وان القصص الخاصة بالوهيم كتبت في إفرام، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة»^(٣)

ولم يكن كاتب اسفار العهد القديم واحداً، ويظهر هذا واضحاً بمقارنة سفر التثنية ببقية اسفار القسم الأول من التوراة «أي أسفار التكوين والخروج والعدد» كما ان هناك فصولاً اضافها الكهنة الى سفر الشريعة الذي اذاعه «عزرا»^(٤) ويذهب ديورانت إلى أن هذه

(١) Wills, O.P. Ctt, pp 90-96 (١)

(٢) انقسمت المملكة اليهودية بعد سليمان خلال القرن العاشر قبل الميلاد الى مملكتين شمالية وعاصمتها السامرة «سبسطية حالياً» وسميت بمملكة إفرام، وأخرى جنوبية وعاصمتها «اورشليم» القدس، وسميت بمملكة يهوذا نسبة الى سبط يهوذا الذي اسس هذه المملكة بعد ان اسس الأسباط العشرة مملكة إفرام الشمالية مفضلة الانفصال عن ملك آل سليمان وكانت الأسباط تسمى بأسماء آبائهم من أبناء يعقوب على رأي كتبة التوراة. وانظر قيام المملكتين وخصومتهما، سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني من التوراة.

(٣) انظر قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ١٠ ص ٢٠٧، ٣٦٧، ومحمود نعناع، المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢ ص ٥٢.

(٤) ورد في القرآن الكريم اسم «عزير» الذي اوردته التوراة باسم «عزرا» وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ التوبة آية ٣٠. وذهب بعض المفسرين الى أن اليهود جعلوا العزيز ابن الله لأنه رد لهم التوراة بعد ضياعها، ويقول الفخر الرازي «لعل هذا المذهب اي القول بالعزيز ابن الله، كان فاشياً فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك».

انظر «التفسير الكبير للفخر الرازي» ح ١٦، المطبعة البهية المصرية مطبعة عبد الرحمن محمد ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م ص ٣٢ تفسير سورة التوبة، انظر كذلك «أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ» في تفسيره «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ح ١٠ إدارة المطبعة المنيرية ص ٨٠ من تفسير سورة التوبة.

انظر ايضاً، أحمد شلبي، «مقارنة اديان - اليهودية» مكتبة النهضة المصرية ط ٢، ١٩٦٧م ص ٢٣٩.

الاسفار الاربعة اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق.م^(١).

ويحتل «عزرا» مكانة هامة في التاريخ ، فاليه أوكل «أرتخششتا» الملك الفارسي مهمة كتابة وصايا الرب كما ان عزرا هو الذي تزعم اليهود في العودة من السبي وتجديد بناء الهيكل ، ويبدو انه بسبب دعوى الالهام هذه سمي اليهود عزرا «ابن الله».

وقد تعرضت التوراة الحالية الى النقد حتى من اناس يعطفون على النصرانية ، كما أنكر «مارتن لوتر» سفر «استير» وهاجم بعض النبؤات والأناشيد ، وغيرها كثير^(٢).

ويستفاد من التوراة ان اليهود تأثروا بالمعتقدات الوثنية البابلية والكنعانية والمؤابية والعمونية والصيدونية ، ولدينا ترانيم ومزامير غفران مستمدة من الشعر الغنائي الذي نشأ في أرض الرافدين تشابه مزامير داود . كما ان الأمم السابقة على ظهور اليهود تركت حكما وأمثالا ، ربما ان ما جاء في التوراة مستمد من هذه المخلفات ، كما نلمح قصة سومرية قديمة تداولها البابليون والآشوريون شبيهة بقصة أيوب الواردة في التوراة ، وحتى قصة الخلق التي جاءت بها التوراة شبيهة بقصة الخلق البابلية^(٣).

وقد رسم اسم «دانيال» في قصيدة «أقهن»^(٤) الأوغارتيه قبل كتابة التوراة بقرون . وتعتبر فترة السبي البابلي فترة خصب للفكر اليهودي حيث اختتم الخاخامون بعد مدارس طويلة خطوط فكرهم العريضة بعد ان اطلعوا على الثقافات المصرية والبابلية والكنعانية ، وعرفوا الخطوط الهيروغليفية والآرامية والمسمارية^(٥).

ويتصور البعض ان كهنة اليهود جلسوا وأمامهم الاكداس من الرقم الطينية في شتى المواضيع في مختلف اللغات والخطوط ، وفي مقدمتها المواضيع الدينية التي كانت تشغل حيزا

(١) انظر قصة الحضارة ١م ٢ ، ص ٣٦٨.

(٢) انظر فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ، ص ٥٤.

(٣) انظر موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، لندن ١٩٥٧م ، ص ١٣١.

(٤) المرجع السابق والصفحة .

(٥) «ربما كان بحوزتهم نسخة من وصايا موسى الأصلية بالخط الهيروغليفي» .

انظر احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، مطبعة وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٧٢م ص ١٥٨ . انظر كذلك موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص ١٣١ .

كبيرا من تفكير أقوام تلك العصور، ويبدو لأول وهلة عندما نستعرض مدونات التوراة، ان الهدف الاول الذي يهدف اليه هؤلاء الحاخامون هو تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية. (١)

ولا بد ان مدونات هؤلاء الحاخامين قد خضعت لحلتهم النفسية القلقة في تلك الفترة من التاريخ اليهودي الحرج. حيث كان اليهود يعيشون حياة الاسر والتشرد المريرتين. لذلك رأوا ان يربطوا تاريخهم بابراهيم الخليل عليه السلام ليستفيدوا من قدسيته من ناحية وليثبتوا في الأذهان عقيدة الارض الموعودة من ناحية اخرى، وقد زادت الغربة اليهود تمسكا بهذه العقيدة فبدت واضحة في كل سفر من اسفار التوراة.

وهناك شواهد كثيرة على براءة سيدنا موسى من توراة اليهود هذه، فقد وقع كاتبوها في أخطاء جسيمة فأهملوا التسلسل الزمني للحوادث التاريخية واطلقوا اسم بني اسرائيل على انفسهم قبل ان يخلق يعقوب الملقب «باسرائيل» كما ادخلوا في سلسلة النسب الشعوب التي ارادوها سامية وأبعدوا منها شعوبا معادية لهم، وذلك وفق أهوائهم وبتأثير من عواطفهم ونزعاتهم دون مراعاة للصدق والأمانة (٢). وقد أغفل كتبة التوراة ما لا يوافق أهواءهم من حوادث تاريخية، والا فكيف نفسر مثلا عدم ذكر «يهو بن عمري» ملك اسرائيل وهو يقدم الطاعة والولاء ويحلب الهدايا للملك الاشوري؟! مع العلم بان هذه الحادثة منحوتة على مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) (٣). لقد أغفلت التوراة هذه الحادثة مع انها ذكرت حوادث عن علاقة الاشوريين الحربية باليهود.

وهكذا نرى ان التوراة كتبت بعد عهد ابراهيم الخليل بالف وثلاثمائة عام تقريبا وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون، وهي حصيلة ازمان متفاوتة وكتاب مختلفين كما تشير الى ذلك نصوص التوراة نفسها والكشوف الاثرية المعاصرة لذات الحوادث التاريخية.

وبخلاصة القول، فان هذه التوراة المتداولة اليوم ليست كتاب الله المنزل على رسوله الامين موسى عليه السلام، ولذلك فلم تعد حجة في البحث التاريخي، والواجب على

(١) انظر احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ١٥٨.

(٢) ورد نسب الشعوب السامية في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، وقد أقصي الكنعانيون - وهم من الساميين - من هذا النسب، وادخل فيه اللواديون والعيلايون وهم ليسوا ساميين.

(٣) انظر ادوارد كيبوا، كتبوا على الطين، ترجمة الدكتور محمود حسين الأمين، مكتبة المشنى ط ٢ - بغداد ١٩٦٤، ص ١٣٦.

الباحث ان يتناول رواياتنا بعين ناقدة والا يطمئن الى اخبارها الا بعد تمحيصها. ويكفي اثباتا لزيغها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بشس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(٢).

وبناء على ما سبق من اراء سنتعرض لبداية التاريخ اليهودي كما ورد في التوراة ومقارنته بالكشوف الاثرية وتمحيصه وذلك لمعرفة البداية الحقيقية لتاريخ اليهود.

وأول مشكلة تواجه الباحث في التاريخ اليهودي هذه التسميات المتعددة التي أرادها كتبة التوراة لمسمى واحد هو «اليهود». وهذه التسميات حسب تسلسلها الزمني هي: «العبرانيون - أو العبريون» و«بنو اسرائيل أو الاسرائيليون» و«قوم موسى أو الموسويون». و«اليهود أو شعب يهوذا». فهل هذه التسميات حقيقة لمسمى واحد؟ وما هي نوع العلاقة بين هذه التسميات ومن هم اليهود حقاً؟ ومتى بدأ تاريخهم الحقيقي؟

سنحاول الاجابة على هذه التساؤلات على ضوء المصادر المتوفرة لدينا حتى الوقت الحاضر، مفضلين تناول هذه التسميات الواحدة بعد الاخرى.

١ - من هم العبرانيون «العبيرو» او «الخابيرو»؟

ظل عدد من الكتاب ممن بحثوا في تاريخ اليهود يستعملون مصطلح عبراني او عبري في غير المعنى الذي تشير اليه الوثائق القديمة في مصر وبلاد ما بين النهرين وسوريا، اذ ان هذه الوثائق استعملت هذه التسميات لقبائل بدوية كانت منتشرة في شمال الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين في نحو الالف الثانية قبل الميلاد، وقد استعملت هذه التسميات في نفس المعنى الذي افادته الكلمات «الابري» و«الهيري» و«الخابيرو» و«العبيرو» في المصادر المسارية والفرعونية^(٣)، ولم يكن لليهود ذكر في هذه المرحلة الموعلة في القدم. ويستفاد من التوراة ان اليهود يعتبرون «العبرية» لسان كنعان «شفة كنعان»، ثم انطوت العبرية الكنعانية في الآرامية التي انتشرت في الشرق الادنى القديم وخاصة بلاد الشام قبل ان يكون لليهود

(١) سورة النساء ، آية ٤٦ .

(٢) سورة الجمعة ، آية : ٥ .

(٣) انظر أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٤٣ .

وجود^(١). لهذا فمن الخير لنا ان نحجم عن استعمال هذا المصطلح للدلالة على اليهود وذلك لتجنب الالتباس فيما يتعلق بتاريخ فلسطين القديم اي في الفترة ما قبل سيدنا موسى عليه السلام، لأن هذه الفترة مستقلة وليس لها صلة بدور موسى وذلك كما يقتضي التسلسل الزمني^(٢).

وقد لعبت شعوب الخابرو او «العبيرو» البدوية دورا خطيرا في تاريخ منطقة الشرق الاوسط نتيجة تحركاتهم وهجراتهم المستمرة في جميع انحاء الهلال الخصب، ولذلك اعطت الاقوام القديمة اهتماما كبيرا لهؤلاء «الخابرو» او «العبيرو» ويتجلى هذا الاهتمام في الكتابات القديمة السابقة لعهد موسى بعشرات القرون، فكان السومريون يسمونهم «سا - كاز» منذ عهد «اور» الثالثة «اواخر الالف الثالث قبل الميلاد».

وقد ورد ذكرهم ايضا في نصوص «بابل» و «توزي» و «ماري» و «أغاريت» كما ورد ذكر العبيرو في وثائق «تل العمارنة» المصرية التي بعث بها ملوك كنعان الى الملك امنحوتب الثالث والملك اخناتون والتي تعود الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد. وتشير بعض النصوص التاريخية الى ان «العبيرو» تمكنوا من احتلال مدينة «اربحا» قبل عهد موسى بحوالي قرنين من الزمان.^(٣)

وقد ظل تعبير «العبيرو» شائعا في الاحداث التاريخية حتى أواخر الالف الثانية قبل الميلاد اي بعد ظهور موسى واتباعه في المنطقة وقد اصبح مفهوما الان ان الفاظ «العبيرو» و «العبري» و «الخابرو» تشير الى القبائل البدوية النازحة من الجزيرة العربية فهي تدل على حالة البداوة من تنقل وترحال وعبور وليس على امة بعينها كما كان سائدا من قبل، كما لم يعد مقبولا القول بان «العبراني» صفة سيدنا ابراهيم الخليل لعبوره النهر أو لنسبته الى عابر الذي قالت التوراة انه احد اجداده.

والتوراة تتحدث عن العبرانيين بصفتهم غرباء عن الاسرائيليين وليسوا منهم، فقد ورد

(١) انظر إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٢٩م مطبعة الاعتماد، ص (ص. ز).

(٢) انظر احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٤٣.

(٣) انظر عباس محمود العقاد، ابراهيم أبو الأنبياء، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧م ص ٩٤، وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٣٤-٢٤٤.

في الأحكام التي وضعها سيدنا موسى امام اتباعه ما يفيد «ان الاسرائيلي بمعنى اليهودي اذا اشترى عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا»^(١). ثم تقول التوراة بان العبيد ليسوا من بني اسرائيل^(٢). فلنستمع الى نصوص التوراة على لسان الرب مكلما موسى، «لانهم - أي بني اسرائيل - عبيدي الذين اخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... واما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيدا وإماء. وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرتهم الذين عندكم يلدوهم في ارضكم فيكونون ملكا لكم... تستعبدونهم الى الدهر. واما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط انسان على اخيه بعنف. واذا طالت يد غريب او نزيل عندك وافتقر اخوك عنده وبيع للغريب المستوطن عندك او لنسل عشيرة الغريب فبعد بيعه يكون له فكاك يفكه واحد من اخوته»^(٣).

وهذا دليل واضح تقدمه التوراة بان العبراني هو غير اليهودي. يستعمل السامريون^(٤) لغة قديمة في صلاتهم يقولون انها اللغة العبرانية القديمة الحقيقية التي نزلت فيها الشريعة على موسى وهي غير اللغة العبرية التي يستعملها يهود اليوم ويزعمون انها العبرانية القديمة، ولعل لغة السامريين التي أشرنا اليها هي إحدى اللهجات التي اقتبسها اليهود من الكنعانيين. ويحتفظ السامريون بخمسة اسفار من التوراة يقولون انها اسفار موسى الخمسة، وهي محفوظة في وعاء نحاسي مكتوبة بالخط السامري واللغة السامرية، وهي كل ما يعترفون به من التوراة.^(٥)

ويذكر «درايفر» في مقالته بدائرة المعارف البريطانية: «ان التوراة عندما تحدثت عن لغة الموسويين لم تقل لغة العبرانيين، بل اطلقت عليها اسم «شفة كنعان» اي لغة كنعان ثم «يهوديت» و«لسون حقوديس» اي اللسان المقدس. اما كلمة عبري «عبريت» و«عبراني»

(١) سفر الخروج، الإصحاح، ٢١: ٢. (٢) نلاحظ هناك ان كنية التوراة لا يراعون التسلسل الزمني فيطلقون تسمية بني إسرائيل قبل خلق يعقوب الملقب بإسرائيل، كما تسمى التوراة اتباع موسى الذين نزحوا بعد يعقوب بحوالي ستمائة سنة «بني إسرائيل» ايضا. لذلك يجب التفريق بين اتباع موسى وبين بني إسرائيل لأن كلا ظهر في مرحلة تاريخية مميزة عن الأخرى. انظر احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٤٥. (٣) سفر اللاويين، الإصحاح، ٢٥: ٤٢، ٤٤-٤٨. (٤) السامريون: إحدى الطوائف اليهودية لا تعترف إلا بخمسة اسفار من أسفار التوراة وتقول عن هذه الأسفار انها وحدها اسفار موسى عليه السلام، وتستوطن هذه الطائفة مدينة نابلس من فلسطين في الوقت الحاضر. (٥) انظر أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٤٦.

بالآرامية فقد صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق. ^(١) ومما يدلنا على ان العبرانية لم تكن علما على بني اسرائيل واليهود، ان العرب في عهد محمد ﷺ لم يستعملوا هذه التسمية للدلالة على اليهود، ولو كانت هذه التسمية دالة على بني اسرائيل واليهود لذكرها القرآن الكريم، فقد أورد القرآن ذكر بني اسرائيل ويهود «الذين هادوا» و«قوم موسى» ولم يذكر العبرانيين. وكذلك لم يرد ذكر لليهود في النقوش القديمة باسم العبرانيين، فعندما دون سنحاريب (٧٠٦ - ٦٨١ ق.م) تفاصيل حملته على مملكة يهوذا سَمَّى حزقيا ملك يهوذا «حزقيا اليهودي» ولم يستعمل كلمة عبري او عبراني. ^(٢)

يرى بعض الباحثين ان لفظتي (عبري) و (عربي) لهما معنى واحد، فكلتاها تدل على حياة البداوة والتنقل، وأغلب الظن ان كلمة «عربي» حرفت عن «عبري» لان ذكر كلمة «العبري» و «الخبيرو» و «الهبري» و «العبري» يرجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث وردت هذه الالفاظ في رسائل تل العمارنة، وكان يقصد بها عرب البادية او البدو الرحل، واما «عربي» و «اريبو» و «اري» «عربي» فأول ذكر لها ورد في الكتابات الاشورية حيث وردت في نقش للملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤) ق.م.

ويشيد هذا النص بانتصار الاشوريين على تحالف ملوك الدويلات السورية في معركة «كركر» وكان بين المتحالفين اسم زعيم عربي سمته النصوص الاشورية «جندب العربي» او «الأريبي» ^(٣). ولما كانت النصوص القديمة لا تضبط التسميات بقواعد تحفظها من التحريف، فأغلب الظن ان هذه التسميات كلها ذات معنى واحد، فقد تكون الكلمة الواحدة تحريف للآخرى فكلتاها موغلتان في القدم.

وهكذا نجد ان نظرية احبار اليهود القدماء، بأن ابراهيم انما عرف بالعبري لانه عبر النهر لم يعد لها اساس تعتمد عليه، ذلك ان هذه النظرية استندت على ما جاء في التوراة «فأخذت ابراهيم اباكم من عبر النهر وسرت به في كل ارض كنعان» ^(٤) ومن يمعن النظر في جدول انساب عابر الى عهد ابراهيم يجد ان اغلب الامم التي اصطلح على تسميتها بالسامية منسوب اليه، فكيف اختص اليهود بهذه التسمية من بين جميع الامم؟!

(١) G.R.D. Driver, "Hebrew Language" Britl. 1965 Ed. (1) vol 2, p 279

(٢) انظر احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٤٧.

(٣) أنظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ ص ٥٧٤.

(٤) سفر يشوع، الاصحاح ٢٤: ٣. سفر التكوين، ١٠: ٢٥-٣٢، حيث ورد ذكر عابر وما تسلسل من بني.

ويرى الباحث اليهودي «اسرائيل ولفنسون» ان كلمتي عبري وعربي انما يدلان على حالة من البداوة ولا تشيران الى حادثة بعينها او شخص بعينه ، ويستدل على ذلك من المعنى اللغوي للفعل الثلاثي «عبر» بمعنى قطع مرحلة من الطريق او عبر الوادي او النهر من عبره الى عبره او عبر السبيل شقها . . . ويقول بان كل هذه المعاني نجدها في هذا الفصل سواء في العربية او العبرية وهي في مجملها تدل على التجول والتنقل الذي هو من اخص ما يتصف به سكان الصحراء واهل البادية ، فكلمة «عبري» مثل كلمة «بدوي» اي ساكن الصحراء والبادية . . . ويقول ولفنسون «ان بني اسرائيل بعد ان تمدنوا وعرفوا حياة الحضارة وصاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياة البداوة والخشونة»^(١).

وينطبق هذا على العرب فهم ينفرون ايضا من كلمة اعرابي التي تدل على البداوة وحياة التنقل والترحال .

وخلاصة القول ان الشعوب القديمة كانت تسمي القبائل البدوية المتنقلة على اطراف الصحراء بالعبري او العربي . وهذه التسمية عامة يقصد بها بعض القبائل البدوية دون غيرها .

وينفس الحجج العلمية والمنطقية يمكننا دحض آراء كتبة التوراة الذين يعتبرون ابراهيم عليه السلام ابا لليهود .

ابراهيم الخليل في التاريخ :

ان تسمية ابراهيم بالعبراني كما ورد في التوراة^(٢) انما اريد منها نسبة الى احدى القبائل البدوية التي كان الشرق الادنى القديم كله مسرحا لتحركاتها . وتكاد تجمع معظم المصادر التاريخية على ان عصر ابراهيم يعود الى حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد^(٣) ، حيث

(١) انظر تاريخ اللغات السامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر مطبعة الاعتماد مصر ١٩١٤ م . ص ٧٨ .

(٢) سفر يشوع ، الإصحاح ٢٤ : ٣ .

(٣) انظر المسعودي «التهذيب والإشراف» طبعة مصر ١٩٣٨ م ص ١٧١ . «يذكر المسعودي أن الفترة الممتدة بين عهد إبراهيم الخليل وعهد موسى زمن الخروج بحوالي خمسمائة وسبع وستين سنة ، ولما كان قد أصبح معروفا الآن ان زمن الخروج حدد بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد فيكون زمن إبراهيم الخليل هو القرن التاسع عشر ق . م .

انظر تاريخ خروج موسى من مصر في قصة الحضارة - ديورانت ١٩٠٨ ، ص ٣٢٥ .
انظر احمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٥١ .

كانت الاحوال السياسية والدينية في بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر بعيدة عن الاستقرار. فقد كان التاريخ السياسي لهذه المنطقة متقطعا تماما بسبب التغيرات السياسية المستمرة والصراعات بين الاقوام المختلفة على الحكم والسيطرة. ان هذه التغيرات تجعل من الصعب على الباحث ان يتمسك بخيط متين يتابع معه تسلسل احداث القبائل البدوية التي كانت تغمر المنطقة على اتساعها. ولكن مما لا ريب فيه ان القبائل الارامية والعمورية والكاشية والحثية كان لها النصيب الاكبر في احداث العراق في الفترة التي يظهر فيها ابراهيم الخليل على التاريخ. ويستفاد من المدونات التاريخية القديمة التي عثر عليها المنقبون ان قصة ابراهيم حقيقية لا مجال للشك فيها.

والذي لا مجال للشك فيه ايضا ان شخصية ابراهيم كانت رفيعة المقام بحيث اكتسبت اهمية خاصة واحتراما كبيرا بين الشعوب التي كانت تقطن ما بين دجلة والنيل. ولا شك ان منبع هذه الأهمية انما أتى من الدور الديني الذي اضطلع به ابراهيم، ذلك ان شهرة الانسان قديما وحديثا انما تتركز على اساس من اثنين، هما: الشهرة السياسية او الشهرة الدينية او كليهما معا. ولما كنا لا نجد احدا من حكام تلك الفترة قد احتل مكانة تضاهي في اهميتها مكانة ابراهيم فيصبح من السهل على الباحث ان يرجح ان مكانة ابراهيم انما اتت من الدور الديني الذي اضطلع به، ولا بد ان يكون هذا الدور جديدا ومخالفا للافكار الدينية التي تعارف عليها اقوام ذلك الزمن.

ونظرا لهذه الأهمية التي اختص بها ابراهيم نجد كتبة التوراة يحرصون على ربط تاريخ اليهود بهذه الشخصية المقدسة لاضفاء طابع القدسية على السلالة اليهودية من ناحية وللوصول الى هدفهم الاخير بالاستحواذ على فلسطين «ارض الميعاد» بعقد الهي من ناحية ثانية.

لقد الصقت التوراة بابراهيم صفات ونعوتاً برأه الله منها، كما برأه من اليهودية، فقد ورد في الانجيل خطاب لبني اسرائيل: «متى رأيتم ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الانبياء في ملكوت الله وانتم مطروحون خارجا، ويأتون من المشارق ومن المغرب ومن الشمال والجنوب ويتكثرون في ملكوت الله»^(١). وقد حسم القرآن الكريم الجدل حول حقيقة ابراهيم

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٣: ٢٨-٢٩، إنجيل متى، الإصحاح ٨: ١١-١٢.

الخليل بقوله: ﴿يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده افلا تعقلون﴾ وقوله: ﴿ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾^(١)

ويفهم من هاتين الآيتين ان اليهودية تختلف عن الديانة التي دعى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام، كما يفهم كذلك ان زمن التوراة والانجيل زمن منفصل ومستقل عن عهد ابراهيم^(٢).

وإذا كانت هذه الشخصية الرفيعة المقام وذات الرسالة الدينية الهامة ليست يهودية ولا نصرانية، فما هي هذه الشخصية؟

تشير الوثائق المكتشفة الى وقوع نزاعات دينية في العراق حوالي الفترة التي هاجر فيها ابراهيم الخليل من موطنه العراق، وان النزاع كان يدور حول مكانة اله القبائل البدوية النازحة من جزيرة العرب اله القمر «سين» حيث كانت كلا من «اور - وحاران»^(٣) في القديم مركزا لعبادة الاله «سين» اله القمر.

ويغلب على الظن ان هذه العبادة اتت من بلاد اليمن حيث حملها المهاجرون الى العراق ثم نقلتها القبائل المهاجرة الى مصر، فقد ذكر اسم هذا المعبود في شبه جزيرة سيناء^(٤).

وفي خضم هذه الاحداث برز رسول الله ابراهيم يدعو الى دين الله ويحذر قومه من عواقب عبادة الاوثان. قال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجتئنا بالحق ام انت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين﴾^(٥).

(١) سورة ال عمران، الآيتان: ٦٥، ٦٧.

(٢) انظر احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٥٠.

(٣) أور مدينة قديمة في جنوب العراق، وحاران هي «حران» الحالية قرب نهر البليخ في سوريا.

(٤) انظر عباس محمود العقاد، إبراهيم ابو الأنبياء، ص ٩٨، وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص ٢٦١.

(٥) سورة الأنبياء الآيات: ٥١-٥٦.

وهكذا دخلت وحدانية ابراهيم في خضم الصراع الديني في جنوب العراق . فحاربته الوثنية واضطرته الى الخروج من بلاده . ويقول احد الباحثين في هذا الصدد : «ان الساميين الجنوبيين (ويقصد القبائل العربية التي هاجرت من اليمن) نقلوا معهم الى بابل الاله القمر الذي كانوا يعبدونه . وقد احتل هذا الاله مكانة رفيعة بين مجموعة الالهة ولم ينافسه الا الاله القمر الذي كان يعبده الآريون الشماليون ، وقد انبثقت من هذا النزاع الحساس بذرة فكرة الخالق الأوحد العظيم الذي يسيّر جميع هذا الكون ، وهي تعد اعظم ما اقتبسته الانسانية في تاريخ العالم . وتنسب الاقوال المتواترة هذه المرحلة من التفكير الانساني الى الاب ابراهيم الذي كان حامل لواء النظرية الجديدة ، ويظهر ان هذه الفكرة الجديدة قد حازت اقبالا وتقبلا من الوثنيين . ففي بعض الألواح التي عثر عليها المنقبون في منطقة بابل ما يوضح جليا ان هناك ثلاثة ملوك يؤلفون سلالة بابلية سامية قد حكموا ما يقرب من قرن كامل في المنطقة الجنوبية من بابل ، وهؤلاء نادوا وجاهروا بعقيدة التوحيد ، الا ان الوثنيين اسقطوا الملك الثالث ونفوه من البلاد ، ولو فحصنا بدقة ما ورد في المدونات البابلية وفي كتابات التوراة لوجدنا ادلة كافية على ان هذا الملك ان هو الا ابراهيم الذي غادر بابل وتوجه الى فلسطين ، وذلك بعد سقوط السلالة السامية الموحدة المذكورة .^(١)

ويذكر فليبي ان اسماء هؤلاء الملوك الثلاثة هي اسماء عربية سامية ذات صلة بالاله الواحد ، ويقول ان اسم الاول «ايلوما - ايلوم» (Eluma - Elum) ومعناه كما ترجمه العلامة «دوتي» (Doughty) اله الواحد صديق له «وهو كما ورد اسم النبي ابراهيم الخليل في الكتابات الاسلامية ، الى ابراهيم الخليل» .

ويمضي فليبي في اظهار صلة ابراهيم الخليل بعقيدة التوحيد قائلا : «ومما لا شك فيه ان ابراهيم لعب دورا رئيسيا في تاريخ العالم السامي بتأسيسه ديانة التوحيد وقد انتصر اخيرا في كفاحه ضد وثنية الجزيرة العربية القديمة . . ولا نرانا بحاجة للتأكيد على ان ابراهيم كان شخصية ذات مكانة مرموقة ، ويشير السير «وولي» الى انه النبي الوحيد من الأنبياء الذي سمي بـ «خليل الله»^(٢)

(١) (H.st.J.B. philby) Theback ground of Islam-Eleng asketch of arabian Hlistorian Pre Islamic Times, Alexandria, 1947, pp 10-11.

(٢) انظر أبقار السقاف «إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة» ص ٨١ .

وبما تقدم يتضح لنا ان هذه الشخصية العظيمة تنتمي الى احدى المجموعات السامية التي خرجت من الجزيرة العربية واستوطنت جنوب العراق وليست لها اية صلة بعهد موسى واليهود لان الفاصل الزمني بين العهدين يزيد على سبعة قرون. (١).

واذا ما عدنا الى اوضاع العراق السياسية في أوائل الالف الثانية قبل الميلاد - اي فترة ابراهيم - نجد ان الشعوب الامورية قد بسطت نفوذها واثبتت وجودها في فلسطين وسوريا والعراق، وأسسوا سلسلة من الدول. منها «ماري» على الفرات الاوسط «وايسين» Isin ولارسا Larsa «سنكو الان» في جنوب العراق. وقد استطاعت احداها احتلال مركز الصدارة بين هذه الدويلات وهي التي تسمى الدولة البابلية الاولى (حوالي ١٨٣٠ - ١٥٣٠ ق.م) (٢).

وقد عثر على كتابات في مدينة «ماري» تؤيد صحة ما ورد في التوراة والقرآن الكريم حول شخصية ابراهيم الخليل باعتبارها حقيقة واقعية. وقد ذهب الخبراء الأثريون إلى تعيين زمن هجرة ابراهيم الخليل بحوالي سنة ١٩٠٠ ق.م أي في القرن التاسع عشر قبل الميلاد (٣).

وفي حوالي ١٩٢٥ ق.م دالت دولة الاموريين امام الزحف الحثي فسقطت بابل وسقط معها الملك الأموري «سمشو- ديتانا» أي «شمس الدين» آخر ملوك هذه الاسرة العمورية. وقد أعقب الغزو الحثي لبلاد الرافدين (والذي يقابل منتصف حكم الاسرة الثانية عشرة المصرية) فترة غير مستقرة غرقت فيها شعوب بلاد ما بين النهرين في لجة من الفوضى استمرت زهاء قرن ونصف قرن، اضطربت خلالها احوال القبائل البدوية السامية مما اضطرهم الى الفرار نحو فلسطين ومصر ثم اتجه بعض هذه القبائل مع وادي النيل جنوبا. وقد كشف في بلدة بني حسن بمصر الوسطى قبر يعود تاريخه الى السنة السادسة من حكم اسرة سنوسرت الثاني حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م، أي بعد خمس وعشرين سنة على تلك الغزوة الحثية او بالاحرى على سقوط بابل (٤). وقد كشف في هذا القبر على صورة لعائلة مهاجرة

(١) انظر احمد سوسة «العرب واليهود في التاريخ» ص ٢٦٢. ظهر عام ١٩٨٥ بحث للدكتور كمال الصليبي، ذهب فيه الى ان التوراة وابانها جاءوا من غرب الجزيرة العربية واعتمد البحث على ما دعاه الباحث «مطابقات لغوية لاسماء اماكن تورانية واسماء لاماكن في غرب الجزيرة العربية».

(٢) انظر موسكاتي «الحضارات السامية القديمة» ص ٦٨.

(٣) انظر احمد سوسة «العرب واليهود في التاريخ» ص ٢٦٢، انظر ايضا ص ٣٨ من هذا الفصل.

(٤) انظر ايكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص ٧٩.

من الساميين نحو وادي النيل ، ويغلب على الظن ان هذه العائلة السامية هي احدى العائلات ذات الرياسة المهاجرة من بلاد الرافدين الى مصر .

وقد عثر على الواح صلصالية كثيرة في منطقة بابل ذكرت فيها تسمية ابراهام او ابرام بصيغة «أباراما» و «أبام راما» ، كما ورد اسم ابرام في وثائق مصرية ترجع الى عهد شيشنق الاول (٩٤٧ - ٩٤٥ ق.م) حيث ورد فيها ذكر مزرعة باسم «مزرعة ابرام» في جنوبي فلسطين لعلها تقع في جوار «حبرون» الخليل^(١) كما ورد اسم «أبرامو» أو «ابرام» في كتابات اشورية تعود الى عهد اسر - حدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) . وعثر في «لارسا» جنوب العراق على كتابة تعود الى عهد حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) ظهر فيها اسم شخص يدعى «أهوبا ابن اسماعيل» بصفته احد الشهود في بعض العقود ، كما عثر في «ماري» على مدينة اسمها «ناحور» وهو نفس اسم اخي ابراهيم الخليل ، وعلى مدن تحمل اسماء افراد عائلة ابراهيم مثل «تورا حكي» ، يشبه اسم والده «تارح» ومدينة «سروج» وهي اسم جده^(٢) حسبما ورد في التوراة .

ويؤخذ من الحاجة التي دارت بين ابراهيم وأبيه - كما يحكيها القرآن الكريم - ان والد ابراهيم كان متمسكا بعبادة الأوثان ، كما نجد ابراهيم عليه السلام حريصا على هداية والده وقومه ، وربما كان والد ابراهيم ذا مكانة رفيعة بين قومه ، وهذا يتفق وما أشارت اليه النصوص التاريخية المكتشفة والمتعلقة بابراهيم الخليل^(٣) ولما فشل ابراهيم الخليل في هداية والده وقومه ارتحل عنهم من فدان ارام في شمال سوريا الى اور في جنوب العراق ثم الى حاران شمال سوريا^(٤) . وقد آمن مع ابراهيم جماعة من الناس منهم بعض اقاربه آثروا الهجرة معه الى حاران ثم الى فلسطين ومصر .

(١) G. A. Barbon (Archaeology & the Bible), New Yourk 5 th ed. 1927, pp 316-319.

A.T. Olmsted, History of palestine & syria, New yourk 1931. P.83.

انظر كذلك المراجع التالية :

أبكار السقاف ، المرجع السابق ص ٧٨ وما بعدها .

مجلة العربي ، العدد ١٤٣ تشرين اول «اكتوبر» ١٩٧٠ م . ص ٨٨

أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) ذهب بعض الباحثين الى أن ابراهيم الخليل كان حاكماً في أور ، انظر أبكار السقاف ، المرجع السابق ،

ص ٨٤ .

(٣) انظر محاجة إبراهيم لأبيه ، سورة الصافات الآيات : ٨٤-٩٩ . مريم ، الآيات ٤٨-٤١ ، التوبة ، آية : ١١٤ ،

الشعراء ، الآيات : ٨٩-٦٩ .

(٤) انظر المواقع المذكورة والتي وردت في التوراة في الخارطة رقم (١) .

✽ هجرته عليه السلام إلى مصر:

هجر إبراهيم بلاد الرافدين واتجه إلى فلسطين ماراً بحاران «حاران الحالية» وغادر حاران إلى دمشق بطريق تدمر ومنها إلى فلسطين، وكانت مع إبراهيم الخليل جماعته وممتلكاته من قطعان الأغنام والماعز والحمير والجمال، وكانت رحلته تشبه رحلات القبائل البدوية التي تهتم بالماء والكلاء أثناء تحركاتها.

وكان إبراهيم عليه السلام غريباً في أرض فلسطين، كما كانت فلسطين أرض غربة بالنسبة إلى إبراهيم، والتوراة تتحدث عن آل إبراهيم بصفتهم وافدين طارئین على فلسطين وغرباء بين أهلها الأصليين «الكنعانيين»^(١) ذلك لأن إبراهيم من القبائل الآرامية ووطنه الأصلي هو «فدان أرام» أو أرض حاران قرب منابع نهر بليخ أحد روافد الفرات في شمال سوريا. فقد ورد في التوراة «تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين»^(٢) و«انتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار»^(٣) ولما اشترى إبراهيم مغارة المكفيلة من الحثيين في حبرون «الخليل» قال لهم: «أنا غريب ونزِيل عندكم اعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي»^(٤).

وفي هذه الأقوال دليل على أن فلسطين ليست الوطن الأصلي لإبراهيم الخليل عليه السلام وهذا يهدم أساس الدعوى اليهودية القائمة على اعتبار فلسطين وطن إبراهيم. وإذا عرفنا أن بني إسرائيل «أولاد يعقوب» هم من الآراميين فيلزم أن يكون وطنهم الأصلي حاران أيضاً.

وجاء في التوراة أن إبراهيم رحل عن وطنه الأصلي ومعه والده تارح، وهذا لا يتفق وسياق الحوادث التاريخية التي تقول بأن إبراهيم هجر قومه لتمسكهم بعبادة الأوثان، ووالده كان ممن تشبث بالأوثان وقاوم إبراهيم، ومصدق ذلك ما ورد في القرآن الكريم. فقد جاء

(١) سفر التكوين، الاصحاحات، ٧: ٢٤، ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٣٥: ٢٧، ٣٦، ٧، ٣٧، ١، ٤٧: ٩.

(٢) سفر التكوين الاصحاح، ٣٤: ٢١.

(٣) سفر التكوين الاصحاح، ١: ٢٠، جرار: من اراضي جنوب فلسطين - انظر الخارطة (١) ص ٤٦

(٤) سفر التكوين: الاصحاح ٢٣: ٤.

في سورة مريم على لسان والد ابراهيم: ﴿وقال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم، لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفيّا، وأعتزلکم وما تدعون من دون الله وادعوربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّا﴾^(١).

ومن فلسطين هاجر ابراهيم إلى مصر على أثر جذب أصاب أرض فلسطين، وكانت الاحوال السياسية في مصر مستقرة ومزدهرة في ظل المملكة الموحدة في عهد السلالة الثانية عشرة، في عهد الفراعنة «سنوسرت الثاني ١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق. م.» و«سنوسرت الثالث ١٨٧٢ - ١٨٤٣ ق. م.»^(٢) فقد تمكنت مصر في هذا الدور من بسط نفوذها على بلاد كنعان على اثر حملة قام بها الفرعون سنوسرت الثالث حوالي ١٨٥٠ ق. م. لذلك يعتبر تحرك ابراهيم عليه السلام من كنعان الى مصر امرا طبيعيا بعد ان توطدت الصلات بين مصر وفلسطين، فكانت مصر موثلا يتجه اليه الكنعانيون في حالات المحل والقحط فيها^(٣). ولم يطل المقام بإبراهيم في مصر بل سرعان ما عاد الى ارض كنعان واستقر فيها.

وجاء في سفر التكوين من التوراة ان إبراهيم الخليل خرج مطرودا من مصر، وذلك لان إبراهيم اخبر أن سارة اخته وليست زوجته وان فرعون اراد ان يتخذها زوجة له، فلما علم انها ذات بعل، طرد إبراهيم وزوجته من مصر بعد ان انعم عليهما بنعم كثيرة^(٤). والذي أميل اليه ان خروج ابراهيم من فلسطين ودخوله الى مصر ثم خروجه منها انها كان جريا على العادات البدوية في التنقل والارتحال طلبا للماء والعشب.

٢ - الاسرائيليون أو «بنو إسرائيل»

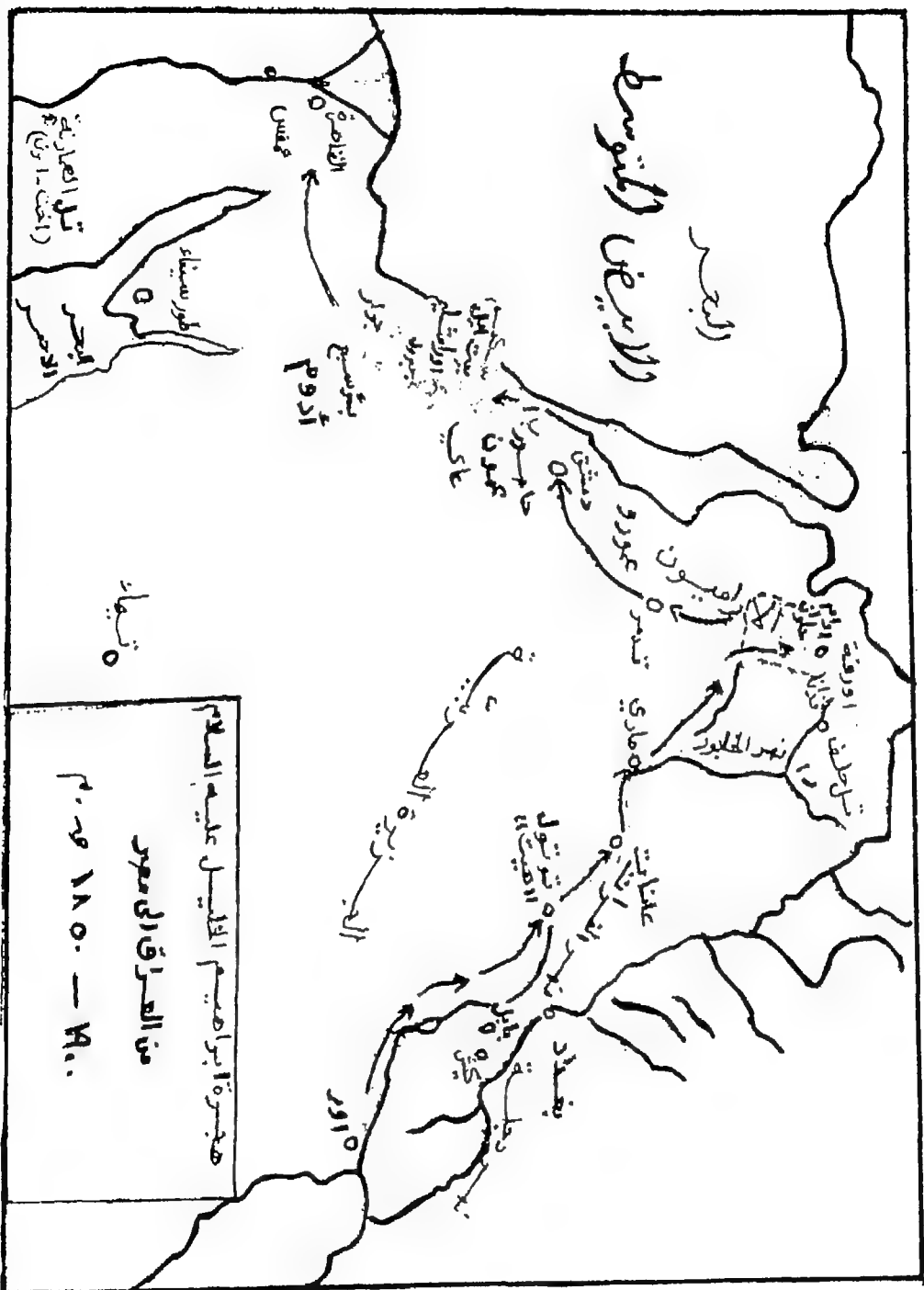
أطلقت التوراة لقب اسرائيل على يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل، وتقول التوراة ان هذا اللقب حصل عليه يعقوب بعد مصارعة مع الله استمرت ليلة بطولها انتهت بانتصار يعقوب وحصوله على اللقب (إسرائيل). وتقول التوراة «... فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذَه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه. وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا اطلقك ان لم

(١) الآيات: ٤٦ - ٤٨.

(٢) انظر أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٦٥.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح ١٢: ١٤-٢٠.



خارطة رقم ١ - تطلع عن احمد سوسة / العرب واليهود في التاريخ لا يتصرف ٢٠٥٨ .

تباركني . فقال له ما اسمك؟ فقال : يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيا بعد يعقوب بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال اخبرني ما اسمك ، فقال لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك»^(١) .

وكما هو واضح من قصة التوراة هذه وما بعدها ان كتبة التوراة حريصون على غرس فكرة الأرض الموعودة في الازهان حرصهم على ربط سلالتهم بأسماء لها قدسيتها في التاريخ .

وإسرائيل كلمة سامية قديمة تتكون من مقطعين «إسر» بمعنى عبد ، والآخر «إيل» بمعنى الله «الإله» فيكون معنى إسرائيل «عبدالله»^(٢) . وهذا الاسم ليس جديدا على التاريخ ، فقد كان شائعا عند الامم القديمة شأنه شأن ابراهيم و ابرام ، ويوسف ويعقوب وغيرهم . اذ ان كل هذه الاسماء روحانية مقدسة في البلاد منذ عهد قديم . وقد ذهب البعض إلى أن هذه الاسماء كنعانية بل عربية اصيلة ترجع الى ما قبل الالف الثانية قبل الميلاد ، وكانت تطلق على الاشخاص والاماكن تبركا بها كما هو متبع عندنا حاليا تماما ، فقد ورد اسم ابرام في المصادر البابلية والمصرية للدلالة على اشخاص واماكن بهذا الاسم ، كما ورد في الكتابات المصرية اسما يعقوب ويوسف مقرونين بالإله «إيل» أي «يعقوب - إيل» و«يوسف - إيل» ومعنى ذلك «ليحم الإله إيل يعقوب» و«ليحم الإله إيل يوسف» والإله إيل هو «الإله العلي العظيم» عند الكنعانيين والاراميين وهو نفس الإله «إيل» الوارد في التوراة والمقرون بعهد إبراهيم الخليل ، وهو غير الإله «يهوه» إله اليهود الذي اختلقه كتبة التوراة كإله خاص بهم ، وقد جاء اسما «يعقوب إيل» و«يوسف إيل» بين اسماء المدن التي احتلها الفرعون «تحتومس الثالث» احد فراعنة السلالة الثامنة عشرة «١٤٧٩-١٤٤٧ ق.م» كما ورد اسم إسرائيل في الكتابات المصرية ايضا بصفة اسم منطقة تقع في جنوب فلسطين كان قد اخضعها «مرنفتاح» احد فراعنة السلالة التاسعة عشرة في حوالي ١٢٣٠ ق.م^(٣) ، وقد كان اسم «إيل» شائعا عند امم اليمن فقد ظهر هذا الاسم مع اسماء ملوك الطبقة الاولى للملوك الدولة المعينية التي كشفت في نقوش اليمن كاسم «وقهي إيل صدوق» كما ورد هذا الاسم ملحقا بأسماء ملوك الطبقتين الثانية والثالثة^(٤) كما يظهر هذا الاسم في الدولة السبئية ثم

(١) سفر التكوين ، الإصحاح ، ٣٢ : ٢٥-٢٩ .

(٢) انظر أبقار السقاف ، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، ص ١٣٣ .

(٣) انظر أحمد سرسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٣٣ .

(٤) انظر التاريخ العربي القديم ، تأليف ديتلف نيسلن ، وفرتز هومل ، ورود وكاناكيس وأدولف جرومان ، ترجمه

يظهر عند الحميريين، وهذا يبعث على الظن ان هذا الاسم يشير إلى معبودات الاقوام السامية القديمة التي سكنت بلاد اليمن، وربما ان المهاجرين من هذه البلاد حملوه معهم الى سوريا وبلاد الرافدين ثم الى مصر، واذا صح هذا الرأي فيكون سكان الجزيرة العربية قد عرفوا الإله قبل الشعوب البابلية والمصرية.

ومما تقدم نرى ان كلمة اسرائيل لا تدل على امة بعينها كما اشاع كتبة التوراة، وإنما هي تسمية عادية كانت منتشرة عند كافة الشعوب في الشرق القديم. ثم ان يعقوب الملقب باسرائيل هو حفيد ابراهيم ومن نفس العشيرة الآرامية التي ينتمي إليها ابراهيم، ولذلك فهو ينتمي إلى عهد ابراهيم ولا صلة له بالعهد التاريخي المتأخرة التي ظهر فيها سيدنا موسى بعد حوالي اربعة قرون، وذلك لأن جماعة يعقوب المسماة بني اسرائيل تركت وطنه الاصلي حاران وارتحلت الى مصر من ارض غربتها فلسطين في حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد. ولم تكن هجرة يعقوب وبنيه الى مصر هي الأولى من نوعها، فقد استقبل وادي النيل هجرات متوالية قدمت من الجزيرة العربية وبلاد الشام. ويرجع بعض الباحثين تاريخ هذه الهجرات الى الالف الرابعة قبل الميلاد. ويذهبون الى ان هؤلاء المهاجرين حملوا معهم الى مصر فن التحنيط والكتابة الهيروغليفية واستعمال المعادن وخاصة النحاس، كما حملوا معهم الديانة الوثنية، ويستدلون من النقوش المصرية ان المهاجرين عموما لغتهم في مصر مع بعض التغيير والتبديل الذي حصل نتيجة الاختلاط بالسكان المحليين مع مرور الزمن^(١).

وليس غريبا ان تتوالى هذه الهجرات وخاصة عن طريق برزخ السويس لان فلسطين وبلاد الشام والجزيرة العربية ما هي الا امتداد جغرافي للبلاد المصرية سيما وان القبائل المهاجرة الى مصر كانت تطمع بخيرات هذه البلاد التي عرفت الاستقرار السياسي والاقتصادي منذ عهد حكم السلالات القديمة.

وقد تعرضت مصر خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد الى غزوة كبيرة قادمة من شبه جزيرة سيناء من قبل اقوام اطلق عليهم اسم «الهكسوس»^(٢). اي الرعاة. واستطاع هؤلاء

= واستكملة د. فؤاد حسنين علي، راجع الترجمة الدكتور زكي محمد حسن. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م، ص ٦٥.

(١) انظر الدكتور محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٦٢م، ج١ ص ٢٦.

(٢) انظر أبقار السقاف، «اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة» ص ١٣٧، وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص ٧٤.

استغلال فترة الفوضى التي نتجت عن انقسام مصر الى مملكتين متنازعتين، واحتلوا شمال مصر واقاموا حكما استمر من ١٧٨٥-١٥٨٠ ق.م وكان المصريون يسمون الهكسوس «شاسو» اي البدو وعرفت دولتهم بدولة البدو.

ويعتبر كثير من الباحثين ان الهكسوس^(١) من الشعوب السامية وعلى ذلك فهناك صلة قريى بينهم وبين القبائل التي سبقتهم في الهجرة من الجزيرة العربية إلى مصر. ولا يستبعد الباحث ان يكون المهاجرون الاولون قد امدوا الهكسوس بمساعدتهم في احتلال مصر، كما لا يستبعد ان يكون الهكسوس قد اعتمدوا على هؤلاء المهاجرين في تثبيت حكمهم لمصر.

ولعل سيطرة الهكسوس على مصر هي التي مهدت لهجرة يعقوب وبنيه، حيث وجدوا الحماية في ظل الحكام الجدد^(٢). وقد اصبح هؤلاء الرعاة ملوكا في مصر السفلى وشكلوا سلالات حاكمة، وتشير سجلات تحوتس الثالث الى ان بين اسماء هؤلاء الملوك ما يحمل اسم «يعقوب - إيلو» او «يعقوب - إيل» و«يوسف - إيل» و«يعقوب - بعل» كما وردت كلمة «يعقوب - إيل» ايضا بصيغة اسم لمكان في الكتابات المصرية^(٣). مما يدلنا على ان اسم يعقوب كان شائعا بين الأقوام المهاجرة إلى مصر وخاصة بين الهكسوس انفسهم.

ويستفاد من رواية سفر التكوين ان العلاقات بين فلسطين ومصر في عهد الهكسوس كانت حسنة وان الحدود المصرية الفلسطينية كانت مفتوحة للمهاجرين، ويستفاد من السفر نفسه ان يوسف بن يعقوب احتل مكانة هامة في جهاز الحكم المصري، وان والده وإخوته تملكوا في مصر واثمروا^(٤).

ويستفاد من التوراة^(٥) ان آل يعقوب مكثوا في مصر زهاء اربعمائة وثلاثين عاما، وكان عددهم يوم دخولهم الى مصر سبعين نفسا^(٦). وقد اقاموا في ارض عوشن (جاسان) التي

(١) السامية أو الساميون: «اصطلاح اطلق على لغات مجموعة الشعوب التي كانت لهجاتها متقاربة وتستوطن منطقة الشرق الادنى والوسط، كالأقوام الآرامية والكنعانية والعبرية والعربية، ثم اصبح الباحثون يطلقونه على مجموعة الشعوب نفسها واول من استعمل هذا الاصطلاح هو المستشرق النمساوي شلوتسر، ١٨٧٠م. انظر «ولفسون - تاريخ اللغات السامية ص ٢».

(٢) انظر ول ديورانت «قصة الحضارة» ج ٢، ص ٣٢٤.

(٣) انظر ابتكار السقار «إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة» ص ١٣٨، وأحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ. ص ٧٥.

(٤) انظر الإصحاحات ٤١: ٤١ - ٤٧.

(٥) سفر الخروج الإصحاح ١٢: ٤٠.

(٦) سفر التكوين ٤٦: ٢٧.

يغلب على الظن انها كانت موطن القبائل السامية التي لم تنقطع هجراتها من جهة فلسطين . إن الاطراف في احوال هذه المنطقة في تلك الفترة من الزمن يرى انه لا بد وان تكون اسرة يعقوب هذه قد ذابت في الموطن الجديد ، واختلطت مع غيرها بفعل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبشرية . فقد تزوج يوسف «بأسنات بنت فوطي فارع كاهن اون»^(١) المصرية وولدت له منسى وافرايم^(٢) ولا يستبعد ان غيره من اولاد يعقوب وبنيه قد تزوجوا بالمصريات واختلطوا بالشعب المصري ، سيما وقد قريهم ملك مصر واشركهم بالسلطة . ولا بد ان يكون عدد غير قليل من المصريين وغيرهم قد شايعوا يعقوب وبنيه في دعوته الى الاله الواحد ، وخاصة بين اولئك المهاجرين الذين ينتسبون الى الارومة السامية التي ينتسب اليها يعقوب ، ولا بد ان وجد هؤلاء الساميون الحماية والعون والمساعدة وحصلوا على بعض الامتيازات في عصر الهكسوس وخلال مشاركة يوسف للحكم في مصر .

لهذا كان هؤلاء ينظرون نظرة تجملة وإعظام الى بيت يعقوب ، فهذه طبيعة اجتماعية نلاحظها في مختلف الأمم وعبر العصور . وإذا اخذنا بهذا الاتجاه فتكون دعوة يعقوب ويوسف الى التوحيد قد خلقت المناخ الملائم لدعوة سيدنا موسى في التربة المصرية .

٣ - الموسويون

هي التسمية التي تطلق على اتباع سيدنا موسى عليه السلام الذين خرجوا معه من مصر . وقد اختلفت الآراء حول شخصية موسى الذي اخرج اليهود من العبودية المصرية - على رأي التوراة - فالتوراة تقول بأنه ابن عمرا^(٣) بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام . وينقل لنا ديورانت عن جارستانج «عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول» خبر اكتشاف الأخير في مقابر اريحا الملكية ادلة تثبت ان موسى انجبته الأميرة حتشبسوت «الملكة حتشبسوت فيما بعد» في عام ١٥٢٧ قبل الميلاد ، وانه تربى في بلاطها بين حاشيتها وانه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحوتمس الثالث^(٤) . وقد ذهب الباحث اليهودي المشهور «فرويد» الى ابعاد مما ذهب اليه جارستانج ، فزعم ان موسى كان قائدا

(١) سفر التكوين ٤١ : ٤٥ .

(٢) سفر التكوين ٤١ : ٥١ .

(٣) انظر سفر الخروج ، الإصحاح ١ : ٢ .

(٤) قصة الحضارة ١٠ ص ٣٢٦ .

مصرياً في جيش اخناتون ولم يكن من اللاويين كما جاء في التوراة. ويعتبره فرويد من اتباع اخناتون حمل دعوة التوحيد من بعده، وتبعه قوم سمتهم التوراة «بني اسرائيل» لا ينتمون بأي صلة للجماعة السامية التي انجبت ابراهيم الخليل وحفيده يعقوب قبل مئآت السنين. وقد ردّ على فرويد^(١) في حينه بعض الكتاب واستدلوا بما ورد في التوراة ان موسى عليه السلام هو من سلالة ابراهيم الخليل ويصلون بعد ذلك الى انه يهودي قام مع اخيه هارون يناصر اخوانه اليهود ضد رعمسيس الى ان اخرجهم من مصر.

وقد هاجم الصهيونيون هذا الكتاب وحاولوا التقليل من اهميته التاريخية والعلمية واعتبروه دون المستوى الذي اعتاد فرويد ان يقدمه للناس فوصفه بعضهم «بأنه نتاج عقل زحفت عليه الشيخوخة فأفسدت احكامه» وروجوا من قبيل التكريم لفرويد فيما زعموا لو مضى الكتاب دون ان ينتبه إليه احد. فقال بعضهم تعقيباً على الكتاب انه لو لم يكن من تأليف فرويد لكان الأرجح الا يجد ناشراً يقبل نشره. وهاجمه مورييس كوهن احد فقهاء التلمود قائلاً: «لو ان شخصاً آخر كتب هذا الكتاب لكان خليقاً ان نعه كتاباً لأفاق مكابر» ثم يمضي ويقول: «صحيح ان هذا الكتاب الذي يفتر إلى الأسس السليمة لن يضل اي باحث جاد في اليهودية، ولكن يخشى ان يتأثر به جمهور القراء فيعدونه مساهمة ذات قيمة من التحليل النفسي في فهم التاريخ اليهودي^(٢)».

والذي اراه ان الذين ذهبوا الى القول بمصرية موسى اعتمدوا على البيانات التالية:

- ١ - وجود هذا الاسم بين الأسماء المصرية مثل «احمس» اي «اح - موسى» و«تخوتس» اي «تخوت - موسى» و«رعمسيس» اي «رع - موسى»، كما نجد هذا الاسم في «مقبرة موسى» كاتب الخزانة والمشرّف على ضياع «تي»، لذلك نرى ان هذا الاسم كان شائعاً في عصر الامبراطورية المصرية وان به قد عرف اكثر من واحد من ابناء ذلك العصر الذي عاش في غضونه موسى عليه السلام^(٣)

(١) اشارت جريدة الاهرام المصرية بعددها الخاص الصادر في ١٠ مايو سنة ١٩٣٩م الى كتاب سيجيند فرويد «موسى والتوحيد» الذي ظهر بالطبعة الألمانية والذي قال فيه ان النبي موسى لم يكن يهودياً بل كاً مصرياً من اتباع اخناتون وقد ردّ عليه بعض الكتاب بردود ضعيفة اعتمدوا فيها على ما جاء في التوراة. انظر عبد الوهاب النجار «قصص الأنبياء» ص ١٥٥.

(٢) د. صبري جرجس «التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي» القاهرة عام ١٩٧٠م. ص ٢٩٧.

(٣) انظر ابيكار السقاف «اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة» ص ١٥٤. وأحمد سوسة «العرب واليهود في التاريخ» ص ٢٧٥.

٢ - تربية موسى عليه السلام في البلاط الفرعوني كما يستفاد من التوراة^(١) والقرآن الكريم^(٢) وثقافته المصرية، وربما تحمل بعض المسؤوليات التي اناطه بها القصر الفرعوني لكونه من افراد الاسرة المالكة - رغم انه ابن بالتبني^(٣).

٣ - الصورة التي رسمها كتبة التوراة لهذا النبي الكريم والتي لا شك انها صورة محرفة شوهت بعناصر وثنية تعود جذورها إلى جزيرة العرب وبلاد ما بين النهرين ومصر.

ذهب بعض الباحثين الى ان الاتفاقات اللغوية والدينية التي عثر عليها حتى اليوم تدلنا على انه يجب ان لا يقتصر بحثنا في الجزيرة العربية على اصل العبريين فحسب، بل على اصل الديانة العبرية ايضاً، اذ ان الشريان الرئيسي للديانة العبرية يتصل حقيقة ببلاد العرب القديمة. وقد يكون من سبق الحوادث ان نقول ان هناك اثراً كبيراً جداً من سبأ ومعين وقتبان، كما يعتقد بعضهم. اذ الواقع هو ان وطن القبائل العبرية والديانة العبرية يجب ان يبحث عنه في شمال غرب الجزيرة العربية وفي منطقة كانت مركزاً من مراكز الثقافة العربية القديمة^(٤).

ولسنا بحاجة الى سرد امثلة من التوراة عن الطقوس الدينية اليهودية التي تشابه مثلثتها الوثنية عند الاقوام القديمة مثل السومريين والبابليين^(٥). وقد مال الموسويون «اتباع موسى» الى الوثنية وسيدنا موسى لم يزل حياً وخاطبهم قائلاً: «انا عارف تمردكم . . . هوذا وانا بعد حي معكم اليوم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي . . . لأنني

(١) سفر الخروج، الإصحاح ١٠: ٢.

(٢) سورة القصص الآية: ٩، الشعراء الآية: ١٨.

(٣) ذكر المؤرخ اليهودي الشهير فلافيوس يوسفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي اي قبل حوالي الفين من السنين «أن موسى كان حاكماً أو كاهناً، وقد كان قائداً كبيراً بالجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصراً كبيراً، وقد تزوج هناك من «تريس» بنت ملك الحبشة، وقد اوردت التوراة زواج النبي موسى من كوشية «حبشية».

أنظر سفر العدد ١٢: ١، أحمد شلبي «مقارنة أديان - اليهودية» ص ٤٣، أحمد سوسة «العرب واليهود في التاريخ» ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٤) انظر التاريخ العربي القديم، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٥) انظر سفر الخروج، الإصحاح ٣٢: ٢٥-٢٨، سفر الملوك، الإصحاح ١٢: ١٨، سفر حزقيال ٨: ١٠ «كان اليهود يعظمون (يعبدون) ويعبدون الأفعى، وعبد بعضهم الصخور والماشية، ويستدل من تاريخهم انهم كانوا يعبدون آلهة متعددة، انظر ديورانت قصة الحضارة، ١٠ ص ٣٣٨-٣٣٩.

عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي اوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام»^(١).

وما تقدم نرى ان سيدنا موسى كان مصري البيئة والثقافة وان المخالفات الدينية التي اظهرها اتباعه لا تقوم حجة على نكران رسالته ودعوته التوحيدية. ولو اخذنا برأي التوراة القائل بأن موسى عليه السلام يمت بالنسب الى يعقوب وإبراهيم فهذا لا يعني انه يهودي يمت بالنسب الى يهود اليوم ذلك اننا ذكرنا ان إبراهيم ويعقوب يمتان الى السلالة الآرامية^(٢) التي تفرعت منها شعوب كثيرة.

والذي اميل اليه ما ذكره بعض الباحثين: ان القبائل السامية التي دخلت مصر واستوطنت في معبرها الشمالي الشرقي لم تسلم من الاختلاط بشعوب اخرى بعضها من السلالات الهندية الاوروبية القادمة من وراء مرتفعات العراق^(٣). كما لم تسلم من الاختلاط بالشعوب الكوشية والسامية الأخرى بالاضافة الى استقرارها بين المصريين وفي البيئة المصرية.

في مثل هذا الوضع الاجتماعي المتداخل يصبح الحديث عن سلالات نقية ضرباً من الخيال^(٤).

والذي اراه ان سيدنا موسى رسول دعا الى دين الله اقواما كانت متباينة عرقياً قبل دخولها مصر، وفي مصر قُلت فوارقها وشكلت شعبا متحداً في المصالح والأهداف، اوكل اليه الهكسوس بعض مصالح الادارة المصرية واسبغ عليه من الامتيازات بحكم صلة القربى ووحدته الهدف ما جعل المصريين ينظرون الى هذا الشعب نظرة عداء.

وبعد ان طرد المصريون الهكسوس الدخلاء تبعهم من هذه الاقوام من تبعهم ومن بقي عندهم وقع تحت الحكم المصري، فساموهم سوء العذاب وسلطوا عليهم نير العبودية واوكلوا اليهم القيام بالاعمال الشاقة. كل ذلك ثأراً لانفسهم من تسلطهم ايام الهكسوس

(١) سفر التثنية، الاصحاح، ٣١: ٢٧ - ٣٠.

(٢) انظر ص ٣٥ من هذا الفصل.

(٣) انظر موسكاتي «الحضارات السامية القديمة» ص ١٢٦، ص ١٤٠.

(٤) انظر ول، ديورانت، «قصة الحضارة» م ١، ج ٢ ص ٣٢٨.

واستثنائهم بمصالح مصر وخيراتها، وقد اشارت التوراة كما اشار القرآن الكريم الى الحالة السيئة التي كان يعانيها الموسويون بعد رحيل الهكسوس من مصر^(١).

قاد سيدنا موسى جموع المستضعفين وخرج بهم من مصر هارباً بدينه من حكام مصر الذين انقلبوا على الهكسوس وعلى ديانة التوحيد التي اعلنها اخناتون «امنحوتب الرابع»، ونظروا الى كل دعوة توحيد نظرة عدائية واعتبروها اجنبية. وهرب مع سيدنا موسى هؤلاء المستضعفون ومنهم من استجاب لدعوته الدينية ومنهم من لم يستجب وقصدوا بلادا ينعمون بها بالعز الذي افتقدوه في مصر.

وتعتبر حركة الخروج هذه من مصر بداية لتاريخ هذه الجماعات التي عرفت فيما بعد باسم «اليهود» ذلك ان هذه الجماعات استطاعت دخول بلاد كنعان «ارض فلسطين» وحكمت اجزاء من فلسطين في عهد خلفاء موسى عليه السلام.

٤ - اليهود^(٢):

أما تسمية «يهود» فيغلب على الظن انها اشتقت من يهوذا اسم مملكة الجنوب التي كانت عاصمتها اورشليم «القدس» بعد انقسام المملكة اليهودية الموحدة في اعقاب موت سليمان ثاني ملوك اليهود (٩٦٠-٩٢٥ ق.م) وقد احتل نبوخذ نصر الكلداني مملكة يهوذا ودخل عاصمتها وسبى سكانها الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد. وكان الآشوريون قد دخلوا المملكة الأخرى المسماة اسرائيل في شمال فلسطين ودمروا عاصمتها السامرة وسبوا سكانها الى بلاد اشور ايضا وذلك في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

وقد استفادت الجماعات الموسوية من سكنائها في فلسطين فأخذت اللهجة الكنعانية واستعملتها بعد ان كانت تستعمل اللهجة المصرية، كما اقتبست كثيرا من العادات والتقاليد

(١) انظر سفر الخروج ١: ٨-١٢، انظر كذلك الآيات الكريمة في السور التالية: البقرة آية: ٤٩. الاعراف آية: ١٤١. ابراهيم آية: ٦. القصص الآيات: ٦٣-٦٤.

(٢) ويقال لهم «هودا» والذين «هادوا» أي بمعنى تابوا ورجعوا، ولكن تغلبت تسمية «يهود» عليهم واصلها من «يهودا» وهم سبط من أسباط بني إسرائيل سموها بهذا الاسم تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموهم «إسرائيل» إلى أن تشتت الأسباط وسبى شعب «يهودا» بعد هجوم الآشوريين على إسرائيل وهجوم الكلدانيين على «يهودا»، ثم دعوا جميعاً باليهود.

انظر عفيف طبارة «اليهود في القرآن». دار الكتاب - ط ٢ بيروت ١٩٦٦م ص ١٥.

الكنعانية وتأثرت بالطقوس الدينية الكنعانية، ولم تظهر اللغة العبرية المقتبسة من الآرامية إلا قبيل تدوين التوراة التي يكاد يجمع الباحثون على أن زمن تدوينها يعود إلى فترة السبي البابلي^(١) وما بعدها.

وتكتسب فترة السبي البابلي أهمية كبرى في تاريخ اليهود، ففيها كتب الحاخامون الشريعة الجديدة للشعب اليهودي، وتجلت في هذه الشريعة مطامع رجال الدين اليهود السياسية والاجتماعية الهادفة إلى إعادة غرس عقيدة الشعب المختار والأرض الموعودة.

ولا شك أن هذه الشريعة تختلف كل الاختلاف عن الشريعة التي انزلت على سيدنا موسى عليه السلام. ولا نحتاج إلى كبير عناء لإثبات ذلك، لأن كتيبة التوراة أنفسهم تولوا كشف هذه الحقيقة التي لا يجد عناء في تبianaها كل من يطالع أسفار التوراة ونخص منها أسفار التكوين والخروج والملوك وعزرا^(٢).

لقد عاد اليهود إلى فلسطين في القرن العشرين تحت حماية حراب الدول الاستعمارية الكبرى في العالم، وفي غيبة وحدة العرب والمسلمين. فيما هي صلة يهود اليوم بأولئك الذين دخلوا فلسطين أول مرة تحت قيادة يوشع؟ وهل حقاً يحتفظون بالنقاء العنصري الذي يميزهم دون شعوب العالم؟.

في الإجابة على هذا التساؤل علينا أن نتذكر مجموعة من الحقائق التي كنا قد عرضنا لبعضها. وفي مقدمتها انقطاع عصر سيدنا إبراهيم الذي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد عن عصر سيدنا موسى، ذلك لأن عصر سيدنا إبراهيم قائم بذاته وله كيانه اللغوي والديني والقومي، ولا صلة له بعصر سيدنا موسى الذي يأتي في وقت لاحق لعصر سيدنا إبراهيم بحوالي سبعمائة عام. فعصر سيدنا إبراهيم يمثل حضارة بلاد ما بين النهرين الممزوجة بتأثيرات الجزيرة العربية وتأثير شعوب شرق العراق، وديانته ووحداية لا تشرك مع الله إلهاً آخر، بينما عصر سيدنا موسى يمثل البيئة المصرية وحضارتها المزيجية من حضارات أمم شتى، وينتمي إلى مجموعة من البشر متعددة الانتماء جمعتها مصلحة مشتركة في

(١) انظر ول ديورانت «قصة الحضارة» م ١ ح ٢ ص ٣٦٦، Wills, Ashort History of the world، أحمد

سوسة «العرب واليهود» في التاريخ، ص ١٥٨.

(٢) راجع ص ٣٠ من هذا الفصل.

الخروج تحت قيادة سيدنا موسى ، ولم تكن هذه الجماعات في غالبيتها تدين بدين سيدنا موسى الذي كان يدعو لرسالة سماوية كريمة .

وقد حمل الموسويون معهم من مصر الثقافة المصرية الى بلاد كنعان حيث كانت الحضارة الكنعانية قد ترسخت اصولها في فلسطين منذ مئات السنين . وفي فلسطين بدأ الموسويون عملية تحول إلى الكنعانية تمثلت في مظاهر اللغة الكنعانية والديانة الكنعانية الى جانب التأثير الاجتماعي والاقتصادي والتحول في العادات والتقاليد . وهذه الفترة استمرت منذ حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس قبل الميلاد - اي بدأت بدخول الموسويين الى فلسطين وانتهت بالسبي البابلي ٥٨٦ ق.م تقريبا .

وهذه الفترة التي استمرت حوالي ثمانمائة سنة كادت تقضي تماما على كل ما حفظته ذاكرة الموسويين من قبل .

وأما عصر اليهود فهو عصر مستقل بنفسه ايضا عن عصر سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى ذلك ان هذا العصر يبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في اعقاب السبي البابلي ، وهو عصر يهودي بحث له ثقافته ولغته وديانته ، ويمثل بداية اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الأسر البابلي وما بعد الأسر باللغة التي صارت تعرف بالعبرية «ارامية التوراة» وهذه التوراة تختلف عن التوراة التي نزلت على سيدنا موسى باللغة المصرية قبل حوالي ثمانمائة عام من عصر اليهود^(١)

وتمثل فترة السبي البابلي مرحلة هامة في تاريخ اليهود ، فاليها يعود الفضل في صوغ العقيدة الجديدة التي التف حولها اليهود معتقدين انها طريق خلاصهم من الاسر البابلي واملهم في العودة الى ارض فلسطين .

إن المحن التي تعرضت لها هذه الجماعات التي اطلق عليها اسم «اليهود» هي التي خلقت القومية اليهودية المتمثلة بالديانة التوراتية المحرفة . ذلك أن عبوديتهم في مصر وهرهم منها تحت قيادة موحدة اوحى لهم بالهجوم على بلاد كنعان لتعويض مجدهم التليد في مصر ايام حكم الهكسوس وكذلك كان نفيهم الى بابل وآشور سبباً لجمع صفوفهم وتعلقهم بتعاليم كهنتهم السياسية المغلفة برداء ديني ، أملاً في عودة مماثلة الى بلاد الخيرات .

(١) انظر أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص :ت من المقدمة .

ونفس الشيء يقال عن المصالح التي جمعت ما يسمى يهود اليوم لاحتلال فلسطين بعد ان تركها اليهود القدامى بحوالي تسعة عشر قرناً .

يزعم يهود اليوم بأنهم يشكلون جماعة متميزة بنقائها العنصري وانهم سلالة واحدة احتفظت بمميزاتا عبر العصور التاريخية المختلفة ، كل ذلك لتبرير الشعار الذي رفعه كهنة التوراة ومؤداه تمسك اليهود بفكرة شعب الله المختار، وعهد الله لهم بأرض الميعاد.

إن دعوى اليهود هذه لا تقوم على اساس علمي ، فقد رفضها علماء الأجناس البشرية، كما تؤكد الوقائع التاريخية، زيفها وكذبها، إن الشعب اليهودي بالمعنى السياسي والطائفي ليس له وجود وإنما يقصد به الناحية الروحانية فقط .

وإذا أخذنا بالأسس العلمية التي يعتمد عليها علماء علم الانسان «الانثروبولوجيا» في تصنيف السلالات البشرية لوجدنا ان الجماعات اليهودية تختلف فيما بينها بلون البشرة ولون العيون وشكلها وشكل الوجه وطول القامة وشكل الرأس والأنف وفصائل الدم والسحنة العامة . وليس من المعقول ان ينتمي اليهودي الزنجي الأسود واليهودي الأصفر واليهودي القوقازي الى سلالة واحدة، لأن كلا من هؤلاء ينتمي الى جنس بشري رئيسي له صفاته ومميزاته الجسدية .

لقد لفتت الدعوى العنصرية اليهودية انظار كثير من الباحثين، واطالوا في التعرض لهذه الظاهرة اليهودية ووصلوا الى ان اليهود يعودون الى طائفة دينية وهيئة اجتماعية دخلتها عناصر من أجناس متباينة لصبقوا انفسهم بهم وأتى هؤلاء المتهودون من كل السلالات البشرية كفلاشا الحبشة والألمان الجرمانيين والتامل - اليهود السود - واليهود الخزر والأتراك ، ولا يعقل ان يكون اليهود ذوي الشعر الاشقر أو الكستنائي والعيون الصافية اللون ، الذين تلقاهم كثيرا في اوربا ينتمون بصلة القرابة - قرابة الدم - إلى اولئك الاسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار الاردن .^(١) وقد قام الدكتور جمال حمدان بدراسة علمية

(١) ذهب هذا المذهب عدد كبير من الباحثين . نذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر د.ج. هـ: برستد

«العصور القديمة» ترجمة داوود قربان ط٢ المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٠ ص ١٧٨ .
ول ديورانت - قصة الحضارة، م ١ ح ٢ ص ٣٢٨ ، محمد رشيد القيل ، اليهود وعلم الأجناس ، مطبعة شفيق - بغداد ص ٤٩-٥٠ .

هامرتون ، تاريخ العالم ، ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية م ٢ ص ١٠٥ .
Encyclopedia: Britannica, vol, 13 Jew.

للانثروبولوجيا اليهودية، ابطل فيها بالشواهد العلمية الدعوى العنصرية اليهودية. وأكد على أن المسحة اليهودية التي تظهر على وجه اليهودي ليست دليلاً على وحدة سلالتهم وإنما هي مجرد إرث الاضطهاد الديني^(١).

وفي التاريخ اليهودي شواهد كثيرة على أنهم ادخلوا في دينهم شعوباً مختلفة، فقد نجحوا في حمل كثير من الأنطاكيين على اعتناق ديانتهم. ومن الشعوب المتهودة قبائل الخزر^(٢)، وهم من الأتراك المغول، الذين كانوا يسكنون بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفلجا في بحر الخزر «بحر قزوين». فقد اعتنق هؤلاء الديانة اليهودية في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم «بولان» اليهودية. وظلت هذه الديانة تمارس بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادي. وأقدم معلومات عن انتشار اليهودية بين الخزر وصلتنا من الرحالة العربي «ابن فضلان» الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١م) في بعثة إلى ملك البلغار. ففي طريق عودته مرّ ببلاد الخزر وبعاصمتها «اتل»، ووصف ما شاهده في هذه المملكة اليهودية، وذكر أن الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعة ملك الخزر ويخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة^(٣).

إن في ما تقدم بياناً لما يخالف الزعم اليهودي من أن دينهم قاصر على الاسرائيليين، وأنهم غير مكلفين بدعوة غير بني اسرائيل إليه، غير أن الدين اليهودي انتشر في جهات العالم القديم. وورد في القرآن الكريم ما يشير بوضوح إلى دخول جماعات من غير بني اسرائيل في الديانة اليهودية، ودعوة بلقيس ملكة سبأ خير شاهد على ذلك ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾^(٤).

ويزعم بعض الباحثين اليهود أن الأمة الاسرائيلية لا تميل بوجه عام إلى إرغام الأمم الأخرى على اعتناق دينها، وأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود^(٥).

== محمد عوض محمد، المسألة الصهيونية في نظر العلم، القاهرة ١٩٤٧م ص ٦.
محمد السيد غلاب، تطور الجنس البشري، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٤ ١٩٧٠م ص ١٩٢.
أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٤٠ وما بعدها.
(١) انظر دراسة في سلسلة المكتبة الثقافية من دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، تحت رقم ١٦٩ بعنوان «اليهود أنثروبولوجيا، ١٩٦٧».
(٢) انظر الملحق رقم (١).
(٣) انظر أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٣٥.
(٤) سورة النمل آية: ٤٤.
(٥) انظر إسرائيل ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٧٢.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عدة تشير إلى أن الدين اليهودي دين تبشيري وان اليهود قاموا بالتبشير به ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ، وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ ^(١) . وقال تعالى : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ^(٢) . وجاء في سورة يونس : ﴿ واوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ ^(٣) .

والذي أميل إليه أن اليهود خلال تشنتهم كانوا أمام اختيارين اثنين ، الأول ، ان ينخرطوا في المجتمعات الجديدة ولا يكون هذا إلا بالتخلي عن ديانتهم والعودة إلى الوثنية ، والثاني أن يحافظوا على دينهم ، وفي هذه الحالة سيعيشون في حالة عزلة تامة مع الشعوب التي تسكنهم . لذلك كان اليهود في حالة تحولهم عن الدين يفقدون كيانهم الديني ، ويصبحون جزءاً مكتملاً للأمة التي يعيشون بين ظهرانيها . وفي حالة تمسكهم بمعتقداتهم كانوا لا يتزاجون من الأمم الوثنية الا في حال اعتناق هؤلاء ديانتهم .

وتؤكد سيرتهم التاريخية انهم لم يتمسكوا بدينهم ولا بكيانهم العرقي ولم يبق لهم من سميتهم القديمة الا هذه السحنة المشتركة التي تراها في وجوههم وتعكس ما حفظته ذاكرتهم من آلام الماضي وما تخفيه من تطلع للمستقبل ، فمن الثابت ان اليهود كانوا يستخدمون ابناء المسيحية في العصور الوسطى كإماء وعبيد في بيوتهم ، وكان بعض اليهود يتزوجون بالمسيحيات ، وحدثت زيجات كثيرة من هذا القبيل مما اضطر بعض الممالك الكنسية الى اصدار قرارات تمنع التزوج باليهوديات ، وهذا يدل على مدى الخطورة التي وصل اليها مثل هذا الزواج في نظر رجال الكنيسة .

واذا تذكرنا حالة اليهود في إسبانيا قبيل الفتح الاسلامي خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين في ظل حكم القوط الغربيين الذين استعبدوا اليهود وارغموهم في مرات كثيرة على التخلي عن دينهم والتزواج مع غيرهم لصهر الأقليات في اسبانيا في البوتقة القوطية ، ادركنا اكذوبة النقاوة العنصرية اليهودية . وخلال الحكم الاسلامي في اسبانيا

(١) سورة السجدة ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الاعراف ، آية : ١٥٩ .

(٣) آية : ٨٧ .

مارس اليهود حق المواطنة وتساووا مع المسلمين في الحقوق والواجبات المدنية، وحدث تزواج منهم مع المسلمين. وهذا التزاوج جعل اليهود يستوعبون دماء غريبة غير دمائهم. ان نظرة بسيطة الى المجتمعات الاوروبية والامريكية تكفي للدلالة على ان اليهود الذين تسللوا الى هذه المجتمعات الاوروبية يصعب تمييزهم من غيرهم، واذا اضفنا الى كل ما تقدم كون اليهود لم يمارسوا حكماً زمنياً قائماً على مبدأ الجنس والقومية، منذ ايام موسى عليه السلام وحتى قيام الكيان الاسرائيلي الحالي^(١). وان كل السلطة بيد الكهنة وفي احيان كثيرة كان زمام السلطة بيد الأنبياء كما هو الحال في عهد القضاة والملوك.

ويتضح لنا أن كل ما حافظ عليه اليهود هو هذه العقيدة اليهودية الممزوجة بالأهداف السياسية الغربية، ولولا هذه الرابطة لانقرضت اليهودية كما انقرضت اقوام شتى ظهرت بعد بني إسرائيل كأقوام العرب البائدة، ومن الخير ان يقال: ان القوم قد بادوا، وبقيت هذه التعاليم المنسوبة اليهم، يحملها اناس جمعتهم معهم المصلحة ولا شيء غيرها.

ويستفاد من بعض نصوص التوراة ان اليهود كانوا لا يتقبلون خلال تاريخهم الا حكم الكهنة الذين كانوا بدورهم وسيطاً بين الشعب والإله يضعون أحد الطرفين في خدمة الآخر حسب المصلحة والظروف. وكان اليهود يَحْتَمُونَ وراء رجال الدين اذا ما داهمهم الخطر. وتظهرهم التوراة جنباء لا يثقون بأنفسهم ويحتمون بأنبيائهم ويطلبون منهم تحقيق المعجزات لصالحهم. فقد رفض اليهود دخول فلسطين بقيادة سيدنا موسى خوفاً من الكنعانيين واجابوا سيدنا موسى عندما طلب اليهم ذلك بالقول: ﴿فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾^(٢).

وربما كان مبعث هذا الذل والخوف الذي اتسم به اليهود خلال نشأتهم الدينية ثم القومية يعود الى حياة الذل والعبودية التي عاشوها في مصر وبلاد العراق، كما ان عدم انسجام اليهود في السلالة والمعتقد جعل هذا الخوف مظهراً من مظاهرهم بعد الخروج من مصر. ولهذا وجد اليهود ان من الخير لهم تسليم مقاليد امورهم الى الكهنة ورجال الدين

(١) يعاني الكيان الإسرائيلي الحالي من مشكلة تعريف اليهودي، ومن هو اليهودي يختلف تعريفه من حزب إلى آخر ومن طائفة إلى أخرى، وكثيراً ما سببت هذه المشكلة فضائح للحكم الإسرائيلي، كما سببت أزمات سياسية ادت في بعض الأحيان إلى استقالة الحكومة. ولا زالت هذه المشكلة تقلق تفكير رجال السياسة ورجال الدين في إسرائيل.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٤.

والاختفاء خلفهم خوفا من المشاركة المباشرة في الاحداث التي تتطلب شجاعة وتضحية، سيما وان انبياءهم حملوا عنهم هذه المهات ونجحوا في حملها. فهاهم قد انجاهم الله من فرعون وجنوده بقيادة موسى عليه السلام الذي شق لهم البحر بعصاه، وأنزل عليهم الرب المن والسلوى طعاما، ولهذا لم يكن اليهود ليتقبلوا حكما يضع عليهم الواجبات ويجعلهم وجها لوجه مع الاحداث التي توجب المشقة والتضحية، ففي التوراة: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون»^(١) «والرب يحارب عن إسرائيل»^(٢).

وقد ثارت ثائرة اليهود عندما سَمَّى بعض الكهنة انفسهم ملوكا في اواخر عهد المكابيين وحكموا على اساس سلطة زمنية. ولما قدم بومبي القائد الروماني الى اورشليم عام ٦٣ ق.م طلب إليه اليهود ان يلغي الملكية ويعين لهم كهنة وليس ملوكا. وأجابهم بومبي الى طلبهم وعين «هركانوس» الثاني المكابي حاكما عليهم تحت لقب «الكاهن الأعظم»^(٣). غير ان الكاهن لم تكن له إلا السلطة الدينية لأن الأمور الدنيوية كان يبارسها الحكام الرومان.

ويرى بعض الباحثين «ان السر يكمن في بقاء اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا في كونها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية او جنسية او لغوية او قومية او سياسية لأن الكيان الزمني والسياسي عرضة لتقلبات الدهر والزوال. لذلك فقد استطاعت اليهودية كدين ان تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات، وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة في محاولتها ان تجعل من كيانها سلطة زمنية، وذلك بشن حروبها الصليبية، وبقيت المسيحية، وكذلك ستلقى دولة اسرائيل بوضعها الشاذ الحالي نفس المصير عاجلا ام آجلا»^(٤).

وبخلاصة القول ان اليهودية الحديثة تمثل مرحلة مستقلة ومتميزة لا صلة لها بعهد يهوذا ولا بالموسويين ومن قبلهم. ذلك ان التوراة التي طبعت هذا الكيان الحديث بطابعها انما كتبت بعد يهوذا. هذا مع العلم بأن يهود اليوم علمانيون ولا يقيمون وزناً إلا لما يخدم اهدافهم السياسية المتمثلة بالحركة الصهيونية^(٥).

(١) سفر الخروج، الاصحاح ١٤: ١٤.

(٢) سفر يشوع، الاصحاح ١٠: ١٤، وفي التوراة أمثلة كثيرة عن تولي الرب القتال عن بني إسرائيل وسفك دماء الأعداء بلا رحمة، انظر سفر الخروج والملوك.

(٣) احمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٤٢.

(٤) نفس المصدر ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٥) اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ بتاريخ - ١٠ نوفمبر «تشرين الثاني» ١٩٧٥م، قررت فيه ان الصهيونية شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري، وهكذا فقد وضع المنتظم الدولي بقراره هذا حداً للمزاعم الصهيونية، وكشف عن حقيقتها.

الفصل الثاني

* العلاقات العربية اليهودية القديمة خارج الجزيرة العربية *

- * العرب في المرويات القديمة .
- * العرب واليهود في زمن سليمان .
- * سليمان وبلقيس .
- * العرب يقاومون تجديد بناء الهيكل .
- * العلاقات بين الأنباط واليهود .
- * أثر الأنباط في ديانة اليهود ولغتهم .
- * اليهود في تدمر .

الفصل الثاني

العلاقات العربية اليهودية القديمة خارج الجزيرة العربية

العرب في المرويات القديمة:

ورد اول ذكر صريح للعرب على لسان الملك الاشوري شلمنصر الثالث عام ٨٥٣ أو ٨٥٤ ق.م ، بعد ان تغلب هذا الملك على تحالف ضم هدد عازر صاحب آرام دمشق ، وزعيم عربي اسماء جنديبو «جندب العربي» ، وأخاب ملك إسرائيل في معركة مشهورة في التاريخ القديم ، هي معركة قرقر ، وقد نقش شلمنصر نتائج هذه المعركة تخليدا لانتصاره على هذا التحالف ، وجاء في النقش ان جنديبو العربي ، شارك في هذا التحالف بالف جمل ، بينما كانت مشاركة هدد عازر بـ ١٢٠٠ مركبة و ١٢٠٠ فارس و ٢٠,٠٠٠ جندي^(١).

ويعجب بعض المؤرخين من هذه المصادفة التي تجمع بين اول ذكر للعرب وبين الجمل حيوان الصحراء الذي يعتبره البعض حيوان الجزيرة العربية ، دخل منها بلاد الشام^(٢).

والمعنى الذي كانت تؤديه لفظة عرب عند الساميين القدامى بما فيهم الآشوريين ، إنما كانت تدل على البدو «الاعراب» ، ولم تكن تعني الحضرة ، كما ان العرب لم يكونوا جميعا من البدو بدليل قوله تعالى : ﴿الاعراب اشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾^(٣) . ففي هذه الآية إشارة الى ان لفظة اعراب ، ليست علماً على امة مميزة ، وإنما هي تسمية لحالة بدوية .

(١) انظر فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ط ٤ ١٩٦٥م ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع - بيروت ح ١ ص ٤٥ .

انظر كذلك ، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ ح ١ ص ١٦ .

(٢) انظر ، حتي ، المرجع السابق ، ح ١ ص ٢٧ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٩٧ .

ويستفاد من الإشارات القديمة لكيانات عربية، ان هذه الكيانات، لم تكن ممالك بالمعنى المعروف، وإنما مشيخات، خضعت لزعامة رجل أو إمارة عربية.

إن ما يلفت النظر في نقش شلمناصر الثالث السابق، إنما هو تحالف جندب العربي وأخاب الاسرائيلي مع صاحب آرام دمشق في وجه الغزو الآشوري لسوريا. فهل كان هذا التحالف نتيجة الشعور بالقرابة ووحدة المصير بين هذه الشعوب المشتركة في هذا التحالف، أم انها تحالفات مصلحة لردّ عدو مشترك؟

إن الردّ على هذا التساؤل يكمن في كون دول سوريا هذه كانت متأثرة بسياسات الدول المجاورة القوية، اشور في الشرق ومصر في الجنوب، وتبعاً لذلك كانت علاقات هذه الدول مع بعضها ومع القوى الكبرى المحيطة بها غير ثابتة، والتحالف في معركة قرقر جاء نتيجة مساعي الدولة المصرية. وإذا ما اخذنا بتاريخ هذا التحالف بين جندب العربي وأخاب الاسرائيلي، يمكننا القول بقدّم التأثيرات المشتركة بين الأصول العربية واليهودية، ذلك ان شعوب الشرق الأدنى القديم كانت على اتصال دائم، غير ان الفترة الموعلة في القدم لا تعيننا بدراستنا هذه، لعدم بروز كيان يهودي وآخر عربي، بشكل يسمح بتتبع العلاقات بين هذه الكيانات. ولذلك سأكتفي بالإشارة الى بعض التأثيرات العربية الاصل في الجماعة اليهودية التي استوطنت فلسطين ثم تشتت منها.

يرى بعض علماء التوراة ان «ايوب» صاحب السفر المشهور باسمه في التوراة، هو رجل عربي، لأن من اصحاب أيوب بلَدُ الشوحي، وهو من ولد شوح بن إبراهيم وأليغاز التيماني، وهو من ولد تيمان بن عيسو. أما موطنه ارض «عوص»، فيعتقد انها في بلاد العرب في نجد، او في بلاد الشام في «حوران» او في «النجاه» في سوريا، أو على حدود آدوم، أو في العربية الغربية في شمال غربي المدينة. وعلى هذا يكون موطن ايوب، حسب رأي هؤلاء العلماء لا يخرج عن الأرض العربية^(١) وسبب اختلاف العلماء في تعيين موقع ارض عوص، هو ان هذا المكان ورد في التوراة دون تحديد، واعتمد في تحديده على الحوادث المذكورة في سفر أيوب، كهجوم (أهل سبأ) على مَلِكِ أيوب، واستياق بقر له كانت تحرث الأرض وأتن

(١) انظر المجلد الثاني من الكتاب المقدس، هوامش سفر أيوب، الطبعة اليسوعية - بيروت. انظر كذلك، جورج بومست، قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الأميركية بيروت ١٨٩٤ م ٨٨/١، ١٢٦/٢. انظر ايضاً، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١ ص ٦٣١.

ترعى^(١). وهذا يشجع الظن بأن ارض عوص لا بد ان تكون قريبة من بلاد السبثيين . وجاء في نفس السفر، ان ثلاث فرق من الكلدانيين، هاجمت إبل أيوب، وهذا يشير إلى أن بلاد عوص كانت قريبة من الكلدانيين اي في البادية القريبة من نهر الفرات .

واغلب الظن ان بلاد عوص كانت بقرب نجد، وعلى الأرجح شمال نجد، ذلك لأن نفوذ السبثيين امتد نحو الشمال الى خارج الجزيرة العربية، وكذلك امتد نفوذ الكلدانيين نحو الجنوب، والحوادث الواردة في السفر تشير الى ان عوص كانت وسطا بين ارض الكلدانيين والسبثيين، وهذا يرجح الرأي السابق، ويعزز وجهة النظر القائلة بعروبة أيوب، لأن ارض عوص في هذه الحالة تصبح من اراضي الجزيرة العربية .

ويستفاد من سفر إرميا «٢٥: ٢٠»، ومراثي إرميا «٤: ٢١» ان عوص هذه لم تكن على وفاق مع الدولة اليهودية، وانما كانت على علاقة مع فلسطين وآدوم ومؤاب وبني عمون ودادان وتيماء وبوز «بوز» وصيدا وصور، وما جاء في مراثي إرميا «٤: ٢١»: «اطربي وافرحي يا بنت آدوم يا ساكنة عوص»، يفيد ان نفوذ عوص ربما شمل الارض التي عرفت باسم آدوم فيما بعد، وذلك لأن زمن سلطان عوص سابق على زمان آدوم، كما يستفاد من التوراة التي تجعل زمن ايوب قبل زمن سيدنا موسى عليه السلام^(٢).

ويعتمد علماء التوراة في استدلالهم على عروبة ايوب، من نعت اصحاب ايوب بالتيماي والنعماني، وتيماء معروفة بآدوم، ونعمة في جنوب سبط يهوذا. وأما شوح، وبوز المنسوب إليهما بلدد وأليهو، بلدان عرييان، وهكذا يكون اصحاب ايوب فريق من الأدوميين وفريق من العرب. ويدل السفر على غنى ومكانة ايوب. ويرى هؤلاء العلماء ان اصح ما قيل في كاتب سفر ايوب هو ان ايوب نفسه هو الذي كتبه وقيل ايضا ان سيدنا موسى اتصل به عند يثرو زعيم مدين، حيث ترجم السفر ودفعه الى بني اسرائيل ليكون لهم سلوى في مصائبهم امام مصيبة ايوب^(٣).

(١) سفر أيوب، ص ١٤: ١ وما بعدها

(٢) انظر الكتاب المقدس، المطبعة اليسوعية - بيروت، ج٢، هوامش سفر أيوب.

أنظر أيضا، D.S. Margollouth: The Relations between Arabs & Israelites prior to the rise of Islam London 1924, P.32.

Marogollouth, Relations..... P. 32

(٣) راجع

ومن العلماء الذين قالوا بوجود اثر للعروية في سفر ايوب ، العالم اليهودي ابن عزرا «بن عزرة» من رجال القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين وجدوا في الكلمات والتعابير والاسماء الواردة في ذلك السفر ما يثبت وجود الأثر العربي عليه ، حتى ذهب بعضهم الى القول بأن السفر الحالي هو ترجمة لاصل عربي مفقود^(١).

ويعتبر علماء التوراة ان اقدم إشارة وردت للعرب في التوراة ، هي ذكر قصة سيدنا يوسف وبيع اخوته له إلى تجار من الاسماعيليين - على اعتبار ان الاسماعيليين عرب - وأشارت التوراة اثناء حديثها عن الملك داوود ، إلى رجل من شجعان العرب وابطاهم الذين كان يتباهى بهم داوود ، اسمه ابييل العربي ، وكان من بيت عاربة «عربة» في تيه يهوذا^(٢) ويدل لقبه هذا والموضع الذي ذكر بلدته انه عربي ، كما اشارت التوراة الى رجل آخر ذكرت انه كان على جمال داوود ، دعت به بأوبيل الاسماعيلي^(٣).

والذي جعل العلماء يعتبرون اوبيل عربيا هو كونه اوكل اليه امر الإبل ، وهي حرفة من صميم عمل اعراب البادية .

العرب واليهود في زمن سليمان :

توسعت الدولة اليهودية في عهد الملك سليمان ، واستتب الأمن ، وجلب له الملوك والحكام الهدايا والهبات . ويعتبر عصر سليمان ازهى عصور التاريخ اليهودي على الإطلاق . اهتم الملك سليمان بالعمران ولذلك اقام علاقات سلمية مع جيرانه ليتمكن من إنجاز مشاريعه بهدوء وسلام ، ونشطت الحركة التجارية وخاصة في اتجاه الشمال إلى صور ، حيث الأرز وإلى الجنوب حيث الأطايب ولم يكن سكان الجنوب سوى العرب .

أنشأ سليمان ميناء (عصيون جابر) على خليج العقبة وبنى به اسطولا تجاريا بمعاونة ملك صور (احيرام الفنيقي) ، وذلك لجهل اليهود آنذاك بصناعة السفن . كما استعان سليمان برجال من الفنيقيين في تدريب بحارته وقيادة سفنه ، وهكذا استطاع الأسطول الذي

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص ٦٣٤ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) سفر أخبار الأيام الأول ، ص ٢٧ : ٣٠ .

أنشأه سليمان ان يصل الى ميناء «أوفير» وأن يحصل على ذهب زنته اربع مئة وعشرون وزنة عادوا بها إلى سليمان^(١).

وتذكر التوراة ملوك العرب في عداد الذين قدموا الذهب الى الملك سليمان^(٢).

ويغلب الظن أن أوفير التي ذكرتها التوراة كميناء بحري جلب منه الذهب، إنما هي ظفار من اعمال عُمان^(٣).

وفي زمن سليمان الذي اهتم بالتجارة والعمران، نشطت القوافل التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين. ومع مرور الزمن، أصبحت غزة ميناء عربيا لكثرة واردات وصادرات الأنباط من هذا الميناء الواقع في جنوب الساحل الفلسطيني. ولعل الإشارات الواردة في بعض اشعار العرب إلى خمر التجار اليهود هي دليل النشاط التجاري الذي بدأ ينمو منذ عهد سليمان^(٤).

(١) سفر الملوك الأول، ص ٢٦: ٩ وما بعدها.

(٢) سفر الملوك الأول، ص ١٦: ١٠.

(٣) فيليب حتى، تاريخ العرب المطول ج ١ ص ٥٢.

(٤) ومثالا على اشعار العرب التي تشير الى صلات اليهود التجارية ببلاد العرب، ما جاء في ديوان اعشى قيس. قال اعشى قيس:

وصهباء طاف يهوديها وأبرزها وعليها ختم

وقال:

وقد طفت للمال آفاقه
أتيت النجاشي في ارضه
فنجران فالسرو من حمير
ومن بعد ذلك إلى حضرموت

عمان فحمص فاورشليم
وأرض النبيط وأرض العجم
فأي مرام له لم أرم
فاوفيت همي وحينا أهم

وقال يصف خماره بأوصاف شبيهة بوصف اليهودي:

تَنَخَّلَهَا مِنْ بَكَارِ السَّقَطَافِ أَزْبَقَ آمَنْ أَكْسَادَهَا

ويمدح خمر فلسطين بقوله:

متى تسق من أنيابها بعد هجعة
تخله فلسطينا إذا ذقت طعمه

من الليل شربا حين مالت طلايتها
على ريدات النبي حمس لثاتها

وقال يمدح خمر عانة الشامية بقوله:

واسفنت عانة بعد الرقا دساق الرصاف إليها غديرا

سليمان وبلقيس :

نظر بعض المؤرخين الى زيارة بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان ملك الدولة اليهودية ، من وجهات نظر متعددة ، وحدثت هذه القصة ضجة كبرى عندهم . فمنهم من انكر هذه القصة واعتبرها ضربا من الخيال واسطورة من الاساطير ، وحجبتهم في ذلك ان تاريخ اليمن يخلو من الملكات ، وان الملكية في اليمن لا تعود إلى ما قبل (٨٠٠ ق.م) بينما فترة حكم الملك سليمان تمتد من سنة ٩٧٣-٩٣٣ ق.م على ما يذكره اغلب المؤرخين . ويذهب هؤلاء إلى أن هذه الرواية تؤيدها نقوش معاصرة ، ويرون انه لو كانت بلقيس هذه موجودة حقا في ذلك التاريخ لأشار إليها يوسفوس في تاريخه ، إلى غير ذلك من الحجج^(١) .

لقد ورد ذكر الملكات عربيات في التاريخ ، فقد سمعنا عن الملكة شمس Samsi وزبيبة Zabibe في عهد الآشوريين «٧٤٥-٧٢٧ ق.م»^(٢) .

وقد اكتشف اخيرا اسم ملكة بين ملوك مملكة لحيان^(٣) ، وعلى هذا لا يمكن القول بانعدام وجود ملكات في الممالك العربية القديمة ، وليس القول بعدم وجود ملكات في تاريخ اليمن حجة لان ما اكتشف من اسماء الاسر التي حكمت في الماضي قليل من كثير . ويقول مارجليوث بعد تشككه في صحة قصة بلقيس : «علينا ان لا نتجاهل هذه القصة لوجود ملكات حكمن بحزم لم نكن نتوقعه ، واليهود انفسهم في فترة من فترات حكم الأسرة الأشمونية ، خضعوا لحكم الملكة ألكسندرا ، وكذلك المسلمون في الهند ، وفي مصر خضعوا في بعض الأوقات لحكم نساء»^(٤) . وإذا كان بعض الباحثين المحدثين ينكر زيارة بلقيس لسليمان ، فانه لا يوجد احد يشك في علاقة السبئيين التجارية في فلسطين منذ قيام الدولة السبئية ، وهذا بديهي لان دول اليمن القديمة كانت على اتصال بمعظم جهات العالم المعروف يومذاك بحكم موقعها ودورها في التجارة العالمية .

== أنظر ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، انظر المقدمة والقصائد، ٨٤، ١٠، ١٢ .

(١) انظر محمود كامل المحامي ، اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية - دار بيروت للطباعة والنشر . ١٩٦٨ م ص ٩٨ .

(٢) انظر موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ص ٣٥٥ .

انظر أيضا Margoliouth, Relations...P. 49

(٣) Ibid, P. 49

(٤) Ibid, P. 49

إن هذه العلاقة تجعل أمر اتصال ملوك سبأ بملوك فلسطين أمراً طبيعياً ولا يمكن تجاهل هذه الحادثة التي أوردتها التوراة ثم أشار إليها القرآن بقوله : ﴿قالت إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ (١).

وبينما من هذه العلاقة ، أنها إثبات على أن اليهود والعرب في الجزيرة العربية ، أقاموا علاقات تجارية وطيدة ، وأن قوافل التجار السوريين كانت تصل إلى اليمن ، ويؤخذ من هذه القصة أن حكومة سبأ كانت على جانب من الثراء العظيم بفضل التجارة ، وهذا ما يستفاد من حمل بلقيس الهدايا الثمينة والنادرة إلى بلاط سليمان . وبلقيس اسم توراتي استعمله بعض المؤرخين ، إذ لم يذكر القرآن اسم ملكة سبأ التي اتصلت بسليمان . وذهب بعض المؤرخين إلى أن ملكة سبأ إنما كانت في تلك الحقبة من الزمن في شمال الجزيرة العربية ، ولم تكن في جنوبها على اعتبار أن السبئيين أقاموا في شمال الجزيرة ، ثم عادوا إلى اليمن نتيجة الضغط عليهم من دول الشمال (٢) . وهذا رأي يمكن للعقل أن يأنس به ، ذلك لقرب شمال الجزيرة من مدينة القدس التي زارتها ملكة سبأ ، وطبعاً إن يكون شمال الجزيرة العربية على صلة وطيدة مع الدويلات السورية فقد كانت طريق القوافل الغربية من اليمن إلى الشام عبر الحجاز من أهم عوامل هذه الصلات ، وهذا لا يعارض ما ورد في القرآن الكريم ، لأن القرآن لم يحدد مكان سبأ ، وإنما سرد قصة ملكة سبأ وعظمتها ملكها ، وكيف أسلمت على يد سليمان . ويظن أن إحدى الموجات العربية القديمة هاجرت من بلاد اليمن في الوقت الذي بدأت تبرز فيه دولة سبأ لليمان ، وأقامت هذه الجماعة المهاجرة على حدود الجزيرة العربية في الشمال واستطاعت أن تقيم شكلاً من التنظيم كما هو الحال في الإمارات العربية العديدة التي ذكرها الأثريون مثل ، ددان ، ومسا ، وحطى ، وخيابا أو حجبابا وبطنة وأدب إيل وعويده وبسطة وغيرها كثير . واستطاعت هذه الإمارة أن تزدهر في ظل إحدى ملكاتها التي عاصرت الملك سليمان واتصلت به وأعلنت إسلامها على يديه . وبين هذه الإمارات أو الممالك الصغيرة التي ذكرت ، وردت أسماء بعض الممالك لها في النقوش الآشورية ، فقد ورد في نقش للملك الآشوري سنحاريب اسم Jatie يطيعه ملكة أريبي وتلخونو Telhunu ملكة أريبي أيضاً ، وربما كانت أسماء عويده وبسطة التي سبق ذكرها هي أسماء ممالك وليست أسماء مناطق (٣) .

(١) سورة النمل ، الآية : ٤٤ .

(٢) Margollouth, Relations, P. 50

(٣) انظر محمد عزة دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ج ١ ص ١٠٩ .

ويستفاد من التوراة ان الملك سليمان اتصل بميناء بحري آخر غير «أوفير»، وهو ميناء «ترشيش» الذي كان يحصل منه اليهود على الذهب والفضة والعاج والقردة والطواويس^(١). وهذا الأسطول بني كسابقه، بمساعدة الملك الفنيقي حيرام، وكان البحارة الفنيقيون يشرفون على تدريب البحارة اليهود ويرافقونهم في رحلاتهم البحرية، وكان هذا الأسطول يبحر إلى ترشيش مرة كل ثلاث سنوات^(٢).

ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين موقع ترشيش، واختلفوا اختلافاً بيناً في تعيين الجهة أو الساحل الذي كانت تقع عليه، فبعضهم يرى انها على السواحل الأسبانية، والبعض الآخر يرى انها على السواحل الجنوبية لآسيا، وآخرون يرون انها في إفريقيا^(٣).

وحيثما كانت هذه الموانئ فقد حصل الأسطول اليهودي منها على سلع وفيرة وحقق التجار اليهود منها الارباح الطائلة كما يؤخذ من روايات التوراة.

وبعد وفاة سليمان نحو ٩٣٧ ق. م انقسمت الدولة اليهودية الى مملكتين شمالية وكانت عاصمتها السامرة، وسميت إسرائيل، وجنوبية اتخذت القدس عاصمة لها واطلق عليها اسم يهوذا^(٤). وبهذا الانقسام بدأ الضعف يغزو الكيانات اليهودية كما انعكس على الوضع الاقتصادي في المنطقة، ويظهر هذا جلياً في محاولة «يهوشافاط» بن الملك «أسا» الذي كان يحكم يهوذا بناء أسطول جديد في عصيون جابر بالاتفاق مع احزاي ملك اسرائيل للحصول على سلع ترشيش القيمة، غير أن هذا الأمل لم يتحقق لأن الأسطول تكسّر في عرض البحر قبل ان يصل إلى ترشيش^(٥).

ويغلب على الظن ان الأسطول تحطم بهذه السرعة لغياب الأيدي العاملة الفنيقية الماهرة في صناعة السفن بعد ان تبدلت العلاقات بين ملك صور والممالك اليهودية. ولم يكن اليهود يتقنون الملاحة البحرية وصناعة السفن بدليل اعتمادهم على البحارة الفنيقيين في عهد الملك سليمان.

(١) سفر الملوك الاول، ص ٢٢: ١٠ فما بعدها.

(٢) انظر جواد علي، المفصل، المرجع السابق ج ١ ص ٦٤٠.

(٣) انظر نفس المرجع السابق. ص ٦٤٠.

(٤) انظر ص ٢٠ من الفصل الاول من هذا البحث.

(٥) سفر أخبار الملوك الثاني ص ٣٥: ٢٠.

ولم تنجح محاولات ملوك اليهود في احياء الاسطول البحري الذي كان يجلب لهم الخيرات من اوفير وترشيش، واكتفى اليهود بسفن صغيرة لا تستطيع الابحار إلى مسافات بعيدة كتلك التي بناها المكابيون في حيفا^(١).

وقد انصرف (يهوشافاط) إلى تحقيق الأمن في أطراف الدولة، ولذلك عمل على الاتفاق مع (أخاب) ملك إسرائيل، ومع الممالك المجاورة مما أدى إلى فترة من الهدوء والسلام^(٢). وقد رأينا أن التحالفات قد توسعت في هذه الفترة، حتى بلغت أوجها في التحالف الذي ضم زعماء كل دول سوريا في وجه الزحف الآشوري الذي قاده شلمنصر الثالث.

لقد سمحت فترة الهدوء التي شملت فلسطين في عهد «يهوشافاط» لنشاط ديني مارسه العلماء اليهود في تعليم احكام دينهم أثناء تجوالهم بين المدن الفلسطينية كما تشير التوراة إلى أن عهد يهوشافاط شهد خضوع الفلسطينيين والعرب، فكلاهما حمل الذهب والفضة والماشية للملك اليهودي. فقد ورد أن الفلسطينيين قدموا الهدايا من الفضة، وكذلك قدم العرب (٧٧٠٠) كبش و(٧٧٠٠) تيس^(٣). وقد يكون المقصود هؤلاء العرب الذين ذكرتهم التوراة، إنما هم الأعراب الذين كانوا يتجرون مع اليهود، ويتنقلون بأشيئهم في أطراف فلسطين بدليل أن تقدمتهم كانت كباشا وتيوسا، لأن الأعراب كانوا يحترقون الرعي بالدرجة الأولى.

تولى الملك بعد يهوشافاط يهورام ابنه، وحسب رواية التوراة لم يكن يحكم وفق أسلوب أبيه، فارتكب الظلم وتردت الأحوال. وجزاء هذا العقوق من يهورام ابتلاه الله بأوخم العواقب وسلط عليه الأقوام المجاورة، وذكرت التوراة العرب بين هذه الأقوام التي هاجمت القدس وحددت مكانهم بجانب الكوشيين^(٤).

ويستفاد من هذه الرواية أن الأقوام المهاجمة استطاعت دخول القدس ونهب ممتلكاتها وسبي نسائها. إن هذا الهجوم الكاسح الذي تعرضت له عاصمة يهوذا جاء دليلاً على

(١) انظر جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ٢٨٤/١ وما بعدها.

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني ص ١٧: ١١.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني ١٧: ١١.

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني ٢١: ١٧.

ضعف الدولة اليهودية، واضطراب حبل الأمن فيها نتيجة الصراع على الحكم. وتقول التوراة بأن يهورام بدأ حكمه بقتل جميع اخوته بالسيف^(١). وهذا لا يكون الا في جو مشحون بالمؤامرات والدسائس من أجل الوصول إلى السلطة.

لقد اختلفت الآراء في تعيين المكان الذي انطلق منه العرب مع بقية الاقوام المجاورة لاحتلال القدس، فمارغليوث يرى ان المراد هؤلاء العرب الجنوبيين (عرب جنوب الجزيرة العربية) الذين كانوا يسكنون السواحل الجنوبية بقرب الكوشيين «الأحباش» لا يفصل بينهم إلا مضيق باب المندب، الذي لا يزيد عرضه على خمسة عشر ميلا. ويتخيل مارغليوث ان هذا الغزو ربما حصل بطريق البحر بدليل انضمام الفلسطينيين الذين كانوا يسكنون الساحل الجنوبي من فلسطين، وعودة العرب بالغنائم دون المكوث في القدس او محاولة توسيع الهجوم على يهوذا^(٢).

ويرى باحثون آخرون ان العرب الذين بجانب الكوشيين هم العرب النازلون في الأقسام الغربية من طور سيناء على حدود مصر، او أولئك الذين يسكنون في جنوب سيناء على مقربة من خليج العقبة، ويستدلون على ذلك من كون سيناء موطنًا قديما من مواطن العرب. وقد اشارت الكتابات المسارية إلى ملوك عرب، حكموا هذه المناطق^(٣).

والذي يراه الباحث ان هؤلاء العرب هم الاعراب الذين كانوا يسكنون جنوب فلسطين، والذين ذكرتهم التوراة في جملة من قدموا الماشية الى الملك يهوشافاط والد يهورام الذي حدث الهجوم في زمنه، وربما قصد بالكوشيين بعض القبائل الحامية التي ربما سكنت في غربي سيناء، أو أنها من بقايا القبائل الكاشية التي هاجمت جنوب العراق في عهد إبراهيم الخليل عليه السلام^(٤).

وتذكر التوراة انه في عهد الملك يهوذا عزيا (٧٧٩-٧٤٠ ق.م) تم قهر الفلسطينيين وهدم سور «جت» وسور «يبنه» وسور «أشدود» وبنى مدنا في ارض أشدود الفلسطينية

(١) سفر أخبار الأيام الثاني ٢١: ٢٠.

(٢) Relations ... P. 52

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ص ٦٤٣.

(٤) أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص ٧٨.

بدلها. وتقول التوراة ان عزيا تمكن من التغلب على الفلسطينيين والعرب الساكنين في جور بعل والمعونيين^(١).

ويستفاد من هذه الروايات ان الفلسطينيين والعرب كانوا متفقين في عداثهم ليهودا وانهم شكلوا تحالفا لهذه الغاية، وهذا يخالف رأي مارغليوت في ان العرب الذين هاجموا القدس، إنما هم عرب جنوب الجزيرة العربية، وانهم هاجموا يهودا بحرا.

ويفهم ايضا أن عزيا تمكن من الانتقام وأنزل ضربة قاصمة بالمدن الفلسطينية، جت وسور يبنه وسور اشدود وبنى مدنا مكانها. وتقع هذه المدن في الشريط الساحلي لجنوب فلسطين اي على حواف النقب في تخوم دان^(٢).

وفي جت ولد البطل الفلسطيني جليات، وجت من المدن الفلسطينية الخمس التي استطاعت الحفاظ على استقلالها في زمن الملك داوود في عهد ملكها اخيش^(٣). ومن المدن الفلسطينية هذه مازال يحتفظ باسمه حتى وقتنا الحاضر مثل اشدود وبنه التي تقع على بعد اثني عشر ميلا جنوب يافا وثلاثة اميال شرق البحر وربما هي يمنه الحالية الواقعة جنوبي طبريا على بعد سبعة اميال^(٤).

وأما تحديد جور بعل التي وردت في التوراة كمسكن لهؤلاء العرب الذين سبق ذكرهم لازال موضع اختلاف العلماء. ولكن ما يستفاد من ورود اسم العرب مقرونا مع الفلسطينيين والمعونيين كجيران يهودا، يجعل هذا الاقليم احد اقاليم الحواف الشمالية للجزيرة العربية، وهو الرأي الذي كنا المحنا اليه من قبل. وأما المعونيون فقد اختلف الباحثون ايضا في هويتهم وفي موطنهم، فبعض علماء التوراة يرى انهم بعض القبائل المعينية الذين كانوا قد استقروا في «ديدان» وكونوا مملكة معينة شمالية^(٥).

ومن المعروف ان المعينيين الذين كونوا مملكتهم في جنوب الجزيرة العربية قبل

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، ٢٦ : ٨٦.

(٢) انظر جواد علي، المفضل، ج١ ص ٦٤٤.

(٣) سفر صمويل الأول، ٢١ : ١٠، ٢٧ : ١.

(٤) انظر جواد علي، المفضل ... ج١ ص ٦٤٤.

(٥) Margollouth, Relations... P. 51.

قيام الدولة السبئية، واتخذوا مدينة «قرنا» عاصمة لهم، امتد نفوذهم حتى شمل كل شمال الجزيرة العربية وجنوب سوريا.

بنى عزيا ميناء ايله بعد ان استعاده من الاعداء، وبقي هذا الميناء في حوزة يهوذا حتى استولى عليه ملك ارام^(١). وقد يكون هدف عزيا من هذا الميناء هو إحياء النفوذ البحري الذي عرفه عصر سليمان الذي بنى ميناء عصيون جابر المجاور لايله. ولم يتحقق هدف يهوذا هذا لأنها كانت هدفا للغارات المتوالية ولم تعط الوقت الكافي لتنفيذ هذه المشاريع. والنتيجة التي يمكن الوصول إليها من محاولة بناء ميناء أيلة، هو التأكد من عدم صلاحية ميناء عصيون جابر لسبب من الاسباب، فلو كان هذا الميناء صالحا، او يمكن تجديده، لما حاول عزيا بناء ميناء جديد.

ونستنتج ايضا ان اهمالا كبيرا اصاب الحركة التجارية اليهودية بعد سليمان حتى خربت الموانئ وانعدمت السفن.

وقد ورد ان سنحاريب الآشوري وجد الأعراب «الأريبي» اثناء حملته التاسعة يدافعون عن القدس «اورشليم»^(٢). وهؤلاء الأعراب هم انفسهم الذين ذكرناهم من قبل، وهذه الرواية تفيد ان حزقيا استطاع كسب العرب المجاورين الى جانبه وبذلك استخدمهم في صد الهجوم الآشوري وحملهم مسؤولية الدفاع عن العاصمة.

ومما سبق نرى ان قوة المملكة اليهودية كانت تعتمد على العناصر الأخرى، غير اليهودية، فالتقدم التجاري والصناعي اعتمد على نشاط ومساعدة الفنيقيين. وصمود اورشليم في وجه الغزاة من الخارج اعتمد على المدافعين العرب في فترات من عهد خلفاء سليمان.

(١) انظر سفر أخبار الأيام الثاني، ٢٦: ٢، وسفر الملوك الثاني ١٤: ٢٢.

(٢) انظر جواد علي، المفضل... ح ١ ص ٦٤٥.

العرب يقاومون تجديد بناء الهيكل :

عندما كان اليهود في الأسر البابلي ، استطاع احد رؤسائهم المدعو نحميا ان يتقرب من الملك الفارسي «ارتحشتا» وأن يصبح نديمه . ويستفاد من التوراة ان نحميا استطاع في إحدى جلسات شراب الملك ان يحصل على موافقته وموافقة زوجته بالعودة الى اورشليم «القدس» وتجديد بناء سورها وهيكلها .

ولما وصل نحميا الى اورشليم ادهشه الخراب الذي اصاب السور والأبواب ، وبعد ان تفرس نحميا احوال المدينة ابلغ الولاة لإرادة الملك الفارسي ، كما طلب من يهود القدس مساعدته في إصلاح ما تهدم في المدينة . غير ان مشروع نحميا لم ينفذ دون معارضة ، فقد وقفت في طريقه معارضة قوية ، اتت من تحالف ثلاثي ضم «سنبلط الحوروني» و«طويا العموني» و«جشم العربي» ، ثم انضم الى هذا التحالف الأشدوديون عندما رأوا أسوار القدس بدأت ترتفع .

ويؤخذ من سفر نحميا ان هذا التحالف هدد بالزحف على اورشليم ولما لم يبق من السور سوى الأبواب تلقى نحميا دعوة من سنبلط وجشم للاجتماع معا في إحدى القرى ، إلا ان نحميا تخوف من هذا الاجتماع ورفض هذه المحاولات للاجتماع به اربع مرات ، وفي المرة الخامسة تلقى رسالة من سنبلط جاء فيها : «قد سمع بين الأمم وجشم يقول انك انت واليهود تفكرون ان تتمردوا لذلك انت تبني السور لتكون لهم ملكا حسب هذه الامور . وقد اقامت ايضا انبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك . والآن يخبر الملك بهذا الكلام ، فهلهم الآن نتشاور معا^(١) . وقد رفض نحميا هذا العرض واعتبره وسيلة لتثبيط الهمم . ولما لم ينجح المتحالفون في القاء القبض على نحميا بالوسيلة المتقدمة ، لجأوا إلى وسيلة أخرى للخلاص منه . فقد تراسل سنبلط وطويا مع احد رؤساء القدس المدعو «شمعيا بن دلایا» ليساعدهما في القضاء على نحميا وايقاعه في شرك يسقط هيئته بين اليهود . وذلك باقناع نحميا ان يبيت في الهيكل خوفا من سنبلط وطويا ، وبهذه الطريقة يفقد اليهود ثقتهم في هذا القائد ، ولا يستطيع بعد ذلك تنفيذ اهدافه^(٢) .

(١) سفر نحميا ص ٦ : ٨-٦ ، انظر كذلك الاصحاحات ٤ ، ٥ ، ٦ من هذا السفر .

(٢) انظر سفر نحميا ص ٦ : ١٠-١٤ .

عرف نحميا ما يريد به اعداؤه فرفض كل المحاولات التي قام بها طوبيا مع بعض الاسر اليهودية التي كانت موائية له، كما لم تخف نحميا رسائل تهديده كما يقول^(١).

ويؤخذ من اقوال نحميا انه تمكن من بناء السور واقامة المصاريع وتنظيم أمور المدينة وجمع شتات اليهود المسيبين اليها.

وجشم العربي كان من بين المعارضين المتحمسين، وقد رأينا في رسالة طوبيا الى نحميا قوله: «جشم يقول انك انت واليهود تفكرون ان تتمرّدوا لذلك انت تبني السور لتكون لهم ملكا حسب هذه الأمور». وهكذا تكون مخاوف جشم العربي لها ما يبررها، لأن مصلحة العرب والأقوام الأخرى المجاورة تكمن في عدم قيام دولة يهودية قوية تطردهم من ارض فلسطين وتغزوهم في ديارهم وتجبرهم على دفع الهدايا والهبات كما كان الحال في عهد يهوشافاط. بل تريد الأقوام المجاورة التي غزت القدس واحتلتها مرات عديدة ان تبقى الحال هكذا خوفا من الوقوع من جديد تحت حكم اليهود.

وجشم اسم من الأسماء العربية، وفي القبائل العربية قبيلة يقال لها «جشم» وهي من قبائل «بني سعد»، وهو من اسماء الرجال ايضا^(٢). وربما ان هذا الاسم هو اللفظ القديم لجاسم، ويرد بصورة «جسمو» في الكتابات النبطية^(٣). لم يذكر نحميا موطن جشم العربي، وذهب بعض علماء التوراة إلى انه من اهل السامرة، وذهب بعض آخر إلى انه من أهالي منطقة يهوذا في جنوب فلسطين، وكان زعيم إحدى القبائل هناك^(٤).

وربما ان جشم هذا هو زعيم الأعراب الذين كانوا يؤدون الجزية لشافاط، ثم هاجموا القدس، واحتلوها بعده، أو هو احد رؤساء قبائلهم الذين كانوا يسكنون الحواف الشمالية للجزيرة العربية على حدود فلسطين الجنوبية. وهذا الرأي يوافق ما ذهب اليه بعض الباحثين الذين قالوا ان (جشم بن شهروا) او (جشم بن شهر) هو جسم المذكور في التوراة، وهو احد ملوك قبيلة (قيدار او قدار) وهو الذي عارض (نحميا في سنة

(١) انظر سفر نحميا ص ٦: ١٥-١٩.

(٢) ابن دريد، ابي بكر محمد بن الحسن (٢٢٣-٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح، عبدالسلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر ٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، ٣٣٦، ٣٣٩، ٤٠٥.

(٣) جواد علي، المفصل ... ج ١ ص ٦٤٧.

(٤) المرجع السابق والصفحة.

« ٤٤٤ ق. م » في إعادة بناء سور اورشليم . وقد كانت قيذار مملكة تسيطر على المنطقة الممتدة من حدود يهوذا الجنوبية إلى مشارف «دلتا النيل» مشتملة على بعض الاجزاء الشمالية من الحجاز، والأجزاء الغربية من البادية^(١) .

ويرى البعض ان الاناء الذي عثر عليه بمصر في موضع يقع على مسافة اثني عشر ميلا غرب الاسماعيلية، وجد منقوشا عليه اسم شخص يدعى (قينو بن جسم ملك قيذار، هو ابن جسم المعاصر لنحميا . وعلى ذلك يكون احد ملوك قيذار^(٢) .

وربما ان هذا الرأي يعكس الآراء الأخرى التي تعرضنا لها وذلك لأن منطقة طور سيناء، كانت على الدوام مأهولة بقبائل عربية، ودليلنا على ذلك ان (القديس بولس) جعل سيناء في ديار العرب، كما جاء في رسالته الى اهل اغلاطية، وتذكر هذه الرسالة ان طور سيناء موطن ابناء هاجر، أي العرب^(٣) . كما نجد ان النقب ووادي عربة من مواطن الاعراب ايضا . وكانت الاعراب تحل وترحل في هذا المعبر الصحراوي، تغير على يهوذا اذا ما واتها فرصة سانحة، وتنسحب الى الورا نحو الصحراء موطنها الاول اذا وجدت امامها قوة تهددها، وهذه حال اعراب جشم الذي ورد ذكره في التوراة .

ذكرنا ان الحركة التجارية قد نشطت بين فلسطين والجزيرة العربية في عهد الملك سليمان . ومنذ ذلك التاريخ وهي في تقدم حتى ارتبطت دويلات جنوب الجزيرة العربية مع فلسطين، وقد عثر على مواد كثيرة ومتعددة في فلسطين تؤيد هذا، كما عثر في حضرموت على مواد استوردت من فلسطين وبلاد الشام، ولا غرو في ذلك لأن -خاصلات فلسطين وبلاد الشام كانت مطلوبة لسكان الجزيرة العربية يستهلكون قسما منها، وقسما ينقلونه عبر مضيق باب المندب الى افريقيا . وكذلك كانت سلع العربية الجنوبية من اهم السلع التي يطلبها سكان فلسطين وبلاد الشام .

وكانت القوافل البرية ذاهبة آية بين المدن الفلسطينية ومدن العربية الجنوبية، ومن الجدير بالذكر ان اليهود في فترة نحميا - اي اواسط القرن الخامس قبل الميلاد - اخذوا

(١) جواد علي، المفصل . . ح ١ ص ٦٤٧ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية ص ٤ : ٣٤ .

ينظرون نظرة عداة نحو العرب^(١). وقد يكون مبعث هذا العداة ما لمسّه اليهود من تهديد العرب الفعلي لدولتهم، فقد تمكنوا مع الاقوام الأخرى من احتلال القدس «عاصمة يهوذا» في بعض الهجمات كما هددوا القدس في عهد نحemia بالتحالف مع الحوريين والعمونيين والاشدوديين «الفلسطينيين». وهكذا أصبح موقف العرب واضحا في مقاومة بعث الدولة اليهودية من جديد.

العلاقات بين الأنباط واليهود:

يرى معظم الباحثين ان الأنباط من العرب، فقد ذكرهم مؤرخو اليونان بين العرب، كما ان أسماء ملوكهم عربية، ولا عبرة لما وجد منقوشا على آثارهم باللغة الآرامية، لأن الآرامية كانت لغة الكتابة في ذلك العهد مثل اللغة الفصحى في ايماننا. ومن أسماء ملوكهم، الحارث، وعبادة، ومالك وجميله ثم إن اللهجة التي تكلموها هي اقرب إلى العربية منها إلى أية لغة أخرى، كما عاشوا في منطقة كانت موثلا للقبائل العربية التي كنا تحدثنا عنها، وتميزت بعلاقات متذبذبة مع دولة يهوذا، وكانت (العربية الحجرية) موطنهم ويقال ان بعض فروعهم عاشت في مدينة تدمر^(٢).

ويذهب البعض إلى أن النبط اقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي ادركت الإسلام، من العرب الذين عرفوا باسم «العرب الجنوبيين» وذلك لأن الأنباط يشاركون قريشا في اكثر أسماء الأشخاص، كما يشاركونهم في عبادة اكثر الأصنام، وخط النبط قريب جدا من خط كتبة الوحي. ويرى هؤلاء ان قلمنا الحالي مأخوذ من قلم النبط، كما يرجحون عروبتهم بوجود كثير من الكلمات العربية في النصوص النبطية المدونة بالآرامية، وهذه الكلمات عربية خالصة من نوع القرآن الكريم. لهذا السبب اعتبر النبط اقرب إلى قريش وإلى العدنانيين على سند تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تباعد أسماءهم وأسماء اصنامهم بعدا كبيرا عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين، اضيف إلى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن نبايوت،

(١) Margoliouth, Relations..P. 48

(٢) انظر جورجى زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة دار الهلال ص ٩٢-٩٣.
انظر كذلك جواد علي، المفصل ... ح ٣ ص ١٤٠.

وهو نابت، هو الابن الأكبر لإسماعيل، وإسماعيل في عرف النسابين هو جد العرب العدنانيين.

ولو استعمل الأنباط لهجتهم العربية في الكتابة ولم يستعملوا الآرامية لكان بالإمكان تتبع تطور اللهجات العربية القديمة حتى اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم ولاستطعنا معرفة المراحل التي مرت بها اللهجات العربية التي لا نملك من نصوصها المدونة سوى بضعة نصوص.

وقد برزت دولة الأنباط في المنطقة التي قلنا إنها موطن الأعراب الذين هددوا القدس عاصمة يهوذا. وقد شملت مملكة الأنباط منطقة واسعة يقال إنها وصلت دمشق والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحووران وآدوم ومدين وحتى سواحل البحر الأحمر. وثبت أن بعض قبائل الأنباط استوطنت الأقسام الشرقية لدلتا نهر النيل وتركت لنا بعض الكتابات^(١).

ولما تولى يهوذا المكابي الحكم في بلاد اليهود (١٦٦-١٦١ ق.م) حارب التيموتاس زعيم العمونيين الذي استعان في حرب اليهود بجيش من الغرباء كان بينهم العرب. ورغم هذه الجموع فقد تمكن يهوذا من الانتصار في جميع المعارك كما يقول سفر المكابيين^(٢).

وقد تحدث سفر المكابيين الثاني عن حروب الدولة اليهودية مع العمونيين فقال: (ثم ساروا «أي اليهود» من هناك زاحفين على تيموتاس فتصدى لهم قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف، ومعهم خمسمائة فارس، فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الفوز لأصحاب يهوذا بنصرة الله، فانكسر عرب البادية وسألوا يهوذا أن يعاقدهم على أن يؤدوا إليهم مواشي ويمدوهم بمنافع أخرى)^(٣).

ولعل العرب المذكورين في هذا النص والذي استعان بهم تيموتاس العموني هم نفس الأعراب الذين تصدوا للزحف اليهودي على ربة عمون^(٤). وعلى ما يظهر أن هؤلاء

(١) جواد علي، المفصل... ج٣ ص ١٥.

(٢) سفر المكابيين الأول، ص ٦:٥ وما بعدها، المكابيون الثاني ص ٨:٣٠ ص ٩:٣ ص ١٠:٣٤ وما بعدها.

(٣) الإصحاح ١٢: ١٠ وما بعدها.

(٤) هي عَمَّان الحالية عاصمة المملكة الأردنية، وكانت عاصمة العمونيين من قبل.

هم مجموعة قبائل بدوية كانت تجوب البادية ، وذكر سفر المكابيين الأول اسم شيخ قبيلة عربية يدعى زبدائيل او (زبدائل) وكان يسكن في ديار العرب ، وقد ورد في هذا الاسم اثناء حديث السفر عن فرار (إسكندر بالس) إلى ديار العرب على اثر الهزيمة التي اوقعها به (بطليموس) عمه والد زوجته . وكان قد تخاصم معه فلما وصل (إسكندر بالس) إلى ديار العرب قبض عليه زبدائل وقطع رأسه وأرسله الى بطليموس^(١).

وقيل ان موطن زبدائيل هذا هو (بادية الشام) وهي المقصودة بلفظة «ديار العرب» الواردة في سفر المكابيين ، ذلك لأن هذه المنطقة هي التي اطلق عليها الآشوريون بلاد «اربي» Arbi ، وهي موطن آمن لمن يصل اليه ، اذ يصعب على الجيوش النظامية ان تقاتل فيه . وقد كان زبدائيل من رؤساء البادية في هذا الزمن ، اي حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، وكان معاصرا لحكم «يوناتان» في بلاد اليهود^(٢) . ويستفاد من سفر المكابيين ان «تريغون» احد قواد «إسكندر بالس» ذهب إلى رجل عربي يدعى «إيملكو إيل» وكان مربيا «لأنطيوخس بن الإسكندر» فآلح عليه ان يسلمه إليه ليملكه مكان أبيه ، ومكث عنده اياما . وقد تمكن عربي رغم الحقد اليهودي على العرب أن يصل إلى حكم اليهود وأن يؤسس أسرة حاكمة حكمتهم مدة من الزمن . وهذا الرجل هو (انتيباتر الأدومي) نسبة إلى ادوم ، وهم سكان جبال سعيير «جبال الشراة»^(٣).

وقد تمكن هذا الرجل بفضل المواهب التي تجمعت فيه ان يسيطر على ادوم ثم يبسط سلطانه على بلاد اليهودية حوالي سنة ٣٣ ق . م . ويقال بأن يوليوس قيصر اعترف به على اليهودية حوالي سنة ٤٧ ق . م^(٤).

وعندما وقعت الحرب بين يوناتان المكابي (١٦١-١٤٣ ق م) وديمتريوس الثاني ، هاجم يوناتان الأعراب من اتباع زبدائيل ، وأخذ منهم غنائم كثيرة^(٥) . ويستفاد من التوراة ان هذه القبيلة التي كان يتزعمها زبدائيل او زبدائيل ، كانت تنزل في موضع شمال غربي

(١) سفر المكابيين الأول ، ١١ : ١٥ وما بعدها .

(٢) جواد علي ، المفصل ... ج ١ ص ٦٥٠ .

(٣) سفر المكابيين الاول ، الاصحاح ، ١١ .

(٤) انظر جواد علي ، المفصل ... ج ١ ص ٦٥٠ .

(٥) سفر المكابيين الثاني ص ٣١ : ١٢ وما بعدها .

دمشق . ويظن بأن هناك علاقة بين اسم هذه القبيلة واسم الزبداني - المكان المعروف في ضاحية دمشق الغربية - المصيف المشهور بمياهه العذبة غرب دمشق .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن موضع هذه الأعراب ربما كانت حول خربة زبد الحالية الواقعة على الطريق بين قنسرين ونهر الفرات . وقد اشتهرت هذه الخربة بالكتابة التي عثر عليها المستشرقون في هذا الموضع ، وقد كتبت باليونانية والسريانية والعربية ، ويرجع تاريخها إلى سنة (٥١١ م) وقد ادخلهم يوسفوس في عداد النبط^(١) .

وقد اورد سفر المكابيين اسم الزعيم العربي «ارتاس» وهو الذي طرد «ياسون» من بلاده عندما التجأ اليه من الملك «انطيوخس» ، وأرتاس هذا هو نفسه «الحارث» أو «الحارثة» احد ملوك الأنباط^(٢) .

وفي ايام «سترابون» كان العرب من جملة سكان فلسطين ، وقد ذكروا في القدس ويافا والجليل . وذكر سترابون ان الأدوميين كانوا يقطنون الأقسام العربية من «اليهودية» وهم على حد قوله من النبط . ويستفاد من رواية سترابون المنقولة عن مصادر اقدم ، ان العرب كانوا يقطنون فلسطين منذ الأزمان القديمة السابقة للميلاد^(٣) .

ويستفاد من سفر اعمال الرسل ان العرب كانوا في القدس يوم مرور الخمسين يوما على المسيح . وقد ذكر العرب في جملة سكان القدس آنذاك مع خليط من معظم شعوب العالم المعروف^(٤) .

وقد اورد يوسفوس أخبارا مطابقة لتلك الواردة في سفري المكابيين عن هركانوس المكابي الذي خضع للسلوقيين وساعدهم على حرب الفرس . ولما قتل القائد السلوقي ديمتريوس عاد هركانوس ادراجه الى بلاد الشام . ويقول يوسفوس ان هركانوس فتح حلب ثم دخل فلسطين من الشمال وحاصر السامرة ، ففتح نابلسن وخرّب الهيكل الذي كان سنبلط السامري بناه في (طور تربل) وهدمه بعد مضي مئتي سنة على بنائه ، وقتل كذلك كهنته . ثم مضى هركانوس إلى بلاد آدوم التي هي جبال الشراه ، ففتح بعض حصونها

(١) انظر جواد علي ، المفصل ... ج ١ ص ٦٥١ .

(٢) سفر المكابيين الثاني ص ٥ : ٥ فما بعدها .

(٣) انظر جواد علي ، المفصل ... ج ١ ص ٦٥١ .

(٤) سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الثاني فقرة ٩ وما بعدها .

وأخربها، ولم يرفع هركانوس القتل عن سكانها إلا بعد أن طلبوا الأمان وأمنهم مقابل دفع جزية قبلها هركانوس، كما ألزمهم بالاختتان والتمسك بما شرعته التوراة، ويقول يوسفوس أنهم قبلوا هذه الالتزامات وظلوا متمسكين بها حتى خربت القدس وتفرق العبرانيون^(١).

ومن أخبار يوسفوس نرى أن اليهود كانوا لازالوا يطلقون اسم ادم على جنوب الاردن الحالي حتى في عهد مملكة الأنباط التي ازدهرت في هذه المنطقة، وكانت تحت سيطرتها طيلة الأربعة قرون قبل الميلاد. وقد يكون اسم هريمة محرفا عن هريته بالنسخ، وهريته لفظة اعجمية لحارثة أو الحارث^(٢).

ولما عاد بومبيوس الى روما، قدم هركانوس وانتبطرس وشكاروس قائد الحامية الرومانية الى العرب ليدعوهم الى طاعة الرومان. وفي هذه الاثناء تمكن ابن ثالث لارسطو بولس «اسمه إسكندر» من دخول مدينة «القدس» وإعلان نفسه ملكا عليها. ولما عاد هركانوس ومن معه الى القدس هزمهم اسكندر وقتل منهم خلقا كثيرا. غير أن حكمه لم يطل لأن القائد الروماني حاصره واضطره إلى الاستسلام والخضوع للرومان^(٣).

استعان الرومان بالحارث النبطي في عهد اغسطس للقضاء على ثورات اليهود، وكان الرومان يطلقون عليه اسم ملك العرب^(٤).

لم تكن علاقة الأنباط العرب مع الدولة اليهودية علاقة عداء دائما، بل كانت تسود فترات سلمية، ازدهر فيها التبادل التجاري بين الجانبين، كما توطنت جاليات تجارية نبطية في مدن فلسطين الساحلية، فقد وجد العرب في غزة وشارك هؤلاء العرب في صد هجوم الاسكندر المكدوني على المدينة وهو في طريقه الى مصر، واضطر الاسكندر أن يلقي بكل ما لديه من عدة وعتاد لتخليص جيشه من هجوم العرب على مواقعه، كما لم ينج نفسه من إصابته بالجراح^(٥).

(١) انظر تاريخ يوسفوس اليهودي، بيروت، المكتبة العمومية، المطبعة العلمية ليوسف ابراهيم صادر ص ٩٠. ومن الجدير بالذكر أن يوسفوس من مؤرخي القرن الاول الميلادي وشارك في حوادث المكابيين.

(٢) انظر جورج زيدان، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٦٨ وما بعدها.

(٣) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، نشر المكتبة المصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٤) انظر محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٣٤٦.

(٥) انظر جواد علي، المفصل... ح ٢ ص ٨.

وقد استمر العرب يقاومون حملة الاسكندر مدة طويلة تزيد على خمسة اشهر من عام ٣٣٢ ق.م. ويذكر بعض المؤرخين ان العرب كانوا يشغلون المنطقة من غزة حتى موضع جينوسوس Jenysus ، ويرون بأن هؤلاء العرب كانوا على اتصال دائم بعرب طور سيناء منذ القديم ، وقد خضعوا لحكم ملكي^(١). وقد استوطن العرب غزة منذ اقدم الأزمنة واشتركوا مع الفلسطينيين في محاربة العبرانيين ثم استقروا فيها بوصفها تشكل نهاية طرق القوافل التجارية البرية التي كان يسلكها التجار العرب وينقلون عبرها منتوجات الحبشة واليمن والحجاز ومواقع اخرى، وبذلك كانت غزة المركز الرئيسي للتجار العرب على البحر الابيض المتوسط واليها تنتهي المحاصيل العربية، ومنها يحمل التجار العرب المنتوجات التي تصلها بحرا من الموانئ الاخرى.

وقد يتبادر الى الذهن من رواية يوسفوس ان هركانوس اخضع بلاد الأنباط وهم في اوج قوتهم، ومعلوم ان دولة الانباط ازدهرت منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وسيطرت على منطقة واسعة من جزيرة سيناء غربا وحتى حدود العراق شرقا، ومن جنوب دمشق وحتى وادي القرى جنوبا. والذي يطمئن اليه الباحث ان هجوم هركانوس على ادوم انما كان في الحقيقة، اخضاع بعض القبائل التي كانت تستوطن جبال الشراه - وبينها قبائل يهودية - ونستبعد خضوع الأنباط إذا ما علمنا ان الأنباط هددوا القدس عدة مرات كما ان هركانوس ابن اسكندر بن هركانوس الكبير لجأ الى الملك العربي «الحارث» ملك الأنباط وذلك على اثر دسياسة انتيبطرس وتآمره على ارسطوبولس اخ هركانوس والذي كان يكرهه إنتيبطرس، فقد اوحى انتيبطرس لهركانوس ان أرسطو - بولوس اخاه يتآمر على حياته ليفوز بالملك دونه، ورغب إليه اللجوء إلى ملك الأعراب «هريمه» ليأمن على نفسه من اخيه اذا بعد عنه. وقد استجاب هركانوس لأنتبترس الذي كان يرى فيه صديقا حميما وناصحا حكيما، وسارا ليلا إلى ملك الأعراب «هريمه» الذي تلقاهما بالإكرام. ونشط انتبترس في تحريض ملك الأعراب لمحاربة ارسطوبولوس ومعاونة اخيه هركانوس على اخذ الملك، فرفض ملك الأعراب في البداية هذا العرض. ثم عاد واستجاب لغواية انتبترس بعد ان اشترط على هركانوس اعادة جميع الضياع التي كان ابوه اسكندر قد استولى

(١) انظر جواد علي، المفصل ... ج ٢ ص ٨.

عليها^(١). وقبل هركانوس هذا التعهد وعاهد على تنفيذه، ثم سار هريمه العربي مع هركانوس ومعهم جيش كبير لمحاربة ارسطوبولوس الذي لاقاهم بجيش كبير ايضا، وعند اللقاء انضم معظم جند ارسطوبولوس الى جيش هركانوس حتى لم يبق معه الا القليل. ولما رأى ارسطوبولوس ذلك هرب ليلا من المعسكر وعاد إلى أورشليم وتحصن فيها. وتبعه هركانوس وملك الأعراب إلى أورشليم وحاصرها بعسكرهما ومن انضم اليهما من عسكر ارسطوبولوس، وكانت غاية معظم سكان القدس مع هركانوس، واشتد القتال وعمت الفوضى والفتن في هذه الفترة حتى أثر أكثر الناس الذين يطلبون الأمن والاستقرار إلى الهجرة إلى مصر. وقد استمر حصار المدينة حتى رفع بمساعدة القائد الروماني بمبيوس^(٢).

وقد يكون هريمه الاعرابي هو الحارث النبطي، الذي عاصر بمبيوس وكان ملكا عزيز الجانب احتفظ باستقلاله ودفع بمبيوس عنه بالحسن.

وتشير بعض الروايات الى ان الاسكندر وجد في غزة بعد فتحها مقادير كبيرة من اللبان والمر والبخور وحاصلات اخرى من العربية الجنوبية، ويسقط غزة في ايدي المكدونيين خسر العرب خسارة كبرى^(٣).

وقد ذكرت مدينة اسمها «جرها Gerha» تقع بقرب الخليج العربي اشتهرت بتجارة الطيب والمر والبخور^(٤). ويمكن القول بأن هذه المدينة كانت مركزا تجاريا استعمله التجار العرب في تجارتهم البرية على الطريق الشرقي المحاذي للخليج العربي. ومن هذا المركز كان التجار يوزعون سلعهم نحو الشمال الى بلاد الرافدين، ومن ثم إلى اشرق نحو بلاد فارس ونحو الغرب إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وكانت القبائل الجرهمانية تتاجر مع النبط بإرسال القوافل عبر الصحارى مارة

(١) ربما كانت هذه الضياع تقع في ايدي اليهود من وقت لآخر لقربها من حدود فلسطين، وقد يكونوا هم الذين هددهم هركانوس، ومنهم كرسوس الأدومي الذي تزوج من أخت هيرودس وعين والياً على أدوم. انظر يوسفوس، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) انظر يوسفوس، ص ١١٥ وما بعدها. انظر كذلك شاهين مكاريوس تاريخ الاسرائيليين، مطبعة المقتطف، ص ٥٩.

(٣) انظر جواد علي، المفصل... ج-٢ ص ٨.

(٤) انظر جواد علي، المفصل... ج-٢ ص ١٤.

بمواضع الماء والآبار إلى دومة الجندل Dumatha ومنها إلى بطرا عاصمة النبط، والنبط كباقي العرب تجار ماهرون. وفي بطرا كان التجار يتبادلون السلع أو يأخذون قسطا من الراحة ويواصلون سيرهم إلى مختلف الجهات، وخاصة إلى الشمال فيعبرون فلسطين إلى غزة أو يتجهون إلى بصرى وبقية بلاد الشام، وقد كان لنشاط مدينة جرّها وباقي المراكز التجارية أثر في تعريف العالم بغنى البلاد العربية مما أثر عليها اطماع اليونان والرومان بعد ذلك.

لقد كان للعلاقات التجارية وعوامل الجوار بين الانباط العرب واليهود أثارا واضحة تجلت في الجانب اليهودي أكثر منها في الجانب النبطي كما تأثروا بلغة الأنباط الآرامية. **أثر الأنباط في ديانة اليهود ولغتهم:**

كان ذو الشرى واللات هما الآلهة الكبرى عند الأنباط، وكان الأنباط يجسدون ذا الشرى بحجر اسود مستطيل^(١). بينما كانوا يقرنون اللات بالخصوبة والينابيع والماء^(٢).

وكلمة «دوشارا» مشتقة من اللفظة العربية «ذو الشرى» والشراء هي سلسلة الجبال التي تقع بقرب البتراء ولا تزال هذه الجبال تحتفظ بهذا الاسم حتى اليوم. وتسمى التوراة هذه الجبال باسم «جبال سعير» وتصف التوراة (يهوه) بأنه اشرق من سعير انه دوشارا نفسه. وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر^(٣) يدعى احيانا بيت إيل - بيت الله - وكانت هذه البيوت تقام على اماكن مرتفعة شبيهة بتلك التي اقيمت عليها معابد دوشارا^(٤). أما كيف انتقلت عبادة دوشارا إلى اليهود فيرجح ان ذلك يعود إلى ان الانباط كانوا في الاصل قبيلة عربية تسكن في شمال الجزيرة العربية على طريق القوافل التجارية في الوقت الذي كان فيه اليهود يحاولون العبور إلى فلسطين، فتأثروا بآلهة الأنباط، ونقلت صفات دوشارا وطقوس عبادته مع اليهود، ولم يكن يهوه إلا مثيلا لدوشارا «ذو الشرى».

لم يكن لليهودية تأثير على عبادة الأنباط والأقوام المجاورة في تلك الفترة، لاننا

(١) انظر فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ١، ترجمة الدكتور جورج حداد، عبد الكريم رافق، دار الثقافة - بيروت ص ٤٢٨.

(٢) لانكستر هاردنج، آثار الاردن، تعريب سليمان موسى، منشورات وزارة السياحة الاردنية ص ١٤١.

(٣) ذلك حسب رأي التوراة.

(٤) هاردنج، آثار الاردن، المرجع السابق، ص ١٤١.

نلاحظ ان اليهود بدلا من ان يعملوا على نشر الديانة اليهودية ، اقتبسوا الطقوس الدينية للأمم الأخرى الوثنية .

اليهود في تدمر :

استدل الباحثون على عروبة سكان تدمر بأدلة مماثلة لتلك الأدلة التي ساقوها تدليلا على عروبة الأنباط^(١) . وتدمر من المدن القديمة ، وقد نسبت الروايات القديمة بناءها الى جن سيدنا سليمان وعنها نقل الأخباريون العرب هذه الروايات حتى تداولها الناس في الجاهلية . وقد ذكر النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي ما يفيد ذلك :

إلا سليمان إذ قال الأله له قم في البرية فاحدها عن الفند^(٢)
وجيش الجن إني قد امرتهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد^(٣)

وربما يكون سبب هذه الروايات هو ضخامة آثار تدمر الباقية وكبر الحجارة التي بنيت منها فنسبوا بناءها الى الجن الذين اعتادوا ان ينسبوا اليهم المعجزات والأعمال الكبيرة .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الروايات اليهودية بالغت في عصر سليمان ، ومبعث هذه المبالغة هو ان حكم سليمان كان اطول من حكم اي ملك يهودي في تلك الفترة من الحكم الموحد اليهودي ، كما ان الدولة اليهودية توسعت في زمنه وانجزت من العمران اكثر من اية فترة أخرى ، وقد تناقل الرواة العرب هذه الروايات على علاقتها . غير ان الروايات العربية لا يُعول عليها لأنها متأخرة فضلا عن كونها متأثرة بروايات اهل الكتاب ، ومن اشهر الذين ذهبوا هذا المذهب المؤرخ اليهودي يوسفوس ، الذي نسب بناء مدينة تدمر الى «جن سليمان» . وقد اخذ يوسفوس روايته هذه من التوراة .

وقد تأثرت هذه الروايات بضخامة البناء ، كما لا ننسى دور المبالغة الذي مارسه الرواة اليهود المتعصبون .

(١) انظر ص ٨٠ من هذا الفصل .

(٢) الفند : الكفر بالنعمة والكذب - القاموس .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، كتاب التحرير ١٩٦٦م ، ج٢ ص ٢١٤ .

وبين الإخباريين من ينسب بناء مدينة تدمر الى «تدمر بنت حسان بن اذينة بن السميدع بن يزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح» وذكر الرواة انه عثر على قبر «تدمر بنت حسان»^(١).

لقد اثارت بقايا تدمر دهشة العربي شأن ابن الصحراء مع كل بنيان كبير او اثر عظيم، فقال الشعر في وصفها، غير ان مثل هذا الشعر يعبر عن احساس الشاعر اكثر من تعبيره عن حقيقة الموصوف.

اطلق اليونان اسم «بلميرا Palmyra» على مدينة تدمر، وقد جعل الباحثون هذا اللفظ مشتقا من «النخيل»، ويذهبون الى ان الاسكندر المكدوني لما تغلب عليها، اطلق عليها هذا الاسم متأثرا بما شاهده من اشجار النخيل حول وداخل المدينة.

غير ان بعض الباحثين لم يأخذ بهذا الرأي، لأن رواية الإسكندر هذه تحتاج الى سند، بالاضافة الى اننا لا نملك حجة دامغة تثبت وجود النخل في تدمر في تلك الفترة، بشكل يستلزم تسمية تدمر بمدينة النخل أو «النخيل»^(٢).

وقد اشارت التوراة الى اسم موضع اطلقت عليه «تامار» كحد لملك إسرائيل من الجنوب الشرقي. ويعتقد ان هذا الموضع يقع في جنوب شرق البحر الميت^(٣). وذهب من اخذ بهذا الرأي الى أن «بلميرا Palmyra» هي ترجمة لكلمة «تمار» و«تامار» وان كتاب سفر اخبار الايام الاول التبس عليهم الأمر، فذكروا تدمر بدلا من تamar، وقالوا ان سليمان هو بانيها^(٤).

وقد ورد ذكر تدمر لأول مرة حوالي عام ١٨٠٠ ق.م، وكذلك ورد ذكرها في نقوش، تجلات بلازر Tiglath-pileser التي دون فيها اخبار حملته ضد العموريين حوالي ١١٠٠ ق.م في رُقْم باسم «تدمر أو أمور»^(٥).

(١) انظر جواد علي، المفضل . . . ح ٣ ص ٧٩.

(٢) انظر جواد علي، المرجع السابق والصفحة.

(٣) سفر حزقيا ص ٤٧: ١٩.

(٤) سفر الملوك الاول ص ٩: ١٨.

(٥) انظر نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، طبعة جامعة دمشق ص ١٢٦.

لقد ورثت تدمير مكانة بترا التجارية، وفاقتها في النشاط التجاري واكسب ذلك موقعها مكانة هامة بين القوتين العظيمتين في ذلك الزمان، الفرس في الشرق والروم في الغرب. وهذه المكانة التجارية اقتضت اهل تدمير ان ينشطوا في مجال التجارة وان يقيموا العلاقات التي يفرضها موقع مدينتهم وتقتضيها طبيعة مصالحهم التجارية.

وقد عثر على مدافن في احدى مقابر مدينة القدس عليها كتابات تدمرية تشير الى اصحاب هذه القبور. ويظن ان هؤلاء هم من جنود تدمر الذين التحقوا في الجيش الروماني اثناء حصار القدس، كما يجوز ان يكون بعضهم من التجار الذين اقاموا في هذه المدينة لخدمة اغراضهم التجارية^(١).

سكنت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ويهودية بين سكانها العرب الذين كانوا يتكلمون الآرامية، ومع الزمن اصبحت هذه الجاليات وكأنها من سكان المدينة الأصليين.

ويتعذر على الباحث تحديد الزمن الذي وجدت فيه الجاليات اليهودية في تدمر. واغلب الظن ان هذا التواجد كان قديما وتزايد مع تزايد اهمية المدينة التجارية.

ويرى البعض ان اليهود الذين اقاموا في تدمر ممن نزع عن فلسطين بعد استيلاء الرومان عليها وتدمير القدس عاصمة يهوذا على يد نبوخذنصر الكلداني.

ومهما يكن الزمن الذي نزل فيه اليهود على تدمر، فلم تكن المدينة يهودية وان نسبة بنائها الى سليمان لتخليد ذكرى انتصار والده على جوليات الفلسطيني^(٢) إنما هي اسطورة كباقي الأساطير، لأن وجود تدمر سابق لزمن سيدنا سليمان، ويؤيد ذلك على الاقل نقش تجلات بلاسر الآشوري الذي جاء قبل سليمان بحوالي قرن من الزمان^(٣).

لقد قامت الجالية اليهودية بالتبشير بدينها في تدمر، ولم تنجح في تهويد سكان تدمر الوثنيين. وقد اشرنا الى تأثير الأنباط الديني في معتقدات اليهود وعلى ذلك يصعب علينا ان نوافق اولئك الذين يعتقدون ان الجالية اليهودية في تدمر نجحت على الاقل في

(١) انظر جواد علي، المفصل ... ح ٣ ص ٨٢.

(٢) Wills, Ashort history of the world. P. 89

(٣) انظر جواد علي، المفصل ... ح ٣ ص ٨٥.

جعل التدمريين يُجِلون التوحيد عن طريق آلهتهم^(١). وقد استفادت الجالية اليهودية من الحرية الدينية في عهد الملكة الزباء، فمارست شعائرها الدينية وحصلت على حقوق المواطنة التي كانت للتدمريين، فنشطت في أعمالها التجارية وحصلت على الأرباح الطائلة واستحوذت على مكانة هامة في تدمر جعلت مجلس المدينة والشعب يقيم سنة ٢٥٧ ميلادية تمثالا ليهودي يدعى (يوليوس اوريوس شلميط). قائد القافلة، وانفق عليها من ماله^(٢).

ونظرا للمكانة الهامة التي وصل اليها اليهود في تدمر في عهد الزباء، اختلف المؤرخون في تقدير عدد افراد الجالية اليهودية في المدينة، فبعضهم ذهب الى ان اليهود كانوا يشكلون نصف عدد السكان. وذهب القديس «اثناسيوس» الى القول ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية، ولو انها لم تبني لليهود الكنس واماكن العبادة. وقيل ان الذي هوّد الملكة هو «بولس السميساطي» وهو اسقف كان مقربا الى الزباء وله حظوة عندها. والجدير بالذكر ان هذا الأسقف حوكم من قبل مجمع انطاكية الذي انعقد سنة ٢٦٤، بتهمة خروجه على الكنيسة بأرائه وتعاليمه المخالفة لأراء وتعاليم الكنيسة، فحرّم المجمع اراءه وعزله عن أسقفيته، ولم تنفذ الزباء قرار المجمع بنحق هذا الاسقف وتركته على حاله^(٣).

وقد اختلف الباحثون في قضية تهود الزباء، فمنهم من ايد الرواية السابقة مثل المؤرخ فوتيوس ومنهم من لم يؤيدها، وهذا الفريق من المؤرخين المحدثين الذين يرون ان هذه الرواية من نسيج رجال الكنيسة الذين ارادوا الإساءة الى القديس بولس^(٤). غير ان الأمر لا يحتاج الى كثير من الجدل فلو كانت الزباء يهودية حقا لعثر على ما يؤيد ذلك في خرائب تدمر بينما نجد ان المعابد المكتشفة تؤيد وثنية اهل تدمر، والناس على دين ملوكهم.

لذلك لا يعقل تصديق الرواية القائلة ان القديس بولس تأثر بأفكار الملكة الزباء لقربه منها، لأنه من غير الممكن ان يخفي مثل هذا الرجل عقيدته لو آمن باليهودية حقا،

(١) المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر جواد علي، المفضل ... ج ٣ ص ١٠٩.

(٣) انظر جواد علي، المفضل ... ج ٣ ص ١٠٩.

(٤) انظر جواد علي، المرجع السابق والصفحة.

وعلى ذلك من المستبعد ان يقوم مسيحي بتهويد وثني لأن المعقول ان يدعو الإنسان إلى دينه ومعتقدده .

وربما كان لتسامح الزباء مع اصحاب الديانات المختلفة اثر على انتشار هذه الرواية التي يكذبها الواقع . وهذا الأمر يحدث في كل زمان ومكان، فكل اصحاب العقائد يعملون على ان تكون عقيدتهم هي السائدة وينحون باللائمة في حالة فشلهم بالوصول الى سدة السيادة على الحكام والملوك . وقد يكون هذا شأن الزباء . وقد اشارت كتب اليهود الدينية المعاصرة اشارات غير مباشرة الى تسامح الزباء معهم، فقد جاء في التلمود ما يفيد حماية الزباء للاخبار^(١) . كما ورد في التلمود ما يفيد ان اليهود لم يكونوا دائماً راضين عن تدمير . فقد وردت بعض العبارات التي تدل على حقدهم على تدمير، وكانوا يرجون الله ان يطيل في اعمارهم ليروا نهاية تدمير . وهذا الحبر «يوحنا» رئيس اكاديمية «طبرية» والذي عاصر حكم اذينة والزباء كان يقول «مخلد وسعيد من يدرك نهاية تدمير» هذا بالاضافة الى أن هناك بعض الأخبار التي تفيد ان كثيراً من أحبار اليهود كانوا ناقلين على تدمير والزباء لأن الأخيرة اضطهدتهم . وهذه الإشارات المتضاربة في التلمود إنما تعكس وجهات نظر متباينة خاضعة لظروف الأشخاص الذين رووا هذه الأخبار، وللزمن الذي رويت فيه، وهي على كل حال لا تفيد تهود الزباء .

لم يكن اليهود الذين استوطنوا العراق راضين عن تدمير، فهذا الحبر «يهوذا تلميذ الحبر(صموئيل)» يتحدث عن تدمير ويقول: «سيحتفل الإسرائيليون في أحد الأيام، بعيد، إنه عيد هلاك ترمود، إنها ستهلك كما هلكت ثمود، وقد هلكت» وورد ان الحبر «آشه» ذكر ترمود فقال: «ترمود مثل ثمود إنهما شيان لأمر واحد، اذا هلكا احدهما قام الثاني مقامه» . ويراد بترمود مدينة تدمر^(٢) .

أشار بعض الباحثين إلى اشتراك اليهود في صفوف اعداء الزباء، سواء كانوا من الفرس او الرومان، كما قبض على عدد من الاحبار بتهمة التحريض ضد الملكة وباقي التدمريين^(٣) .

(١) انظر جواد علي، المرجع السابق ج٣ ص ١١٠ .

(٢) انظر جواد علي، المفضل ... ج٣ ص ١١١ .

(٣) انظر جواد علي، المرجع السابق والصفحة .

وقد يكون لكرهية اليهود للتدمريين اسباب غير التي ذكرناها، منها ما قيل عن آراء الزباء الفلسفية وتشجيعها للفلاسفة والكتاب مما كان له أثره على المعتقدات اليهودية في تدمير، وربما كان لهذه الآراء اثرها في طريقة التفكير عند اليهود في تدمير، فأحدث هذا التفكير استنكار الأحرار التقليديين وخاصة بين جموع يهود العراق المتدينين، فصبوا جام غضبهم على تدمير والتدمريين ووصموهم بتهمة نشر الأفكار الإلحادية.

ونتيجة لسياسة التسامح التي اتبعها ملوك تدمير انتشر الزواج المختلط بين الطوائف المختلفة بما في ذلك الطائفة اليهودية مما أوجد جيلا جديدا لم يتقيد بتقاليد اليهود وديانتهم وأدى بالتالي الى حقد المتدينين من اليهود^(١). ويمكن ان نضيف العامل القومي الى مجموعة الأسباب التي جعلت يهود العراق يكرهون اهل تدمير. فقد كره العراقيون المواليون للفرس تحالف التدمريين مع الرومان وساء لهم هذا الموقف، وكان كذلك موقف التدمريين من أهل العراق لتحالفهم مع الفرس الذين اسروا القيصر فاليريانوس قيصر الروم حلفاء تدمير. وقد لحق الجاليات اليهودية ضررا نتيجة هجوم الملك اذينه على العراق بمساعدة الروم، سيما اولئك الذين كانوا يقيمون على الفرات في طريق القوافل التجارية، وكان اليهود يعتمدون على التجارة في تحصيل رزقهم والاضطرابات السياسية كانت تعطل عليهم مشاريعهم التجارية وتحد من ارباحهم التي اعتادوا أن يجنوها من تجارتهم بين الفرس والروم في العراق وبلاد الشام، وفقدت الجاليات اليهودية استقلالها الذي تمتعت به إبان ازدهارها التجاري، لا سيما عندما استولى اذينه بن السميدع على شواطئ الفرات^(٢).

وهناك خلاف في تحديد الاتجاهات الدينية للملكة الزباء، فبينما يرى البعض انها نصرانية على دين المسيح ذهب بعض آخر الى انها لم تكن نصرانية ولا يهودية وانما كانت بين بين، وقال آخرون إنها متدينة ترى الله والكون كما يراهما الفيلسوف^(٣).

وكما اختلف المؤرخون في تحديد الاتجاهات الدينية للملكة الزباء، اختلفوا في

(١) انظر جواد علي، المفصل... ح ٣ ص ١١١.

(٢) المرجع السابق نفسه والصفحة.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

تحديد اصل الزباء، فذهب البعض الى انها رومية الاصل تتكلم العربية^(١) وذهب فريق آخر الى انها مصرية، وبعض آخر قال إنها من العماليق، وربما كان هؤلاء متأثرين بالمصادر العربية. ويقول عنها المؤرخ اليهودي «كريتس» انها ادومية من نسل «هيرودس» وانها على دين يهود. ورأى آخرون انها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم، غير ان اكثرهم يرون انها عربية^(٢).

والذي اراه ان سبب الاختلاف في تحديد جنسية الزباء واتجاهاتها، يعود لفقر الأدلة التاريخية التي يمكنها وحدها حسم هذا الخلاف. وحتى تكتشف هذا الوثائق ستبقى هذه الآراء متضاربة.

(١) انظر المسعودي، مروج الذهب ج١ ص ٢٥٩.

(٢) انظر جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠١.
انظر كذلك جواد علي، المفصل ... ج٣ ص ١١٢.

الفصل الثالث :

اليهود في جزيرة العرب

- ★ بداية الوجود اليهودي في جزيرة العرب .
- ★ مواطن اليهود في شمال الجزيرة العربية .
- ★ اليهود في يثرب .
- ★ اليهود في تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر .
- ★ البطون اليهودية في بلاد الحجاز .
- ★ اليهود في اليمن .
- ★ مذبحه نجران وآثارها .

الفصل الثالث

اليهود في جزيرة العرب

بداية الوجود اليهودي في جزيرة العرب :

تباين آراء الباحثين في تحديد بداية الوجود اليهودي في الجزيرة العربية وتبعاً لهذا التباين ، فقد رأى بعضهم - من المحدثين - تقسيم تاريخ اليهود في جزيرة العرب الى فترتين أو دورين^(١).

الدور الأول : لا تحديد لبداية هذا الدور، انما ينتهي بالقرن الخامس قبل الميلاد، ومن مميزات هذا الدور ضعف العقيدة الدينية عند اليهود بدليل عدم سيطرتها على الحياة العامة في المجتمع اليهودي ، وتبدل معبودات اليهود بين الحين والآخر.

الدور الثاني : وهي الفترة بعد السبي البابلي وحتى خروج اليهود من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ويتميز هذا الدور ب بروز العقيدة الدينية الى المقام الاول في التفكير اليهودي وامتزاج الفكر الديني بالشعور القومي والسياسي .

ويرى باحثون آخرون تقسيم تاريخ اليهود في جزيرة العرب تبعاً للمادة التاريخية المتعلقة بهم ، فيرون تقسيم تاريخهم الى ثلاث فترات^(٢).

الفترة الأولى : وهي الفترة القديمة التي تعود الى ما قبل التاريخ ، والحديث عن هذه الفترة مستمد من بعض الاشارات الواردة في موضوعات من الصعب اثباتها علمياً .

(١) انظر إسرائيل ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١ .

(٢) Margoliot, "relations..." P.1

الفترة الثانية: وهي الفترة التي خلف بها اليهود بعض الآثار الكتابية ابتداء بالتوراة كتاب اليهود المقدس وانتهاء بأعمال المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي.

الفترة الثالثة: وهي الفترة التي تناولها المصادر الاسلامية وتروي احداثها ابتداء من العهد الجاهلي، وهذه الفترة غنية بمصادرها. وهي الحقبة الوحيدة التي يكون الحديث عنها حديثا تاريخيا. ذلك ان اليهود عاشوا هذه الفترة مع العرب جنبا الى جنب فسهل على الباحثين تتبع اخبارهم.

على الرغم من صعوبة الحديث عن تاريخ اليهود في جزيرة العرب حديثا علميا كلما اوغلنا في القدم، الا انه يمكن القول بقدوم علاقاتهم بالجزيرة العربية للأسباب التالية:

١ - يستبعد الباحث ان تبقى الجموع التي قادها سيدنا موسى وخلفاؤه من مصر الى فلسطين موحدة ومتماسكة، فلا بد من وجود جماعات من هؤلاء كرهت الحرب التي قادها موسى واتباعه في طريقه الى فلسطين وسئمت الصعوبات والعذاب وفضلت الانفصال عن هذه الجموع والبحث عن مكان آمن تجدد فيه بعض الراحة، سيما وان شمال الجزيرة كان مسرحا لتحركات جموع سيدنا موسى عليه السلام. ويعزز هذا الرأي كون هذه الجموع اخلاطا مختلفة الجنس هاربة من ظلم الفراعنة. باحثة عن مكان تعيش فيه بسلام. وشمال الجزيرة تتوفر فيه شروط الراحة التي يبحثون عنها.

٢ - عدم تأثر غالبية هذه الجموع الزاحفة خارج مصر بالديانة الموسوية بدليل تبديل هذه الجموع معبوداتها بين الحين والآخر ومخالفاتها المستمرة لسيدنا موسى وأخيه هارون. ذلك لان الديانة اليهودية لم تحتل المكانة الاولى في الفكر اليهودي الا بعد السبي البابلي، حيث اصبح هذا الفكر العامل الحاسم في تكوين القومية اليهودية على اساس ديني. كما امتزج الدين اليهودي بالعوامل الوطنية والسياسية.

٣ - تأييد الاخباريين العرب لوجود يهود في جزيرة العرب منذ عهود قديمة ترجع الى زمن موسى عليه السلام. لقد ذكر الاخباريون العرب رواية ملخصها ان سيدنا موسى ارسل جيشا لتأديب العمالة الذين كانوا يسيطرون على شمال الجزيرة العربية بما فيها موضع المدينة ومكة، وأمر الجيش ان لا يبقى من العماليق ذكرا بلغ الحلم، وقد نفذ

الجيش الوصية، ولم يبق من العماليق الا ولدا للأرقم بن ابي الارقم ملك العماليق، استحسنة قادة الجيش لجمال صورته وحسن اخلاقه، وقدموا به على سيدنا موسى، غير ان موسى عليه السلام توفي قبل وصولهم اليه. ولما علم اتباع موسى ان الجيش قد خالف الاوامر وأبقى على حياة احد العماليق، رفض السماح للجيش العائد بالسكن في بلادهم. ولما عجز قادة الجيش في اقناع هؤلاء بالعيش بينهم، فضل الجيش العودة الى البلاد التي أتوا منها، اي بلاد الحجاز، وكانت اذ ذاك «أشجر بلاد الله وأكثرها ماء» وكان أفراد الجيش الموسوي قد استطاب الحياة فيها. وتقول الرواية ان هذا التاريخ هو اقدم تاريخ لوجود اليهود في بلاد الحجاز^(١).

وعلى الرغم من ان هذه الرواية ومثيلاتها أقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة فلا بأس من التعرض لها، لان الحقيقة التاريخية قد تختلط بالخرافة في كثير من الأحيان. وأمامنا عدة احتمالات لأصل هذه الرواية.

الاحتمال الأول : ان تكون الرواية تناقلها الرواة منذ ايام سيدنا موسى وفيها شيء من الصحة.

الاحتمال الثاني : أن يكون اليهود قد دسوها فيما بعد لتبرير دعواهم بقدم سكانهم الجزيرة العربية من جهة وانتسابهم الى الأنبياء من جهة أخرى^(٢).

لم يكن سكن جماعات في شمال الجزيرة العربية بين الحين والآخر حدثا فريدا، وذلك لأن هذه المنطقة استقبلت في مرات كثيرة أناسا توجهوا نحو الجنوب نتيجة ضغط الشمال منذ عهد الامبراطوريات القديمة، من بابلية وأشورية وآرامية وكنعانية وغيرها، وكانت هذه الدول تتطاحن فيما بينها تارة وتارة أخرى تسيطر دولة على سوريا والعراق وتغزو الامبراطورية المصرية. كما ان المصريين كانوا يغزون بلاد الشام كلما شعروا بالقوة. وكان شمال الجزيرة العربية قريبا من مسرح الاحداث ولا بد ان تستقر فيه بعض الجماعات.

(١) انظر ابو الفرج الاصفهاني، الاغانى، طبعة دار الكتب المصرية ح ١٩ ص ٩٤.
انظر كذلك ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة الخانجي ح ٧ ص ٤٢٧. السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، تحقيق محي الدين عبدالحميد دار احياء التراث العربي - بيروت ح ١ ص ١٥٩. الحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة - ملحق بكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، طبعة البابي الحلبي ١٩٥٦ م ص ٣٢٤.
(٢) انظر جواد علي، المفصل... ح ٦ ص ٥١٧.

كان سكن جماعات من الأخلاط الذين قادهم سيدنا موسى من هذا القبيل ، ولذلك لم تخلف هذه الجماعات اي أثر يدل عليها . وذهب بعض الباحثين الى اعتبار هذه الجماعات بائدة كقوم عاد وثمود . ويعزز هذا الرأي ان الجماعات المشار اليها لم تكن تحمل في تفكيرها عقيدة دينية راسخة وليس لها اغراض قومية او سياسية او اقتصادية . لهذا انصهرت هذه الجماعات في البيئة العربية القبلية واندثرت معها .

وبناء على ما تقدم نرى ان الرواية السابقة متأخرة عن عهد سيدنا موسى ومن ابتداء الكيانات التي برزت في شمال الجزيرة العربية بعد القرون الاولى الميلادية . وذلك لربط نسبهم بسيدنا موسى من جهة ، ولربط صلة هذه الكيانات بتاريخ الجزيرة العربية من جهة اخرى ، كما يمكن ان يكونوا قد قصدوا ابراز تضحياتهم وشجاعتهم في سبيل عقيدتهم .

وهذه الاستنتاجات تسير المفاهيم التي سادت الكيانات اليهودية سواء كان ذلك لخدمة الأغراض الدينية او الاقتصادية او القومية وعلى أي حال لم يكن لهذه الاقوام اي أثر في شمال الجزيرة العربية وأغلب الظن ان هذه الجماعة قد ذابت في محيط البداوة العربية . ولو كان الامر غير ذلك لورد لها ذكر عند المؤرخين الرومان او اليونان او ذكرها المؤرخون القدماء امثال فيلون المصري^(١) ويوسفوس اليهودي^(٢) ولما أغفلها كتاب التلمود .

ذهب بعض المؤرخين الى القول بوجود هجرات مستمرة بين فلسطين والجزيرة العربية مستندين في آرائهم على ما ورد في التوراة من اشارات متعددة حول وجود صلات تجارية ابان قيام الدولة اليهودية في فلسطين وقبل السبي البابلي ٥٨٦ ق.م .^(٣)

لقد المحنا الى هذه الصلات في الفصل السابق ، وأتينا على تبيان العلاقات الاقتصادية بين الدولة اليهودية في فلسطين والاقوام العربية المجاورة ، وخاصة في عهد الملك سليمان بن داوود .

ومهما من هذه الملاحظات الواردة في الكتاب المقدس تلك الاشارات المتعلقة ببطون بني شمعون والتي اتخذت دليلا على وجود هجرات يهودية قديمة الى جزيرة العرب^(٤) .

(١) من مؤرخي القرن الثالث قبل الميلاد .

(٢) من مؤرخي القرن الاول الميلادي .

(٣) انظر سفر حزقيا ، ٢٧ : ٢١-٢٤ ، الملوك الاول ٩ : ٢٦-٢٨ ، صموئيل الاول ١٥ ، وقد وردت اشارات متعددة في الكتاب المقدس لاماكن عربية ، يستفاد منها قدم الصلات بين فلسطين وبلاد العرب .

(٤) سفر أخبار الأيام الاول ٤ : ٣٨-٤٣ ، قضاة ١ : ٣ ، يوشع ١٩ : ١-٩ أخبار الأيام الاول ٤ : ٢٨ .

يستفاد من الاصحاحات التي أتت على ذكر بني شمعون أنهم استوطنوا جنوب فلسطين في منطقة بئر السبع، ويظهر ان هذه الأقوام كانت تملك المواشي وترتحل من مكان الى آخر طلبا للماء والعشب كما هي عادة القبائل البدوية. وقد ذكرت هذه الاصحاحات بعض المدن التي قيل انها لبني شمعون.

ان رواية الكتاب المقدس هذه نوقشت من قبل بعض الباحثين الذين تعرضوا لتاريخ اليهود القديم في بلاد العرب، وتباينوا في الآراء، فبعضهم ينكر وجود بني شمعون جملة وتفصيلا، وذلك لعدم ورود ما يؤيد رواية العهد القديم في مصادر أخرى.^(١)

ويستبعد ولفنسون هجرة البطون الشمعونية الى سيناء وبلاد معين وذلك لان هذه الاماكن قاحلة، ولا تصلح مستقرا للرعاة، وحتى لو تمت هذه الهجرة فلا يمكن ان تكون كافية لان يقطع الشمعونيون علاقاتهم مع فلسطين ولا يعودون اليها مرة أخرى. ويمضي ولفنسون فيقول «انه في حالة افتراض صحة وقوع هذه الهجرة كما تحدث عنها العهد القديم فلا بد ان يكون تاريخ حدوثها حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، اي بعيد دخول اليهود كنعان بمدة وجيزة حين كان اليهود على بداوتهم ولا يهتمون بتسجيل حوادث تاريخهم»^(٢).

واذا كان ولفنسون يتشكك في حدوث الهجرة الشمعونية فهو لا ينكر وجود بطون بني شمعون ذات المدن المتعددة في جنوب فلسطين^(٣).

والذي أراه ان كتاب العهد القديم التمس عليهم الأمر فخلطوا في حديثهم بين بني شمعون والأشمونيين، ولذلك وقعوا في تناقض يجعل الباحث يشك في هذه الرواية للأسباب الآتية:

١ - قيل إن بطون بني شمعون هاجرت طلبا للمرعى، كما قيل ان هذه البطون كانت لها اثنتا عشرة مدينة في جنوب فلسطين^(٤). فكيف يمكن التوفيق بين بداوة هذه الأقوام وتملكها المدن؟

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سفر يوشع بن نون ١٩ : ١-٩، أخبار الأيام الأول ٤ : ٢٨.

٢ - لم يذكر الاخباريون العرب شيئاً من اخبار هذه البطون مع العلم ان المؤرخين الغربيين بشكل عام يعتمدون هذه الروايات للتدليل على قدم علاقة اليهود ببلاد العرب^(١).

٣ - نسب العهد القديم الى هذه البطون تغلبها على المعينين وهذا القول لا يمكن التسليم به ، لان المعينين وصل نفوذهم دمشق ولا يمكن لقبائل البدوية ان تقهر هذه الدولة بالسهولة التي رواها كتاب العهد القديم ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لا يمكن القضاء على الدولة المعينية الا باحتلال عاصمتها قرنا في اليمن . وهذا لم يذكر في العهد القديم .

وبناء على ما تقدم فان رواية العهد القديم هذه حول الشمعونيين انما هي لا تعدو الاشارة إلى علاقة القبائل الأشمونية في يهوذا مع القبائل البدوية العربية التي تسكن في جبال الشرا «جبال سعي» على حدود مملكة يهوذا وكانت المناوشات بينها لا تنقطع أبداً .

ويعزز هذا الرأي ، ان المؤرخين الرومان واليهود القدامى لم يشيروا الى هذه الحادثة ، بل نجد أن «بلينيوس» يقول عن أهل معان أنهم على جانب عظيم من القوة والبطش^(٢) .

وقد ورد ذكر أمة المعونيين في أقدم آثار بابل بين أخبار نارام سن ٣٧٥٠ ق.م على نصب عليه نقوش مسبارية جاء فيها ان نارام سن حمل على معان «في جزيرة سيناء» وقهر ملكها معنيوم Manuim والميم للتونين في البابلية» وأنه اقتطع حجارة من جبالها حملها إلى مدينة أكاد ، ونحت حجرا منها نقش عليه خبر هذا الفتح^(٣) .

وقد يتبادر الى الذهن ان علاقة البطون الشمعونية كانت مع هذه الأقوام المعونية في سيناء ، وهذا أقرب للعقل وموافق لما ورد في العهد القديم من دخول الشمعونيين سيناء ، غير أن الصعوبة التي تقف في طريق تصديق هذه الرواية انها قديمة ، فأخبار نارام سن تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، بينما أخبار بني اسرائيل في هذه المنطقة لا تعدو الألف الثاني قبل الميلاد على أبعد تقدير .

(١) لقد استشهد بهذه الروايات معظم المؤرخين الغربيين من امثال، مارجليوت في مصنفه «العلاقات بين العرب واليهود قبيل الاسلام»، وغوته في كتابه «العرب واليهود»، وبارون - المؤرخ اليهودي - في كتابه تاريخ اليهود الاجتماعي والديني ، وكذلك فعل دوزي وجلازر ونولدكه وجولد زيهير وديورانت وغيرهم .

(٢) Margolouth, Relations.. P.51

(٣) انظر جرجي زيدان ، تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٣٣ .

يرى المستشرق مارجليوث ان المعينين أقاموا لهم بعض المستعمرات في شمال الجزيرة العربية واتخذت هذه المستعمرات ملوكا لها، ويعتقد ان هجوم القبائل الشمرونية كان على هذه المستعمرات، ويرجح أن ذلك وقع في عهد حزقيا الذي حكم يهوذا من سنة ٧١٧ - ٦٩٠ ق.م^(١).

لم يرد أي ذكر لهذه الحادثة في النقوش الكثيرة التي عثر عليها «هاليفي» و«جلازر» في بلاد اليمن، ولذلك ستبقى هذه الحادثة غامضة ما لم تجلوها مكتشفات جديدة. وحتى لو صح دخول بطون شمعون شبه جزيرة سيناء فان هذا لا يعني هجرات يهودية الى جزيرة العرب كما هو واضح.

إن الهجرات اليهودية من فلسطين الى خارجها كانت تتوقف على أوضاعها السياسية والأمنية، وتبعاً لذلك كانت جماعات اليهود تخرج من فلسطين الخصيبة والتي تفيض لبنا وعسلا في حالة هجوم عدو خارجي عليهم لا يستطيعون رده، أو في حالة حدوث فتنة داخلية وحروب أهلية تضطر البعض الى طلب النجاة والفوز بالأمن والطمأنينة في بلاد غير فلسطين.

وهناك من يربط بين وجود اليهود في جزيرة العرب بحادث هجوم نبوخذ - نصر على فلسطين وسبي يهوذا في القرن السادس قبل الميلاد.

وهذه الحادثة التاريخية جديرة بالاهتمام، وذلك لأن يهود السبي الذين حملهم نبوخذ نصر الى بابل كانوا على جانب عظيم من النشاط، ونجحوا في انشاء بعض المراكز العلمية والاجتماعية في بلاد العراق.

وقد تسرب بعض هؤلاء اليهود البابليين الى العربية الشرقية واستقروا على سواحل الخليج العربي وأقاموا في البحرين، وتاجروا مع سكان هذه المنطقة وامتدت تجارتهم الى داخل الجزيرة العربية.

ونتيجة لهجوم نبوخذ نصر هذا لجأ بعض اليهود الى بلاد الحجاز القريبة، وأقاموا فيها. وقد ذكرت بعض الروايات العربية ان اليهود نزلوا في نواحي الحجاز في وادي

القرى وتيماء وخيبر ويشرب وكان فيها قوم من جرهم^(١) وهذه الرواية مقبولة تعززها احوال اليهود بعد حوادث السبي وما أصيبوا فيها من فزع ورعب دفعهم الى طلب السلامة في أقرب أرض، وبلاد الحجاز قريبة آمنة عرفها اليهود في تجارتهم، وربما سبقتهم إليها بعض الجاليات اليهودية التي تعمل بالتجارة.

وبهنا ان نتذكر أن هؤلاء اليهود الهاربين من نبوخذ نصر يختلفون عن سابقهم، أولئك الذين ذكرتهم الروايات السابقة في معرض ذكر استيطان اليهود جزيرة العرب، نظرا لأن هؤلاء مواطنون يهود حقا. فهم يمثلون اليهود دينيا واجتماعيا بحكم عيشهم المشترك في ظل حكم واحد وتشريع واحد منذ خلفاء سيدنا موسى وحتى حوادث السبي. واذا أضفنا الى ما تقدم ما احرزته فلسطين من تقدم حضاري منذ عهد الكنعانيين، والرخاء الاقتصادي والجمال الطبيعي الذي تمتعت به فلسطين منذ أقدم الأزمنة ونعم به اليهود فترة من الزمن ليست بالقصيرة، اذا تذكرنا كل هذا نجد التفسير للتعصب الديني والوطني عند يهود السبي.

إن علينا أن نتذكر هذه الملاحظة جيدا لأنها ستفسر لنا العقلية اليهودية المتبدية في التوراة والتلمود والمدراس، كما ستساعدنا على فهم كثير من المواقف اليهودية فيما بعد.

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين الى القول بأن اليهود كانوا في جملة من كان في جيش «نبونيد» يوم جاء الى تيماء، فأقاموا فيها وفي مواضع أخرى من الحجاز بما في ذلك يثرب. وقد استوطن اليهود منذ ذلك التاريخ هذه البلاد وانتشروا الى وادي القرى وأماكن أخرى الى مجيء الاسلام. والضعف في قول هؤلاء الباحثين هو أن نبونيد لم يشر في اخباره المدونة الى وجود اليهود في جيشه، كما لم يشر الى إسكان يهود في هذه المناطق كما أننا لم نعثر على كتابات تتحدث عن هذا العهد او عن العهد الذي سبقه او الذي يليه، ولذلك لا نستطيع تعزيز هذا الكلام بدون نصوص وكتابات^(٢).

(١) انظر البلاذري، فتوح البلدان، مطبعة السعادة ١٩٥٩م، ص ٢٩. انظر أيضاً الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق ابي الفضل ابراهيم، دار المعارف، ج ١ ص ٥٣٩. الأصفهاني، الأغاني، ٩٤/١٩. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت ج ١ ص ٤٠١. ابو الفدا، عماد الدين إسماعيل، المختصر في اخبار البشر، دار المعارف - بيروت ج ١ ص ١٢٣. ابن خلدون، تاريخ، دار الكتاب اللبناني، ج ٢ ص ٥٩٤.

(٢) انظر جواد علي، المفصل ج ٦ ص ٥١٣.

غير أن هذا لا ينفي احتمال وجود يهود في هذه الديار وفي هذه الفترة او قبلها كما أسلفنا، وانما قصدنا عرض الروايات المختلفة للاخباريين، لاننا لا نملك الأدلة العلمية الدامغة على وجود يهود في الفترة التي وجد فيها نبونيد أو نبوخذ نصر وما قبلها. ولا شك في ان التوراة والقصص اليهودية التي تناقلها اليهود عن قصد أو عن غير قصد هي مصادر روايات الاخباريين وذلك لان مؤرخي العرب لم تكن لهم كتب لمتقدميهم في ذلك، وإنما عولوا في أخبارهم المتعلقة بالتاريخ اليهودي والعلاقات بين العرب والاسرائيليين على ما ورد في أسفار الكتاب المقدس، ونخص بها تلك الاشارات الواردة في سفر العدد والتي تتحدث عن حروب بني اسرائيل والمديانيين والأموريين وغيرهم ويتوسعون في ذلك الى أرض الحجاز ويخلطوا أخبارهم بشيء من الخيال العربي دونما سلطان أتاهاهم^(١).

ويستفاد من الروايات اليهودية حرص اليهود على اثبات قدمهم بأرض الجزيرة العربية. فهذا شاعر بني يفيث اليهودي يقول:

ولو نطقنا يوما قباء لخبرت بأننا نزلنا قبل عاد وتبع
وأطامنا عادية مشمخرة تلوح فتنعى من يعادي ويمنع^(٢)

ومن هذين البيتين يتضح ان اليهود يدعون وجودهم في الجزيرة قبل عاد وثمود، أي قبل التاريخ، ولا شك ان مصادر الاخباريين اليهود هي نفسها مصادر الاخباريين العرب مع fark ان اليهود كانوا يدركون اهدافهم وأطماعهم بينما كان الاخباريون العرب يروون أخبارهم بسذاجة وبساطة وبراءة، وخاصة في حديثهم عن اليهودية وتاريخها.

إننا لا نجد مصدرا يتحدث عن وجود اليهود في الجزيرة العربية في الفترة بين السبي البابلي ٥٨٦ ق.م وبين خراب القدس في زمن الرومان، اللهم الا بعض الاشارات الواردة عن علاقة المكابيين بالأنباط والأقوام العربية المحيطة بفلسطين، وقد تحدث عن هذه العلاقات المؤرخ اليهودي يوسفوس ولم يذكر شيئا عن وجود يهود في جزيرة العرب.

(١) انظر الأغاني، حـ ١١ ص ٩٤.
(٢) ابن خلدون، تاريخ، طبعة المغرب - فاس ١٩٣٦م، حـ ٢ ص ٣٢.

واعتمادا على آراء المؤرخين العرب، يمكننا القول بأن هجرات يهودية قدمت الى شمال الجزيرة العربية بعد القرن الأول الميلادي على أثر تخريب الرومان لأورشليم. يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس: «بعد خراب اورشليم انتهى تاريخ الاسرائيليين كافة، فانهم بعد هذا الخراب تفرقوا في جميع بلاد الله وتاريخهم في ما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها او نزلوا فيها»^(١). ويضع ولفنسون^(٢) مجموعة من الأسباب لهجرة اليهود من فلسطين الى جزيرة العرب، ومن هذه الأسباب.

١ - ازدياد سكان فلسطين الذي زاد على أربعة ملايين ولم تعد البلاد قادرة على استيعاب المزيد، فخرج اليهود طلبا للعمل في ما حولهم من بلاد كمصر والعراق والجزيرة العربية.

٢ - الغزو الروماني وما تبعه من اضطهاد لسكان فلسطين وما نتج عنه من حروب وثورات داخلية متعددة.

إن سكان فلسطين كانوا على اتصال بالبلاد التي تجاورهم وأقاموا معهم العلاقات التجارية وتأثروا بهم وأثروا فيهم. ولا يستبعد ان تكون بعض الجاليات التجارية اليهودية قد أقامت في المراكز التجارية خارج فلسطين. وذلك لان هذه الاقامة تلائم طبيعة العمل التجاري، وهو أمر شاهدناه عند الأمم التجارية على مر العصور. واما قول ولفنسون بان عدد سكان فلسطين قد بلغ اربعة ملايين فقول يفتقر الى الدليل، اذ لم تكن هجرة اليهود في اعقاب تدمير القدس هجرة طبيعية وانما كانت هروبا من القتل والاضطهاد. كما ان الاقتصاد الفلسطيني كان احسن حالا من الاقتصاد في البلدان المجاورة بما فيها الجزيرة العربية. ويظهر هذا جليا من وصف اخبار الملوك في التوراة للحالة الاقتصادية في زمن سليمان ومن أتى بعده.

وعلى ذلك لا يمكن اعتبار الضغط السكاني سببا من أسباب هجرة اليهود، بل الصحيح ما كنا ذكرناه من ان هجرات اليهود لها علاقة باوضاع فلسطين السياسية في

(١) تاريخ الاسرائيليين، مطبعة المقتطف ص ٧٧.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٠.

عهدهم . ومن الجدير بالذكر ان الاسرائيليين لم يعرفوا الاستقرار السياسي ، كما فشلوا في اقامة علاقات تجارية مع جيرانهم . وبهذا المعنى يقول غوستاف لوبون : « فقد أسفرت غرائزهم في النهب والسلب ، وقد أسفر تعصبهم عن عدم احتمال جيرانهم لهم . فلم يشق على هؤلاء الجيران ان يستعبدوهم ، ثم إن اليهود عاشوا عيش الفوضى الهائلة على الدوام تقريبا ، ولم يكن تاريخهم الكتيب غير قصة لضروب المنكرات »^(١).

ويجب ان لا يغرب عن البال ان هجرة اليهود من فلسطين لا تقارن بهجرة الشعوب السامية من الجزيرة العربية مثلا . وذلك لأن الهجرة الى خارج الجزيرة العربية كانت طبيعية بعد تعرض البلاد للقمح والجفاف واحتياج المهاجرين الى بلاد فيها العشب والماء ، بعد ان كاد سكان الجزيرة العربية يفتقدون هذه المواد الاساسية في حياتهم نتيجة الزحف الصحراوي وتغير المناخ . كما ان هذه الهجرات لا ترتبط بسنة بعينها بل كانت مستمرة دون انقطاع .

لذلك فان سبب اتجاه بعض اليهود الى شمال الجزيرة العربية يعود الى كونها قريبة من يهوذا التي هاجمها الرومان من الشمال ، فكان من الطبيعي ان تتجه جموع اليهود الهاربة من وجه الجيوش الرومانية نحو الجنوب ، فعبر قسم من هذه الجموع الى مصر واستقر بعضها الآخر في مواضع متعددة من شمال الجزيرة .

وهذا الرأي لا ينفي وجود علاقات سابقة لليهود بهذه المراكز التي أقاموا فيها كما لا يمنع من وجود بعض جاليات يهودية فيها وعلى أي حال لا يمكن ان يعتبر وجود هذه الجاليات في هذه المواضع السبب الأول الذي جعل الجموع اليهودية تتجه إليها .

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الاولى ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة البابي الحلبي ، ص ٢١ .

مواطن اليهود في شمال الجزيرة العربية:

استوطن اليهود في الأماكن الواقعة على الطرق التجارية والمشهورة بمياهها وخصوبة أرضها في شمال غرب شبه جزيرة العرب. فقد امتدت إقامتهم من «جربا» الواقعة في الشمال الشرقي من «أيلة» «العقبة» نحو الجنوب حيث نجد جماعة منهم استوطنت «مقنا» بقرب أيلة باتجاه الجنوب الشرقي، ثم نجد مستوطناتهم تمتد نحو الجنوب إلى تيباء وفدك ووادي القرى وخيبر، وأخيرا نجد أن أكبر تجمع لهم كان في يثرب^(١). وانتشرت جماعات يهودية أخرى في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية.

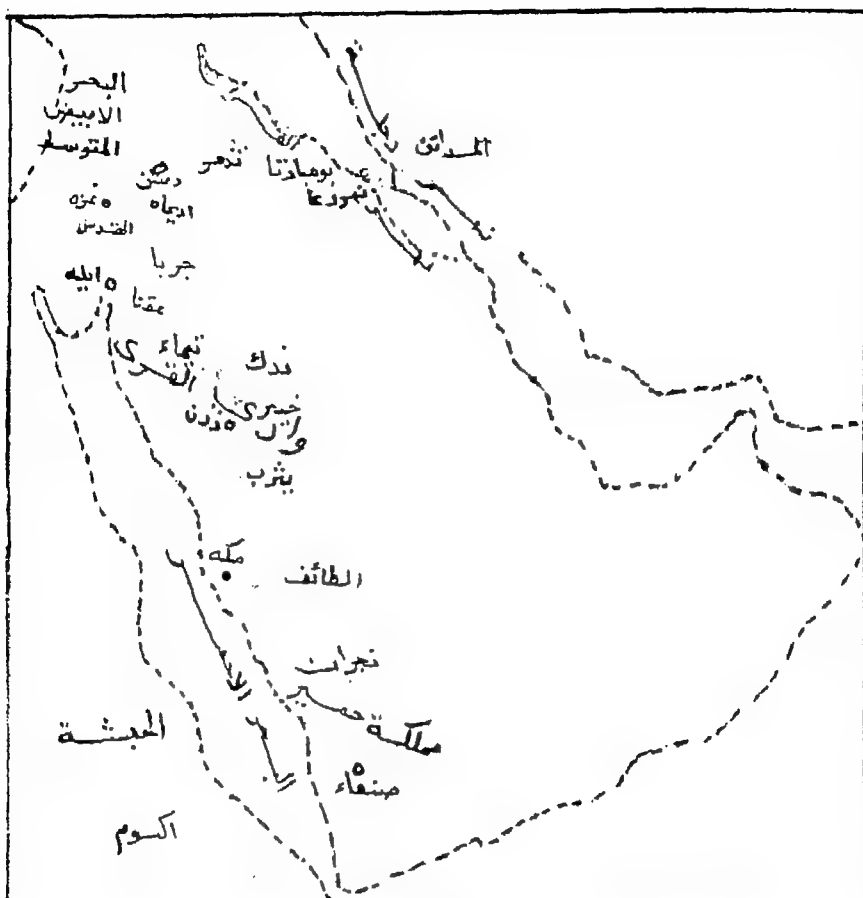
اليهود في مكة:

لم يشر أهل الأخبار إلى وجود يهود في مكة كما كان الحال في يثرب ويتساءل الباحث من عدم وجود جاليات يهودية في هذه المدينة التي كانت تعتبر قلب الجزيرة العربية النابض بالحركة التجارية. إن ابتعادهم عن مكة يجعلنا نشك في قدرتهم على مسيرة قريش في مجال التجارة فأثروا السكن في أماكن أخرى لم يشتهر أهلها بالبراعة التجارية. كما لا يستبعد أن يكونوا قد آثروا عدم الاحتكاك مع السكان المحليين.

وقد وردت بعض الروايات عند المؤرخين العرب تفيد بأن زعماء قريش لم يكونوا يسمحوا لغير بني مدينتهم بالتجار في مكة، وإذا حدث أن قدم غريب بتجارة إليهم كانوا يطلونه حقه^(٢). وربما لجأت قريش إلى هذا الأسلوب في تعاملها للحفاظ على زعامتها التجارية في بلاد العرب.

كانت علاقة قريش مع يهود شمال الجزيرة ويهود فلسطين من قبل عادية وحسنة بدليل أن التجار القرشيين كانوا يمرون بالمدينة وخيبر وفدك وتيباء في طريقهم إلى أيلة وفلسطين حيث كانت غزة على البحر الأبيض المتوسط من المرافئ الهامة التي كانوا يستخدمونها، ومن غزة يذهب بعض التجار إلى بصرى وإلى بيت المقدس^(٣). على أن هذا

(١) انظر مواطن اليهود في الخريطة رقم ٢ - ص ١٠٩
(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، طبعة البابي الحلبي، ط ٢ المجلد الأول ص ٣٨٩.
(٣) انظر صحيح البخاري، مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٧٦هـ - ١٠ ص ٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٠. أحمد أمين، فجر الإسلام ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م ص ١٥.



خارطة رقم - ٢ -

المواطن اليهودية في جزيرة العرب في عهد محمد
صلى الله عليه وسلم -

لا يمنع وجود جاليات اجنبية في مكة وبينها افراد من اليهود، ذلك لأن القرآن الكريم أشار في السور المكية بآيات متعددة تتحدث عن أهل الكتاب وعن أخبار سيدنا موسى وفرعون وأحداث بني اسرائيل مما يدل على أن رسالة سيدنا موسى كانت موضع جدل بين مشركي مكة من جهة وبين النبي من جهة أخرى. وهذا يدل على صلات وثيقة بين اليهود والمكيين. قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾^(١).

وجاء في سورة الشورى: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب. فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾^(٣).

وقد ذهب ولفنسون إلى القول إن الآيات التي أنزلت قبل الهجرة إلى يثرب كانت موافقة لمبادئ التوراة الجوهرية ويستدل من ذلك أن العرب كانوا ينظرون بإجلال وتعظيم إلى تعاليم التوراة ومبادئها، ويضرب مثلاً على ذلك ما جاء في سورة الأعلى ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾^(٤). ولكن إشارات القرآن إلى صحف سيدنا موسى قصد منها ذلك الكتاب المنزل على رسول الله موسى عليه السلام قبل أن تصيبه يد التحريف والتبديل، لأن القرآن أشار إشارات صريحة إلى هذا التحريف. ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾^(٥).

وسنرى خلال بحثنا أن العرب لم ينظروا بهذا الاجلال والتعظيم إلى اليهودية ومبادئها

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦ .

(٢) الأيتان : ١٤ ، ١٥ .

(٣) سورة النحل، الآية : ١٠٣ .

(٤) الأيتان : ١٨ ، ١٩ . انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٩٥ .

(٥) سورة النساء : آية ٤٦ .

كما يتصور ولفنسون، ودليلنا على ذلك ضعف تأثير اليهودية بين العرب وانعزال اليهود عن المجتمعات العربية سواء كان ذلك داخل آطامهم وحصونهم أو عيشهم في أحياء خاصة . ٣٣٠

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى القول بوجود جالية يهودية في مكة، وعارضهم ولفنسون بدعوى أن اليهود لو وجدوا في مكة قبل الإسلام لكان لهم حي خاص بهم، ولكن لهم معبد يقيمون فيه صلواتهم ويارسون فيه طقوسهم الدينية . (١).

وجاء في مغازي الواقدي، أن عبدا من اليهود كان يسكن مدينة مكة، وهو عبدالدار ابن جبر، دخل في ذمة الرسول بعد أن سمع منه سورة يوسف فكان لها وقع شديد في نفسه . ولما علم بأمره مشركو مكة، أهانوه واعتدوا عليه . ولما فتح الرسول مكة أنعم على عبد الدار هذا بمبلغ من المال وزوجه بامرأة شريفة من بنات مكة (٢).

وجاءت كتب السير والتراجم بأخبار تفيد صلة بعض اليهود بالمكيين ومحالفتهم لهم وإقامتهم بمكة للتجارة (٣) . ويستخلص الباحث من الروايات أن اليهود الموجودين في مكة لم يشكلوا جالية ذات بال، ولو كان الأمر غير ذلك لذكرهم القرآن المكي وجاء على مجادلاتهم وطقوسهم بمكة كما حدث في يثرب، ولوجدناهم آثارا في الأحداث التاريخية التي وقعت في بداية العهد الإسلامي . ومع وجود عدد كبير من الأجانب في مكة إلا أنهم لم يؤلفوا كيانا مكتملا ذا أثر ايجابي واسع في مكة، والظاهر أن معظم هؤلاء الأجانب إنما كانوا من العبيد والغلمان الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة، وأوضاعهم لم تكن لتساعد على تكوين كيان مكتمل ومستقل (٤).

وعلى ذلك كانت العلاقات بين المكيين واليهود سواء كانوا في مكة أو خارجها، علاقات تملئها المصالح المتبادلة وذلك أن اليهود اشتغلوا بالصناعات ومنها صناعة الحلي والزينة التي لم يمارسها المكيون .

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود، المرجع السابق ص ٩٤.
(٢) انظر الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسيدن جرنز القاهرة وكمبرج ص ٣٤٩.
(٣) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر ١٩٥٧، ص ١٤٤. انظر أيضا البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق د. محمد حميد الله، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ص ٧٢، ٧٣، انظر كذلك ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت والرباط ١٩٦٦ ط ١ ص ٢٦٧.
(٤) انظر محمد عزة دروزة، عصر النبي وبيته، بيروت ١٩٦٤ م، ص ١٠٣.

وكانت المكيات والمكيون يذهبون إلى خير والمدينة ليجلبوا منها هذه الحلي التي اشتهرت بها عائلة آل أبي الحقيق وغيرهم^(١). كما لم تكن مكة لتخلوا من اليهود الذين يقدمون اليها لأغراض تجارية أو صناعية بين وقت وآخر.

اليهود في يثرب:

تقع يثرب «المدينة» على طريق القوافل التجارية بين بلاد العربية الجنوبية وبلاد الشام. وهي واحة خصيبة جذبت اليها السكان منذ أزمنة سحيقة في القدم. فقد ورد ذكرها في الكتابات المعينية ويعتقد ان المعينيين استعمروها فيما استعمروا من مواقع في وادي القرى وشمال الجزيرة العربية^(٢).

وقد عثر في سنة ١٩٥٦م على كتابة في حران دونها الملك نبونيد البابلي، وكانت مدفونة في خرائب جامع حران الكبير. ومما جاء في هذه الكتابة اسماء بعض المدن في شمال الجزيرة العربية ومن بينها يثرب وتيماء وخيبر وغيرها^(٣).

ويعود تاريخ هذا النص الى سنة ٥٥١ - ٥٥٢ ق.م، وعلى ذلك يكون أقدم نص ذكرت فيه يثرب وهو أقدم من جغرافية بطليموس التي ذكرت فيها مدينة يثرب^(٤). وقد اختلف في سبب تسميتها «يثرب». فالأخباريون العرب يقولون انها سميت بهذا الاسم نسبة الى «يثرب بن قايين بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح» الذي كان أول من نزلها^(٥).

وقد ذكر السهمودي لهذه المدينة اربعة وتسعون اسما^(٦). ويعتقد ان معظم هذه الاسماء اكتسبتها المدينة في العهد الاسلامي.

وقد سميت يثرب بعد الهجرة باسم «المدينة» ولا زال هذا الاسم علما عليها حتى الان.

(١) الواقدي، المغازي ح ١ ص ٢٧٧.

(٢) انظر احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة، دار الفكر العربي، ط ٢ ص ٢٩٠.

(٣) انظر جواد علي، المفصل... ح ٢١ ص ٦١٤.

(٤) انظر المرجع السابق والصفحة.

(٥) انظر السهمودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ح ٢ ص ١٤٨. ابن خلدون، تاريخ ح ٢ ص ٨١.

(٦) السهمودي، وفاء الوفاء، دار التراث - بيروت، ح ١ ص ٨.

(٦) انظر وفاء الوفاء ح ١ ص ٢٧-٨.

ولا شك ان هذه المدينة قد توسعت عبر الزمن واصابتها عوامل الازدهار كما لا بد ان حلّ بها الدمار حسب مقتضيات نواميس الطبيعة .

ولذلك نجد بعض الباحثين يذهبون الى القول بان اسم يثرب كان يدل على حي بعينه من المدينة ثم استعمل للدلالة على المدينة كلها من باب اطلاق اسم الجزء على الكل^(١) .

وكانت ليثرب ضواحي منها «زهره» وهي من اعظم قرى المدينة وقد سكنها ثلاثمائة صانع من اليهود^(٢) .

وعند قدوم الرسول ﷺ كانت يثرب منقسمة الى عدة دوائر تبعا للبطون التي كانت تسكن كل دائرة من دوائرها .

ويستفاد من نص حران السابق الذكر ان صلحا قد تم بين الملك البابلي «نبونيد» وبين اعراب المناطق الشمالية من العربية بما في ذلك تيماء وفدك وخيبر وغيرها^(٣) .

ويستدل من هذا الصلح ان شمال الجزيرة العربية لم يشكل وحدة سياسية، بل كانت المدن شبه مستقلة عن بعضها البعض وأشبه ما يكون نظام الحكم فيها بالحكومات المدنية التي عرفت عند اليونان . ويؤيد هذا الرأي ما ورد في النص السابق عن نعت حاكم تيماء بالملك، وبالسهوة التي استطاع بها نبونيد من السيطرة على الاقسام الشمالية من الجزيرة العربية .

ويستفاد من النص الحراني ايضا ان نبونيد احضر معه جماعات من سكان بابل وأسكنهم في الاماكن التي اخضعها من الجزيرة العربية، وتمتد هذه الاماكن حتى يثرب جنوبا^(٤) .

واذا اضمنا الجاليات اليهودية الى سكان هذه النواحي ادركنا اختلاف اجناس السكان في مدن العربية الشمالية . وهذا يوافق ما نعرفه عن عزوف العربي آنذاك عن العمل في الزراعة والصناعة، ولذلك اصبحت هذه المراكز الخصيصة هدفا لاولئك الراغبين في الأعمال

(١) انظر احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ص ٢٩٢ .

(٢) انظر، ابن النجار «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» على هامش شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ص ٣٢٣ .

(٣) انظر جواد علي، المفصل ... ج ١ ص ٦١٥ .

(٤) انظر المرجع السابق والصفحة .

الزراعية نظرا لخصوبة التربة ووفرة المياه، كما قصدها التجار للمزايا التي تتمتع بها هذه المواقع على طريق القوافل التجارية بين اليمن وبلاد الشام.

وترجع بعض الروايات استيطان اليهود في منطقة يثرب الى عهد موسى عليه السلام الذي كان جيشه اول من أقام فيها^(١). غير انه لا يعول على هذه الرواية لان سيدنا موسى لم يدخل فلسطين ولم يملك مدنا ببلاد الشام، بل توفي قبل دخول فلسطين، كما ان بني اسرائيل في عهده كانوا مشغولين بدخول فلسطين ولم يكونوا من القوه بحيث يغزون منطقة يثرب. وهناك رواية اخرى يذكرها الاخباريون تفيد ان سيدنا موسى حج مع اناس من بني اسرائيل، فلما كان انصرفهم اتوا على المدينة، فأروا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراه بأنه خاتم النبيين، فارتأت طائفة منهم ان يتخلفوا بها، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع، ثم تألفت اليهم جماعة العرب فرجعوا على دينهم، فكانوا اول من سكن موضع المدينة^(٢) وفي رواية اخرى ان سكناهم كانت في تيماء وخيبر وفي مجتمع السيول من يثرب، كما أقام بعضهم في «زهره» واماكن متفرقة من يثرب^(٣).

وعلى أي حال فان جماعات من اليهود وجدت في اماكن متعددة من الحجاز في القرون الاولى الميلادية، وكان اكبر تجمع لهم في مدينة يثرب.

اليهود في تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر:

من المراكز التي استوطنتها اليهود في بلاد الحجاز تيماء، وتقع هذه البلدة الى الشمال من وادي القرى على طريق الشام، واشتهرت بالابلق الفرد حصن السمؤل بن عادياء اليهودي ولذلك كان يقال لها في بعض الأحيان تيماء اليهودي^(٤).

وتيماء مركز مهم ولها تاريخ عريق، ويدل على أهميتها ان الملك نبونيد اتخذها عاصمة له في منتصف القرن السادس قبل الميلاد كما المحنا من قبل.

(١) انظر ص ٩٨ من هذا الفصل.

(٢) انظر السهوتي، وفاء الوفاء، ح ١ ص ١٥٧.

(٣) انظر ابن النجار «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» - الملحق بكتاب شفاء الغرام - ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٤) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة بمصر، ط ١ ح ٢ ص ٤٤٢.

وقد ورد ذكر هذا البلد في نصوص الاشوريين، كما ذكرت في التوراة، وذكرها جاء كناية عن أحد أبناء اسماعيل، مما يدل على علاقة الاسماعيليين بهذه المدينة.

وتوجد في تيماء عين غزيرة المياه اعتبرها بعض المؤرخين أشهر عين ماء في جزيرة العرب^(١). وعلى مقربة من تيماء خربة ذات آثار عثر فيها على حجر مكتوب بلغة بني إرم يرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد جاء في هذه الكتابة، أن أحد الكهان استورد صنما جديدا الى تيماء، وبنى له معبدا، وعين له كهانا توارثوا خدمة «صلم هجم». (وصلم) بمعنى صنم. وقد مثل (صنم هجم) في زي اشوري، وظهر في اسفل الرسم رسم الكاهن الذي شيد ذلك النصب. وقد نشرت ترجمة الكتابة الآرامية. وقيل ان تاريخها يرجع الى أيام «نبونيد» فلعله صنع في ذلك الزمن بتأثير البابليين^(٢).

ونظرا لعلاقة «نبونيد» بتيماء ظن البعض ان المقصود هو تيماء أخرى غير تيماء الحجاز. وهي تلك المنزل الكبير النخل على طريق العراق، اي غير تيماء السموأل^(٣) وقد بدد شكوك العلماء نقش حران الذي أكد ان تيماء التي نزل بها نبونيد هي نفسها تيماء الحجاز.

واما فدك التي اشتهرت ايضا بين مساكن اليهود فتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من تيماء، ولم تشتهر فدك في التاريخ القديم شهرة تيماء، ومبعث هذا عدم اكتشاف شيء يدل على تاريخها القديم، وقد يكتشف بها في المستقبل ما يجعلها في مصاف تيماء من الناحية التاريخية.

وتقع في شمال وادي القرى وجنوب فدك خير التي اشتهرت كمركز هام من مراكز يهود الحجاز، كما اشتهرت بمياهها ونخيلها وجودة ثمرها، وكانت تمر منها القوافل التجارية المتجهة الى الشمال والجنوب عبر بلاد الحجاز. واستوطن اليهود في جهات الحجاز مواضع متعددة مثل وادي القرى والطائف ومقنا وجربا وغيرها^(٤).

(١) انظر سفر ارميا ٤٩: ٧، سفر عوبيديا: ٩، سفر عاموس ٢: ١، سفر حبقوق ٣: ٣.

انظر جواد علي، المفصل... ج ١ ص ٦١٢.

(٢) انظر جواد علي، المفصل... ج ١ ص ٦١٣.

(٣) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، طبعة لندن، ص ١٧٨.

(٤) اكتفينا بالتعريف بهذه المواطن اليهودية وسنعود للحديث عن علاقة سكانها اليهود مع العرب والمسلمين في الفصول القادمة.

البطون اليهودية في بلاد الحجاز :

دأب الباحثون على التساؤل، فيما اذا كان يهود الحجاز بشكل خاص ويهود الجزيرة بشكل عام من أصول يهودية، أو هم عرب تهودوا؟. فبينما يعتقد جمهرة المؤرخين ان بني قريظة وبني النضير - أشهر البطون اليهودية - هم من أصول يهودية أتت من فلسطين، يرى اليعقوبي ان بني النضير وبني قريظة فرعان من قبلية جذام العربية، تهودوا وسموا بالمكان الذي نزلوا فيه «فبنو النضير فخذ من جذام، إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به، وبنو قريظة فخذ من جذام إخوة النضير، ويقال ان تهودهم كان في أيام السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه^(١).

لقد أورد الاخباريون العرب اسماء قبائل يهودية متعددة سكنت يثرب والمناطق المجاورة لها، ومن هذه القبائل، بنو النضير الذين اقاموا بالعوالي في جنوب شرقي المدينة قريبا من وادي مذيئب واقام بنو قريظة الى الشمال من مواقع بني النضير على وادي مهزور. أما بنو قينقاع فأقاموا في بطحان مما يلي العاليه، وأصبح لهم سوق في هذا المكان عرف باسمهم. وانتشرت بقية البطون اليهودية في اماكن اخرى متعددة من المناطق الغنية في يثرب والمواقع القريبة منها، فسكن بنو بهدل وبنو عوف بجوار بني قريظة ونزل بنو القصيص وبنو ناغصة بقاء، وكان بنو مزيد وبنو معاوية وبنو ماسكة في شمال وادي مهزور، وبنو زعوراء في منطقة العوالي عند المكان المعروف بمشربة ام ابراهيم، وكان بنو عكرمة «عكوه» وبنو مراية على طرف حرة واقم من ناحية الشمال في يمانى وشمالى منازل بني حارثة الأوسيين. بينما كان بنو ثعلبة وجماعات غيرهم من اليهود بقرية زهره بناحية العريض، وكانت من اعظم قرى المدينة، وسكنت شمال المدينة بقرب أحد جماعات من اليهود^(٢).

وكانت تقيم بمقنا عند ظهور الاسلام قبيلة تدعى «بنو جنبه» وقد كتب اليهم الرسول

(١) تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف ١٩٦٤م ح ٢ ص ٤٥، ٤٠.

(٢) انظر السهمودي. وفاء الوفاء ١ ص ١٦١ - ١٦٥، جواد علي، المفصل ٦ ص ٥١٩. احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ١٦٥، ٥٩٦.

يدعوهم الى الاسلام او دفع الجزية^(١). وكتب الى قوم من يهود اسمهم «بنو غاديا»^(٢).
والى قوم آخرين اسمهم «بنو عريض»^(٣).

ويرى بعض المؤرخين الافرنج انه بالامكان معرفة الاصول اليهودية في الحجاز بالاستدلال اللغوي ، وذلك أنهم يرون ان بعض أسماء القبائل اليهودية لها اشتقاق عبري وكذلك بعض المواطن اليهودية^(٤). غير ان ولفنسون يعارض هذا الرأي ويقول أن أكثر الطوائف اليهودية اتخذت لها أسماء عربية حسب المواقع التي نزلت بها مع انها يهودية الاصل ويقول ان اليهود قبل القرن الخامس قبل الميلاد كانوا ينتسبون الى قبائلهم «أسباطهم» لانهم في طور البداوة، بينما تقدموا في الحضارة بعد ذلك وانمحت عصبيتهم واصبحوا ينسبون الى مدنهم، فيقال فلان الأورشليمي وفلان الحبروني^(٥). غير ان رأي ولفنسون هذا لا يصح بالنسبة ليهود الجزيرة العربية حيث كان أحدهم ينسب إلى عشيرته كما هو الحال عند العرب.

وينقل ولفنسون عن التلمود ان انساب اليهود ضاعت وسبب ضياعها ان هيرودس أحرق كتب الأنساب^(٦). وقد تكون بعض القبائل اليهودية التي استوطنت الحجاز من الجماعات اليهودية التي قدمت من فلسطين في عهد القائد الروماني «تيطس» أو «هديران» أو قبل أيامهما أو بعدهما. ولكن بعضا آخر من هذه القبائل لم يكن من أصل يهودي وإنما كانت قبائل عربية اعتنقت الديانة اليهودية، ولا سيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة، ول بعض هذه الاسماء صلة بالوثنية تشير الى انها كانت على الوثنية قبل دخولها في الدين اليهودي^(٧).

وقد استأثر اليهود بالموارد الاقتصادية في شمال الجزيرة العربية وأصبحوا سادة اقتصاد الحجاز في الوقت الذي كانت فيه أقليات عربية هنا وهناك بين المستوطنات

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى ج١ ص ٢٧٦.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى ج١ ص ٢٧٩.

(٣) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى ج١ ص ٢٧٩.

(٤) انظر ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٥.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) انظر المرجع السابق ص ١٦ ، انظر كذلك بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد الحليم النجار، طبعة

دار المعارف ج١ ص ١٢١.

(٧) انظر Margolouth, Relations...PP. 80-81.

اليهودية . والأرجح ان هذه المجموعات العربية القليلة الأهمية هي التي تهودت للحصول على مكاسب معاشية . وقد ذكر ان « بني جشنة بن عكارمه » ، وهم من بلي قتلوا نفرا من بني الربعة ، ثم لحقوا بتيماء « فأبى يهود ان يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة فكانوا معهم زمنا ثم خرج نفر الى المدينة ، فأظهر الله الاسلام وبقيّة من أولادهم بها »^(١) .

وليس من المستغرب ان تتهود بعض القبائل العربية الأصل نتيجة النشاط التبشيري بينما بقيت معظم البطون العربية على دين آبائهم القديم ولم تعتنق اليهودية على الرغم من انها عاشت زمنا طويلا مع اليهود اصحاب الثروة والنفوذ .

لم يذكر النسابون العرب احدى القبائل اليهودية ضمن الانساب العربية^(٢) . كما لم يذكر اليهود قبيلة عربية في النسب اليهودي . وكان اليهود يفخرون بربط انسابهم بأبناء يعقوب « الأسباط » . وكان بنو قينقاع يدعون انهم من نسل يوسف الصديق عليه السلام^(٣) . ويدعي بنو النضير وبنو قريظة أنهم « الكوهنان » من نسل هارون^(٤) .

وقد ذكر النسابون العرب اسماء القبائل العربية التي تهودت في اليمن وتلك التي تنصرت في الشام ، ذلك لأن العرب مشهورون بالحفاظ على انسابهم ، فكانوا يفخرون بها ويحفظونها عن ظهر قلب ، وليس هذا الأمر عجيبا فقد بلغ من اهتمام العرب بالانساب انهم كانوا يحفظون انساب خيولهم . وكان اليهود بأنفسهم ان يدعوا بغير اسمائهم وانسابهم ، وجاء في القرآن الكريم : ﴿ ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾^(٥) .

وربما كان لشعورهم « بأنهم شعب الله المختار » ونظرتهم العنصرية الى باقي البشر اثر في عدم انتسابهم الى السلالات العربية . ولم تكن القبيلة اليهودية مجتمعة في مكان واحد من مستوطناتهم في جميع الأحوال بل كانت القبيلة الواحدة تتوزع تبعا لرغباتها وحاجاتها .

(١) جواد علي ، المفصل ... ج ٦ ص ٥٢٥ .

(٢) انظر الاصفهاني ، الاغانى ، ج ٢ ص ١١٦ .

(٣) انظر السهمودي ، وفاء الوفاء ج ١ ص ١١٥ .

(٤) انظر ابن هشام ، السيرة ج ١ ص ٢٠٢ ، ج ١ ص ١٦ ، ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٧٥ .

ويستدل على وجود صلات قريبي بين جماعات يهود الحجاز، من ان التجار الذين حملوا سليمان الفارسي من بني كلب باعوه الى يهودي في وادي القرى ثم باعه اليهودي الى ابن عم له من بني قريظة يسكن المدينة^(١).

ومن بين القبائل اليهودية التي ذكرها الأخباريون قبيلة واحدة لاسمها مظهر عبراني وهي قبيلة «بني زقورا»^(٢)، ومن بين الأماكن التي استوطنها اليهود خيبر التي يظن البعض ان اسمها مأخوذ من العبرية^(٣).

وقد اورد بعض المؤرخين روايات تفيد ان عربا تهودوا، وقالوا ان اليهودية، وجدت لها سبيلا بين العرب، وقالوا ان بعض ملوك مملكة «حدياب» كانوا قد دخلوا فيها. ويذكر بعض هؤلاء المؤرخين ان اليهود كانوا ينظرون الى العرب الساكنين شرق الحد العربي على انهم من نسل اسماعيل وبذلك تربطهم بهم صلة قريبي يرجون ان تدفعهم الى اعتناق الديانة اليهودية دين ابراهيم جد اليهود والعرب على زعمهم^(٤).

وفي المرويات التلمودية ذكر لنفر من العرب قدموا الى احبار اليهود، وتهودوا امامهم. وهذا تأييد لأهل الأخبار الذين ذكروا تهويد حمير وبني كنانة، وبني الحارث بن كعب، وكنده وغسان. وذهب بعضهم الى القول بتهود اليمن بأسرها^(٥).

وقد ذكر اهل الاخبار ان «جبل بن جوال بن صفوان» الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد ابن ذبيان كان يهوديا فأسلم فهو عربي، يظهر انه أو أهله قبله قد تهودوا، فكان على دين يهود، وعاش مع بني قريظة حتى اعتنق الإسلام^(٦).

(١) انظر الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، المطبعة الازهرية ط٣، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م، ص ٢٢١.

(٢) انظر Margoliouth, Relations...P. 69.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان. ج٣ ص ٤٩٥. البكري، معجم ما استعجم ج٢ ص ٥٢١، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ص ٨٩/١، تاج العروس للزبيدي مادة «خبر».

(٤) انظر جواد علي، المفصل... ج ٦ ص ٥١٤.

(٥) انظر ابن قتيبة الدينوري، المعارف، دار إحياء التراث العربي - بيروت ص ٢٦٦ وابن رسته، الاعلاق النفيسة، طبعة ليدن ١٨٩١م ص ٢١٧.

(٦) انظر ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة بمصر والرقم ١٠٧١، ج ١ ص ٢٣٢ وما بعدها.

إنني لا أرى ضرورة لإطالة النقاش حول هذه المسألة، لأن من الواضح ان الهجرات اليهودية التي اتخذت شكل جماعات استمرت من فلسطين الى الجزيرة العربية بعد كل حدث سياسي يقع على فلسطين. وكانت الاحداث من حروب وفتن داخلية تتوالى على اليهود فيها فيضطرون الى النزوح عن فلسطين. وهذا لا يناقض ما كنا قلناه من قبل من عزوف بعض اليهود عن المغامرات وطلبهم الراحة والاستقرار دفعهم الى استيطان الجزيرة العربية بعيدا عن الاحداث المزعجة والحروب المستمرة في عهد سيدنا موسى وخلفائه. كما لا يمنع من القول ان هجرات فردية كانت تقع بين الحين والآخر حسب مقتضيات حرفية او اقتصادية او غيرها. وعلينا ان ندرك ان الهجرات التي من هذا النوع لم يكن يعنها شيء من امر اليهود واليهودية المتأخرة فقد خضعت لمفاهيم دينية وسياسية، ولكنها لم تتمسك بها بالشكل الذي يرضي اليهود خارج الجزيرة العربية، فقطع هؤلاء علاقاتهم معهم واتهموهم بالخروج على القوانين التلمودية^(١).

وبناء على ما تقدم نرى أن مواطن يهودية هامة كانت في شمال الجزيرة العربية قبيل الاسلام اهمها؛ يثرب وخيبر وفدك ووادي القرى وتيماء واماكن اخرى اقل اهمية.

اليهود في اليمن:

لقد وجد اليهود في البلاد العربية الجنوبية قبل الاسلام، والصعوبة التي تعترض الباحث تكمن في معرفة كيفية انتشار اليهودية في هذه الارحاء من الجزيرة العربية وتاريخ هذا الانتشار، ومعرفة فيما اذا كان هؤلاء اليهود يهودا مهاجرين حقا ام انهم عرب تهودوا؟.

ذكرنا ان المستوطنات اليهودية في شمال الجزيرة العربية انتشرت على الطريق التجاري الذي يربط الجزيرة العربية ببلاد الشام، وكانت القوافل التجارية من اليمن تمر في هذه المراكز اليهودية في ذهابها وإيابها. وكان اليهود يستغلون موقعهم هذا فيعرضون بضائعهم ويتعاملون مع التجار سواء كانوا من الجنوب او الشمال. ونتيجة لهذه العلاقات الطويلة والمتبادلة بين عرب الجنوب الوثنيين ويهود الشمال المتدينين لا بد انه حدث تبادل بالافكار ادى الى تسرب اليهودية الى العربية الجنوبية. ولا يستبعد ان تكون جاليات

(١) انظر إيلي ليفي أبو عسل، بقظة العالم اليهودي، مطبعة النظام ط القاهرة ١٩٣٤ ص ٢٩٩-٣٠٠.

يهودية قد استوطنت في اليمن في زمن سابق لأن مثل هذه الجاليات وجد في العربية الشرقية وفي ظفار في أقصى جنوب الجزيرة العربية.

إن تساؤلاتنا ستبقى قائمة حول تاريخ دخول اليهودية اليمن وكيف كان ذلك ما لم تكتشف وثائق جديدة تضع حداً لهذه التساؤلات، ولذلك لا بد من الاعتماد على الأخبار التي أوردها المؤرخون المسلمون، وبعض النقوش التي عثر عليها في اليمن، وخاصة تلك التي عثر عليها المستشرق النمساوي جلازر.

تقول الرواية العربية التي نقلها ابن هشام حول تاريخ وكيفية دخول اليهودية اليمن ما ملخصه، أن تبع أسعد أبا كرب ملك اليمن أودع أحد أولاده في يثرب في إحدى غزواته، وأن هذا الغلام قتل، فهاجم أبو كرب يثرب انتقاماً لولده وعزم على خراب المدينة لولا تحذير الأخبار اليهود الذين أنذروه سوء العاقبة إذا أقدم على ما عزم عليه، لأن هذه المدينة سيخرج منها نبي آخر الزمان، فأعجب الملك الحميري بكلام الأخبار وتبع دينهم واصطحبهم إلى اليمن. وكان هذا أصل اليهودية في بلاد اليمن^(١).

(١) نص الرواية كما أوردها ابن هشام.
«إن تبع أسعد أبا كرب الذي استولى على ملك اليمن غزا المشرق ومر في طريقه بالمدينة وفيها ترك له ولداً فقتل هذا الغلام غيلة فأثار هذا القتل تبع أبا كرب أسعد فقدم المدينة وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها. ولما علم سكان المدينة ما يراد بهم اجتمعوا إلى رئيسهم عمرو بن طلة أخو بني النجار وآخر من بني عمرو بن مبدول. وقد احتدم القتال بين الفريقين، وكان سكان المدينة يقاتلون تبعاً بالنهار ويقرّونه ليلاً. فأعجبه ذلك منهم وكان يقول: «والله إن قومنا لكرام». وفي أثناء القتال قدم إلى تبع حبران من أخبار اليهود من بني قريظة، وكانا عالمين واسعين في العلم سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: «أيها الملك لا تفعل فانك إن أبييت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: «ولم ذلك؟» فقالا: «هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره». أعجب تبع كلام الحبرين وانصرف عن المدينة ومعه الحبران وتوجه الجميع إلى مكة بعد أن مال تبع إلى دين اليهود، ولما كان تبع بين عسفان وامج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس من مضر وقالوا له: «أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دأثر اغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبد أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك كما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك وبغى عنده. ولما اجتمع أمره على ما قالوا، أرسل إلى الحبرين يسألهما عن هذا الأمر، فأخبراه أن الهذليين ما أرادوا إلا إهلاك تبع وقومه لأن هذا البيت بيت إبراهيم عليه السلام.

وبناء على نصيحة الحبرين عظم البيت وحلق رأسه وطاف حوله وكساه بالخصف (وهو ما ينسج من خوص النخل - القاموس) وبذلك يكون تبع هذا أول من كسا البيت، وكان يلي مكة في هذه الفترة قبيلة جرهم، ثم خرج متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه للدخول في دين اليهودية، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار، وكانت في اليمن: أر تحكم بينهم فيما يختلفون به على زعمهم - التي تأكل الظالم ولا تضر المظلوم - فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما

إن الرواية تشير الى انتشار اليهودية في اليمن على زمن الملك الحميري الذي تولى الحكم قبل ذي نواس .

ومن هذه الرواية نستطيع ان نلمح علاقة يهود الحجاز بانتشار اليهودية في جنوب الجزيرة ، ومنها ايضا نستطيع ان نستنتج ان تبارك اسعد ابا كرب هو اول ملك اتخذ اليهودية ديناً له ولدولته .

إن انتشار اليهودية في اليمن واعتناق الملوك لها حقيقة تؤكدتها الروايات القديمة والبحوث الحديثة ، وفي سورة البروج من القرآن الكريم إشارة ليهود بعض ملوك اليمن . والجدير بالذكر ان اليهودية في اليمن اعتمدت على السكان المحليين بعكس يهودية شمال الجزيرة العربية التي يغلب الظن على انها اعتمدت على اليهود المهاجرين من فلسطين . ذكر ابن الكلبي اسماء بعض القبائل العربية التي تخلت عن عبادة الاوثان في اليمن وانحازت لليهودية . ومن هذه القبائل ذكر بني همدان الذين هجروا وثنهم يعوق واعتنقوا اليهودية ، وكذلك الحميريين الذين هجروا صنمهم نسر وغيره واعتنقوا اليهودية^(١) .

وقد اكتسبت اليهودية في الجنوب ميزة على يهودية الشمال لاعتناق الحكام لها واعتمادها على العرب سكان البلاد الأصليين وهذا اكسبها قوة وامتيازاً .

وجاء في بعض النقوش المكتشفة في بلاد اليمن والمكتوبة بالمسند بعض العبارات جعلت بعض الباحثين يتخذونها دليلاً على حقيقة اليهودية في اليمن ، ووردت في هذا النص المكتشف كلمة «يسرائيل» و«رب يهوذا» . عثر على هذا النقش المستشرق جلازر ونشره المستشرق ونكلر وهذا هو نصه كما ورد باللغة اليمنية «تبرك سم رحمن ذ

== متقلديهما حتى قصدوا النار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار اليهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما لم تضرهما النار . فاجتمعت حمير عند ذلك على دينه . وهذه الحادثة حسب الرواية اصل اليهودية في اليمن .

السيرة النبوية ، حـ ١ ص ١٩ وما بعدها ، انظر كذلك المصادر التالية : اليعقوبي ، تاريخ ، حـ ١ ص ١٧١ وما بعدها ، الطبري ، تاريخ ، حـ ١ ص ٥٦٦ ، حـ ٢ ص ١٠٥ وما بعدها . التيجان في ملوك حمير - رواية وهب بن منبه ط ١٣٤٧ هـ ص ٢٩٤ وما بعدها ، الأصفهاني ، الأغاني ، حـ ١ ص ١٠٩ وما بعدها .

(١) الأصنام ، تحقيق احمد زكي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ص ١١٠ ، ١١١ .

يسمين (سمن) ويسرال والهمورب يهود. زهرد عبد همو. وشحرم وامهويم(?) وحشكهتو شمسسم واولد همو ذمم(?) وابشعر ومار وكل ابهه^(١).

ومعنى هذا النص «مبارك اسم الرحمن الذي في السماء وإسرائيل والهه رب يهود الذي ساعد عبده شحراً وامه بم(?) وزوجته شمساً وأولاده ذمم(?) وأبشعر ومثارا وكل اهل بيته»^(٢).

يشك مارجليوث بصحة هذا النص لأن جلازر عرض احتمال عدم نسخه بدقة عن الأصل^(٣). وينسبه «هالفي» إلى وثني أراد أن يجعله معقولا فأدخل فيه اسرائيل ويهود^(٤). استدل بعض الباحثين على تهود (شرحبيل يعفر بن ابي كرب) بنص دونه على سد مأرب وردت فيه جملة «بعل سمن وأرض» اي «رب السماء والأرض» وذلك لان هذه الجملة تشير الى عقيدة التوحيد الخالصة، وعقيدة التوحيد الخالصة تعني اليهودية^(٥). غير ان الضعف ظاهر في هذا النص الذي ذكرت فيه كلمة (بعل)، ذلك ان «بعل» يدل على الوثنية اكثر من دلالة على التوحيد، كما ان اسم الرحمن كان مرادفا لاسم الله في جنوب الجزيرة العربية، ذلك ان النصاري الحميريين كانوا يرددونه كقولهم «المسيح ابن الرحمن»^(٦).

وقد كشف في حفريات اجريت في بلدة «بيت شعاريم» في الجنوب الشرقي من حيفا، اكتشفت بواسطة «بنيامين مزار» الذي عثر على هذه النقوش في بعض المقابر التي يعود تاريخها الى حوالي ٢٠٠ م. وجاء في هذا النقش «منحم قولن حميرت» اي «مناحيم قيل حمير»، وقد وجدت معها كتابات اخرى تشير الى اسماء احبار معروفين قبرا في هذه المقبرة «مقبرة كبار الاحبار». لذلك فإن (مناحيم قيل حمير) هو يهودي قد جاء فلسطين

(١) جواد علي، المفصل... ح ٦ ص ٥٤١.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) Margollouth, Relations...P. 88.

(٤) Ibid, P. 88.

(٥) انظر ديتلف نيلسن، الديانة العربية القديمة «التاريخ العربي القديم» ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م ض ٢٣٣-٢٤٤، جواد علي المفصل... ح ٦ ص ٥٣٩.

(٦) انظر اغناطيوس يعقوب الثالث «الشهداء الحميريون في الوثائق السريانية»، بيروت. ص ٨٣.

للزيارة او للاتصال بعلماء اليهود الذين كانوا قد تجمعوا في «بيت شعاريم» فمرض ومات هناك ودفن في هذه المقبرة^(١)

وهناك بعض الاشارات الواردة في التلمود وفي رسائل بعض اليهود تفيد ان يهود اليمن كانوا على اتصال مع غيرهم من يهود العالم .

فقد ورد في التلمود ان رابي (حبر) يسمى «عاقبة» أو «عقيه» Rabbi-Aqlba حوالي سنة ١٣٠م انه زار ملكا عربيا كوشيا (مليخ عرابم) وكانت زوجته كوشية ايضا .

والمقصود بالكوش الأحباش ، غير ان بعضهم كان يقصد بها العربية الجنوبية كذلك - ولا يستبعد ان يكون مراد الحبر بذلك اليمن او منطقة اخرى من العربية الجنوبية كان الحبش قد استولوا عليها^(٢) - وقد تكون منطقة على ساحل الحبشة تخضع لملك عربي في تلك الفترة .

وهذه الرحلة للحبر اليهودي تدل على وجود يهود في اليمن في ذلك التاريخ واذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فمعنى ذلك ان اليهود استمروا في عيشهم في اليمن منذ حكم الأقبال الحميريين . وقبل هذا التاريخ وفي عهد الدولة الحميرية حاول إيلوس غالوس سنة ٢٤ ق.م غزو اليمن ، ويستفاد من رواية المؤرخ سترابو ان غالوس اصطحب معه في جيشه عددا من العرب واليهود .

ويحتمل ان قسماً من اليهود استوطن اليمن وفضل البقاء بها بعد ان تحمل المصاعب الشديدة في قطع الصحاري والمفاوز حتى وصل اليمن بعد ان هلك معظم جيش غالوس من وعورة الطريق وشدة الجوع والعطش^(٣) .

وهناك نص منسوب تدوينه الى (شرحبيل يعفر بن أبي كرب اسعد) وجد على سد مأرب وردت فيه جملة (بعل سمن وارض) اي (رب السماء والارض) اخذت حجة على

(١) S.D. Goltzen, Jews & Arabs, Newyork, 1964, P.47

(٢) انظر جواد علي، المفضل ... ج٦ ص ٥٣٨ . انظر كذلك اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون، ص ٥ .

(٣) انظر جواد علي، المفضل ... ج٢ ص ٥٢ . انظر كذلك نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ص ٩٩-١٠٠ .

تهوده. إن هذه العبارة تشير الى التوحيد الحاصل، والتوحيد الخالص هو عقيدة يهود^(١).

وأرى أن هذا النص فيه ضعف كسابقه ولنفس السبب، ومن الخطأ الظن أن لفظ الله والوهميم، وإل ورب السماء لم تكن معروفة قبل اليهودية، فقد استعملت الشعوب السامية هذه الألفاظ قبل ظهور اليهودية، وأما يهود اليمن الحاليون فيدعون أنهم من نسل أولئك اليهود الذين عاصروا نبوخذ نصر وهجروا فلسطين إلى اليمن واستقروا فيها^(٢).

وقد ذكر المؤرخ النصراني (فيلوستورجيوس) حوالي سنة ٤٢٥م أن أهل سبأ كانوا يتبعون في السبت سنة إبراهيم ثم ذكر بعد ذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر ومعبدات أخرى، وأن بعضهم كان يدين باليهودية وقاوم هؤلاء رسالة «ثيوفيليس» الذي أرسله القيصر قسطنطين (٣٤٩-٣٦١م) للتبشير بين الحميريين. ويقول المؤرخ (ثيودور - لكتور) وهو من رجال النصف الأول للقرن السادس الميلادي أن الحميريين كانوا في بادئ أمرهم علي دين يهود دخلوا فيه في أيام ملكة سبأ المعروفة بقصتها مع سليمان بدعوتها إياهم إلى هذا الدين، ولكنهم كما يقول هذا المؤرخ عادوا فارتدوا إلى الوثنية، ثم دخلوا بعدئذ في النصرانية في أيام قيصر (أنسطاس) Anastasius (٤٩١-٥١٨م) ولم يشر هذا المؤرخ إلى وجود اليهودية بين الحميريين. كما أنه لم يشر إلى تهود أحد من ملوك حمير^(٣).

ولم يكن يهود اليمن في معزل عن يهود البلاد الأخرى وخاصة فلسطين فقد كان أحبار طبريا يرسلون رجالهم إلى اليمن ومعهم الأموال والهدايا لليهود ولملوك ووجهاء اليمن لكسب تأييدهم وتوثيق الصلات بهم ولتحريضهم على نصارى اليمن والانتقام منهم. جاء هذا في رسالة مقتبسة عن راهب نصراني يدعى (شمعون) عن تعذيب نصارى نجران وجاء في هذه الرسالة.

«إن يهود طبرية يوفدون إلى بلاد حمير كهنة في كل عام وفي كل موسم، ويشيرون الفتن ضد المسيحيين الحميريين. فإذا كان الأساقفة مسيحيين حقا ويريدون بقاء المسيحية وليسوا شركاء لليهود، ليلتمسوا من الملك «القيصر» وعظمائه لإلقاء القبض

(١) Margollouth, Relations...P. 68.

(٢) انظر جواد علي، المفضل... ج ٦ ص ٥٣٨.

(٣) Margollouth, Relations...P. 83.

على رؤساء كهنة طبريا «اليهود» وغيرها من المدن، وطرحهم في السجن ولا نقول بأن يقابل الشر بالشر، بل ان يقدموا كفلاء بأنهم لن ينفذوا من بعد رسائل ولا رسلا الى ملك الحميريين الذي ارتكب كل الجرائم المذكورة اعلاه في حق المسيحيين الحميريين»^(١).

وجاء في اخبار الشهداء الحميريين: «أن أحبار من فلسطين» من طبريا كانوا قد جاءوا إلى إخوانهم في الدين يهود اليمن وسكنوا معهم»^(٢).

وقد استمرت صلات يهود اليمن بغيرهم بعد ذلك لأن حكماء اليهود اهتموا بيهود اليمن اهتماما زائدا على الرغم من اننا لم نلمس نبوغ شخصيات يهودية في اليمن. وربما كان منبع هذا الاهتمام هو موقع اليمن الهام وأمل اليهودية في ان تتمكن من إقامة مملكة لها هناك بدل ملكها الذي ضاع في فلسطين. وبقي يهود اليمن على اتصال بغيرهم حتى القرن الثاني عشر الميلادي^(٣) وما بعده. وإذا كانت الصلات بين يهود اليمن ويهود فلسطين مستمرة، فمن غير المعقول ان لا يكون هناك صلات اوثق بين يهود الحجاز ويهود اليمن، وذلك لقرب الحجاز من اليمن ولوقوعها على الطريق الى بلاد الشام.

وهناك من يعتقد ان تسلل اليهودية الى اليمن انما كان باعثة سياسيا اكثر منه ديني، وذلك رغبة من الدولة البيزنطية في السيطرة على مناطق الجزيرة الداخلية بعد ان تمت لها السيطرة على اطرافها المجاورة. وقد مهد البيزنطيون لهذه السيطرة بإرسال بعثات من الرهبان والقسس لدعوة السكان المحليين الى الديانة المسيحية، وكان هذا دافعا للملوك الحميريين لاعتناق اليهودية لمحاربة ديانة التوحيد النصرانية بديانة اخرى توحيدية. ويرى ولفنسون ان الملوك الحميريين قد اصابوا بهذا الأجراء لأنهم قضوا على الحجج التي تنذرع بها الدولة الرومانية للسيطرة عليهم، حيث انهم ابطلوا الوسيلة التي كانوا بها يتوسلون للتأثير في عقول افراد الشعب وجماعاته، ويضيف ولفنسون الى عوامل انتشار اليهودية في اليمن عاملين جديدين هما:

أولاً : ان الملوك الحميريين لم يخشوا على انفسهم من اعتناق اليهودية ان تتسلط عليهم دولة ذات سلطان كبير ونفوذ واسع ولم يكن لليهودية في ذلك العصر دولة سياسية في حين ان النصرانية كانت تعتمد على الدولة الرومانية الشرقية الطامعة في فتح بلادهم .

ثانياً : ان تعاليم اليهودية اقرب الى عقلية العرب من الديانة المسيحية التي كانت تستمد بعض تعاليمها يومئذ من الفلسفة اليونانية^(١) .
لقد وجدت اليهودية في اليمن قبل المسيحية وعندما دخلت النصرانية البلاد اصطدمت بالديانة اليهودية ، وخاضت معها نضالا مريرا كان من آثاره ضعف الوثنية وتفسخها من جهة ، وتدخل الأحباش من جهة اخرى . ويستفاد من بعض الأخبار السريانية ، أن ابطال الدعوة المسيحية في اليمن كانوا على المذهب الارثوذكسي ، فالقديس «ماراحسنويو» المدعو فيلوكسينوس اسقف منبج ، هو الذي رسم مار بولس ومار-توما أول وثاني اساقفة نجران . ومار فيلوكسينوس المنبجي هو أحد ابطال الارثوذكسية المغاوير ، الذي نفاه في سبيل عقيدته ، القيصر يوستينوس الاول الخليقدوني في خريف سنة ٥١٨م ، إلى عنفرا في بفلاغونية ، حيث قضى خنقا بالدخان سنة ٥٢٣م . وقد كان اهالي حمير جميعا على هذا المذهب الذي انتشر ايضا في حضر موت^(٢) .

وإذا اضفنا الى ما تقدم ان ذو نواس هو من ام يهودية من نصيبين ادركنا ان ذو نواس تربى على اليهودية ورضعها من لبان امه ولم يتهود هكذا فجأة ليسد الطريق على دعوى النصرانية .

مما تقدم ندرك ضعف الرأي القائل بأن تهود ملوك حمير إنما كان سياسيا لا دينيا . والافضل ان يقال ان الأحباش استغلوا التنافس الديني بين اليهودية والمسيحية لصالحهم . ويخطئء ولفنسون الحقيقة حينما يدّعي ان اليهودية اقرب الى العقل العربي من المسيحية ، ولذلك نجدها تتغلب على النفوس العربية ، وذلك ان العربي كان ينظر لهاتين الديانتين بنفس المنظار ، ولم يكن ينظر الى المعتقدات الدينية هذه نظرة

(١) و فسنون تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) — غناطيوس يعقوب الثالث ، الشهداء الحميريون في الوثائق السريانية ص ٩٢ .

الفيلسوف. وقد كان انتشار المسيحية أو اليهودية يعتمد على مدى ما لهذه أو تلك من سلطة. ورغم قدم اليهودية على المسيحية فلم تستطع تهويد جزيرة العرب وفشلت في ان تكون الديانة الأقوى بين العرب. وظلت الوثنية ديانة العرب الاولى حتى ظهور الإسلام. كما أن كثيرا من اليهود تخلوا عن ديانتهم واعتنقوا النصرانية. ولا يضعف هذا الرأي تهود بعض البطون العربية.

ولا يزال تهود الحميريين في اليمن موضع جدل عنيف بين المؤرخين فبينما يرى البعض ان دولة حمير اليهودية ظهرت في القرن الاول قبل الميلاد. يرى آخرون انه لو كان هذا صحيحا لذكرها المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي ارخ لهذه الفترة وما سبقها. فقد ذكر ظهور دولة آرامية متهودة على اطراف نهر الفرات البعيدة عن فلسطين وهي دولة حديب^(١). ويرى فريق ثالث ان ظهور اليهودية في اليمن لم يسبق القرن الثاني بعد الميلاد ويعززون رأيهم بالقول: «لوجدت هناك دولة يهودية في القرن الثاني بعد الميلاد لكان التلمود يملأ صحائف غير قليلة بذكر اخبارها وسرد الاساطير عنها، فسكوت التلمود عن هذه الظاهرة التاريخية يدل دلالة قاطعة على عدم وجودها في زمن تأليفه» - ختام التلمود في القرن الرابع بعد الميلاد -^(٢).

وقد خرج بارون Baron برأي ناقض فيه اقوال من سبقه من العلماء وقال ان دولة حمير لم تظهر الا في القرن الخامس بعد الميلاد، ويستدل بما ذكره الطبري في هذا المجال ويقول ان احيحة الذي قاتل تبان اسعد ابا كرب لأهالي يثرب إنما كانت حوالي نهاية القرن الخامس بعد الميلاد. ثم ما ذكره الطبري من انه كان لتبان اسعد بنون ثلاثة، حسن وعمرو وزرعه، ويعتقد ان هذا الأخير على حسب رواية ابن هشام هو نفسه ذو نواس آخر ملوك حمير^(٣).

(١) انظر ولفنسون، اليهود في بلاد العرب ص ٣٨.

(٢) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٣٨.

(٣) انظر الطبري، تاريخ... ج٢، ص ١١٩.

انظر كذلك: Salow- Baron, A social and religious history of the Jews, 2 Ed, vol 3, Newyork, 1957 PP.66-67.

ومهما كانت الآراء حول تاريخ ظهور اليهودية في اليمن ، فعلينا ان نفرق بين ظهور اليهودية كدين بين سكان اليمن وبين اعتناق الملوك لها واتخاذها دينا للدولة . ومن الطبيعي ان يكون تسرب الديانة اليهودية الى بلاد اليمن قد حدث اولا وفي ازمة سابقة قبل ان يعتنقها الملوك الحميريون .

وإذا اخذنا بالروايات العربية فيكون اقدم ملك حميري اعتنق اليهودية هو تبان أسعد أبو كرب ، وتملك بعده ابنه عمرو بن تبان اسعد ثم اغتصب الملك لخنيعة ينوف ذو شناتر ، ثم عاد الملك الى نفس العائلة المالكة السابقة ، وتملك ذو النواس «زرعه» الذي انتهى ملكه سنة ٥٢٥م^(١) . وبناء على ذلك لم تصبح اليهودية دين الدولة في اليمن قبل القرن الخامس الميلادي على ابعد تقدير^(٢) .

وقد اثبت العالم «جلالزر» وجود اليهود في اليمن وحضرموت منذ عصور كثيرة قبل الاسلام ، ويعتقد بأن هؤلاء المهاجرين الأول هم الذين هياؤا النفوس في جنوب العربية لقبول ديانة اليهود . وربما لهم الفضل ايضا في جذب بعض البطون العربية نحو الديانة المسيحية «التوحيدية» التي غزت بلاد اليمن بعد اليهودية . وقد كانت هناك قبائل عربية متهودة من كنانة وبني الحارث من كعب وبني كندة^(٣) . غير ان هذه القبائل لم تكن جميعها يهودية ، فقد ذكرت بعض الموارد النصرانية ان بني الحارث بن كعب اعتنقوا المسيحية كما اعتنقتها قبيلة عربية اخرى هي قبيلة جو^(٤) .

لم يكن حكم الأسرة اليهودية في اليمن مستتباً ، فقد تعرضت هذه الأسرة لأخطار داخلية واخرى خارجية . وقد استدل بعض الباحثين من قصة اغتصاب عمرو بن تبان اسعد الملك من اخيه حسان بن تبان ، على وجود خلافات دينية علاوة على الخلافات السياسية . وتقول القصة التي نقلتها لنا الروايات العربية ان حسان تبان اسعد ابا كرب

(١) انظر الطبري ، تاريخ . . . ج ٢ ، ص ١١٦ .
(٢) ذهب البعض إلى أن اليهودية كانت ديانة اليمن الرسمية منذ عهد بلقيس ملكة سبأ ، وقد أوضحنا علاقة سليمان ببلقيس في الفصل الثاني من هذا البحث .
(٣) انظر ولفنسون ، تاريخ اليهود . ص ٤٠ .
(٤) انظر أغناطيوس يعقوب الثالث ، الشهداء الحميريون . ص ٣٤ .

سار بأهل اليمن يريد ان يفتح بهم ارض العرب والعجم ، كما كانت التبابعة قبله تفعل حتى اذا كان ببعض ارض العراق . كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه ، وارادوا العودة الى ديارهم واهلهم فكلّموا اخا له كان معهم اسمه عمرو . فقالوا له : « اقتل اخاك حسان نملكك علينا مكانه ، وترجع بنا الى بلادنا » ، فتابعهم على ذلك ، فأجمع عمرو ومن معه من حمير وقبائل اليمن على قتل حسان ، الا ما كان من ذي رعين الحميري ، فقد نهاه عن ذلك ، واوضح له سوء عواقب فعلته ، فلم يقبل منه عمرو فقال ذو رعين .

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت فمعدرة الإله الذي رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها وأتى بها عمراً ، وقال له : « ضع لي عندك هذا الكتاب فان لي فيه بغية وحاجة ففعل » . فلما علم حسان ما اجمع عليه اخوه عمرو وحمير وقبائل اليمن من قتله قال لعمرو :

يا عمرو لا تعجل علي منيتي فالملك تأخذه بغير حشود

فأبى إلا قتله فقتله ثم رجع بمن معه من جموع الى اليمن ، فلما نزل عمرو بن تبان اسعد اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر ، فلما اجهد ذلك الاطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به . فقال له قائل منهم إنه والله ما قتل رجل قط اخاه بغيا على مثل ما قتلت اخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر . فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من كان أمره بقتل اخيه حسان من اشراف حمير وقبائل اليمن . حتى خلص الى ذي رعين ، فلما اراد قتله قال : إن لي عندك براءة مما تريد ان تصنع بي ، قال له ، وما براءتك عندي ؟ قال : اخرج الكتاب الذي كنت استودعتك ووضعتك عندك ، فأخرج له الكتاب فإذا فيه ذاك البيتان من الشعر فتركه وهلك عمرو . . . فمرج بعد ذلك أمر حمير وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم يقال له لخنيعة ينوف دوشناتر^(١) ، فملكهم وقتل خيارهم وعبث ببيوت اهل المملكة منهم ، وكان لخنيعة ينوف دوشناتر امرا فاسقا

(١) شناتر: الأصابع بلغة حمير، ابن هشام، السيرة، م ١ ص ٣٠، حا: ١.

يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط مع الذين بلغوا سن الحلم من ابناء الملوك حتى لا يملكو بعد ذلك. ولما استدعى ذو نواس ليفعل به ما كان يفعله مع ابناء الملوك احتال عليه ذو نواس وقتله واحتز رأسه، فملكته حمير عليها جزاء إراحتهم من الخبيث لخنيسة^(١).

ويؤخذ من الرواية السابقة ان البيت المالك الحميري لم يسلم من حوادث التحاسد والتنافس ومؤامرات القصور، وهذه الحوادث مألوفة ولا علاقة للدين بها كما اننا لا نعرف مدى تأثيرها على الحالة الدينية في البلاد. وما يلفت النظر في الرواية ايضا، هو وثوب لخنيسة وسيطرته على الملك وهو من غير ابناء البيت المالك. فهل كان لخنيسة يقود شعبا اضطهده ملوك حمير من بيت تبان اسعد ابا كرب، ولم يبق امامه سوى الثورة؟ أم أن لخنيسة هذا كان نصرانيا او وثنيا انتصر لدينه؟ ام ان لخنيسة كان صنيسة للأحباش اغتصب الملك بمساعدتهم؟.

وفي إجابتنا على هذه التساؤلات علينا ان نعرف ان الشعب اليمني كان موزعا في معتقده بين الوثنية واليهودية والنصرانية. وكان التنافس شديدا بين طوائف الشعب المختلفة وخاصة بين اليهود والنصرانية. غير اننا لا نملك دليلا قاطعا على اضطهاد البيت المالك لأحدى هذه الطوائف قبل حكم ذي نواس. وإذا أضفنا لهذا ان اليمن كانت تتمتع بموقع هام على الطريق التجاري اكسبها اهمية اقتصادية، ادركنا ان ثورة لخنيسة ربما كانت ثورة شعبية لرفع الاضطهاد الاقتصادي او السياسي او الاجتماعي، ولكن لا نملك الدليل لذلك. اما القول بأن لخنيسة انتصر لدينه من حكم يهودي، فهو قول لا نملك له دليلا ايضا. غير ان الروايات النصرانية تفيد انه في حدود سنة ٣٥٤م بعث القيصر قسطنطيوس الأريوسي الى البلاط الحميري، وفدا برئاسة تاوفيلس السيلاني الهندي فنصر الملك، وبنى ثلاث بيع، كما اكد المؤرخ فيلوسترجيوس. وقد شهد مؤرخوا العرب بتنصر بعض ملوك اليمن، منهم عبد كلال بن مثوب الذي ولي الملك بسن وتجربة

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ح ١ ص ٢٨ وما بعدها.
انظر كذلك ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي، أسماء المقتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام وأسماء من قتل من الشعراء، ومن غلبت كنيته على اسمه، مخطوط مصور في معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية رقم ٣٥ ص ٤، ٥. انظر ايضا الطبري، تاريخ، ح ٢ ص ١١٥ وما بعدها.

وسياسة حسنة، وذلك بتأييد الغساسنة^(١). غير ان حكمهم لم يستمر بل استطاع ابناء تبار اسعد ملكي كرب من إعادته إليهم^(٢). اما لخنيعة فلم يكن مسيحيا بدليل عدم ذكر المراجع النصرانية له، كما انه لم يكن يهوديا بدليل إشاعة الروايات السيئة عنه من قبل اليهود على نحو ما جاء في الرواية السابقة عن افعاله المنكرة مع ابناء الملوك.

والذي اراه ان لخنيعة هذا كان وثنيا ثار بتأييد من الخارج، ويرجح هذا الرأي ما جاء في بعض المراجع اليونانية، من ان ثورة وثنية ثارت ضد ذي نواس^(٣). وعلى ذلك فأنا استبعد ما نسب الى لخنيعة من سوء الخلق واعتقد ان مبعث هذه الروايات انما هو الخصومة السياسية.

ملك بعد لخنيعة ذو نواس «زرعة في المصادر العربية» و«مسروق في المصادر النصرانية» واخبار هذا الملك مبثوثة في المصادر اليونانية والنصرانية والإسلامية.

ويرى مارجليوث ان ذو نواس، هو الملك اليهودي الأوحدي^(٤)، ويرى آخرون ان ذو نواس ارتقى العرش ما بين ٥٢٠-٥٣٠ م^(٥)، بينما ذهب آخرون ايضا الى ان حكمه امتد من سنة ٤٩٠-٥٢٥ م. ويؤكد بارون انه حكم بعد عام ٥١٦ م، ويقول بأنه تسمى ايضا مرثد عيلان - إحسان، وانه من ابناء معد كرب يعفر او أنه قريبه، كما جاء في إحدى النقوش المكتشفة والتي يعود تاريخها الى سنة ٥١٦ م. ومما جاء في هذا النقش «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وعرب تود وتهامات»^(٦).

وقد ذكرنا انه من ام يهودية من نصبيين وعلى ذلك فقد تشرب اليهودية وهو مازال يافعا. وإذا كانت امه يهودية فقد يكون ابوه يهوديا او ميالا لليهودية بتأثير زوجته، إن لم يكن قد تهود من قبل. وعليه فلم يكن ذو نواس صاحب الفضل الاول والاخير في تهويد بلاده. وسبقني حديثنا معتمدا على الروايات والاساطير ما لم يعثر على وثائق تكشف النقاب عن آثار الدولة اليهودية في اليمن. إذ حتى الآن لم يعثر علماء البحث والتنقيب

(١) انظر الطبري، تاريخ ... ح ٢ ص ٨٩.

(٢) انظر الطبري، تاريخ ... ح ٢ ص ٨٩ وكذلك أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون ... ص ٦.

(٣) انظر ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٤٤.

(٤) Relations ... P.65.

(٥) انظر ولفنستون، المرجع السابق ص ٤٤.

(٦) Baron, A social history... PP - 66-67

على أي شيء من هذا القبيل . ويعزو بعض المؤرخين هذا إلى أحد أمرين : أولهما أن هذه الدولة لم تجد الوقت الكافي الذي يساعدها على إبراز نواحي العظمة في عمراتها أو ما يدل الأجيال اللاحقة على ما كان لها من قوة وبأس وسلطان، وثانيهما أن دولة الاحباش قضت على كل آثار الحميريين حتى لا تدع لهم شيئا يتفاخرون به وذلك نتيجة للعداء الديني والحروب المتواصلة بينهم^(١) . وقد بلغت العداوة أشدها بين اليهودية والنصرانية في حادثة نجران المشهورة في التاريخ باسم «مذبحة نجران» .

بين النصرانية واليهودية في اليمن :

لقد روى بعض القسس والرهبان أن الخصمي الذي عمّده الشماس فيليس المبرش بالذات (اعمال الرسل ٨ : ٢٧) كان وزيرا لقنذافه ملكة سبأ لا الحبشة، أي كان حميريا وليس حبشيا، ويقول بعض المؤرخين أن «برتولمائي» الرسول كان أول من دعا إلى النصرانية فيها وفي الحجاز وقد نصّر خلقا من سكانها وخاصة من اليهود الذين ترك لهم نسخة من إنجيل متى باللغة السريانية الفلسطينية التي عرفت بالعبرية، فوجدها لديهم الفيلسوف الإسكندري القس بتينوس استاذ المدرسة الاسكندرية اللاهوتية الذي توغل في تلك البلاد في اواخر القرن الثاني مبشرا بالإنجيل^(٢) .

وفي القرن الثالث ضمت نجران واليمامة إلى أبرشية «اسقفية» انشئت في قطر^(٣) ثم انشئت بعد ذلك في قطر اديرة اكتظت بالرهبان من طائفة السريان . وفي حدود عام ٣٥٤م تنصّر الملك الحميري كما ذكرنا سابقا، وفي اوائل القرن الخامس عرف في نجران تاجر وثني اسمه «حيان» تنصّر على ايدي نصارى الحيرة وعاد إلى نجران يدعو قومه إلى النصرانية فتبعه خلق كثير من بني قومه ومن أهالي نجران وجميع البلاد الحميرية الأخرى المتاخمة للحبشة ايضا^(٤) . وحيان هذا هو الذي تدعوه المصادر العربية فيميون . واليه يعود الفضل في نشر النصرانية في بلاد اليمن عامة ونجران خاصة^(٥) .

(١) انظر ولفستون، تاريخ اليهود ... ص ٤٤ .

(٢) انظر اوسابيوس القيسري، التاريخ الكنسي ج ٥ ص ١٠ .

(٣) البطريرك إفرام الأول، الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة، المجلد الأول ص ٣٩٠ .

(٤) انظر أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون ... ص ٧ .

(٥) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ج ١ ص ٣٢ .

وقد انتشرت الكنائس في البلاد الحميرية ولا سيما في نجران وظفار ومأرب والهجران «هجر» وحضرموت وأصبحت نجران كرسيا أسقفيا في العقد الثاني من القرن السادس^(١) وهكذا انتشرت المسيحية في بلاد الحميرية وما جاورها من البلاد في جنوب الجزيرة العربية واعتنقها الكثير من أهالي البلاد ممن يدينون بالوثنية والشرك أو يدينون باليهودية^(٢).

وبدخول المسيحية بلاد اليمن وقفت ديارتان توحيدتان وجهاً لوجه في صراع مرير جلب على اليمن وسكانها الولايات والنكبات وسلط عليها حكم الاجانب حيناً من الدهر.
مذبحة نجران وآثارها:

كان أهل نجران يعبدون الأوثان وكان في قرية من قرى نجران ساحر يعلم غلمان القرية السحر، فلما نزلها فيميون «حيان» ابنتى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر. فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث إليه التامر ابنه عبدالله مع غلمان أهل القرية، فمال هذا إلى صاحب الخيمة وأعجبه صلاته وصيامه وعبادته فجعل يجلس إليه ويستمع منه حتى أسلم ووحد الله وعبدته. وكان التامر أبو عبدالله لا يظن إلا ان ابنه يختلف إلى الساحر، ولما بلغ عبدالله درجة رفيعة من العلم أخذ يدعو إلى النصرانية في نجران. وكان يدعو الواحد الى النصرانية ويدعو الله له فيعافيه من البلاء إذا كان مريضاً. وهكذا ذاع صيت هذا الرجل وانتشرت النصرانية في نجران. ولما علم به ملك نجران أراد الانتقام منه، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع على الأرض ليس به شيء، ويرميه في البحر فلا يغرق، فلما غلبه قال له عبدالله: «إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي فقتلتني». قال: فوحد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبدالله بن التامر، ثم ضربه بعضاً في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن التامر، فمن هناك كان اصل النصرانية بنجران^(٣).

(١) انظر اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون . . . ص ٨.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة ح ١ ص ٣٤.

يؤخذ من هذه الرواية أن النصرانية انتشرت في بلاد اليمن انتشارا سريعا مما جعلها خطرا على اليهودية فسارع ذو نواس للقضاء على المسيحية وسير جيشا إلى نجران ودعا أهلها إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فاختراروا القتل، فخذ لهم الأخدود وحرق منهم من حرق وقتل منهم من قتل ومثل بمن مثل. وتبالغ الرواية العربية فتجعل عدد الذين قتلوا في هذه المذبحة قرابة عشرين ألفا^(١). وقد تكون هناك علاقة لهذه الحادثة بأصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله في سورة البروج على رأي بعض المفسرين^(٢) وجاء في هذه السورة قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾^(٣).

أسباب المذبحة:

تناول المؤرخون بالبحث والتحليل الدوافع التي حدثت بذي نواس أن يرتكب هذه المجزرة بحق المسيحيين وحتى الآن لم يجمع المؤرخون على سبب بعينه لهذه الحادثة. وقبل ان نناقش آراء المؤرخين بهذه الحادثة أرى أن ألفت النظر إلى المبالغة الكبيرة في أعداد ضحايا هذه المذبحة، فمن غير المعقول أن يبلغ عدد القتلى في نجران العشرين ألفا كما يقول ابن هشام لأن سكان القرية بكاملها لا يصلون إلى هذا العدد ولا حتى نصفه أو ربعه. ويعزز هذا الرأي ما جاء في ترنيمة ليوحنا بسالتي^(٤) يعتقد أنها معاصرة للأحداث وهي مترجمة من اليونانية إلى السريانية، أن عدد القتلى يربو على المئتين وهذا قريب من المعقول.

ويؤخذ من المصادر اليونانية أن أسباب المذبحة التي ارتكبتها ذو نواس إنما هي انتقام لليهود الذين تضطهدهم الدولة الرومانية في ديارها^(٥).

(١) انظر ابن هشام، السيرة ح ١ ص ٣٥.

(٢) هناك خلاف بين المفسرين حول هذه القضية. انظر تفسير الرازي ح ٣١ تفسير سورة البروج. انظر كذلك تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ط ٥ مطابع الشعب ص ٤٦. انظر ايضا، احمد امين، فجر الإسلام، ص ٢٦.

(٣) سورة البروج، الآيات ٨-٤.

(٤) انظر عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي القاهرة ص ٥١.

(٥) انظر Graetz H. History of the Jews, Philadelphia, Vol, 2, P. 88.

ويروي المؤرخ اليوناني يوحنا من مدينة افزوس خبراً آخر لم تذكره المراجع العربية وهو ان دومينوس «ذو نواس الحميري» قبض على تجار من نصارى الروم وقتلهم واستمر يعامل تجار الروم، بالقسوة والعنف ويضطهدهم اضطهاداً شديداً كلما مر احدهم في بلاده، مما جعل الاسواق الحبشية تصاب بالكساد والركود فضعفت فيها الحركة وقل منها الصادر وإليها الوارد، فكانت تصدر الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية ومما يرد اليها من حاصلات البلاد الاخرى المجاورة، وكانت الثغور اليمنية هي الوساطة التي تربط أسواق الحبشة بأسواق الهند والأصقاع الشرقية، فكانت أسواقها كذلك شديدة الحركة كثيرة المصروفات وملتقى تجار كل هذه الجهات.

لم يكن من الممكن ان يرضى اليمنيون بهذه الحالة وهم يرون ان حركتهم التجارية وعماد اقتصادهم تتوقف. لذلك تقدم «إيدوح» قيل من أقيال اليمن الوثنيين الى ذي نواس وقال له: «إن أعمالك القاسية ستؤدي إلى نقل الحركة التجارية من ثغورنا الى ثغور أعدائنا، فأجابه ذو نواس بقوله: إن إخواني اليهود في بلاد الروم يدقون ألواناً شتى من الأهوال والتعذيب، فأنا أريد ان أكف أيدي الروم عن اقتراف الاثم بالأبرار، بمعاملتي لتجارهم هذه المعاملة السيئة»^(١).

وتقول نفس الرواية اليونانية ان إيدوح لم يرضه جواب ذو نواس ولم يوافق على سياسته فاتفق مع باقي اقيال اليمن الوثنيين وقاتل بهم «ذو نواس» حتى تغلب عليه وقتله ثم اعتنق إيدوح النصرانية^(٢).

ويلاحظ ان هذه الرواية تخالف رواية المراجع العربية المألوفة والتي تقول بأن جيوش الحبشة هي التي أطاحت بدولة ذو نواس اليهودية. ولم ينكر أغلب المؤرخين غزو الاحباش لليمن وهم الذين غزوا مكة بعد اليمن وأنزل الله بحقهم سورة الفيل ﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

ولدينا رواية لقائد روماني كان يحارب في العراق ضد الفرس أثناء وقوع حوادث

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) انظر Graetz H. History of the Jews, Philadelphia, Vol. 3 PP. 408-409.

ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٤٧.

اليمن هذه، وهو يرويها بأسلوب لا يتعارض مع رواية ابن هشام، واسم هذا القائد «بروكوب Brokop» .

يقول بروكوب: «وقد استعد ملك الحبشة هيلستايوس Hillistaius الذي كان يغالي في دينه لمحاربة ذو نواس لأنه كان يأخذ الأموال من تجار النصارى بغيا. ثم جاء بجيش عظيم إلى باب المنذب وشن الغارة على سواحل بلاد حمير فسار ذو نواس إليه ولكن انهزم هزيمة منكرة وهلك»^(١).

والذي يراه الباحث انه لا يمكن فصل عامل التجارة من مجموع العوامل التي أدت إلى فساد العلاقات بين الحميرين والأحباش، كما أنها لم تكن العامل الوحيد في وقوع الحرب بين الطرفين.

وقد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن مذبحة نجران كانت نتيجة للشعور الوطني عند ذو نواس، ذلك أنه رأى في النصرانية خطرا يهدد بلاده بالوقوع تحت حكم دول أجنبية. فصمم على أن يمحى النصارى حتى لا يترك مبررا للأحباش أو الرومان للتدخل في بلاده. والواقع ان هناك أكثر من سبب لحادثة نجران، فالمتتبع للعلاقات بين الحبشة واليمن يجد انها ساءت منذ القرن الثالث الميلادي، أي من تاريخ دخول النصرانية بلاد اليمن، ولم تكن حملة الأحباش بين سنتي ٥٢٣ - ٥٢٤ م هي أولى الحملات. فقد سبق ان قامت الحبشة بغزو اليمن مرات ومرات منذ القرن الرابع الميلادي^(٢).

وعندما لا يكون هناك غزو عسكري حشي لليمن يكون هناك غزو تبشيري. فقد كان بين الذين قتلهم ذو نواس عدد كبير من الرهبان والقسس الأحباش^(٣).

واذا تجاوزنا تفاصيل حادثة نجران، يمكننا القول بأن ذو نواس وجد المسيحية في بلاده عدوا يهدد استقلالها. فقد كان هؤلاء يقومون بنشاط لصالح دولة الأحباش سواء في السلم أو الحرب. وكان الأحباش يتدخلون في شؤون اليمن بحجة رفع الظلم عن هؤلاء النصارى ولذلك كانت حملة الأحباش على اليمن سنة ٥١٠ م. ويؤخذ من الوثائق

(١) Graetz H. History of the Jews, Philadelphia, Vol, 3 P. 409.

(٢) انظر موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص ٣٣٤ وما بعدها. انظر كذلك اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون، ص ٩٢.

(٣) انظر اغناطيوس المرجع السابق، ص ٥٩، ٦٣.

السريانية ان شخصا يدعى «مارتوما» ذهب الى الحبشة يستنجد ملكها على اليهود لأنهم يضطهدون النصارى في بلاد حمير. كما تخبرنا نفس الوثائق ان هذا كان كافيا للقيام بهذه الحملة^(١).

ويغلب على الظن ان الحروب الأهلية وحملات الأحباش استمرت ما بين عام ٥١٩ م وعام ٥٢٤، بدليل وجود معارك سابقة بين النصارى واليهود الحميريين^(٢). وذهب بعض الباحثين الى القول بأن حملات الحبشة على اليمن تعود الى القرن الأول قبل الميلاد مستندين في اتجاههم هذا إلى بعض النقوش السبئية التي عثر عليها في بلاد اليمن^(٣).

وهناك قضية اخرى ثار حولها الجدل، وهي اختلافهم في الدولة التي استنجد بها المسيحيون بعد مذبحه نجران، اهي دولة الروم الشرقيين ام دولة الاحباش؟.

ويؤخذ من المصادر العربية ان شخصا يدعى «دوس ذو ثعلبان» أفلت من القتل يوم نجران، وقدم الى قيصر الروم واستنصره على ذو نواس وجنده، فكتب قيصر بذلك الى ملك الحبشة طالبا اليه نصرة نصارى اليمن. وهكذا ارسل ملك الحبشة حملته المشهورة في التاريخ بقيادة أرياط الحبشي، وتمكن أبرهه خليفة أرياط من إخضاع اليمن والقضاء على ذو نواس آخر الملوك الحميريين المتهودين^(٤). غير أن المصادر المسيحية الأرثوذكسية لا ترى هذا الرأي، وتستبعد الاستنجد بقيصر الروم الذي اضطهدهم من قبل لاختلافهم في المذهب. وتقول ان الاستنصار كان بملك الحبشة الارثوذكسي كالب. وتدل الوثائق السريانية الثلاث المتعلقة بشهداء نجران ان القيصر الروماني يوستينوس لا علاقة له باحداث الحميريين سواء كان ذلك قبل اضطهاد ذو نواس ام بعده. وتقول هذه الوثائق ان شمعون الأرمني كتب الى شمعون رئيس دير الجبول في سوريا الشمالية ليتصل بالأساقفة القديسين الهاريين من المسيح الى مصر وبواسطتهم برئيس اساقفة

(١) انظر المرجع السابق ص ٩٠.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، ص ٢٢.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٣٧، الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ١٢٤ «يعتقد بعض الباحثين ان ارياط قام بثورة للانفصال عن الحبشة فقتله أبرهه الذي أعلن تبعية لملك الحبشة مقابل تنصيبه ملكا على اليمن، انظر عبدالمجيد عابدين، المرجع السابق ص ٥٩.

الاسكندرية ليكتب بدوره الى ملك الحبشة وأساقفتها لينجدوا الحميرين فوراً^(١). وقدم هذا طلبا بذلك الى كالب ملك الحبشة والى ابروبيوس أسقف الأحباش، وكان هذا المعروف مقدما باسم كنيسة بلاد حمير، وقد حمل هذا الطلب الشريف أمين النجراني الذي شخص بنفسه الى الحبشة من اجل هذا الأمر. وكان هذا الأسلوب معروفا منذ سنة ٥١٩ م حين رحل مارتوما أسقف نجران الثاني الى الحبشة وأخبرهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين كما جاء في الوثيقة الثالثة^(٢).

ومما يرجح الرأي الأرثوذكسي السابق ان سيف بن ذي يزن استنصر بقيصر الروم لطرده الأحباش من بلاده.

واعتمادا على ما تقدم نرى انه كان للأحباش الدور الأكبر في القضاء على دولة ذور نواس، ولم تكن حملة عام ٥٢٤ م هي الأولى من نوعها، فالعلاقات بين البلدين المتجاورين كانت عبارة عن سلسلة متصلة من الحروب والغزوات، كما كان تاريخ اليمن منذ القرن الرابع الميلادي سلسلة من الحروب والفتن الداخلية ومجالا لتدخل الدول الأجنبية.

ومما يؤكد تغلغل الأحباش في اليمن ما جاء في رسالة ذو نواس الى ملك الحيرة آنذاك «ان الملك الذي كان قد نصبه الأحباش في بلادهم مات وأدرك الشقاء، ولم يقدر الأحباش أن يخرجوا الى بلادهم لينصبوا ملكا مسيحيا كما اعتادوا، فتملك هو على سائر بلاد حمير»^(٣). ومن هذه الرسالة نستخلص ان بعض الأحباش من بقايا حملة عام ٥١٩ م لا زالوا في ظفار من بلاد الحميريين. ويقول المؤرخ اليهودي المشهور كريتز GRAETZ أن يوسطين قيصر الروم اشترك اشتراكا فعليا في فتح اليمن لانه أرسل اسطول مصر البحري مشحونا بالمؤن والأسلحة الى الثغور اليمنية. ويرجح بعض المؤرخين ان جيوش يوسطين كانت عازمة على احتلال اليمن بعد أن فتحتها الحبشة ولكن قوات الفرس أفلقت راحتها على حدود سوريا فمنعتها من ذلك^(٤).

(١) أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) Graetz H. History of the Jews, Philadelphia, Vol, 3 P. 88.

ولم تستتب الأحوال في اليمن للأحباش بل كانت هناك مقاومة داخلية من اليهودية وربما الوثنية. يتضح هذا من ان ثلاثة وفود وصلت في كانون الثاني «يناير» من عام ٥٢٤م الى مدينة الحيرة لزيارة عاقلها المنذر اللخمي . ومن بين هذه الوفود الثلاث وفد أرسله الملك الحميري المسيحي الذي كان قد نصبه الأحباش^(١). وربما أن مهمة الوفد كانت الاستنصار بالمنذر اللخمي على الأحباش الذين استنقلوا ظله .

بعد ان تم للأحباش بسط سلطانهم على اليمن وقضوا على قوة اليهود فيها ، اتجهت جهودهم نحو تنصير سكان اليمن الوثنيين ، وذلك ليحفظوا استمرار سيطرتهم على الشعب الحميري الذي كانت غالبيته لا زالت تدين بالوثنية . وكان من مجهوداتهم في هذا السبيل بناء كنيسة «القليس» المشهورة في صنعاء في عهد أبرهة الأشرم ، وذلك ليصرف إليها حج العرب^(٢).

غير أن النساء وهم رؤساء الديانة الوثنية لم يوافقوه على عمله ووقفوا في وجهه سدا منيعا ، فعزم أبرهة على تنفيذ رغبته بالقوة معتقدا انه بهدم الكعبة التي يحج إليها الوثنيون يتخلص من الوثنية في جزيرة العرب . ولذلك خرج بجيش كثيف إلى مكة يريد هدم الكعبة . غير ان حملته هذه أصيبت بالفشل الذريع وعاد أبرهة يجر أذيال الخيبة من حملته المشهورة والتي أرخ العرب بها ، وأطلقوا على السنة التي حدثت بها «عام الفيل» .

ويعلق ولفنسون على أثار غزو الأحباش لليمن بقوله : «وكان لانكسار الدولة الحميرية امام الحبشة رنة أسى شديدة في قلوب اليهود ، فظهرت مع الزمن أفاقيص كثيرة وأساطير خرافية عن أبطال حمير ، من ذلك ما قيل ان أصل هؤلاء من بقايا اسباط بني اسرائيل البائدة وان هذه الجيوش لم تغلب على امرها بل رجعت على اعتابها الى داخل البلاد الرملية وأنها كونت في تلك الارحاء دولة عظيمة يظهر بطشها في اليوم الذي تباح لها فيه النضال ويؤذن لها بخوض المعارك ، وقد كانت هذه الاقاقيص سببا في أن شرع جماعة من اليهود في القرون الوسطى يرسلون الى بلاد العرب ليجتثوا عن تلك الجيوش التي توارت عن العيون»^(٣).

(١) أغناطيوس يعقوب الثالث ، الشهداء الحميريون ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٣٧ وما بعدها .

(٣) ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٤٩ .

لم يقعد العرب اليمنيون عن الكفاح ضد الغاصب الأجنبي ، بل استمرت المقاومة حتى تمكن أخيرا اليمنيون بزعامة سيف بن ذي يزن من تحرير وطنهم بمساعدة من الفرس الذين ظلوا في اليمن حتى حررها الاسلام في عهد محمد عليه السلام .

الفصل الرابع

بين العرب واليهود في يثرب

- أشهر البطون العربية في يثرب .
- العلاقات بين القبائل اليهودية .
- بين العرب واليهود .
- العلاقات بين الأوس والخزرج ودور اليهود فيها .
- أثر اليهود في الجزيرة العربية .
- الحياة الفكرية ليهود الجزيرة العربية .
- النسيء والنساء .
- الصوفة والصوفان .
- الختان .

- بين العرب واليهود في يثرب . - أشهر البطون العربية في يثرب .

نزلت على اليهود في يثرب بعض القبائل العربية واتخذوا المنازل والأطام واشتغلوا بالأموال . ومن هذه القبائل بنو «انيف» وهم حي من (بلي) ، ويقال أنهم بقية من العماليق ، وبنو مريد أو «مزيد أو مرثد» وهم من «بلي» أيضا ، وبنو معاوية ابن الحارث بن بهته بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبنو الجدي «الجدمان» حي من اليمن . وينتسب بنو «بلي» هؤلاء الى قضاعة التي كانت تعيش قبائلها في الجزيرة العربية ، ثم ارتحلت بعض فروعها الى شمال جزيرة العرب وبعضها استوطن سهل يثرب قبل قدوم الأوس والخزرج . وكان القضاعيون في يثرب تحت سيطرة اليهود الاقتصادية والاجتماعية حتى قدوم الأوس والخزرج وتعاونهم معهم في قهر اليهود وتسليم زمام السيطرة منهم في يثرب ، ويظهر ان الأوس والخزرج لم يحسنوا معاملة القضاعيين بعد ذلك فبدلا من مكافئتهم استخدموهم في الفلاحة وحرموهم من المشاركة في سيادة يثرب . ويغلب على الظن ان قسما كبيرا من قضاعة قد اختلط مع الأوس ونشأ منهم فرع يعد من اقوى فروع القضاعيين ، وهو فرع بني سماك بن عتيك ، ومنه أسيد بن حضير الصحابي الباسل المعروف . ولكن هذا الاختلاط بالأوس لم يرفع مكانة القضاعيين فظلوا على وضعهم في اسفل السلم الاجتماعي لسكان يثرب^(١) .

وقد اقتبست القبائل العربية التي استوطنت يثرب ، بناء الأطام من اليهود يتحصنون فيها من عدوهم عند الحاجة وذلك قبل قدوم الأوس والخزرج^(٢) .

وتعتبر قبيلتا الأوس والخزرج - الأنصار فيما بعد - امنع القبائل العربية التي استوطنت يثرب قبيل الاسلام ، وكان لها الكلمة العليا عند ظهوره .

(١) انظر حسين مؤنس ، عالم الإسلام ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ، ص ١٢٢-١٢٥ .
(٢) انظر ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ٦٢ ، وجواد علي ، المفصل ... ج ٤ ص ٦٢٩ .

ويقول اصحاب الانساب ان الأوس والخزرج أخوان من قبيلة الأزد اليمينية^(١) وكانت كل من القبيلتين تنقسم الى بطون أصغر حتى زادت البطون المعروفة من القبيلتين عن أربعين بطناً، عدا العشائر العربية الاخرى التي عاشت معها واتصلت بها برابطة الولاء^(٢).

تربط الروايات المختلفة بين هجرة البطون الأزدية، وبين خراب سد مأرب «سيل العرم» في اليمن، وتناقل الرواة الاخبار المختلفة عن سبب خراب هذا السد وبالغوا في آثار خرابه مبالغة كبيرة. قالوا: «إن سبب خروج الأوس والخزرج من اليمن ان عمرو بن عامر رأى جرذا يحفر سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أراضيهم، فأدرك انه لا بقاء للسد بعد ذلك فاعتزم على النقلة من اليمن، فأراد ان يحتال حتى يتمكن من بيع أموال قومه باحسن الاسعار. فأمر أصغر ولده او ولد اخيه أن يلطمه اذا أغلظ له القول في مجلس من القوم، ففعل الولد ما أمر به. فقال عمرو: «لا اقيم ببلد لطم وجهي فيه» وقال أشراف قومه: «سنرتحل معك حيث ترتحل» وعرض امواله واموال قومه، فقال اشراف اليمن: «اغتنموا غضبة عمرو، فاشتروا منه امواله، وانتقل بالازد يرتادون البلدان، ونزلوا بأرض (عك)^(٣) فحاربهم أهلها وكانت الحرب سجالاً ثم ارتحلوا عنهم وتفرقوا في البلدان، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الاوس والخزرج بيثرب ونزلت خزاعة مراً.. ثم أرسل الله تعالى على السد سيل العرم فهدمه»^(٤).

وقد اختلفت الروايات في من بنى السد، والراجع ان السبئين هم الذين باشروا ببناءه، ونسب هذا السد الى سبأ بن يسجب بن يعرب بن قحطان، وهو جد السبئين^(٥). ويعتقد الآن ان انفجار السد حدث حوالي منتصف القرن السادس الميلادي اي حوالي ٥٤٢-٥٤٣، فقد نشر جلازر، رقماً من رقم الجنوب التي كشفها يعود تاريخه الى هذه

(١) انظر ابن حزم، جمهرة انساب العرب، طبعة بروكسسال، دار المعارف بمصر، ص ٣٣١. والسهيلي، الروض الأنف، ج١ ص ٢١.

(٢) انظر أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٠٩.

(٣) عك، مخلاف باليمن، انظر معجم البلدان، لياقوت الحموي.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص ١٣ وما بعدها. انظر كذلك لياقوت الحموي، معجم البلدان ج٧ ص ٣٥٥ وما بعدها. والسهودي وفاء الوفاء، ج١ ص ١٦٦.

(٥) انظر المسعودي، مروج الذهب، طبعة دار الاندلس ج٢ ص ١٦١. لياقوت الحموي، معجم البلدان ج٧ ص ٣٥٤. السهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص ١٦٦.

الفترة، وهو لأبرهة الأشرم وفيه ذكر لخراب احد السدود^(١). وقد ذكر ياقوت الحموي^(٢) ان خراب السد حدث في عهد ملوك الحبشان وهذا يوافق ما جاء في رقم جلازر.

ومن غريب المصادفات ان يحدث خراب السد في الوقت الذي تعرضت فيه اليمن لكوارث سياسية لا تقل أهمية عن الكوارث الطبيعية. وقد تعاونت الأحداث كلها على تهجير سكان اليمن، فارتحلت غسان الى الشام وذهبت الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة. وأقامت الأوس والخزرج في المدينة.

لقد سبق تصدع سد مأرب الاخير - الذي ذكر في القرآن - تصدع آخر في عام ٤٥٠م تقريباً، تسبب في انفجار المياه من السد، غير ان هذا الخراب اُصلح بعد ذلك. وقد أثبتت البحوث التي اجراها العالم جلازر عام ١٨٩٦م، واستند فيها على منقوشات جلبها من أرض اليمن، ان السيل قد حدث فعلاً ولكن لم يحدث في مدة واحدة، بل تكررت تصدعاته^(٣). ثم أهمل السد العظيم وانشغل الناس في الفتن الداخلية والحروب الخارجية، وعملت الطبيعة عملها في تفتيت بنيانه حتى كانت نهايته. وإذا اخذنا بالروايات العربية التي تقول بأن السكان في اليمن تفرقوا أيدي سبأ إثر خراب السد، فاننا نهمل اسباب هجرات الشعوب السامية من الجزيرة العربية الى خارجها. ان هجرة بعض البطون اليمنية الى أطراف الجزيرة لم تكن حدثاً فريداً من نوعه، بل سبق لقبائل ان هاجرت من بلاد اليمن نحو بلاد الشام والعراق. غير اننا لا نقتل بهذا من حادث خراب السد الذي كان له ولا شك أثر سيء على الحالة الاقتصادية في المناطق المجاورة له، فهو من ناحية اعظم انجاز عمراني زراعي في تلك الفترة، ومن ناحية اخرى دليل على التقدم الاقتصادي الذي احرزته اليمن في تلك الفترة.

لقد تضافرت عوامل اخرى مع خراب السد ونتجت عنها هذه الهجرات، ومن هذه الأسباب اكتشاف الرومان للطرق التجارية البحرية وتحول هذه الطرق عن اليمن، والقلاقل والفتن التي عصفت باليمن وجعلت السكان يهملون الزراعة والصناعة، ثم الحروب المستمرة بين اليمن والأحباش.

(١) انظر فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ج١ ص ٨٤.

(٢) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧ ص ٣٥٥.

(٣) انظر ليفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٣. انظر كذلك فيليب حتي، تاريخ العرب المطول ج١ ص ٨٤.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وائل وشيء من سدر قليل﴾^(١).

وذكر المسعودي^(٢): «أن أهل مأرب كانوا يعبدون الشمس، فبعث الله اليهم رسلاً يدعونهم إلى الله، يزجرونهم عما هم عليه، ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم، فجحدهوا قولهم، وردوا كلامهم، وأنكروا أن يكون الله عليهم نعمه وقالوا لهم: إن كنتم رسلاً فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا» وفي ذلك تقول امرأة منهم:

إن كان ما نصبح في ظلاله من ربكم فلينطلق بما له
إليه عنا وإلى عياله

فأجابتها امرأة مؤمنة، فقالت:

لولا إله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يجينا سؤلنا ويكشف الغم إذا ما هالنا
فدعت عليهم الرسل، فأرسل الله عليهم سيل العرم^(٣).

والخطاب على ما أظن موجه إلى سكان مدينة مأرب أو سبأ وهي التي تأثرت بخراب السد، حيث زالت خضرة الأرض وأقفرت بفعل انفجار السد، وذلك لأن هذا السد كما دلت الأبحاث لم يكن يروي إلا بقعة محددة من الأرض لم تكن تسكنها جميع بطون الأزد^(٤).

ويظهر أن القبائل العربية نزحت عن اليمن في أزمان مختلفة، وربما نزح الأوس والخزرج قبل خراب سد مأرب لأن الأوس والخزرج أقاموا زمناً طويلاً في المدينة قبل الإسلام كما تدل على ذلك أخبارهم. فمن غير المعقول أن يهجروا اليمن في منتصف القرن السادس الميلادي ويقيموا في الحجاز ثم تكون بينهم هذه الأيام العديدة من

(١) سورة سبأ، الآيات: ١٥، ١٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ١٧٤.

(٣) انظر المسعودي، المرجع السابق والصفحة.

(٤) انظر ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٤.

الحروب بعد أزمان الوفاق، كل ذلك في حوالي نصف قرن. وإذا كان لخراب السد من أثر على هجرتهم فيجب ان يكون هذا قد حدث في زمن أقدم من الخراب الأخير.

ويتعذر علينا ان نعين زمن قدوم الأوس والخزرج الى جهات يثرب، وكل ما نستطيع قوله اعتمادا على أقوال القدماء، هو ان الأوس والخزرج خرجوا من اليمن وأقاموا في يثرب مع البطون اليهودية التي وجدوها قد سبقتهم في هذه الجهات.

العلاقات بين القبائل اليهودية :

قبل أن نعرض للعلاقات التي قامت بين اليهود من جهة والأوس والخزرج من جهة أخرى علينا ان نتعرض لنوع العلاقات التي كانت قائمة بين اليهود أنفسهم.

كانت القبائل اليهودية التي استوطنت بلاد الحجاز كثيرة ومتعددة وأشهرها القبائل الثلاث قريظة والنضير وقينقاع. لم تحدثنا المرويات عن طبيعة العلاقات التي سادت بين البطون اليهودية في الفترة الاولى من وجودهم ببلاد الحجاز. ويظهر ان العلاقات فيما بينهم كانت طيبة في بداية الأمر، ذلك لأن مصلحتهم المشتركة كانت تملي عليهم مثل هذه العلاقة، فهم طارئون على بلاد غريبة بالنسبة إليهم، وهاربون من الخوف والاضطهاد، فلا بد والحالة هذه ان يدفعهم الشعور بالمحنة المشتركة الى التعاون، وتقدير المساعدات الى القادمين الجدد ليكثر عددهم ويشدد ساعدتهم ويقوموا على حماية أنفسهم في بيئتهم الجديدة.

وكان اليهود يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤساء منهم، يؤدون لهم ما هو مفروض عليهم من مال خلال العام. وهؤلاء السادة هم أصحاب الأطم والحصون والأرض. وكان على الفلاح اليهودي ان يعمل في الأرض ويسدد ما عليه لصاحبها مقابل استغلاله لها. اعتنى اليهود بزراعة النخيل بشكل خاص، وكانت الاراضي المزروعة به تعرف بـ (الصورين) «الصور»^(١) ولا بد ان مزارع اليهود كانت تتعرض للغارات من الخارج. ولم يكن يحميها سوى حراس هم أنفسهم المشتغلون بها وقت إثمارها. وكانت هذه الغلة عزيزة على اليهود الذين كانوا يرون فيها مورد رزقهم. ولهذا شق عليهم كثيرا، وانهارت مقاومتهم عندما امر الرسول ﷺ بقطع النخيل وتحريقه أثناء محاصرته لهم.

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص ٩٥، انظر كذلك الروض الأنف للسهيلى، مكتبة الكليات الأزهرية ج٢ ص ١٩٤.

وحين استقرت امورهم وتم لهم الغلب بدأ تضامنهم يضعف ، ولم تعد الروح الجامعة بينهم لها فعاليتها . بل اخذت الروح القبلية تحل محلها ، وكان من مظاهر هذا ان برزت العصبية القبلية وظهر الانفصال بين الجماعة اليهودية . ويبدو ان احداثا وحروبا وقعت بين طوائفهم كان من نتيجتها ذلك التفكك الذي ظهر واضحا بينهم حين وقع النزاع بينهم وبين الاوس والخزرج ، فقد فشلوا في جمع صفوفهم في وجه الاوس والخزرج واستمر انقسامهم حتى بعد انقسام الاوس والخزرج ووقوع الحرب بينهم . فتحالف بعضهم مع الاوس كما تحالف آخرون مع الخزرج^(١) وكانوا في القتال اقصى على بني جنسهم من العرب ، فقد قسا بنو النضير وقريظة على بني قينقاع وأثنخوا فيهم ، ومزقوا شملهم في حرب بعث التي وقعت بين الاوس والخزرج ، مما جعل احد شعراء اليهود من بني النضير يتألم لهذه الحالة .^(٢)

ولا نجد تفسيراً لهذه القسوة الا القول بان القبائل اليهودية قد استحکم بينها العداء وخاصة بين بني قينقاع وبين بني النضير وقريظة . كما اننا نجد في هذه القسوة دليلاً على ان اليهود كانت تسود بينهم الروح القبلية ، شأنهم في هذا شأن العرب . وقد استفاد الرسول ﷺ من هذا الانقسام اذ سهل عليه مجابهة البطون اليهودية متفرقة لا متحدة . وكان لاتحاد بني قريظة وبني النضير أثر على بني قينقاع الذين هجروا الزراعة واقتصروا على الصناعة لأنه من غير المعقول ان يميل جميع بني قينقاع الى الصناعة دون الزراعة هكذا ، وهم من البطون اليهودية الكبيرة .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه العلاقات السيئة التي كانت بين اليهود بقوله :

﴿واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب﴾^(٣)

(١) الأغاني ج٣ ص ٢٤ .

(٢) انظر الأغاني ج١٩ ص ٩٥ . انظر كذلك ولفسنون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ٦٩ .

(٣) سورة البقرة : الآيات ٨٤ ، ٨٥ . انظر تفسير الطبري ج٢ ص ٣٠٥ .

وهكذا كانت القبائل اليهودية وقت الهجرة النبوية في حالة واضحة من التفكك حتى ان خطر المسلمين عليهم لم يكن كافيا لتوحيد صفوفهم وما أحسن ما وصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾^(١).

بين اليهود والعرب في يثرب :

لم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن موقف العرب الذين كانوا يسكنون بلاد الحجاز عند قدوم أول المهاجرين اليهود. وربما أن أحداثا وقعت بين المهاجرين اليهود وسكان البلاد المحليين بدليل اتخاذ اليهود الأطم والحصون لتحميمهم من غارات جيرانهم من العرب. وربما كانت الاشارات الواردة في التوراة عما بين العرب المعانين والبطون اليهودية، تزيدنا يقينا ان السكان الاصليين في يثرب وفدك ووادي القرى وخيبر، لم يستقبلوا المهاجرين اليهود بترحاب. الا أنه علينا أن لا نبالغ في هذه الاستنتاجات الى حد كبير لان مثل هذه الحوادث لم تكن على درجة كبيرة من الأهمية والا لما سكنت عنها المرويات، ذلك لان اليهود استوطنوا هذه البقاع في ازمان مختلفة وعلى فترات متقطعة لم تثر حفيظة السكان العرب، وتدفعهم الى الاتحاد والوقوف يدا واحدة في وجه الخطر الداهم، كما يجب ان لا ننسى ان تهود بعض العرب مهد السبيل لدخول اليهود الى البلاد العربية دون مقاومة تذكر.

وفي أول الأمر بدأت علاقات سلم وجوار بين الأوس والخزرج وبين اليهود. فقد قدم هؤلاء العرب على قوم مستقرين في ديارهم، ويدهم الاموال والأطام والعدد والقوة، فكان طبيعيا ان يكون أقصى ما يطمح اليه الأوس والخزرج هو ان يسمح لهم اليهود بالاقامة بجوارهم والعيش معهم. ولعل هؤلاء العرب كانوا قليلي العدد والعدة بعد ان تفرقت البطون الأزدية في كل الجهات. ولذلك لم يخش اليهود عاديته بل ربما فكروا بالاستفادة منهم في الأعمال الزراعية، وهم ذو خبرة في هذا المجال كسبوا في اقامتهم باليمن. وهكذا اتخذ اليهود منهم عمالا زراعيين في مزارعهم او مساعدين لهم في أعمالهم الصناعية والتجارية. ورضي الأوس والخزرج بهذا ونزلوا بجوار اليهود او بينهم. ولما لم يكن للعرب من الأوس والخزرج ثروة او سلطان فقد عاشوا في ضنك من العيش

(١) سورة الحشر، الآية ١٤.

ولم يكونوا اهل نعم وشاء لأن المدينة لم تكن بلاد مرعى ولا نخل لهم ولا زرع الا اليسير
اليسير والمزرعة يستخرجها من الموات، والأموال لليهود.^(١)

وأقام اليهود والعرب في وفاق ووثام حتى صار عرب المدينة يعرفون بموالي
اليهود^(٢). ويظهر ان الأوس والخزرج لم تكن لهم اطماع في أكثر من العيش بسلام مع
جيرانهم اليهود، لذلك سألوا اليهود ان يعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من
بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا، فلم يزالوا على
ذلك زمانا طويلا^(٣).

ولما رأت قريظة والنضير أن الأوس والخزرج صار لهم عدد وعدة، خافوهم ان
يغلبوهم على دورهم وأموالهم، فتمنروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم، وكانت
قريظة والنضير أعد وأكثر، وكان يقال لهما الكاهنان، وبنو الصريح، وفي ذلك يقول قيس
بن الخطيم مثنيا عليهم :

كنا إذا رامنا قوم بمظلمة	شدت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا
نسوا الرهون فأسونا بأنفسهم	بنو الصريح فقد عفوا وقد كرموا ^(٤)

ونستنتج من هذه الرواية ان اليهود لم يكونوا يخشون العرب وهم قليلون في العدد
والعدة، وكانوا يرون فيهم خير وسيلة على تحصيل الثروة، ولا نستطيع على ضوء
المعلومات التي بين أيدينا أن نتبين وجود نية مسبقة عند الأوس والخزرج لقطع الحلف
الذي بينهم وبين اليهود، والراجح أن اليهود عندما رأوا ثروة العرب وعددهم قد نما وتزايد،
شعروا بان الحلف انما يسير الى مصلحة جيرانهم، فخافوا ان يتطور الأمر الى أن يغلبوهم
على دورهم فغيروا مسلكهم نحوهم وأساءوا معاملتهم وانتهوا الى قطع الحلف الذي
بينهم.

(١) انظر الأغاني ج ١ ص ٩٦. ابن خلدون، تاريخ، ج ٢ ص ٨٣، «طبعة ارسلان، السمهودي، وفاء الوفاء
ج ١ ص ١٧٧.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٤٢٨.

(٣) انظر السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١ ص ١٧٨.

(٤) انظر السمهودي، المرجع السابق ج ١ ص ١٧٨.

وقبل أن نستعرض في أسباب الخلاف بين الطرفين، أرى أن أعرض لمشكلة تعرض لها بعض الباحثين دون أن يقطعوا برأي فيها، وهذه المشكلة تتلخص في معرفة ما إذا كان لليهود دولة أو مملكة في شمال الجزيرة العربية أم لا؟.

إن الحالة التي وجد عليها اليهود زمن قدوم الأوس والخزرج اليهم ممثلة فيما هم فيه من عز وسلطان، وما آل اليه حال القادمين الجدد في ظل السيطرة اليهودية. وكل هذه المظاهر تبعث على الاعتقاد بوجود نوع من التنظيم السياسي يخضع له اليهود. ويعزز هذا الاعتقاد الرواية العربية التي تقول «بأن الفطيون» أو «الفيطوان» ملك اليهود بيثرب، وكانت لا تهدى عروس ييثرب من الحيين الأوس والخزرج حتى تدخل عليه فيكون هو الذي يدخل بها قبل زواجها»^(١).

ويستفاد من هذه الرواية ان اليهود كان لهم مملكة في الحجاز على غرار الممالك التي قامت على أطراف الجزيرة العربية وعلى حدود فلسطين، وجاءت التوراة على ذكر معظمها، ولا يعقل ان تكون جموع اليهود في الحجاز دون تنظيم يخضع له الجميع، سيما وهم أصحاب دين وخرجوا من بلاد متقدمة في الحضارة واستوطنوا بلادا جديدة غريبة تحيط بهم المخاوف، ولا سبيل لدرء هذه المخاوف إلا بالخضوع لنظام يؤمن مصالحهم ويكفل الدفاع عنهم.

ويظهر من استعراض اسماء الشخصيات اليهودية التي كان لها الزعامة عند ظهور الاسلام، ان تنظيم المجتمع اليهودي الحجازي كان يخضع الى مجموعة من العوامل ابرزها العامل القبلي. فنحن نجد ان الصفات التي يجب أن تتجمع في رئيس القبيلة العربية لا بد من توفر معظمها في رئيس المجموعة اليهودية. والعامل الثاني هو العامل الديني، ونجد تأثير هذا العامل في ترديد الزعماء اليهود لقصص التوراة والتلمود وأخبار الكتب اليهودية. ان دراسة أحوال الزعماء اليهود في فجر الاسلام تؤكد صحة ما ذهبنا اليه.

لقد أنكر ولفنسون^(٢) قصة الملك اليهودي «الفطيون» واستبعد حدوثها بحجة كون اليهود أصحاب دين سماوي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبغي، ويستطرد فيقول:

(١) انظر السهمودي، المرجع السابق ج١ ص ١٧٨.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٦.

«ليس من المعقول ان يرتكب مثل هذه الجرائم ملك يهودي لان في هذا الفعل مخالفة لروح التوراة، وتخالف الايمان بآله موسى دون ان يجد مقاومة عنيفة وإنكاراً شديداً من شعبه وأبناء جلدته».

ويعززون سبب إيراد هذه القصة فيقول: «إن الباعث على اختلاق هذه القصة وتلفيقها إنما هو محاولة إخفاء الحقيقة في حادثة غدر ابن العجلان بجيرانه وسفكه لدماء الأبرار كما سيأتي تفصيل ذلك»^(١).

لقد أوردت الروايات العربية قصة فعل لخنيعة ينوف دوشناتر الذي اغتصب الملك في اليمن وأسندت إليه ما كان يفعله قوم لوط. ويغلب على الظن ان اليهود في اليمن او خارج اليمن هم اصحاب هذه الرواية. وقصدهم منها اضعاف خصمهم وتقوية دعوتهم للتمكن من الاستئثار بالملك مرة أخرى. وربما قصدوا أيضاً تمجيد عهد ذي نواس. ان الشيء الملفت للنظر هو سكوت ولفنسون عن هذه الرواية وعدم التعرض لها، بينما نجده ناثراً على الرواية العربية التي أوردت خبر الفطيون، وجاء في الرواية السابقة ان أخت مالك بن العجلان تزوجت رجلاً من قومها، فبينما مالك في نادي قومه، اذ خرجت اخته فضلاً، فنظر اليها أهل المجلس، فشق ذلك على مالك ودخل فعنفها وأنها فقالت: «ما يصنع بي غدا أعظم من ذلك، أهدي الى غير زوجي» فلما امسى مالك اشتمل على السيف ودخل على الفطيون متنكراً مع النساء، فلما خف من عنده عدا عليه فقتله وانصرف الى دار قومه. ثم بعث هو وجماعة من قومه الى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم بحالهم ويشكون اليهم غلبة اليهود^(٢).

وقومهم هؤلاء هم بنو غسان وملكهم هو أبو جبيلة الغساني ولما اطلع الملك الغساني على حال بني قومه من الأوس والخزرج في يثرب خرج في جمع كبير لنصرتهم. وتظاهر أبو جبيلة بأنه يريد اليمن حتى يأخذ اليهود على حين غرة، ولما قدم المدينة اقام بذئ حرض وأرسل الى أهل المدينة من الأوس والخزرج فأتوا اليه فوصلهم وأعطاهم. ثم ارسل الى بني اسرائيل، يعني اليهود، وقال: «من أراد الحباء من الملك فليخرج اليه، وانما فعل ذلك خيفة ان يتحصنوا في الحصون فلا يقدر عليهم، فخرج اليه اشراف بني

(١). المرجع السابق ص ٥٧.

(٢) انظر ولفنسون. تاريخ اليهود... ص ١٧٨، ١٧٩.

اسرائيل بخواصهم وحشمتهم ، فأمر لهم بطعام ، حتى اجتمعوا فقتلهم عن آخرهم . وقال للأوس والخزرج « إن لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلا حرقنكم » ثم عاد إلى الشام . وبعد هذه الحادثة صار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة فتفرقوا في عالية يشرب وسافلتها يتبأون منها حيث شاءوا ، واتخذوا الديار والأمول والأطام^(١) .

إن احتمال استنصار الأوس والخزرج بالغساسنة امر اقرب الى الاطمثنان ، والغساسنة والأوس والخزرج تربطهم رابطة النسب فهم جميعا من فرع الأزد - اي انهم ابناء عمومة كما هم ابناء خؤولة ، فقد كانت الأوس والخزرج تعرف بأبناء قيلة ، وقيلة امهما وهي من الغساسنة كما يقرر النسابون - وكان الغساسنة قد قوي امرهم في الشام وكونوا مملكة لهم .

ويعزز هذا الرأي احتمال وقوع احداث يشرب قبل تهود ملوك اليمن ، فقد ذكرت بعض المصادر رواية تفيد ان ابا جبيلة لما فرغ من نصر اهل المدينة رجع الى الشام ، فأقبل تبع الأخير - كرب حسان بن أسعد الحميري^(٢) - الذي ملك اليمن قبل ذي نواس . ويظهر ان اليهود حاولوا الانتقام من مالك بن العجلان وقومه انتقاما لمقتلة ابي جبيلة فقال مالك بن العجلان : « والله ما نخنا اليهود غلبة كما نريد فهل لكم ان اصنع لهم طعاما ثم ارسل في مائة من اشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاؤوني فاقتلوهم جميعا ، فقالوا نفضل ، فلما جاءهم رسول مالك قالوا والله لا نأتيهم ابدا وقد قتل ابو جبيلة منا من قتل . . . ثم استطاع مالك ان ينجح في مكيدته وان يستقدم عددا من اشرافهم ويقضي عليهم ، فذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفا شديدا ، واضطرت بعض البطون الصغيرة منهم ان تدخل في احلاف مع جيرانهم من الاوس والخزرج ، ولم يبق الا بنو النضير وقریظة ، اذ اعتمدوا على قوتهم وكثرة عددهم ومناعة حصونهم^(٣) . بعد ذلك قوي بأس العرب وجعل اليهود كلما هاجمهم احد من الاوس والخزرج بشيء يكرهونه ، فيلتجئون الى بطون الأوس

(١) انظر الأصفهاني ، الاغانى ج ١٩ ص ٥٦ ، ٥٧ .
انظر كذلك ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ . ابن خلدون ، تاريخ . . . ج ٢ ص ٨٤ .
السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ١ ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٢) انظر اليعقوبي ، تاريخ ج ١ ص ١٧١ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٧ ص ٤٢٩ . السمهودي ، وفاء الوفاء ج ١ ص ١٨٦ .
(٣) انظر الاغانى ، ج ٣ ص ٢٤ ، ج ١٩ ص ٩٧ ،

والخزرج يشكون حالهم بعد ان كانوا يستنصرون ببعضهم ، وهكذا اصبح اليهود يتعززون بالعرب^(١).

وإذا أخذنا بهذه الرواية العربية نجد ان تاريخ سيطرة الأوس والخزرج على المدينة ، واخذهم امرها بيدهم انما يجب ان يكون في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي اي قبل الاسلام بفترة ليست طويلة ، لأننا نجد ان احد أبناء مالك بن العجلان «عثمان» في عداد المسلمين الذين شهدوا بدرًا ، كما نجد جملة رجال من بني العجلان قد شهدوا بدرًا ومشاهد أخرى إسلامية^(٢).

غير ان هذا الرأي في تحديد زمن استيلاء الأوس والخزرج على مقاليد الامور في المدينة يتعارض مع ما نعرفه من العلاقات التي قامت بين الأوس والخزرج انفسهم بعد قضائهم على السيطرة اليهودية ، لأن الأوس والخزرج عاشوا فترة من الوفاق ثم تلتها فترة خلافات وحروب امتدت زمنا ليس بالقليل ، ولا يعقل ان تكون كل هذه الامور قد تمت خلال نصف قرن اي حتى ظهور الاسلام.

يحدد «سيدوي» سيادة الأوس والخزرج على المدينة بسنة ٤٩٢ م^(٣) ويقول ان الأوس والخزرج قاموا غارات تبابعة اليمن بعد ذلك ثم دبّ الضعف في القبيلتين بسبب الحروب التي نشبت بينهما في السنوات ٤٦٧ ، ٥٢٠ ، ٥٨٣ ، ٦١٥ م ثم سادهما الوثام بعد خمس سنوات فاتصلتا بمحمد^(٤).

يرى بعض المؤرخين وخاصة المؤرخين اليهود ان حوادث اليمن وقعت قبل حوادث يثرب ويربطون بعض احداث الحجاز بين العرب واليهود وبين الصراع العام الممثل بالصراع الديني والسياسي الذي ساد المنطقة وكان من نتائجه ما حدث في اليمن في السنوات ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ م. ويرى بعضهم ان الأوس والخزرج لم تصرحا بعداؤها لليهود الا بعد ان حلت النكبة بالدولة اليهودية في اليمن. وهم لا يتصورون ان يحل الاضهاد بيهود الحجاز في وقت فيه ملوك اليمن المشهورون المتعصبون ليهوديتهم ، لأن

(١) انظر احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ص ٣٢٢.

(٢) انظر ابن دريد ، الاشتقاق ص ٤٥٨.

(٣) انظر تاريخ العرب للعام ترجمة عادل زعير، دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٤٨ ص ٥١.

(٤) انظر المرجع السابق والصفحة.

هؤلاء لا يمكن أن يسكنوا دون نصرة اخوانهم يهود الحجاز^(١). وهكذا نجد أن هذا الفريق من الباحثين يربطون سبب نكبة يهود الحجاز بالنكبة التي حلت بيهود اليمن، ويحملون العناصر النصرانية نتائج ما حدث لليهود الجزيرة العربية، ويذهبون الى الاستنتاج أن هذه النكبات التي توالى على اليهود بعثت الحماس في الجانب النصراني الآخر للمضي في مخططة الرامي لهدم الكيان اليهودي واقتلاع جذوره من الجزيرة العربية وترك أموال اليهود ومستعمراتهم ومزارعهم تحت رحمة العرب. ويدلل ولفنسون على هذا الرأي بالأدلة التالية:

أولاً : ان ابا جبيلة الذي دعتة المصادر العربية ملكا، لم يكن من سلالة ملوك غسان الذين كانوا من ابناء جفنة، ويستشهد ولفنسون على ذلك بقوله ان ابن خلدون يذكر ان ابا جبيلة والهارث الأعرج هما الملكان الوحيدان من غير بني جفنة ملكهما الروم عرش الشام، ولم يكن الاعرج ملكا بل قائدا ولم يذكر ابا جبيلة^(٢).

ويتساءل ولفنسون عن الاسباب التي حملت قياصرة الروم على تولية ملكين من غير سلالة ال جفنة ثم ارجاع العرش الى هذه الأسرة.

ثانياً : لأن آخر ملوك غسان هو جبيلة بن الايهم وهو من ابناء جفنة - اعلن هذا اسلامه في عهد عمر بن الخطاب ثم عاد الى النصرانية - من هاتين الدالتين يخلص ولفنسون الى ان ابا جبيلة لم يكن من ملوك غسان وانما قائدا هاجم يثرب بناء على رأي سيده البيزنطي ، او ان الأوس والخزرج عقدوا حلفا مع الغساسنة بعد ان فشل حلفهم مع اليهود، وولدت عندهم المطامح والآمال^(٣).

ويعزز ولفنسون آراءه هذه بما أورده بعض مؤرخي العرب من أن شمال الحجاز كان في شبه تبعية لليمن في عصر دولة حمير اليهودية وان واحدا من الأسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شؤون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز. ويقول «وقد بقيت البطون العربية عصورا طويلة على موالة ومناصرة لليهود دون ان يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يتربصون لهم الغوائل ، الى أن أخذت دولة غسان تنصب لليهود المكائد وتحرض عليهم

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ص ٦١.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٩.

(٣) انظر ولفنسون المرجع السابق ص ٥٩.

زعماء الأوس والخزرج ليفتكوا بهم . والظاهر ان دولة غسان لم تفعل هذا الا بالايجاز من الدولة الرومانية الشرقية التي ارسلت اسطولها لمساعدة الحبشة في كفاحهما ضد اليهود في اليمن ، والتي كانت سياستها واضحة كل الوضوح في الجزيرة العربية اثناء القرن الخامس والسادس بعد الميلاد^(١) .

ويرى باحثون آخرون ان الكفاح بين النصرانية واليهودية في بلاد الحجاز كان عنيفا جدا وان غارات الدولة الفارسية على حدود البلاد الرومانية اوقفت الملحمة الفاصلة لزمان ما ، ولولا ظهور الاسلام لأصبحت بلاد الجزيرة من الوجهة الدينية منقسمة بأجمعها الى قسمين يهودية ونصرانية^(٢) . وارى ان اعترض على ما سبق من آراء بالملاحظات التالية :

أولاً : إن حوادث يثرب يرجح حدوثها قبل حوادث اليمن كما اسلفنا ، ولم يغير مجراها غارات التبابعة الحميريين سواء اكانوا يهوداً أو وثنيين .

ثانياً : لو افترضنا صحة سبق نكبة اليهود في اليمن لاحداث الحجاز فلم تورد المصادر التاريخية اي خبر عن موقف يهود الحجاز ازاء ما حل بإخوانهم يهود اليمن .

ثالثاً : من الثابت تقريبا ان سقوط ذي نواس كان بين سنتي ٥٢٤-٥٢٥ م وان ابرهة الأشرم الذي غزا اليمن هو نفسه الذي غزا مكة عام الفيل وهو العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ . بينما تذكر المصادر التاريخية انه بعد تغلب الأوس والخزرج على اليهود في المدينة دخلوا في حروب استمرت مائة وعشرين سنة الى الإسلام^(٣) .

وهكذا نستبعد وقوع احداث اليمن قبل احداث الحجاز ، بل على الاقل ربما ان احداث الحجاز واحداث اليمن وقعت في وقت واحد مما اشغل الطوائف اليهودية كل في محتته .

رابعا : إن الروايات العربية تذكر استنجاد الأوس والخزرج بأبي جبيعة الغساني وهذا يدل على ان الغساسنة لم تكن لديهم فكرة الهجوم على المدينة بدافع الحماس

(١) انظر ولفنسون المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٢ .

(٣) انظر السمهودي ، ولاء الوفاء ج ١ ص ٢١٥ .

الديني . إذ لو كانت العصبية الدينية هي المحرك لهذه الغارة، لما سلمت منها مواقع يهودية في شمال الحجاز مثل تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر وغيرها . ويؤيد هذا ان الغساسنة لم يملكوا طويلا في المدينة، كما لم تذكر المصادر التاريخية ان الأوس والخزرج كانوا من النصارى .

خامساً : ذكرت المصادر المسيحية الارثوذكسية المعاصرة ان الصراع بين طوائف النصرانية نفسها كان يفوق الصراع بينها وبين اليهودية، كما ذكرت ان النصارى الارثوذكس اضطهدوا على يد الامبراطور الروماني قبل ان يضطهدهم يهود اليمن . وانكر نصارى نجران ما قيل من تقديم الامبراطور الروماني مساعدات للأحباش في غزوهم اليمن^(١) . واذا اضفنا الى الملاحظات السابقة ما سبق وقلناه في فصل سابق من ان اليهود الذين سكنوا الحجاز في البداية، إنما هم جماعة طلبت الأمن والراحة والبعد عن الصراعات الدينية والسياسية، كما لم يكن عندها تعصب ديني او ميل لنشر هذا الدين . وهذا المذهب يؤيده اليهود كما يؤيده المؤرخ ولفنسون نفسه بترديده اقوال رجال الدين اليهود الذين اعتبروا يهود الحجاز خارجين على التلمود ولذلك اهملهم ولم يحاولوا اقامة علاقات طيبة معهم^(٢) .

مما تقدم نستطيع القول أن الجماعة اليهودية في الحجاز كانت مشغولة عن الصراعات الدينية والسياسية في المنطقة بانصرافها الى الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية . ولم تكن تهتم بالأمور الدينية وبتعاليم التلمود . واذا كان هذا الرأي لا يصدق على تاريخ اليهود في شمال الجزيرة العربية في العهد الجاهلي كله فهو يصدق على الفترة الاولى على الاقل . ولو كانت الديانة المسيحية متغلغلة في نفوس العرب لما تركوها وسارعوا الى الدخول في الاسلام في فترة وجيزة من الزمن .

إن ما يقال عن يهود الحجاز في الطور الأول لا يصدق على يهود اليمن الذين كانوا على اتصال بالطوائف اليهودية، ولهم نشاط ديني وسياسي في المنطقة، ولا بد ان الفرس الذين احسنوا الى اليهود منذ ايام كورش استغلوا اليهود في مقاومة النفوذ الروماني .

(١) راجع مقتبساتنا السابقة من الوثائق السريانية المتعلقة بشهداء نجران، تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث، بطريرك أنطاكية، وسائر المشرق، وخاصة الصفحات ٩٣-٩٥ .

(٢) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٧٣ .

لقد اهتمل المؤرخون عاملاً هاماً في اسباب ثورة عرب المدينة على اليهود ولم يسيروا الى السبب الاقتصادي الذي كان العامل الحاسم في مجريات الأمور. لقد عاش العرب في فقر وحرمان، يعملون في الدوائر الزراعية والتجارية والصناعية التي يمتلكها اليهود ولا بد انهم عاشوا في اكواخ حقيرة بجانب القصور اليهودية «الأطم والحصون». وإذا تذكرنا ما جبلت عليه النفسية اليهودية منذ القدم من حب الاحتكار والاستغلال ادركنا السبب الجوهرى الذي دعا الأوس والخزرج الى طلب النصرة على اليهود.

وهذا ما تفسره الرواية التالية؛ قالوا: «ان عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة: إن عامراً قد انزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة، وإنه والله لا يمس رأسي غسل حتى انزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل»^(١). وورد ان الوفد الذي توجه الى طلب نصرة الغساسنة بالشام اخبر القوم بحالهم وشكوا اليهم غلبة اليهود^(٢). وأرى أن الاستنصار بالغساسنة إنما كان جرياً على العصبية المألوفة عند العرب في جاهليتهم ولم تكن خلفها الدوافع الدينية النصرانية المزعومة.

وعلى أي حال فإننا نرى ان اقحام النزاع بين الأوس والخزرج وسائر عرب المدينة وبين اليهود في مجال الصراع الدولي وربطها بالصراع بين اليهودية والنصرانية امر لا محل له، والا فضل القول بأنه كان نزاعاً محلياً اوجدته ظروف يثرب الاقتصادية واعتماد السكان فيها على استعمار الاراضي الزراعية ويتضح ذلك من توزيع السكان واشتراك طوائف المدينة كلها فيه تبعاً للمصالح الاقتصادية الخاصة بهذه الطوائف. ويزيد من تعزيز هذا الرأي ما فطر عليه العرب من حب الحرية والاستقلال وعدم السكوت على الذل والاضطهاد.

وأما علاقات المدينة مع الأقوام التي تقطن سوريا بما فيهم الغساسنة فكانت حسنة ولم يرد في المصادر التاريخية ان هذه العلاقات كانت تتذبذب تبعاً للعلاقات الدولية او الدينية. فقد كانت القوافل التجارية تنتقل بأمان بين الاطراف المختلفة^(٣).

(١) انظر الأصفهاني، الأغاني حـ ١ ص ١٥٥-١٥٩، «طبعة مصر». ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت حـ ١ ص ٤٤٢. السهمودي، وفاء الوفاء، حـ ١ ص ٢١٧.

(٢) انظر السهمودي، وفاء الوفاء، حـ ١ ص ١٧٩.

(٣) انظر الديار بكرى، حسين بن محمد بن الحسن، الخميس في احوال انفس نفيس، المطبعة الوهية حـ ٢ ص ١٢.

وهذه العلاقات الحسنة طبيعية املتها المصالح التجارية المشتركة بين اهل المدينة والغساسنة . وقد عبر شاعر المدينة حسان بن ثابت عن حسن العلاقات مع الغساسنة بقوله :

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق في الزمان الاول
اولاد جفنة حول قبر ابيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهَرَّ كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول ^(١)

العلاقات بين الأوس والخزرج ودور اليهود فيها :

بعد ان تغلب الاوس والخزرج على يهود المدينة تفرقوا في عالياتها وسافلتها فكان منهم من جاء الى القرى العامرة فأقام مع اهلها قاهرا لهم ومنهم من بنى القصور والأطام في الأرض الخالية وامتلكوا الأموال^(٢) . وخلاصة القول انهم اصبحوا سادة المدينة وييدهم مقاليدها وان الغنى والثروة حلت محل الفقر والحرمان . ويفصح الرمق بن زيد بن غنم بن مالك بن سالم بن عوف بن الخزرج عن حال الأوس والخزرج بعد غلبتهم اليهود بهذه الابيات التي يمدح فيها ابا جبيلة :

لم تقض دينك من حسا	ن وقد عنيت وعينا
الراشقات	ت الجازيات بما جزينا
اشباه غزلان الصرا	ثم يأتزرن ويرتدينا
الربط والديباج والد	حلي المضاعف والبرينا
وأبو جبيلة خير من	يمشي واوفاهم يمينا
وابرهم برا واع	سلمهم بفضل الصالحينا
أبقت لنا الأيام والد	حرب المهمة تعترينا

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الأندلس، قافية اللام من ٣٦٤-٣٦٦ .

(٢) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٧ ص ٤٣٠ .

كَبْشا له زر يغ ل متونها الذكر السمين
ومعاقلا شما وأس يافا يقمن وينحنينا
ومحلاة زوراء تجحف بالرجال الظالمينا^(١)

وقد عبر اليهود عن سخطهم على مالك بن العجلان بأن لعنوه في كنائسهم وبيوت عبادتهم فبلغه ذلك فقال :

تحايا اليهود بتلعانها تحايا الحمير بأبوالها^(٢)
وماذا علي بأن يغضبوا وتأتي المنايا بإذلالها^(٣)

وقد قيلت بعض الاشعار في رثاء قتلى اليهود بذي حرض لا مكان لذكرها هنا . لم تقوروابط صلة الرحم بين الأوس والخزرج على منع عوامل الخلاف بين الحيين العربيين فيما بعد .

لقد تسبب النزاع الاقتصادي بين العرب واليهود الى الحرب بينهم ، وتغلب العرب على اليهود . وعندما انتقلت السلطة الى ايدي العرب انتشروا في منطقة يثرب يتبأون منها حيث شاءوا . غير ان توزيع مساكن الأوس والخزرج في منطقة يثرب يجعلنا ندرك ان التفاوت الاقتصادي بين البطون العربية ظل موجودا ، فعندما انتشر العرب في المنطقة لم يستقروا في ارجائها وفق خطة مدروسة تراعي المساواة في توزيع الاراضي الزراعية ، وإنما حل كل بطن فيما شاء من الارض ، فحدث ان احتل الأوس بقاعا اخصب واغنى من الجهات التي نزلها الخزرج ، ولذلك كان حتما ان يقع الخلاف بينهم وان يتنافسوا لنفس الاسباب التي نافسوا فيها اليهود .

ولما كانت اليهود قد فقدت القدرة على مواجهة العرب بالسلح ، ووجدت ان المصلحة تقتضي العمل السريع على افساد العلاقات العربية فيما بينها ، لجأوا الى

(١) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١ ص ٤٢٧ ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ص ٤٢٩ .
والسمهودي ، وفاء الوفاء ، ج١ ص ١٨١ .

(٢) ذكر ابن خلدون (تحايا) وذكرها السمهودي «تحامي» كما ان هناك اختلافات في بعض الالفاظ في المصادر المذكورة .

(٣) انظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج٧ ص ٤٢٩ . السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج١ ص ١٨٢ .

اسلوب الوقعة والدسيسة بين الاوس والخزرج فوسعوا الشقة واجبجوا العداوة . وقد ادرك العرب منهم ذلك ولقبوهم «بالثعالب» لما عرفوا فيهم من مكر ودهاء وخداع .

وقد استعمل اليهود هذا السلاح الخبيث حتى وقعت الحرب بين الاوس والخزرج وهلك فيها خلق كثير من الطرفين .
حرب سُمَيْر:

واول حرب وقعت بين الأوس والخزرج هي حرب «سُمَيْر» على ما يذكره الإخباريون . وسبب هذه الحرب ان سميراً - وهو من بني عمرو من الأوس - قتل رجلاً كان حليفاً لمالك بن العجلان واسم الرجل كعب وهو من بني ثعلبة . فثارَت الثائرة بين الأوس والخزرج بسبب هذا القتل وبسبب الدية ، إذ طالب مالك بن العجلان زعيم الخزرج بدية الصَّريح لحليفه ، بينما المتعارف عليه ، ان دية الحليف هي نصف دية الصَّريح ، ووقعت الحرب بينهما ولم تنته الا بعد ان اتفقوا على ان يحكم بينهم «المنذر ابن حرام النجاري الخزرجي» . وهو جد حسان بن ثابت ، فحكم بينهم بأن يؤدوا لكعب دية الصريح ، ثم يعودوا الى سنتهم القديمة ، وهي دفع نصف الدية عن الحليف . فرضوا وتفرقوا ، ولكن بعد ان تمكنت العداوة والبغضاء بين الطرفين^(١) .

ومما يجدر ذكره ان الشرارة الاولى لهذه الحرب انطلقت من سوق بني قينقاع في يثرب^(٢) ثم تجددت الحروب بين الأوس والخزرج وكانت تقع هذه الحروب لأتفه الأسباب ، وما كانت لتقع لولا ما اسلفنا من اسباب ادت الى اثارَة العصبية الضيقة بين الطرفين ، يثيرها في اغلب الاحيان افراد مغمورون من رجال او نساء ، ومن هذه الحروب حرب كعب بن عمرو المازني ، وحرب الحصين بن الأسلت ، وحرب ربيع الظفري وحرب فارع وحرب حاطب ويوم الربيع وحرب الفجار الاولى ، وهي ليست بفجار كنانة وقيس ، ثم حرب الفجار الثاني ثم يوم بعث ، وكان هذا اليوم آخر الأيام المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج^(٣) . وفي هذه الحرب الأخيرة يتضح دور اليهود وتتكشف

(١) انظر الاصفهاني ، الأغاني - ٣ ص ١٨ وما بعدها ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ، - ١ ص ٤٢٨ . ابن رسته ، الأعلام النفيسة ، ص ٦٤ . البلخي ، البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ١٨٩٩م ، ٣: ١٣٠ ص ١٣٠ .
(٢) انظر ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، - ١ ص ٤٢٨ ، محمد احمد جاد المولى . علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم أيام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ص ٦٢ .
(٣) انظر ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، - ١ ص ٤٢٩ وما بعدها . محمد احمد جاد المولى وزميله ، أيام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام - ١ ص ٦٩ وما بعدها .

نواياهم اكثر من اية حرب سبقتها، فلم يكتف اليهود بالدس الخفي بل نجدهم يباشرون القتال بأنفسهم مع الأوس كما سيأتي تفصيله .

يوم بعث :

وكان سبب حرب بعث - كما ذكر اهل الأخبار - ان الخزرج ظفروا على الأوس في الحروب المتقدمة، وعلم الخزرج ان اليهود من بني قريظة والنضير عزمت على مخالفة الأوس فأرسلت الخزرج الى اليهود تقول : «إن الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا، ولن يعجزنا ان نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب، فإن ظفروا بكم فذاك ما تكرهون، ويشغلكم من شأننا ما انتم الآن منه خالون، وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا» .

«فلما سمعوا ذلك علموا انه الحق، فأرسلوا الى الخزرج : انه قد كان الذي بلغكم والتمست الأوس نصرنا، وما كنا لننصرهم عليكم ابدا، فقالت لهم الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في ايدينا، فبعثوا اليهم بأربعين غلاما منهم، ففرقهم الخزرج في دورهم ومكثوا بذلك مدة»^(١) .

وكان زعيم الخزرج في هذه الحرب عمرو بن النعمان بن صلاءة بن عمرو بن امية ابن عامر بن بياضه، وكان على الأوس يومئذ حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجع من غطفان، وجهينة من قضاة، وحلفاء الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس، وقريظة والنضير من يهود^(٢) . وقد كان هذا اليوم عبوسا قاسيا على جميع البطون التي في يثرب لما لحقها من خسائر، وفي النهاية انهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح، فصاح صائح يا معشر الأوس احسنوا ولا تهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار «الثعالب»، فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وإنما سلبهم قريظة والنضير^(٣) .

(١) انظر الاصفهاني، الأغاني، حـ ١٥٤ ص ١٥٤ وما بعدها، السهمودي وفاة الوفاء حـ ١ ص ٢١٦ .

(٢) انظر ابن خلدون، تاريخ . . . حـ ٢ ص ٨٨ .

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ حـ ١ ص ٤٤٤ .

ونستخلص من هذه الحرب جملة نتائج جديرة بالاهتمام .

الأولى : أن القبائل اليهودية الكبرى حالفت الأوس ولم تحالف الخزرج . وكان الخزرج هم أصحاب الجاه والسلطان عند مقدم العرب الى يثرب ، وزعيمهم مالك بن العجلان هو الذي تسبب في إذلال اليهود وخضد شوكتهم في المدينة ، ولذلك أراد اليهود ان يذلوا الخزرج ويقضوا على قوتهم أولا ثم يصبح القضاء على الأوس ممكنا . وقصد اليهود ايضا من تحالفهم تأجيج الحرب وزيادة شدة القتال ليكون الجرح بين الحيين العربيين عميقا يصعب شفاؤه .

الثانية : ان العقلاء من الأوس والخزرج أدركوا ما رمى اليه اليهود ، وربما كان إدراكهم متأخرا ، فصاح صائحهم الأوسي لوقف القتال والحفاظ على صلة القرى وحسن الجوار لان جوار الخزرج أخوة الأوس خير من جوار الثعالب «اليهود» .

إن وصف اليهود بالثعالب من قبل حلفائهم وهم لا زالوا يقاتلون معهم له دلالته . فلا شك انهم سمعوا منهم ما يكشف بعض نواياهم البعيدة . كما رأوا قسوة اليهود على إخوانهم الخزرج وحرصهم على إبادتهم ونهب ممتلكاتهم ولذلك لم يسلبوها وإنما سلبهم قريظة والنضير . إن إدراك العرب في يثرب لنوايا اليهود ودسائسهم هو الذي جعل من بعث آخر يوم من أيام حروبهم ، لأنه من المفروض ان تشتد الحروب بعد سيل الدماء الذي جرى بين الطرفين ، فقد أصبح لكل بطن ثارات يطالب بها من البطن الآخر . وعلى الرغم من كل ذلك لم تحدث حرب بين الطرفين .

الثالثة : ان مقولة عمرو بن النعمان البياضي - زعيم الخزرج - الأنفة الذكر ، تأكيد لما ذهبنا اليه من أثر العامل الاقتصادي في افساد العلاقات الاجتماعية بين سكان المدينة ، كما يؤكد ان الخزرج اصحاب الجاه والسلطان لم يفوزوا بارض خصيبة وإنما كان سكنهم بين سبخة ومفازة ، بينما احتل اخوانهم الأوس الأقل منهم شأنا ، أرضا أخصب ، فكان لهذا أثره على العلاقات بين الحيين العربيين ،

فلربما تطلع الاوسيون الى السيادة والتفوق على الخزرج بعد أن تفوقوا عليهم في الثروة، وكانت الثروة ولا زالت من مقومات الرياسة الاساسية.

إذا أخذنا بهذه الملاحظات نجد ان التنازع بين الأوس والخزرج - بحسب ما ذكرنا من روايات - اتخذ طابعا قريبا ظاهره التنافس على الرياسة واحتلال مركز الصدارة في يثرب. ولما كان انتصار العرب على اليهود قد جاء على يد رجل من الخزرج اصبح له الذكر والشرف عليهم، كان طبيعيا ان يعمل الخزرج على الاحتفاظ بمركز الصدارة في المدينة

غير أن الأوس أثار في انفسهم أن يروا أبناء عمومتهم لهم الجاه والسلطان من دونهم، وهم الذين يملكون البقاع الزراعية ويتمتعون بمركز اقتصادي افضل من مركز الخزرج.

وقد أكد جاه مالك بن العجلان الخزرجي، الغطفاني الذي كان يقود فرسه في سوق بني قينقاع ويقول: «ليأخذ هذه الفرس أعز أهل يثرب، وأعطائها لمالك»^(١) وكانت سببا في حرب يوم سُمير.

وقد قيل إن بني قينقاع حالفوا الخزرج مقابل تحالف بني النضير وقريظة للأوس، غير أن بني قينقاع لم يكن لهم تأثير في مجريات الحرب كما كان للقبيلتين الأخريتين. وقد أظهر الربيع بن الحقيق - وهو من زعماء اليهود وشاعر بني النضير - استياءه الشديد مما دعاه المعاملة القاسية لبني قينقاع، وذكر معائب بني النضير وقريظة، وكان ابن الحقيق هذا من رؤساء اليهود يوم بعث وكان حليفا للخزرج هو وقومه فقال:

سئمت وأمسيت رهن الفرا	ش من جرم قومي ومن مغرم
ومن سفيه الرأي بعد النهى	وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو أن قومي أطاعوا الحلد	سيم لم يتعدوا ولم يظلم
فأودى السفية برأي الحلي	سم وانتشر الأمر لم يبرم ^(٢)

(١) انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢١ ص ٦٢. وابن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء هو الذي يقول ان ابن ابي الحقيق من بني النضير وليس من بني قريظة. أنظر طبقات فحول الشعراء، طبعة دار المعارف ص ٢٣٧.

وهذا الموقف شبيه بموقف الأوس من الخزرج حين انتصروا عليهم، وهذه تدل على رابطة الدم التي تجمع الأطراف المتعددة في يثرب وهي الرابطة التي يعول عليها كل طرف إذا ما جد الجد في نهاية الأمر.

من كل ما تقدم نرى ان العامل الاقتصادي كان هو العامل المتحكم في توجيه العلاقات العامة بين السكان في يثرب. وحتى بين بطون القبيلة الواحدة، ولم تستطع رابطة الدم ان تتغلب على الدوافع الاقتصادية، التي كان من السهل استغلالها للايقاع بين الأوس والخزرج أو بين بطون هاتين القبيلتين، لأن هذه البطون كانت تفضل الوقوف على الحياد لان مصلحتها الاقتصادية تدعو الى ذلك. وكانت بعض البطون تحاول الاستيلاء على ما في ايدي البطون الاخرى من أراضي ودور كما حدث بين بني حارثة وبني عبد الأشهل وهما بطنان من فرع واحد من الأوس وهو النبيت، كانا متجاورين في منازلهما، فتقاتلا حتى أجلى بنو حارثة اخوانهم بني عبد الأشهل حتى ألحقوهم بأرض بني سليم، ثم عاد هؤلاء بحلفائهم من بني سليم فهزموا بني حارثة واجلوهم الى خير فقاموا بها قريبا من سنة حتى تم الصلح بينهما^(١). وكما حدث بين بني بياضة وبني زريق وهما بطنان من فرع واحد من الخزرج اذ اقتتلوا وأجلى الأولون الآخرين من منازلهم^(٢).

وهكذا حدث يوم بعث ومجتمع يثرب في حالة من الغليان واضطراب المصالح لم يشهداها من قبل، وهو في نفس الوقت وضع حدا للحروب اللاحقة كما سبق وأسلمنا. فقد قتل في هذه الحروب عدد كبير من أفراد القبائل المتقاتلة. بينهم سروات القوم ورؤساؤهم ولم يبق من هؤلاء إلا القليل. وأصبحت الممتلكات بالاضرار الفادحة نتيجة التقطيع والتحريق الذي أصاب الأشجار المثمرة. كل هذه الحوادث جعلت العرب يفتحون عيونهم الى ما يراد بهم فأخذوا يفكرون في وضع حد لهذه المنازعات فبدأت الأفكار تتجه الى إيجاد جو من السلام ينصرف فيه الى أعمالهم ويتذوقون لذة الراحة وهناء العيش، وبخاصة البطون الصغيرة التي لم يكن من صالحها الاشتراك في هذه النزاعات وكان همها ان تعمل لتحصيل معاشها بسلام.

لذلك تنادى زعماء القوم من الطرفين الرئيسيين للأخذ على يد من تسول له نفسه

(١) انظر السهمودي، وفاء الوفاء، ج١ ص ١٩٢ وما بعدها.

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة.

إثارة الفتن وإيقاد نار العداوة من جديد. وقد خفت نار الحقد بين الأوس والخزرج حتى فكر الحيان بالاتحاد وانتخاب ملك يحكمهما. وقيل ان الرأي اتفق على ان يكون أول ملك عليهما عبد الله بن أبي بن سلول احد زعماء الخزرج المشهورين. وتقول الروايات انه لم يكن يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله على رجل من أحد الفريقين، فكان الخزرج قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكا على يثرب. فجاءهم الله برسوله ﷺ وهم على وشك تتويجه فلحق قومه الاسلام. ولما رأى أن القوم دخلوا في الاسلام وأبوا إلا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغينة^(١).

ولما سئم الحيان الكيран الحرب في يثرب، وأحس الجميع بالحاجة الى التخلي عن العداوة والجفاء والانصراف الى العمل المجدي في الزراعة والتجارة تظاهر اليهود بانهم كباقي الأحياء العربية يتطلعون الى السلام، بينما ظلوا يعملون سرا للايقاع بين الأوس والخزرج بعد ما غاظهم ما شاهدوه من الفتن وجماعتهم وصلاح ذات البين بفضل إسلامهم. وتوضح نيتهم هذه عندما ارسل «شاس بن قيس» فتى يهوديا كان معه إلى ناد من نوادي الأوس والخزرج، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار يوم بعث، حتى كاد القوم يتنازعون ورسول الله ﷺ بين أظهرهم^(٢).

أثر اليهود في الجزيرة العربية:

أقام اليهود لهم ملكا في فلسطين لفترة من الوقت، غير ان هذه الدولة لم تنتج شيئا للحضارة. «إذ لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية. كما انهم لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ»^(٣).

لقد قدم الفنيقيون للحضارة الانسانية الكثير من المنجزات التي يحق لهم الافتخار بها، ولكن فلسطين عاشت بعدهم فراغا طويلا، ولم تعاود رسالتها الانسانية الا بعد ان غمرها الاسلام.

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٥٨٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥٥ سنعود الى تفصيل هذه الرواية عند الحديث عن العلاقات العربية اليهودية في عهد الرسول ﷺ.

(٣) غوستاف لويون، اليهود في الحضارات الاولى، ص ٥.

قد يرى البعض أن تاريخ اليهود في جزيرة العرب كتب من وجهة النظر العربية نظرا لان المصادر العربية والاسلامية هي التي أوردت اخبار يهود جزيرة العرب عامة ويهود الشمال خاصة. ويحمل هذا الادعاء الشك في ان العرب المسلمين قضوا على كل مخلفات اليهود بعد ان اشتد العداء بينهم. وهذه الدعوى ضعيفة كما هو واضح لانه لا يمكن لأمة أن تطمس على حضارة أمة أخرى مهما بلغ بينهما من عدااء، وأمامنا في التاريخ أمثلة كثيرة لا تحصى. وكان بإمكان اليهود ان يحملوا بعض منتجاتهم الحضارية الى الشعوب المجاورة لو كانت لهم حضارة. ولم يكتب يهود الجزيرة تاريخهم، ولم يعثر المنقبون على شيء يدل على ان اليهود نقلوا خلال تاريخهم في الجزيرة العربية شيئا عن وصف حياتهم فيها.

ولذلك فإن الحديث عن يهود الجزيرة انما هو حديث عن قطاع عادي من سكان الجزيرة العربية منحت البيئته بعض الخصائص الاقتصادية. وسنرى ذلك في حديثنا عن جوانب حياتهم المختلفة.

الحالة الاقتصادية :

كانت الحالة الاقتصادية في مدينة يثرب متعددة الجوانب، نظرا لأن سكانها مارسوا جميع المهن المعروفة آنذاك، غير ان اشتغالهم بالزراعة فاق كل اعمالهم، ذلك لان المدينة تقع في منطقة خصيبة تسيل فيها الوديان وتغذيها الينابيع الغزيرة. وقد قام السكان بحفر الكثير من الآبار لري مزارعهم وشرب المياه النقية منها. ويظهر ان المياه الجوفية في هذه المنطقة قريبة من سطح الارض، تدل على ذلك الآبار الكثيرة المحفورة فيها. وقد وردت آيات في القرآن الكريم تشير الى جنات النخيل والأعشاب والزرع الأخرى من بينها الحبوب والبقول^(١)، وتدل الآيات ايضا على ان السكان كانوا يتعاملون بالثمار وبأثمانه كانوا يقضون حاجاتهم. وأكثر الأشجار ذكرا هي شجرة النخيل ولا غرو فهي شجرة الصحراء المشهورة، وكانت عماد غذاء أهل البادية.

(١) انظر سورة البقرة، الآيات: ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٦. سورة الانعام الآيات ٩٩، ١٤١، سورة الكهف الآيات: ٣٣-٣٤. سورة المؤمنون، آية: ٩، سورة ياسين الآيات: ٣٣-٣٤، سورة ق، الآيات: ١١-٧.

ليس هناك علاقة بين الزراعة في الجزيرة العربية وبين سكن اليهود فيها وذلك لان الزروع والتخيل في يثرب عرفت منذ عهد العمالة^(١).

وقد استوطن اليهود هذه الواحات الخصبة وتابعوا العمل الزراعي فيها، وهي لا تصلح لغير الزراعة، فكان لا بد ان يشتهر اليهود بالزراعة بصفتهم يسكنون أخصب الاراضي الزراعية تحيط بهم القبائل البدوية التي احترفت المهنة الرعوية. ولذلك لم تكن هناك فوارق تذكر بين السكان العاملين في الزراعة سواء اكانوا من العرب ام من اليهود اللهم الا في المعتقدات الدينية، وربما ان هذه الملاحظة هي التي جعلت بعض المستشرقين يذهبون الى القول: «ان اولئك اليهود لو كانوا يهودا حقا هاجروا من فلسطين الى هذه المواضع لكانت حالتهم وأوضاعهم أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها. اذ لا يعقل وصول جماعة الى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه اليهود في الجزيرة العربية لو كانوا من بلاد مستواها الثقافي والمدني ارقى من مستوى من هم دونهم كثيرا في شؤون الحياة، ومستوى الحياة في جميع نواحيها في فلسطين أرقى وأرفع من مستواها في الاماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب. فهم عرب متهودون لا يهود مهاجرون»^(٢).

إن هذا الرأي فيه تحامل على العرب الذين استقروا في المدن الرئيسية في الجزيرة العربية، ويكفي ان نتذكر انجازات اهل اليمن في ميدان الاقتصاد والعمران لنذكر ان المستوى الاجتماعي لسكان اليمن ومكة والمدينة واماكن الاستقرار الاخرى كان لا يقل عن مستوى اليهود.

ثم ما هو التفاوت الحضاري بين سكان المدينة وبين سكان فلسطين ايام الحكم اليهودي؟ انني أرى انه ليس هناك أي تفاوت في المستوى الاجتماعي والاقتصادي بينهما، مع ان يهود المدينة اقل عددا من يهود فلسطين، كما انهم لم يخضعوا لحكم ينظم شؤونهم كما هو الحال في فلسطين.

لقد ذكرنا من قبل ان الجماعات اليهودية التي سكنت في المحيط العربي كان دافعها الاساسي هو العيش بسلام ولذلك لم تحافظ على خصائصها اليهودية وسرعان ما اكتسبت خصائص المجتمع الجديد، ولم تبد من النشاط ما ابدته الجماعات اليهودية

(١) انظر ابن خلدون، تاريخ... ح ٢ ص ١٢.

(٢) جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ح ٦ ص ٥٣١، نقلا عن ونكلر.

التي استقرت في اماكن اخرى كالعراق مثلاً. ولذلك نجد ان معظم اسماء القبائل والبطون والاشخاص هي اسماء عربية كما ان شعرهم وفكرهم يحمل الطابع العربي . ولهذا السبب لم يجد البعض تبريراً لهذا الواقع الا بوصف يهودية الجزيرة العربية والادعاء بان لها صفة خاصة ، «كانت يهودية في اساسها ولكن غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلمودي»^(١)، ولقد اشتغل اليهود بالزراعة حسيماً تقتضي طبيعة المنطقة التي حلوا فيها، كما انهم لم يكونوا يجيدون غير هذه الحرفة ، ولذلك نجدهم ابتعدوا عن المجتمع التجاري في مكة وأقاموا في منطقة تكثر فيها السيول التي تتجمع في الحرات الشرقية والجنوبية في فترات مختلفة من السنة ، فتسيل الى الغرب والشمال حتى تتجمع آخر الأمر في شمال غرب المدينة عند مجتمع الأسياح حيث تنصب في وادي اضم الذي يسيل شمال غربي احد، وهذه الأودية كانت تروي كل منطقة المدينة وتسيل مياهها من شراج الحرة الشرقية في مياه قليلة احياناً وأحياناً أخرى تفيض حتى تغمر النخيل حتى أنصاف سيقانها^(٢) وعندما كانت تشح مياه السيول كان مزارعو المدينة يعمدون الى ري أشجارهم من مياه الآبار القريبة ، أو يحضرون لها الماء على ظهور الجمال^(٣).

كان أهل المدينة يهتمون بشجرة النخيل ويزرعونها بأعداد كبيرة، وكانوا يحوطونها فيجعلون من هذه الحوطات الحدائق ، وكانت ارض المدينة صالحة لزراعة النخيل حتى ليقال ان ودية النخل تثمر بعد عام من زرعها . وعلى انتاج النخيل كان يعتمد السكان فهو طعامهم وبه يتعاملون ، فتدفع منه الأجور وتسدد الديون^(٤) . وكان أهل المدينة ينتفعون من جميع أجزاء النخلة فيأكلون جمارها ، ويستخدمون جريدها في سقوف منازلهم ويعملون من خوصها المكاتل والقفف^(٥) . ويستخدمون سيقانها اعمدة لبيوتهم وحمالات لسقوفها ويستخدمون أجزاءها الشائكة وأغصانها اليابسة في الوقود ، واستخدموا

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود، ص ١٣ .

(٢) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح ٥ ص ٢٥٠ .

(٣) انظر الأصفهاني، الأغاني، ح ١٣ ص ١٨ .

(٤) انظر صحيح البخاري، ح ٣ ص ٦٣، ٦٨، باب البيوع .

(٥) انظر الخزاعي «ابو الحسن علي بن ذي الوزارتين محمد بن احمد بن موسى» الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية - دار الكتب، تاريخ تيمور رقم ١٩٣٨ ص ٦٣٨ .

النوى علفا لابلهم بعد تكسيورها فالنخلة من أكرم الأشجار عليهم حتى شبه النبي المؤمن بالنخلة كل ما فيه خير^(١).

وللنخل أنواع متعددة وتبعاً لذلك فأنماها متعددة الأصناف ومتفاوتة في الجودة والطعم. وقد كان لليهود بني النضير نوع فاخر من التمر يقال له «اللوز» أصفر شديد الصفرة ترى النواة فيه من اللحمية^(٢). لقد أوردت الروايات اشتغال اليهود بالزراعة واشتهارهم بها، ويذكر ولفنسون لنا رواية تقول بان اليهود أدخلوا أنواعاً جديدة من الأشجار وطرقاً جديدة للحرثة والزراعة بالألات حتى عدوا من أجل هذا أساتذة الحجاز^(٣).

إن جميع أصحاب المهن يحسنون من وسائل عملهم وأساليبهم مع الزمن فهذا شيء طبيعي يتفق والطبيعة الانسانية. ولا بد للذين يعملون بالزراعة من العمل على تربية المواشي والطيور الداجنة وهكذا كان حال يهود المدينة، فقد اشتغلوا بتربية الماشية والدجاج وصيد الأسماك^(٤).

ويعتبر الشعير من المحاصيل التي اهتم بها اليهود والعرب على السواء في يثرب، فقد زرعوه في الحقول وتحت أشجار النخيل^(٥)، ومبعث اهتمامهم بها ليكون علفاً لماشيتهم، وكان يزرع القمح والعنب وبعض الأنواع من الفاكهة مثل الرمان والموز والليمون والخضار والفواكه والبقول^(٦).

وقد أجاد سكان يثرب فن الزراعة نظراً لحاجتهم إليها، فجلهم كان يعمل بالزراعة، ومنهم من كان يملك الأرض الواسعة يزرعها لحسابه أو يزارع عليها أو يكرها «يؤجرها» ومنهم من كان يملك قدراً يقوم على زراعته بنفسه^(٧).

(١) انظر صحيح البخاري حد ٣، كتاب البيوع «الطبعة السعودية» ص ٦٩.

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٦٧.

(٤) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ١٧.

(٥) انظر المقرئزي، إمتاع الأسماع، لجنة التأليف والترجمة والنشر، حد ١ ص ١٨٢، ٣٢٨.

(٦) انظر صحيح البخاري حد ٣ باب المزارعة ص ٩٠.

أنظر كذلك الدلالات السمعية، المرجع السابق ص ٦٥٦، انظر البتوني الرحلة الحجازية ط ٢ ١٣٢٩ هـ، المطبعة الجمالية بمصر ص ٢٥٨.

(٧) انظر احمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة ص ٣٥٨.

ولم تكن المنتجات الزراعية كافية لتموين سكان المدينة، فكانوا يستوردون ما يسد حاجتهم من الخارج، من بلاد الشام، وكانوا يسلفون انباط الشام الحنطة والشعير والزبيب عند الحاجة الى أجل مسمى قد يمتد الى سنة أو سنتين حتى يضمّنوا ان يحصلوا على حاجتهم منه.

وكانت منطقة العوالي من أخصب مناطق المدينة، وكان سكانها من اليهود والعرب أغنياء، ونظرا لهذا الغنى، فقد استغل هؤلاء حاجة الفقراء من سكان المدينة وأدانوهم الأموال والطعام لقاء الرهن^(١). وقد يضطرونهم إلى بيع عقاراتهم وثمار اشجارهم ومحاصيلهم. وهكذا ازدادت ثروة الاغنياء بينما ازداد الفقير بؤسا واضطرّ صاحب الارض القليلة ان يتخلى عنها. ولهذا اتسعت الهوة بين الاغنياء الذين كانوا في الاغلب من اليهود وبين الفقراء وجلهم من العرب. وهذا التفاوت في الحياة الاقتصادية يؤدي في الغالب الى التنازع والقتال، وكان هذا التفاوت من أهم العوامل التي أثارت الحرب بين العرب واليهود في يثرب، ولم تسلم اشجار النخيل والاشجار المثمرة الاخرى من الحروب، فقد كانت تقطع الاشجار وتحرق، وكانت هذه الاشجار تؤثر في موقف من يملكها في الحرب^(٢). وقد نتج عن التفاوت في الرزق بين السكان الى اشتغال الاغنياء بالربا، وقد مارسها عرب الجزيرة منذ القدم، وكان لها أسوأ الأثر على التركيب الاجتماعي لمجتمعات الجزيرة العربية قبل الاسلام.

وقد عمل اليهود بالصناعة، فكانوا يصنعون بعض الآلات التي تلزمهم في الزراعة، ورغم بساطة هذه الصناعة، فقد تفوقت المدينة على مكة في نشاطها الصناعي كما تفوقت عليها في نشاطها الزراعي. ولكن لم تبلغ الصناعة في المدينة شهرتها في بلاد الفينيقيين مما يدل على ان الشعب اليهودي لم يجاوز طبائع امم الزراع والرعاة الا قليلا جدا^(٣). وذلك لأن الصناعة التي قامت في المدينة كانت من مستلزمات الحياة الضرورية للمجتمع المدني، ورغم تطور الزمن لم تبلغ هذه الصناعة مرحلة التصدير، فقد ظلت المنتجات الزراعية تحتل المرتبة الأولى بين صادرات وواردات المدينة. ولا

(١) انظر صحيح البخاري، حـ ٣ كتاب السلم ص ٧٦.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة حـ ١ ص ١٩١. صحيح البخاري، كتاب المزارعة حـ ٣ ص ٩١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ حـ ٢ ص ١١٣.

(٣) انظر غوستاف لوبون، تاريخ اليهود في الحضارات الاولى، ص ٤٣.

يعني هذا القول التقليل من أثر الصناعة على حياة سكان المدينة من الناحية الاقتصادية، بل نقول بأن الصناعة التي مارسها صناع المدينة كان لها أثر كبير على تنشيط الحركة الاقتصادية في المدينة، وكان اليهود هم أكثر المستفيدين من كل هذا نظرا لأن أكثر الصناع هم منهم. وكان العرب يأنفون من العمل في الزراعة والصناعة ويعتبرونها أعمالا وضیعة لا تليق بهم مما أدى إلى احتكار اليهود لهذه الحرفة. ومن الصناعات التي قامت في المدينة واشتهر بها اليهود، صناعة الخمر من التمر والبسر وكانوا يسمونها الفضيخ^(١). وكانوا يشربونها ويتاجرون بها. وكان العرب واليهود يخزنون الخمر بالجرار.

ومن الآيات المتعددة الواردة في القرآن الكريم حول الخمر نستدل أن الخمر كان معروفا وموجودا بكثرة عند عرب الجاهلية. وكان اليهود يصنعون القفف والمكاتل «المقاطف» من سعف النخيل.

وكانت هذه تستخدم في أعمال الزراعة والبناء، وقد استعار الرسول ﷺ مثل هذه الأدوات من اليهود يوم الخندق لاستعمالها في الحفر ونقل التراب^(٢). وكذلك عمل اليهود في التجارة فكانوا يصنعون الأبواب والنوافذ والأثاث، واستعمل المدنيون الكراسي المصنوعة من الخشب والحديد^(٣). ومما ساعد على قيام الصناعات الخشبية وجود شجر الطرفاء والأثل في منطقة الغابة في شمال غربي المدينة^(٤). وكانت الحدادة من الصناعات التي مارسها اليهود، بل هي أول صنعة بدت مستقلة عند بني إسرائيل في فلسطين ورغم ذلك ظل اليهود يستعملون الأدوات الحجرية والخشبية، فبالمقلاع قتل داود جليات^(٥). وفي المدينة كانت هناك علاقة بين الحدادة وبين المتطلبات الزراعية، لأن الزراعة تحتاج إلى فؤوس «كرازين» ومحاريث ومساح ومكاتل «قفف» ومناجل للحصد وغير ذلك مما يستعمله المزارعون في أعمالهم، وهذه الآلات كان يصنعها العرب واليهود والموالي على السواء، وإن كان الموالي والعبيد أكثر احترافا لها^(٦).

(١) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار «مختار الصحاح مادة فضح» انظر البخاري حـ ٧ ص ٩٤ «كتاب الأشربة».

(٢) انظر الواقدي، المغازي حـ ٢ ص ٤٤٥.

(٣) انظر الخزاعي، الدلالات السمعية، المرجع السابق ص ١١٥-١١٦.

(٤) انظر صحيح البخاري حـ ٣ ص ٥٤. كذلك ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة جمعية المعارف بمصر حـ ١ ص ٤٣. الدلالات السمعية، المرجع السابق ص ٦٥٧-٦٥٨.

(٥) انظر غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٤٣.

(٦) انظر أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٧٧.

وقد اشتهر بنو قينقاع بصناعة الصياغة، وكان لهم في يثرب حي خاص يعرف بحي بني قينقاع^(١). وكانوا يصنعون انواعا كثيرة من الحلي من الذهب منها الاساور والدمالج والخلائيل والأقراط والخواتم والعقود من الذهب أو من الجواهر والزمرد أو من الجزع الظفاري وهو خرز ثمين به ألوان بيضاء وسوداء، وكانوا يبيعون هذه الحلي في سوقهم الذي كانت تأتيه النساء من أهل المدينة، يشترين ما يلزمهن منها. ويقدم الناس إلى هذه السوق لأخذ حاجات نسائهم وفتياتهم سواء في ذلك أهل المدينة وأهل البادية أو من المدن الأخرى في الحجاز. وكان اليهود يمتلكون كميات كبيرة من هذه الحلي^(٢).

وكانت صناعة الأسلحة والدروع رائجـة في المدينة، ومعظم صناعتها من اليهود الذين اشتهروا بصناعة الدروع المسرودة، ويقولون بأنهم ورثوا هذه الصناعة عن النبي داود^(٣) الذي منحه الله القدرة على ثني الحديد وقتله دون إدخاله في النار، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالِ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

وكانت السيوف والنبال من مصنوعات المدينة، واشتهرت يثرب بنبالها وكان في المدينة صناع متخصصون بجلاء الأسلحة وصقل السيوف^(٥). ثم كانت هناك أدوات الصيد يصنعونها من فخاخ وشباك وأشراك من الحديد وغير ذلك^(٦).

وقد عملت النساء ببعض الصناعات الخفيفة مثل نسيج الثياب وتطريزها وخياطتها، كما اشتغل بعض الناس بدباغة الجلود وصنع الطوب من التراب لغرض البناء، كما كان هناك صناعات لآنية المنازل وأدواتها من نحاس وفخار لأغراض الأكل والشرب وما إلى ذلك من مصنوعات هي مستعملات الناس وحاجاتهم.

وهكذا نجد ان المدينة كانت مزدهرة بالحركة الصناعية اذا ما قورنت بمدن الجزيرة

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ١٩.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ١٩.

(٤) سورة سبأ، الآيات: ١٠، ١١. انظر تفسير ابن كثير، طبعة الحلبي ج ٢ ص ٢٢٦.

(٥) انظر الخزاعي، الدلالات السمعية، ص ٤٠٠.

(٦) انظر الدلالات السمعية، المرجع السابق ص ٦٧٦، ٦٧٧.

العربية الاخرى في تلك الحقبة من الزمن . وقد ساهم في هذه الحركة الصناعية العرب والموالي الى جانب اليهود .

وقد شجع ازدهار المدينة الاقتصادي الناس على القدوم اليها والاقامة بها . لذلك كثر في يثرب الروم والقبط والفرس والأحباش ، وهم إما من الموالي أو العبيد يمارسون العمل لأنفسهم أو لأسيادهم ، ولو توفر للمجتمع المدني الاستقرار والتعاون لكان للمدينة شأن أهم في منطقة الحجاز .

الحالة التجارية :

إن اشتغال سكان يثرب بالزراعة والصناعة يلزمهم الاشتغال بالتجارة ايضا فطبيعة الاستقرار وتبادل المنافع يولدان العمل التجاري . ولم تكن المدينة منعزلة عما يحيط بها من قرى أهلة بالسكان أو قبائل تتردد عليها بين الحين والآخر لتزود منها بما يحتاج اليه من منتجات زراعية او صناعية . ان هذه الشروط التي من شأنها تنشيط الحركة التجارية كانت متوفرة في المدينة . وفي القرآن الكريم آيات مدنية كثيرة فيها بعض الأوامر والنواهي ، والتشريعات التي تكشف النقاب عن وجود حركة تجارية ناشطة قبل الاسلام^(١) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلَوْا مِنْهَا وَأُطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٢) .

وفي مجال النشاط الداخلي كان في المدينة أسواق في الجاهلية مثل سوق بني قينقاع عند جسر وادي بطحان وسوق اخرى بزياله من الناحية التي تدعى يثرب وسوق بالصفاصف بالقصبة ، وسوق يقوم في موضع بزقاق آخر كان يقال له «مزاحم» كانت تقوم في الجاهلية وأول الاسلام .

(١) انظر سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ . النساء ، الآية ٢٩ . الجمعة ، الآيات : ٩-١١ .

(٢) سورة الحج ، الآيات : ٢٧-٢٨ .

وقد اتسعت سوق زباله بعد ان فسدت العلاقات بين المسلمين واليهود لان المسلمين اتخذواها سوقا لهم . وهناك أسواق أخرى مماثلة لا ضرورة لذكرها^(١) .

ولما جاء الاسلام لم يحرم العمل في هذه الأسواق وخاصة في مواسم الحج وليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم^(٢) .

وكان لهذه الاسواق ضجة شبيهة بالضجة التي نسمعها في أيامها الحاضرة، وقد اشتهر سوق بني قينقاع اكثر من غيره في الأخذ والعطاء والتعامل . وكانت تعرض في هذه الاسواق الابل والخيول والغنم والصوف والوبر والسمن والاقط وغير ذلك مما تنتجه مواشي أهل البادية . كما كانت تعرض في الاسواق المنتوجات الصناعية كالأسلحة وأدوات الزراعة، بالإضافة الى الحلي والصياغة حيث كانت يثرب تمون المدن الحجازية بحاجتها من هذه الحلي^(٣) . وكان التجار يضعون بضائعهم في السوق حيث شاؤوا والمكان لمن سبق^(٤) .

ويقول السهمودي : «إن الراكب كان ينزل بسوق المدينة فيضع رحله ثم يطوف بالسوق ورحله بعينه يبصره ولا يغيبه عنه شيء»^(٥) .

وكان يباع في هذه الاسواق التمر والشعير والطعام «الحنطة» والخمر، وحتى الحطب كان يجلبه الحطابون من أشجار المدينة أو من الغابة أو من البادية . وفي هذه الاسواق كانت تعرض منتوجات البلدان المجاورة كالنبيذ والزيت والحنطة والمنسوجات القطنية والحريرية، والنمازق الملونة والمرسومة يبتاعها الأغنياء . كما كان هناك عطارون يتاجرون في انواع العطرة والمسك والروائح العطرية . وكان لكل طائفة من الباعة موضع معلوم في السوق^(٦) .

وكانت أعمال الصيرفة معروفة عند أهل الجاهلية ويعملون بها كنوع من انواع التجارة . وقد أشارت احاديث كثيرة الى بيع الذهب بالذهب . وبيع الفضة بالفضة،

(١) انظر السهمودي، وفاء الوفاء حـ ٢ ص ٧٤٦، ٧٤٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٩٨ . انظر كذلك صحيح البخاري حـ ٣ ص ٤٦، ففيه تفاصيل عن حركة البيع .

(٣) انظر السهمودي، وفاء الوفاء، حـ ٢ ص ٧٥٤-٧٥٥ .

(٤) انظر السهمودي، المرجع السابق حـ ١ ص ٧٤٧-٧٥٧ . وأحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة . ص ٣٦٥ .

(٥) وفاء الوفاء، حـ ٢ ص ٧٤٩ .

(٦) انظر السهمودي، وفاء الوفاء، حـ ١ ص ٧٤٧-٧٥٧ . أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ص ٣٦٥ .

والورق بالورق، والدينار بالدينار، والورق بالذهب أو الذهب بالورق. وهذا يشير الى ان عمليات تبادل العملات كانت تحصل في اسواق المدينة^(١). وكانت السمسة حرفة يحترفها بعض الناس، فيتولون البيع نيابة عن اصحاب البضائع وبخاصة من اهل البادية. وكثيرا ما كان هؤلاء السماسة يستغلون جهل اهل البادية في الأمور التجارية ويستغلونهم بالتلاعب بالأسعار فيخسرونهم^(٢)، وكانت السوق تخضع لقانون العرف والعادة، فأصحاب كل حرفة كانت لهم سنتهم في البيوع والاجاره والمكيال والوزن^(٣). وعلى ذلك لم تكن هناك رقابة مفروضة على أعمال السوق، لان المدينة كانت تحيا حياة قبلية تامة. وفي مثل هذه الاحوال لا بد ان يقع بعض السذج من الناس فريسة للمحتالين والغشاشين، فقد ذكرت بعض الروايات وجود غش في حالات البيع^(٤).

وكان البيع يتم بعض الأحيان بالنسيئة «تأجيل الثمن» وبالرهن. كل ذلك لتصريف المتوجات المعروضة للبيع وتحقيق الارباح. وقد كان الربا مظهرا من مظاهر الحياة الاقتصادية في مجتمع الجزيرة العربية عامة ومجتمع المدينة خاصة. وفي القرآن الكريم آيات تندد باليهود وتنعي عليهم اخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾^(٥). ولم يكن اليهود وحدهم العاملين بالربا. بل نجد بعض العرب كانوا يتعاملون بالربا مع قومهم، ومنهم «أحيحة» بن الجلاج، أحد زعماء الأوس، وكاد هذا يحيط بأموال قومه^(٦). وقد لعب الربا دورا خطيرا في حياة الناس حتى ان الاسلام قضى عليه بالتدريج لصعوبة ابطاله والقضاء عليه دفعة واحدة. فقد تدرج القرآن في ابطال التعامل به، فبدأ بالنهي عن الربا الفاحش ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾^(٧). ثم حرمه تحريما كاملا موضحا أضراره ومساوئه ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى

(١) انظر صحيح البخاري ج٣ ص ٦٥-٦٦.

(٢) انظر الخزاعي، الدلالات السمية، ص ٦٥٣.

(٣) انظر صحيح البخاري ج٣ ص ٦٩.

(٤) انظر السهري، وفاء الوفاء ج٢ ص ٧٥٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦١.

(٦) انظر الأصفهاني، الأغاني ج١٣ ص ١١٨.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحى الله
الرَّبِّيُّ ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم^(١).

ونظرا لوقوع المدينة على الطرق التجارية المؤدية الى الشام في الشمال واليمن
والحبشة في الجنوب، فقد لعبت دورها في ميدان التجارة الخارجية التي برع بها أهل
مكة. ولا يعقل ان لا يكون سكان المدينة قد قاموا برحلاتهم التجارية الى الخارج، وان
لا يكونوا قد ضربوا بسهم وافر في هذا الميدان التجاري لان الربح فيه اوفر. وقد اشتهر
اليهودي «أبورافع» بتسيير القوافل التجارية الى بلاد الشام وجلب منتوجاتها من الأقمشة
والخمر والزيت^(٢).

وتحدثنا الاخبار عن يهودي آخر برع في التجارة في بلاد الحجاز حتى لقد احق
عليه القرشيين انفسهم وهم ما هم عليه من براعة وخبرة تجارية، فقتلوه ليتخلصوا من
منافسته^(٣).

وقد استورد تجار المدينة العطور والمسك من البحرين التي كان يصلها المسك
من الهند^(٤). وجلبت خامات الذهب والحديد وغيره من مستلزمات الصناعة في المدينة
من الخارج. وكان التجار من الأنباط يأتون الى المدينة بقوافلهم وهي تحمل الحنطة
والزبيب والزيت^(٥). وكثيرا ما كان اهل يثرب يدفعون اليهم مقدما ثمن البضائع ليضمنوا
ورودها^(٦). وربما كان المدنيون انفسهم يرحلون مع القوافل لجلب حاجاتهم من الشمال
او الجنوب بالطرق البرية او البحرية، وكان قرب المدينة من البحر الاحمر يساعد على
السفر البحري، فكان لها ميناء صغيرة ترسو فيها السفن تدعى الجار، كما كانت أيلة
والجار تستقبل السفن القادمة من الحبشة وعدن والصين ومصر وسائر بلاد الهند، وكانت
ميناء هاما حتى لقد سمي هذا الجزء من البحر الأحمر من جدة الى أيلة «الجار»^(٧). ولا
بد ان يكون أهل المدينة قد استفادوا من هذا المرفأ التجاري الهام. والى جانب هذه

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) انظر الديار بكري، الخميس في أحوال انفس نفيس، ج٢ ص ١٣.

(٣) انظر البلاذري، انساب الاشراف ج١ ص ٧٣.

(٤) انظر الخزاعي، الدلالات السمعية، ص ٦٤٣.

(٥) انظر احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٧٢.

(٦) المرجع السابق نفسه والصفحة.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص ٣٤.

العناصر المكونة للحياة الاقتصادية مارس سكان المدينة الاتجار بالرقيق وبقي قسم من السكان يمتهن الحياة الرعوية. وكان قسم آخر من السكان يمتهن الصيد، وكانت هذه الحرفة وسيلة من وسائل المعيشة عند بعض الناس. فكان الصيادون سواء من سكان المدينة او من سكان البادية يصطادون الحمر الوحشية والغزلان والارانب والضباري يطاردونها بالخيول ويرمونها بالرماح او بالسهم، واستخدموا الكلاب المعلمة والبزاة للقبض على الصيد^(١). كانت الحياة في تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر نماذج مصغرة للحياة في مدينة يثرب، سواء كان ذلك في المجالات الاقتصادية او الاجتماعية.

وفي مجال العمران لم يخلف اليهود أثراً واحداً يمكن ان يدل على انهم كان لهم طابع خاص بهم، أو أنهم ابتكروا فنا معماريا مميزا. وهذا شأنهم عبر تاريخهم، وقد ذكرنا من قبل ان الفضل في بناء هيكل سليمان وتزيينه انما يعود للصوريين وليس لليهود.

وكان سليمان يعطي حيرام في كل عام عشرين الف كر من الحنطة وعشرين الف كر من الزيت، ويدل هذا بما فيه الكفاية على اي شيء كانت تقوم ثروة بني اسرائيل^(٢).

وقد جاء في التوراة ما يفيد ان العمال المهرة انما أتوا من فنيقية، وهذا حيرام ملك صور يصف احد العمال المهرة الذين ارسلهم لسليمان: «والآن أرسلت رجلا حكيما صاحب فهم حورام ابي ابن امرأة من بنات دان وأبوه رجل صوري ماهر في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والأرجوان والاسمانجونى والكتان والقرمز ونقش كل نوع من النقش واختراع كل اختراع يلقى عليه...»^(٣). وأشرف هذا العامل على صهر مازين به الهيكل من الأعمدة والآنية النحاسية ووضعها^(٤).

ويقول غوستاف لوبون: «واذا لم تخرج الصناعة في بلاد اليهودية عن أدنى الأطوار البدائية أمكننا ان نبصر من ذلك حال الفنون في تلك البلاد، او عدم وجود هذه الفنون

(١) انظر صحيح البخاري، ح-٧ ص ٧٥. مسلم، الجامع الصحيح، طبعة القاهرة ١٣٨٤هـ- ح-٥ ص ٣٥-٣٧.

(٢) انظر السهمودي، وفاء الوفاء، ح-٢ ص ٧٥٤، غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ص ٣٤.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٢: ١٣-١٥.

(٤) انظر غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى ص ٤٣.

فيها على الأصح^(١). وهكذا نجد ان اليهود الذين عجزوا عن ابداء اي نوع حضاري في فلسطين الأم لا يتوقع منهم ان ينبغوا في مهاجرهم في الجزيرة العربية.

وليس صحيحا ما يقال ان البيئة الجديدة التي حل بها اليهود في جزيرة العرب هي التي شلت قواهم الروحانية وغلبت عليهم العقلية البدوية، لان اليهود استوطنوا المدن الخصيبة في بلاد الحجاز ولم يستوطنوا البوادي وعاشوا حياة الاستقرار، ومارسوا المهن الحضرية، ورغم ذلك عجزوا عن صنع فن او حضارة تنافس حتى الحضارة النبطية او اليمنية. لقد استطاع المسلمون في مدة وجيزة من الهجرة ان يجعلوا المدينة سيدة الجزيرة العربية، وهو ما عجز عن عمله اليهود في مئات السنين^(٢).

الحياة الفكرية ليهود الجزيرة:

تكلم اليهود اللغة العربية في الجزيرة، ويقول ولفنسون بأنها كانت مشوبة بالרטانة العبرية^(٣). وكانت القراءة والكتابة في بلاد الحجاز نادرة، فقليل من الأوس والخزرج كان قد تعلم الكتابة العربية، كما ان القليل من اليهود تعلم العربية، وكان صبيان من المدينة قد تعلموا الكتابة العربية في الزمن الاول^(٤).

ويقسم ولفنسون يهود الحجاز إلى قسمين: أحبار وجهلة أميون وذلك تبعا للآية الكريمة: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون^(٥). غير أن تسميتهم بالأميين هنا لجحودهم كتب الله ورسله^(٦)، لأنهم لا يجهلون الكتابة بل الويل والهلاك لهم مما كتبت أيديهم من تزوير على الله^(٧). والأحبار هم العلماء^(٨)، ويقول ولفنسون بأن حبر تعني الرفيق وهي عبرية

(١) المرجع السابق والصفحة.

(٢) يذهب الباحث اليهودي ولفنسون الى القول بأثر البيئة الجديدة على جمود يهود اهل الحجاز.

انظر تاريخ اليهود في بلاد العرب . . . ص ٢٠، وما بعدها.

(٣) انظر تاريخ اليهود في بلاد العرب . . . ص ٢٠.

(٤) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٩.

(٥) سورة البقرة، الآيات ٧٨-٧٩.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١١٦.

(٧) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١ ص ١١٠.

(٨) احبار: جمع حبر والحبر العالم. القاموس.

الأصل، وكانت تطلق في العصور الأولى قبل الميلاد على كل عضو من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية «الفروشيم» ثم لما تغلبت تعاليم هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر ولذلك كان الأحرار موضع الاحترام العظيم^(١). ومما يدلنا على مكانة الأحرار عند اليهود قول جماعة من اليهود للرسول ﷺ، عندما سألهم عن مكانة عبدالله بن سلام: «سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا»^(٢) وكان الأحرار يتولون امر القضاء والفصل في الخصومات كما يقول القرآن الكريم ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحرار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾^(٣). ويظهر ان فئة الأحرار كانت هي الفئة المتعلمة في المجتمع اليهودي، كما كان لها سلطان على اليهود. وقد تولت هذه امر تحريف الديانة اليهودية وحجاج الرسول محمد ﷺ، كما يفهم من قوله تعالى الأنف الذكر. كما لم يكونوا يحكمون بالحق بين الناس، وكانوا يحابون ويتحيزيون ويحكمون بالباطل ويأكلون «السحت» اي الرشاء جزاء حكمهم بالباطل. وكانوا يتساهلون في تطبيق الشريعة مع الشريف لشرفه، ويتشددون في تطبيقها مع الدنيء فقير الحال^(٤).

لم يخلف اليهود ادبا مكتوبا لهم في الجزيرة العربية، وكل الذي خلفوه بعض الشعر الذي يدلنا على ان اليهود تعرضوا واخذوا يتكلمون العربية، وامتزجت عاداتهم بعادات العرب وتخلقوا بأخلاقهم ونزلوا عن كثير من مصطلحاتهم ومواصفاتهم، واصبحوا يفاخرون كالعرب بالشجاعة وعلو الهمة وإكرام الضيف، يوقدون النار في الليل ليرشدوا السائرين ويدعوهم الى الضيافة على عادة العرب، وينظمون الشعر في هذه الأغراض الكثيرة. ولولا أن اليهود تأثروا بالبيئة العربية منذ القديم واصبحوا لا يميزون عن العرب إلا بالدين، لما استطاع بعضهم ان يسترسل بالشعر استرسالا لا يشك معه المرء بأن هذا الشعر إنما هو شعر عربي أملتة نفسية عربية. وبالإجمال كان كل ما يحرك نفس العربي ويدعوه الى قرض الشعر من تهديد في الجاهلية ويدعوهم الى ان يخوضوا فيه بالقول الفصل والشعر المتين^(٥). ويعزو ولفنسون قلة ما وصلنا من شعر يهود الجاهلية الى

(١) انظر تاريخ اليهود في بلاد العرب ... ص ٢٠، ٢١.

(٢) انظر ابن هشام، السير النبوية، ج ١ ص ٥١٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٣.

(٤) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٣٥.

(٥) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٢٣.

الحوادث الكثيرة ويقول بأن هذه الحوادث افقدتنا اكثر تلك الثروة الادبية^(١).

ولكننا لا نفهم كيف ان هذه الحوادث التي يشير اليها ولفنسون استطاعت ان تفقدنا ثروة اليهود الادبية، مع ان اشعار الجاهليين وصلتنا بطريقة الرواية، ولم تكن مكتوبة على الرقاع او غيره حتى يقال بأن ما كتبت عليه الأشعار قد اتلف؟! ومن الأفضل القول إن الحوادث المشار اليها كانت حافزا على حفظ ما يقوله اليهود ونقله من جيل الى جيل تماشيا مع الطبيعة البشرية التي تحرص على حفظ تراثها. وقد يقبل الإنسان ما يقال عن تأثير اليهود في بعض جوانب الحياة لعرب الحجاز قبل الاسلام، ولكن كيف يقبل القول بأن هؤلاء أثروا على الشعر العربي ودفعوه الى الأمام، والشعر من مميزات العرب وبه امتازوا على غيرهم من الشعوب. وفي هذا المعنى قال احد الباحثين في معرض رده على الذين يبالغون بأثر اليهود على الادب العربي: «اخذ اليهود عن جيرانهم العرب فن الكلام والنطق الصحيح وفصاحة التعبير فلما وصل بنو قينقاع والنضير وقريظة ويهود خيبر ووادي القرى وغيرهم الى الفرات والشام وفلسطين كانوا يتكلمون لغة عربية ويتأدبون بأدب عربي، ويتطبعون بطباع عربية كلها شجاعة ووفاء وكرم واباء. يقولون الشعر في مختلف فنونه ويعبرون عن خواطرهم في لغة هي لغة اهل الحجاز، نزل اولئك اليهود في اوطانهم الجديدة فأثروا في ابناء ملتهم تأثيرا قويا . . . ولم يقف اثر العرب والعربية في اليهود عند اللغة وآدابها بل تعدى العربية الأدبية الى عربية القرآن الكريم والحرص على المحافظة على كتاب الله. وهذه ظاهرة جديدة لم يكن لليهود بها عهد في عصورهم القديمة حتى في فلسطين وإبان قيام دولتهم وحياة لغتهم العبرية المقدسة، وقد حبيت هذه الظاهرة الى اليهود اقتفاء اثر العرب ومجاراتهم في طريقة دراسة القرآن الكريم، وحاول اليهود المحرص على نطق اسفار العهد القديم نطقا صحيحا، فدفعهم هذا الى التفكير في إعجام اسفارهم وإعرابها مقلدين العرب وناقلين عنهم.

وتأثر اليهود بالعرب ايضا فأوجدوا ما يعرف في الأدب العبري بالشعر العبري بالحديث او «البيوتيم» فهذا الفن صورة من الشعر العربي وزنا وقافية^(٢).

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود . . . ص ٢٣. انظر كذلك طه حسين مجلة الجامعة المصرية، السنة الثالثة، العدد الأول ص ٧٨.

(٢) الدكتور فؤاد حسنين علي، من مقدمة كتاب شمس الله على الغرب، للدكتورة سيجرد هونكه، دار النهضة العربية، بمصر ترجم الكتاب وحققه وعلق عليه، الدكتور فؤاد حسنين علي.

وقد افرد محمد بن سلام الجمحي في مصنفه «طبقات فحول الشعراء» طبقة باسم «طبقة شعراء يهود» اورد في هذه الطبقة اخبار ثمانية من شعراء يهود المدينة وما حولها وقال: «في يهود المدينة واكنافها شعر جيد»^(١). واخبار الشعراء اليهود مستقاة من المصادر الإسلامية لأننا لا نعرف نصا جاهليا جاء فيه خبر عن شعر او شعراء يهود، وكذلك لم نتحدث المصادر العبرانية عن شيء من هذا. وسكوت المصادر العبرية عن اخبار يهود بلاد العرب دليل آخر على عزلة يهودية بلاد العرب وابتعادها عن اليهودية الأصلية، وتأقلمها بالأقليم العربي. ولو كان عند يهود الحجاز ادب يعتد به لتناقلته الألسن ولحفظه الرواة، سيما وأن الحجاز على طريق التجارة وصلة الوصل بين اليمن في الجنوب والشام في الشمال، وكان اليهود يهاجرون باستمرار من الجزيرة العربية نحو بلاد الشام. ومن يقرأ شعر اليهود لا يجد فيه اثرا لليهودية، فهو خلو من قصص التوراة او التلمود الدينية الأخرى او اي شيء له صلة بالعقيدة اليهودية. فهل هذه الظاهرة عند شعراء اليهود تدل على انهم افتقدوا الشعور الديني ولم يعد يحرك فيهم عاطفة؟ أم ان المصادر الإسلامية لم تحمل لنا من شعر اليهود إلا ما راق لها، وحذفت كل شعر تحدث بأمور الدين اليهودي؟.

ويذهب ولفنسون الى تعليل قلة ما وصلنا من شعراء اليهود في الجاهلية الى ضعف اقبال اليهود على اعتناق الاسلام ومن تناسل منهم تخليدا لما كان لأجدادهم من مجد اثيل وشرف عظيم.^(٢)

وينقل ولفنسون عن طه حسين قوله: «إن اليهود قالوا كثيراً من الشعر في الدين وهجاء العرب وإنهم انتحلوا وصنعوا شعرا لا ثبات وجود لهم في الشعر فنسبوه الى شعراء يهود، ولكن الرواة العرب لم يحفلوا به فضاع»^(٣).

وإذا كان الرواة العرب لم ينقلوا شعر اليهود، فمن اين نعرف شعر اليهود المزعوم؟...

إن شعراء الجاهلية من العرب قد قرضوا الشعر في جميع الأغراض ومع ذلك حفظت لهم المصادر الإسلامية ما وصلها من روايات. ويكفي هذه المصادر فخراً أنها

(١) طبقات فحول الشعراء، طبعة دار المعارف ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ... ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

وحدها التي حفظت ما ينسب لشعراء الحجاز من اليهود من شعر. إذ لولا هذه المصادر لما عرفنا ان اليهود كان لهم شعراؤهم بالعربية، وعلى كل حال فقد وصلتنا بعض الأشعار من يهود الجاهلية، ولا بد ان شيئا من الشعر اليهودي قد ضاع دون قصد شأنه في ذلك شأن الكثير من الاشعار العربية التي لم تصل إلينا، لبعده العهد بين زمان شعراء الجاهلية وبين عهد التدوين والكتابة.

واشهر شعراء اليهود الذي تُردّد الروايات العربية ذكره، هو «السموئل بن عاديا» صاحب الحصن المشهور «الأبلق» بتيماء وقد اختلف في نسبه «عاديا» أو «عادياء»، فقالوا: «عادياء بن حباء» وقالوا «عادياء بن رفاعه بن جفنة»، وقالوا: انه من أولاد الكاهن ابن هارون بن عمران^(١). وقالوا: «إنه من بني غسان» ونسبه «دارم بن عقال» الى رفاعه ابن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء» وهو نسب انكره «ابو الفرج الاصفهاني» حيث قال: «وهذا عندي محال لأن الأعشى ادرك شريح بن سموأل وأدرك الاسلام. وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز ان يكون بينه وبين سموئل ثلاثة ابناء ولا عشرة ولا اكثر... وقد قيل إن أمه كانت من غسان»^(٢). ونسب سموئل ايضا الى الأزد^(٣).

وذكر ابن دريد ان سموئل من «كعب بن عمرو بن عامر» ولكنه ذكر ايضا انه كان يهودياً^(٤). ونسبه «محمد بن حبيب» الى غسان كذلك ولم يشر إلى تهوده^(٥) وجعله ابن قتيبة ملكا على تيماء^(٦).

والسموئل جد «صفية بنت حيي بن اخطب اليهودية» لأمها، وقد تزوجها الرسول ﷺ، وقد نسبها «ابن عبد البر» على هذه الصورة «صفية بنت حيي بن اخطب بن شعبه ابن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بي ابي حبيب بن النضير بن النحام بن نخوم»^(٧)

(١) انظر الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي، معاهد التنصيص... تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م ج١ ص ٣١٨. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٩ ص ٧٧.

(٢) انظر الأغاني ج١٩ ص ٩٨.

(٣) انظر جواد علي، المفصل... ج٩ ص ٧٧١.

(٤) الاشتقاق... ص ٤٣٦.

(٥) انظر المعبر... ص ٣٤٩.

(٦) الشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م، ج١ ص ٦٠، ٦١.

(٧) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ج٢ ص ٦٤٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق البجاوي، مكتبة نهضة مصر ج٤ رقم ١٨٧١ (٤٠٠٥)

من بني اسرائيل من سبط هارون بن عمران وأمها برّة بنت سموءل . وكانت عند سلام بن مشكم ، وكان شاعرا ، ثم خلفه عليها كنانه بي ابي الحقيق ، وهو شاعر ، فقتل يوم خيبر ، وتزوجها رسول الله في سنة سبع من الهجرة^(١) .

ويستدل من الاخبار المتعلقة بالسموئل انه كان ذائع الشهرة بعيد الصيت ، ومبعث هذه الشهرة انما هو عائد لوفائه وكرمه وثروته اكثر مما هو عائد لشعره . واشتهر سموئل بقصره ايضا فقد ضرب به المثل بالضخامة والجسامة ، وهو الأبلق بتيماء ، أو على مقربة منها . وزعم اهل الاخبار انه من ابنية «سليمان بن داوود» بناء بتيماء واستشهدوا على صحة دعواهم بشعر نسبوه للأعشى جاء فيه .

ولا عاديا لم يمنع الموت ما له وورد بتيماء اليهودي أبلق
بناء سليمان بن داوود حقبة له أزعج حم وطى موثق^(٢)

ويذكر اهل الأخبار ان الزباء «ملكة تدمر» عجزت عن فتح الحصن الأبلق ، وهذا يشير الى قدم هذا الحصن وانه يعود الى زمان اقدم من زمان سموئل . ولكن ليس من المستبعد ان يكون هذا البناء قديما فقد اتخذ «نبونيد» البابلي تيماء عاصمة له ، وربما كان هذا البناء من بقايا ابنية البابليين او قبلهم^(٣) . ويقول سموئل بأن عاديا والده هو الذي بنى له الحصن .

بنى لي عاديا حصنا حصينا وماء كلما شئت استقيت
رفيعا تنزلق العقبان عنه اذا ما نابني ضميم ابيت
واوصى عاديا - قدما بأن لا تهدم يا سموئل ما بنيت
وفيت بأدرع الكندي إني اذا ما خان اقوام وفيت^(٤)

وقد بني على رابية تشرف على تيماء بين الحجاز والشام وفيه آثار من ابنية من تراب لا تدل على ما يحكي عنها من العظمة والحصانة^(٥) . وقد ضربت العرب المثل بوفاء

(١) انظر ابن عبد البر ، المرجع السابق والصفحة .

(٢) الأزعج : ضرب من الأبنية يبنى طولاً ، وأزعج البناء علاه ، وطوى البشر يطويها طياً : عرشها بالحجارة والأجر . انظر ديوان الأعشى ، القصيدة رقم ٣٣ .

(٣) انظر جواد علي ، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٩ ص ٧٧٤ .

(٤) انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١ ص ٨٧ .

(٥) انظر ياقوت الحموي ، المرجع السابق ج١ ص ٨٧ .

السموول ورددوا قصة وفائه مع الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي الذي مر بالأبلق وهو في طريقه يريد قيصر ليستنجد على قتلة ابيه وكان معه ادراع فأودعها سموول ومضى ، فبلغ خبرها ملك غسان ، وقيل ان الحارث بن ظالم ، ويقال «الحارث ابن ابي شمر الغساني» فسار نحو الأبلق ليأخذ الأدرع فتحصن منه سموول في حصنه . وكان للسموول ولد قد خرج للصيد ، فصادفه الحارث في عودته واتخذة رهينة عنده . وخير سموول بين ان يدفع اليه وديعة امرئ القيس او يقتل ابنه ، فأصر على إبائه فقتل الحارث ولده الذي عنده وأدى سموال الوديعة الى أهل امرئ القيس .

وقد اشتهرت هذه القصة واوردها معظم المؤرخين العرب القدامى مع اختلافات بسيطة في بعض تفاصيل القصة^(١) . وقد رواها الاعشى الشاعر شعراً في سياق مدحه لشريح بن حصين بن عمران بن سموول بن عاديا وكان الأعشى قد وقع اسيراً بيد رجل من بني كلب مع اسرى آخرين من قومه وحملهم الكلبى هذا ونزل بهم شريح بن سموول بن عاديا اليهودي صاحب تيماء وهو بحصنه الأبلق فمر شريح بالأعشى فناده الأعشى بقصيدة يمدحه فيها ويذكر كرم سموول وفائه ومطلعها :

شريح لا تتركني بعدما عقلت حبالك اليوم بعد القدّ أظفاري
وجاء في نهايتها :

وقال لا اشتري عارا بمكرمة فاختر مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق وزنده في الوفاء الثاقب الواري^(٢)

(١) انظر الأصفهاني ، الأغاني حـ ١٩ ص ٩٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان حـ ١ ص ٨٧ .

(٢) وجاء فيها ايضاً :-

قد طفت ما بين بانقيا إلى عدن	وطال في العجم ترحالي وتسياري
فكان أوفاهم عهداً وأمنهم	جاراً أبوك بعرف غير إنكاري
كالغيث ما استمطروه جاد وإبله	وعند ذمته المستأمد الضاري
كن كالسموأل إذ سار الهمام له	في جحفل كسواد الليل جرّار
جار ابن حياً لمن نالته ذمته	أولمى وأمنع من جار ابن عمار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله	حصن حصين وجار غير غدار
إذ سامه خطتي خسف فقال له	مهما نقله فإني سامع جار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما	فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير قليل ثم قال له	اذبح هديك إني مانع جاري

إن هذه القصيدة وقصة «دارم بن عقال» هما الموردان الرئيسيان لقصة السموأل ووفائه . ودارم بن عقال هو من ولد السموأل، ولا يستبعد ان تكون القصة هي من وضع اناس آخرين رووا عن دارم، لأن دارم هذا هو راوي قصة الوفاء واشعار امرئ القيس المتعلقة بهذا الموضوع^(١). وقد اشار الى ذلك مؤلف كتاب الأغاني في معرض حديثه عن قصيدة لامرئ القيس مطلعها:

طرتك هند بعد طول تجنب وهناً ولم تك قبل ذلك تطرّق

فقال الأصفهاني : «وهي قصيدة طويلة، واطنّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليد فيها ظاهر، وما دَوَّنْها في ديوانه احد الثقات، وأحسبها مما صنعه «دارم»، لأنه من ولد السموأل، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا»^(٢).

وقد جمع بعضهم ما نسب الى السموأل من شعر في ديوان مستقل باسم السموأل، وقد طبع الأب «لويس شيخو» ديوان السموأل برواية «نفظويه» (ت ٣٢٣هـ) وقد ترجم ابن النديم لنفظويه هذا وذكر كتبه، ولم يذكر له اي كتاب في الشعر والشعراء^(٣)، كما جمع آخرون بعض القصائد المنسوبة للسموأل في ديوان اطلق عليه «شعر السموأل»^(٤) وديوان الأب شيخو اوفى من غيره تعريفاً بالسموأل وشعره وله الفضل في إبراز شخصية السموأل الشاعر، ويرى بروكلمان احتمال كون الشعر المرقم (١-٦) من الديوان من الشعر الأصيل. اي من شعر السموأل، أما الشعر الباقي المنشور في الديوان فهو لشعراء يهود متأخرين^(٥).

ويرى بروكلمان ان قصيدتين اصيليتين فقط في الديوان وما تبقى من قصائد

أنظر ديوان الأعشى، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع - بيروت قصيدة رقم ٢٥.

(١) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٩ ص ٧٧٧.

(٢) انظر الأغاني، ج ٨ ص ٧٠.

(٣) انظر الفهرست، مكتبة خياط (ص ٨١). شيخو، ديوان السموأل، بيروت ١٩٠٩ م.

(٤) انظر عيسى سابا، شعر السموأل، مكتبة صادر بيروت.

(٥) انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ١ ص ١٢٢. جواد علي، المفصل ... ج ٩ ص ٧٧٧.

متحلة. وذكر بعضهم ان القصيدة رقم (٧) ليست للسموأل، وإنما لأحد يهود المدينة^(١).

وقد تعرض المستشرقون لشعر سموأل ولهم فيه آراء، فمنهم من قال بأصالة معظمه، ومنهم من لا يعترف الا بأصالة القليل منه^(٢) ويرى آخرون ان قصة وفاء سموأل هي اسطورة استمدت مادتها من اسفار «صموئيل الأول» في التوراة، ومن الأساطير العربية القديمة، نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما، سموأل، وامرى القيس^(٣).

وقد زعم الأب شيخو الذي طبع ديوان سموأل ان سموأل من الشعراء النصارى مستندا بذلك على بعض الروايات التي تربط نسب سموأل بقبيلة غسان، وبما ان هذه القبيلة نصرانية فلا بد ان يكون سموأل على رأي شيخو نصرانيا ايضا. والدليل الثاني الذي يعتمد عليه الأب شيخو لاثبات نصرانية سموأل ان سموأل في بعض الأبيات المنسوبة إليه ذكر السيد المسيح والحواريين، وقد وردت هذه الأبيات في ديوان الحماسة «لأبي تمام» في آخر اللامية المشهورة للسموأل:

فان بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وهذا البيت من قصيدة طويلة تنسب الى سموأل في الفخر والحماسة ومطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هولم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الشاء سبيل

وجاء فيها :

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعزُّ على من رامه ويطولُ

(١) انظر تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف بمصر، ج١ ص ١٢٢.

(٢) Margoloth, "Relations..." P. 12.

(٣) انظر جواد علي، المقتضب ج١ ص ٧٧٦.

Ibid, P. 12.

وبناء على ما جاء في البيت الأول فقد اعتبر الأب شيخو بني الديان من نصارى نجران^(١)، وينكر التبريزي نسبة هذا البيت للسموأل ويقول إنه لعبد الله المازني^(٢). وحجة شيخو في إثبات نصرانية سموأل ضعيفة، وقد فندها ولفنسون ودلل على ضعفها قائلاً: إن الغيرة الدينية وحدها هي التي دفعت الأب شيخو الى القول بنصرانية سموأل الذي لا سبيل الى إنكار يهوديته^(٣).

وأمام هذه الروايات المتقدمة ارى ان معظم المصادر التي ذكرت نسب سموأل لم تنكر يهوديته وان اختلفت هذه المصادر في ضبط لفظ والده، «عاديا» أو «عادياء»، او في اسم والده الحقيقي فبعضها يقول بأنه سموأل بن غريص اليهودي^(٤)، وآخر يقول بأنه ابن اوفى، أو أنه ولد الكاهن هارون بن عمران الى غير ذلك من الاختلافات التي لا تغير من حقيقة يهودية سموأل^(٥). ويظهر ان لفظة سموأل حرفت عن صمويل وبذلك يكون اصل كلمة سموأل مشتق من العبرية.

وربما اختلط على صاحب الأغاني «الذي ذكر ان سموأل بن غريص، اسم أخ سموأل او ابنه الغريص الشاعر، لأنه يذكر في رواية ثانية ان سموأل ابن عاديا»^(٦). وقد ارتبط اسم سموأل بالأبلى وتيماء واليهودية ارتباطاً وثيقاً، بحيث لا يصح معه القول بنصرانية سموأل كما ان الأب شيخو يقر بيهودية سعية أخ سموأل الأصغر مما لا يجعل مجالاً لإنكار يهودية الاخ الأكبر سموأل، كما ان اسم الديان من الأسماء المشهورة عند اليهود، وهي تطلق على الأسر التي تتولى القضاء الشرعي عند اليهود، فهم يطلقون عليها «آل الديان»، ومن المحتمل ان يكون سموأل من عائلة اشتغلت بالقضاء اليهودي^(٧). وإذا صح هذا تصبح الروايات السابقة القائلة بأن سموأل من ولد الكوهن او «الكاهن» قريبة من الصحة.

(١) راجع مقدمة الأب شيخو لديوان سموأل، انظر كذلك ولفنسون، تاريخ اليهود ص ٢٦.

(٢) انظر ديوان الحماسة، لأبي تمام، طبعة الرافعي ص ٣١.

(٣) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ص ٢٧.

(٤) انظر الأغاني ح ٣ ص ١٢.

(٥) انظر تاج العروس «للزبيدي» طبع مصر ح ٧ ص ٣٨٢. معاهد التنصيص، المرجع السابق ص ٢٨.

(٦) الأغاني، ح ١٩ ص ١٢.

(٧) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٢٨.

وهذه بعض الأبيات الشعرية المنسوبة الى السموأل، يذكر فيها الأنبياء والأسباط :

وأنتنى الأنباء عن ملك داوود فقرت عيني به ورضيت
وسليمان والحواري يحيى ومتى يوسف كاني وليت
وبقايا الأسباط أسباط يع يقوب دارس التوراة والتابوت^(١)

يقول فيها :

إن حلمي إذا تغيب عني فاعلمي انني عظيما رزيت^(٢)

وتركيب القصيدة يدل على انها مجموعة ابيات شعرية من قصائد مختلفة قيلت بمناسبةات مختلفة ايضا. فالأبيات الأولى من هذه القصيدة تتحدث عن نشاط الإنسان وحياته ولقبه بعد موته، والأبيات الأخيرة تتحدث عن القناعة في الرزق وبعض الأمور التاريخية، وقد ذهب البعض إلى القول بأنها موضوعة^(٣). وإزاء ما تقدم فإن ديوان السموأل لنفطويه «طبع شيخو» هي مجموعة من الاشعار المليحة والقييحة والسمينة والغثة انتجته قرائح مختلفة، فمن شاعر متين إلى آخر سخيف ومن شاعر مطبوع إلى آخر متكلف واغلبها مزور ممدسوس على السموأل^(٤).

وقد ذكر ابن سلام عدداً آخر من شعراء اليهود منهم شريح بن عمران، ويعتقد انه من آل عاديا وهو الذي خلّص الأعشى من الأسر، ومنهم الشاعر سعيد بن الغريض أخو السموأل، كما ذكر اسم «شعبة»، «سعيه» حفيد السموأل^(٥). وهناك خلاف في مدى قرابة سعيه هذا للسموأل كما اختلفوا في صلة الغريض بالسموأل^(٦).

(١) انظر ديوان السموأل للأب شيخو، كذلك شعر السموأل، لعيسى سابا ص ٢٧، ٢٨. وانظر كذلك، ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٢٩.

(٢) انظر ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٦.

(٣) انظر الأصمعي، الاصمعيات، طبع دار المعارف ص ٨٢. الجاحظ، البيان والتبيين ص ٣٠٧.

(٤) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود ... ص ٣٠.

(٥) انظر طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٩ وما بعدها، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ص ١٢٢.

(٦) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٩٧٩.

وقد نسب ابن سلام شعرا لشعبه اوسعيه . . منه . .

يا ليت شعري حين اندب هالكا ماذا تُرثين به أنواحي^(١)

وروي اهل الأخبار أن شعبه هذا عاش وادرك معاوية وكانت له مساجلة مع معاوية يستفاد منها ان الشاعر اليهودي كان متعلقا بآل علي ويعتبر معاوية متسلطا^(٢).

ويذهب البعض الى ان اسم شعبه هو تصنيف «سيعه» وهو من اسماء يهود^(٣).

ومن شعراء اليهود كعب بن الأشرف ، وهو من طي وأمه من بني النضير، وكان سيداً في احواله وهو الذي بكى قتلى بدر وشبّب بنساء المسلمين فأمر الرسول ﷺ ، محمد بن مسلمة ورهطاً من الأنصار بقتله فقتلوه وهو يقول في كلمة له مطلعها:

رب خال لي لو أبصرته سبّط المشية أباء أنف^(٤)

ومن شعره في رثاء قتلى بدر قصيدة مشهورة مطلعها:

طحنت رحى بدر لمهلك اهله ولمثل بدر تُستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا إن الملوك تصرع^(٥)

ويشك ولفنسون في صحة نسبة هذه القصيدة الى كعب الاشرف ويقول بأنه لا يصح الاعتماد على كل ما سرد في كتاب السيرة، لأن كثيراً من القصائد ينسبها ابن هشام لبطون حمير في حين تدل لغتها على ان قائلها من قريش^(٦).

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ص ٢٤١، وما بعدها.

(٢) انظر جواد علي، المفصل . . . ص ٩٠ ص ٧٨٠.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٩٠ ص ٧٨٢.

(٤) انظر ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي، أسماء المفتالين من الاشراف في الجاهلية وصدر الإسلام، وأسماء من قتل من الشعراء وقد غلبت كنيته على اسمه، مخطوط مصور معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ص ٩.

أنظر كذلك ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٨. انظر الاغانى ص ١٩٠ ص ١٠٥.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٠ ص ٥٢.

(٦) انظر تاريخ اليهود . . . ص ٣٣.

غير ان ما جاء في هذه الأبيات يلائم الحياة السياسية التي كان عليها اليهود في المدينة إثر معركة بدر، مما يرجع نسبته لشاعر يهودي عزّ عليه ان يرى ساعد المسلمين «يقوى» ويشتد، ثم إن اللغة المضمرية غزت اليمن وتغلغلت فيها ولم يعد المضري والحميري يحتاجان الى من يترجم بينهما. ويتضح ذلك في بعثة معاذ بن جبل وعلي بن ابي طالب الى اليمن، فلم يحتاجا لمرجم يترجم لهما كلام من أرسلوا إليهم^(١)

ومنهم الربيع بن ابي الحقيق من بني النضير على رأي «ابن هشام» و«الجمحي» ومن بني قريظة على رأي صاحب الأغاني^(٢).

وذكر الأصفهاني ان الربيع بن ابي الحقيق هو أحد رؤساء حرب بعاث، وكان حليفاً للخزرج، وقد التقى مع النابغة وتسابقا في نظم الشعر^(٣). ومن جيد شعره قصيدة مطلعها:

سُئِمْتُ وأُمسيت رهن الفراش من جرم قومي ومن مغرمي^(٤)

والملاحظ ان ابياتا من هذه القصيدة نسبت من قبل الى الشاعر اليهودي شعبه بن الفريض الذي تقدم ذكره^(٥).

ومن الشعراء الذين ذكرهم الأخباريون - من اليهود - اوس بن دبي القرظي، وشريح بن عمران وابو قيس بن رفاعه وأبو الذئال وسماك اليهودي، ومرحب الفارس الخيبري وغيرهم^(٦).

ومن ينعم النظر في الاشعار المنسوبة للشعراء اليهود لا يجد فرقاً بينه وبين الشعر العربي المعاصر، ولذلك صعب تمييز الشعراء حسب اجناسهم من خلال شعرهم. ويستفاد من هذا ان دوافع الشعر ولغته وخصائصه للشعراء اليهود لا تختلف عن دوافع الشعر العربي ولغته وخصائصه، وهذا يبعث على القول ان الشعراء اليهود تشربوا الثقافة

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود... ص ٣٣.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص ٢٧٣. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٧.

(٣) انظر الاغاني ج٢١ ص ٦١.

(٤) انظر الاغاني، ج٢١ ص ٦١.

(٥) انظر شعر شعبه بن الفريض عند ابن سلام الجمحي.

(٦) انظر ابن هشام ج٢ ص ١٩٨، ٣٣٣. ابن سلام الجمحي، المرجع السابق والصفحة.

العربية، حتى صعب على رواة الشعر التفريق بين اشعار تتساوى في الفاظها وتعابيرها واغراضها فوقع الخلط في نسبة الشعر لهذا الشاعر العربي وذاك اليهودي، وهذا ما نلحظه مثلاً في نسبة البيت التالي:

رب خال لي لو رأيته سبط المشية في اليوم الحضر

فقد نسب الجاحظ هذا البيت بهذه القافية لحسان بن ثابت^(١)، بينما نسبه ابن سلام الجمحي وجماعة آخرون لكعب بن الأشرف على الصورة التالية:

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية أباء انف^(٢)

(١) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ج٢ ص ٦.

(٢) انظر ابن سلام الجمحي، المرجع السابق ص ٢٣٨. انظر السهيلي، الروض الأنف ج٢، ص ١٤٦. انظر كذلك ولفنسون، تاريخ اليهود . . . ص ٣٢. جواد علي، المفصل . . . ج٩ ص ٧٨٤.

النسيء والنساء

النسيء هو تأخير بعض الأشهر الحرم الى شهر آخر، والأشهر الحرم هي رجب - وذو القعدة - وذو الحجة - والمحرم . والمراد بالنسيء تأخير المحرم الى صفر^(١) .

وكان اول من نسا الشهور على العرب، فأحلت منها ما احل وحرمت منها ما حرم «القلمس»، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي من بني كنانة، ثم قام بنوه من بعده على هذا الأمر^(٢) .

وكانت العرب اذا فرغت من الحج وارادت الانصراف اجتمعت اليه فيقوم فيهم ويقول: «اللهم اني قد أحللت أحد الصفرين، الصفر الأول، وأنسأت الآخر للعام المقبل»^(٣) . وكانت العرب تحرم القتال في اربعة اشهر من السنة ليتسنى لهم الحج ومزاولة التجارة بأمن وسلام، ثم كانت - بعد ذلك - تعرض حاجات لبعض القبائل العربية تتعارض مع تحريم هذه الأشهر، فيقوم من ينسئ من كنانة باستحلال احد الاشهر الحرم عن طريق تأخيرها في عام وتقديمه في عام آخر، فتكون عدة الأشهر المحرمة اربعة، ولكن اعيان هذه الأشهر تتبدل، ولذلك كان الحج يتبدل من شهر الى شهر. فقد كان حج ابي بكر رضي الله عنه في ذي القعدة. ولما حج الرسول ﷺ حجته التي حج، فوافق ذا الحجة، فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»^(٤) .

ويرى البعض أن العرب كانت تؤخر الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه في كل عام احد عشر يوماً أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود الى وقته^(٥) .

(١) انظر «نساء» في القاموس.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٤٤. السهيلي، الروض الأنف، ج ١ ص ٦٣.

(٣) ابن هشام، المرجع السابق ج ١ ص ٤٤، والمسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٣١.

(٤) انظر تفسير الطبري ج ١٠ ص ٩٢ وما بعدها. تفسير النسفي، ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها. كذلك سيد قطب، في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢١٧ وما بعدها.

(٥) انظر السهيلي، الروض الأنف، ج ١ ص ٦٤.

وقد حرم الله النسيء بقوله: ﴿إِنْ عَدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْلُونَهُ عَامًا وَيَحْرَمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ. زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ويذهب البعض الى ان النسيء والناسيء من الالفاظ المعربة عن اللغة العبرانية، وقد دخلت الى العربية بتأثير يهود يثرب. والناسيء عند اليهود هو الرئيس الديني يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والصيام ويعلن النتيجة بواسطة وفود الى الطوائف اليهودية المختلفة^(٢) والناسيء يقابل رئيس قبيلة عند بني إسرائيل^(٣).

وكان النسيء يعطي معنى الكبس، وهو اضافة الفرق الذي يقع بين السنة الشمسية والسنة القمرية الى الشهور القمرية لتلافي النقص الكائن بين السنتين، ولتكون الشهور القمرية بذلك ثابتة لا تتغير، تكون في مواسمها المعينة، فلا يقع حادث في شهر من شهورها في الشتاء، ثم يتحول بمرور السنين فيقع بعد أمد في الصيف او في الربيع، كما يقع ذلك في الشهور القمرية الصرفة المستعملة في الاسلام^(٤).

وقد كانت شهور اليهود، وهي شهور قمرية تساوي ٣٥٤ يوما وست ساعات فهي لذلك انقص بأحد عشر يوما عن السنة الرومانية، فادخلوا شهرا ثالث عشر في كل ثلاث سنوات، سموه (فيادارا) أو (آذار الثاني)، وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية^(٥).

ويعتقد ولفنسون بأن هناك علاقة بين النسيء عند العرب وبين اليهود، ويعزز رأيه بالملاحظات التالية:

١ - رواية ابن هشام (ح ١ ص ٤٤) والتي تقول بأن اول من نسأ الشهور على العرب

(١) سورة التوبة، الآيات : ٣٦-٣٧.

(٢) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٨١.

(٣) انظر سفر الخروج، الإصحاح ٣٤: ٣١. سفر العدد، الإصحاح ٧: ٣٢. ولفنسون، المرجع السابق ص ٨١.

(٤) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ح ٨ ص ٤٩٢.

(٥) انظر جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ح ١ ص ٦٣٩. وجواد علي، المرجع السابق ح ٨ ص ٤٩٣.

فأحلت منها ما احل وحرمت منها ما حرم «القلمس» وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بنى عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده علي، ذلك «ابنه عباد بن حذيفة» ثم قام بعد عباد، قلع بن عباد، ثم قام بعد قلع، أمية بن قلع ثم قام بعد أمية، عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف ابو ثمامه، جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الاسلام. ويستخلص ولفنسون من اقوال ابن هشام هذه، ان وظيفة النساء ادخلت على العرب في عصر غير بعيد من ظهور الاسلام.

٢ - ان وجود هذه الوظيفة في بني كنانة يوحي بأن هذه الوظيفة ربما اتت من بطون كنانة المتهوذة والتي كانت تسكن جنوب مكة.

٣ - احتمال وجود علاقة للنساء باليهودية لانهم هم الذين تزعموا مقاومة النصرانية في اليمن والنجاشي الذي قضى على ذي نواس دون الزعماء الوثنيين^(١)

ويغلب على الظن ان النسيء والكبس انما هما مظهران من مظاهر اختلاط التقويم الشمسي والقمرى على عرب الحجاز. وذلك إن الجاهليين اعتبروا السنة ثلاثة عشر شهرا او اربعة عشر شهرا^(٢). لذلك نجد ان العرب اعتمدوا على التقويم الشمسي في مواسمهم الزراعية، بينما ظل الاعتماد في الأمور الدينية، مثل الحج والصوم والأعياد، على الشهور القمرية^(٣). والنسيء كما هو واضح حاجة قبيلة املتتها ضرورات الغزو والغارة والأخذ بالثأر، ولا ارى ان هناك علاقة لها بالامور الدينية، بل كانت انتهاكا للعرف الديني المتوارث بتحريم القتال في الأشهر الحرم.

أما يهود جزيرة العرب، فقد كانوا يسلكون طريقتهم الخاصة فى التوقيت ويسلكون منهجهم في تعيين الشهور، كما يتأيد ذلك من الاخبار التي نجدها عنهم عند الأخباريين^(٤). وأما النصارى العرب فكانوا يتبعون التقاويم الشرقية ويسرون على الشهور السريانية المعروفة وفقا لشعائر الكنيسة، وكذلك احتفلوا بأعيادهم وفقا لما ثبت عندهم في كنيستهم وقد اشير اليها في بعض الشعر الجاهلي وفي كتب الأخباريين^(٥).

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٨١، ٨٢.

(٢) انظر الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب، دار الكتاب العربي، ج٣ ص ٧١.

(٣) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ح٨ ص ٥٠٤.

(٤) انظر المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة.

وكذلك يظن بأن للتوراة اثرًا على تسمية ايام الاسبوع عند العرب، فلم تكن العرب تعطي ايام الاسبوع صبغة عددية كما نحن عليه اليوم، فكانت العرب تسمى الاحد، اول، والاثنين اهون، والثلاثاء جيار، والاربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسبت شيار، قال شاعرهم:

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جيار
أو المردى دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار^(١)

ويقول ولفنسون بأن لفظ عروبة شائع عند اليهود يطلقونه على كل يوم يقع قبل السبت وقبل الأعياد^(٢).

الصوفة والصوفان:

أطلق العرب اسم صوفة او صوفان على بعض الذين كانوا يلون شيئا من المناسك من غير اهل البيت وسموا صوفة وصوفان لأنه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة^(٣).

وكانت صوفة تدفع بالناس ممن عرفة، وتجيز بهم إذا نفروا من منى فإذا كان يوم النفير اتوا الرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. وكان اصحاب الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له: «قم فارم حتى نرمي معك فيقول: لا والله حتى تميل الشمس»، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له: ويلك! قم فارم، فيأبى عليهم، حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه^(٤). ويرى ولفنسون ان لهذه الوظيفة جذوراً في اليهودية لأن صوفة بالعبرية تعني «الحارس» ويقول: «ان هذا المعنى يلائم ما جاء في قول ابن هشام عن الصوفة - اي الشخص الذي يبصر في الشؤون الدينية لأنه اصدر الأمر حين مسابقة الإفاضة وكان أول من رمى الجمار أو الحصى في وادي منى - ومنى هذا من الأصنام

(١) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ١٩١ «طبعة دار الأندلس».

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٨٣.

(٣) انظر السهيلي، الروض الأنف، ج ١ ص ١٤٣.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ١٢٠.

المشهورة عند بني إسرائيل في عصور جاهليتها لأننا نعلم من آيات نبوءات اشعيا، أن منى كان إلهاً للخمرة^(١).

والذي أميل اليه هو ان لا علاقة لليهودية بالصوفة ومنى، وذلك لأن هذه الطقوس والعادات انما نبتت في بلاد العرب، ومنها انتقلت مع الشعوب السامية الى مهاجرها الجديدة، شأنها في ذلك شأن الديانات القديمة، واذا كانت الديانة اليهودية قد تأثرت بمعتقدات السبثيين وثالوثهم الإلهي، وتقديس القمر فمن الأولى أن يكون اليهود قد نقلوا معهم ايضا مثل هذه العادات من موطنهم الاول في بلاد العرب. ويعزز هذا الاتجاه ان الإخباريين العرب لم يذكروا اية علاقة لمنى او «مناة» باليهود، كما لم يذكروا ان يهود الجزيرة العربية اتخذوا لهم صنما بهذا الاسم، وكل العلاقة هي في التشابه اللفظي الذي لا يفيد شيئا في الاستدلال على ان «مناة» إنما ورثها العرب عن اليهود، ومن الجدير ذكره ان «مناة» أقدم الأصنام التي اتخذها العرب بعد عمرو بن لحي^(٢).

وبناء على ما سبق فجدير بنا عدم المبالغة في تصوير اثر اليهود على العقلية العربية، مع انه لا يستبعد ان يكون لهذه الديانات السماوية السابقة للإسلام تأثير في إثارة بعض الأفكار ضد الوثنية وتهيئتها للوحدانية مما سهل لانتصار دين الإسلام في بلاد العرب.

الختان:

الختان عادة شائعة عند شعوب كثيرة في العالم، وتضرب هذه العادة في القدم حتى لا تعرف لها بداية. والعرب واليهود يجعلون لها علاقة بالأمور الدينية ويحرصون على التمسك بها. والختان لغة هو قطع الغرلة^(٣). ويغلب على الظن ان الختان من التدابير الصحية في الأصل^(٤)، وقد ارتبط الختان عند اليهود بالقرابان، فقد كان الإنسان نفسه يقدم القرابين البشرية، ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان، وهو ما يقتطع في عملية الختان وقد كان الختان سنة شائعة عند المصريين الأقدمين، وكان عندهم للوقاية الصحية

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٨٣.

(٢) انظر ابن الكلبي، الأصنام ص ١٣.

(٣) انظر «ختن» في القاموس.

(٤) انظر غوستاف لوبون، اليهود في الحضارات الأولى، ص ٥٧.

من الاقدار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية . وقد اقتبس اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطا بالقرايين والضحايا التي تقدم للغفران وإرضاء الآلهة ومع مرور الزمن أصبح الختان فريضة عند اليهود يحتملها الولاء للجنس فعلى اليهودي اي يختن ليبرهن على انه يهودي . وقبل عهد المكابيين كان الختان يجري للذكر والانثى بصورة بسيطة تمكن الشخص من الادعاء بأنه مختون ليتقي بذلك استهزاء غير اليهود وعدوانهم، ولما جاء المكابيون امر الكهنة بأن تزال الغلفة عن آخرها، حتى لا يحاول اليهودي الاندماج مع الشعوب الأخرى^(١).

ويقول ولفنسون بأن عادة الختان لم تسر من اليهود الى العرب لأنها كانت شائعة عند قبائل مختلفة في الجزيرة العربية منذ عصور غابرة، ويعتمد على باحث آخر في تعزيز رأيه، وذلك لوجود قبائل متوحشة حتى في افريقيا كانت تألف هذه العادة^(٢). ورغم ان ولفنسون يشير الى شيوع هذه العادة ولا يراها وقفا على بني إسرائيل، يعود فيشير الى تأثير اليهود على العرب في هذه العادة. ويرى ان هناك علاقة بين الاصطلاح «ملة» ابراهيم حنيفا وبين «ملة» في اللغة العبرية وهي اسم العضو التناسلي بعد ختانه، واسمه قبل ختانه «غرله» ويقول ولفنسون: «بما ان الختان من اصول الدين الإسرائيلي فقد عبر الناموس الديني عن كل من اختن انه دخل في ذمة ابراهيم وعهد ابراهيم الخليل عليه السلام، ومن هنا اطلق اليهود على كل من اختن التعبير «ملة ابراهيم» واطلق اليهود على كل من يختن دون ان يعتنق اليهودية اسم «حنيف»^(٣). وبهذا الاشتقاق يحاول ولفنسون ان يوحى «ان التعبير ملة ابراهيم حنيف» يعني الذي يختن ولا يتمسك بشروط الدين اليهودي، وهو يريد بذلك البرهنة على ان عادة الختان انما سرت للعرب بتأثير اليهود، ولفنسون بهذا الاتجاه يريد ان يعيد الى الاذهان بطريق غير مباشر علاقة اليهود بابراهيم الخليل عليه السلام، وهو ما يحرص على تثبيته في الاذهان كتاب اليهود، ليصلوا الى غايتهم «ارض الميعاد».

غير ان استنتاجات ولفنسون بعيدة عن الصواب لأن التعبير «ملة» ورد في القرآن الكريم في مواضع متعددة بمعنى الدين وهذه امثلة من القرآن الكريم، ومن يرغب عن

(١) انظر احمد شلي، مقارنة اديان اليهودية ط ٢ ١٩٦٧ مكتبة النهضة المصرية ص ٢٨٠ وما بعدها.

(٢) انظر تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٧٨.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٧٩.

ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ﴿^(١) وقوله: ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾ ^(٢) . . وجاء في سورة آل عمران: ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا . . ﴾ ^(٣) ، وجاء في سورة النساء: ﴿ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا . . ﴾ ^(٤) ، وجاء في سورة الانعام: ﴿قل انني هدايني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا . . ﴾ ^(٥) . وفي سورة يوسف: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . . ﴾ ^(٦) . وفي نفس السورة ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب . . ﴾ ^(٧) ، وفي سورة النحل: ﴿ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة إبراهيم حنيفا . . ﴾ ^(٨) وفي سورة الحج: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين . . ﴾ ^(٩) وفي سورة ص: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا إلا اختلاق . . ﴾ ^(١٠) .

وبناء على ما تقدم نجد ان تعبير «ملة إبراهيم حنيفا» لم يستعمل ولو مرة واحدة للدلالة على ما ذهب اليه ولفنسون . لذلك ارى ان عادة الختان فطرية مارسها الانسان للحفاظ على صحته . وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله: «إن الختان من خصال الفطرة» ^(١١) .



(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٣٥ .

(٣) الآية: ٩٥ .

(٤) الآية: ١٢٥ .

(٥) الآية: ١٦١ .

(٦) الآية: ٣٧ .

(٧) الآية: ٣٨ .

(٨) الآية: ١٢٣ .

(٩) الآية: ٧٨ .

(١٠) الآية: ٧ .

(١١) صحيح البخاري ج-٧ ، ص ٢٠٥ . صحيح مسلم ج-١ ص ١٥٢ .

الفصل الخامس

العرب واليهود إزاء ظهور الدعوة الاسلامية

★ موقف قريش :

- مركز مكة في الجزيرة العربية .
- دور العصبية في موقف قريش من الدعوة الاسلامية .
- مركز الرسول ﷺ في مكة .

★ هجرة المسلمين الى الحبشة :

- موقف اليهود من الدعوة الاسلامية .
- الرسول يعرض نفسه في المواسم - بيعة العقبة - .
- موقف قريش من البيعة الكبرى .
- موقف اليهود من هذه البيعة .

الفصل الخامس

العرب واليهود ازاء ظهور الدعوة الاسلامية

أ - موقف قريش :

جدير بنا التعرض للحديث في ثلاثة أمور عند البحث في موقف قريش من الدعوة الاسلامية . وأول هذه الأمور، مركز مكة في الجزيرة العربية وثانيها دور العصبية القبلية في الموقف من الدعوة الاسلامية، وثالثها مكانة الرسول ﷺ من قريش .

١ - مركز مكة في الجزيرة العربية :

كانت مكة حاضرة الجزيرة العربية، فقد تجاوز نشاطها التجاري حدود الجزيرة العربية وساهمت في النشاط التجاري العالمي، وأقامت لها الصلات مع الحيرة في العراق، ومع بلاد الشام، وحملت الى هذه الاسواق بضائع الهند وشرق القارة الافريقية وجنوب الجزيرة العربية . كما حملت من هذه الاسواق الحبوب والزيت والخمور والزبيب والمنسوجات والاصباغ والجواري . وقد استن القرشيون رحلة الشتاء والصيف . فكانت قوافلهم تتجه صيفا الى بلاد الشام بشكل عام والى سواحل فلسطين بشكل خاص، وكانت غزة التي توفي فيها هاشم جد الرسول من أهم المراكز، وكذلك كانت كل من أيلة وبصرى . وفي الشتاء كانت القوافل المكية تتجه الى اليمن حاملة معها منتجات بلاد الشام، وتعود محملة بمنتجات جنوب الجزيرة العربية وسواحل افريقيا الشرقية . وقد حافظت البطون المكية على علاقات حسنة فيما بينها وحرصت على ان يسود السلام مكة في الداخل . كما حرص المكيون على اقامة علاقات طيبة مع القبائل العربية الاخرى، كما اهتموا في اقامة علاقات متوازنة مع الشمال والجنوب، وكذلك الامبراطوريتين الكبيرتين، الفارسية والرومية . وكانت هاتان الامبراطوريتان تطمعان في نشر نفوذهما على بلاد العرب، وقد حاولت بيزنطة السيطرة على الجزيرة العربية، وأرسلت لهذا الغرض

حملة بقيادة «اليوس جاليوس» سنة ٢٤ ق.م. الا ان هذه الحملة لم يكتب لها النجاح لرفض القبائل العربية التعاون معها من جهة وصعوبة السير في أرض صحراوية صعبة المسالك من جهة اخرى.

وقد حاولت بيزنطة مد نفوذها الى مكة مرة اخرى في القرن السادس الميلادي بأسلوب آخر، وذلك عندما استغلت تمرد عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى القرشي على الوثنية وتنصره لدى القيصر^(١) الذي وجد فيه ضالته، فملكه على مكة وأعطاه كتباً لتبليغ قومه بهذه الارادة البيزنطية، كما حملته تهديدا ووعدا لأهل مكة بقطع سبل تجارتهم من بلاد الشام اذا خالفوه^(٢). وتكشف لنا هذه الحادثة حرص بيزنطة في بسط نفوذها على مكة اعتمادا على سكانها الاصليين دون ان تتكلف بارسال الجيوش.

وقد فشلت هذه المحاولة لان مكة كانت حريصة على ان تظل بعيدة عن الصراعات الدولية حفاظا على مصالحها التجارية. واهتم المكيون بعقد المواثيق مع الدول المجاورة كالروم والغساسنة والحميريين والأحباش لتسهيل عمليات التجارة^(٣).

وكانت صلات مكة بيهود يثرب والمراكز اليهودية الممتدة على طول طريق بلاد الشام - كوادي القرى وفدك وخيبر وتيماء - حسنة، وكان القرشيون ينظرون نظرة احترام لهؤلاء اليهود ويرون فيهم أهل علم بالكتاب الأول^(٤). وبالمقابل كان اليهود يعاملون القرشيون بالاحترام والتكريم ويعتبرونهم سادة العرب^(٥).

بهذه السياسة التي اتبعتها مكة تمكنت من الحفاظ على شخصيتها المستقلة في الجزيرة وأمنت لنفسها التفوق التجاري والمعنوي، حتى أنها تفوقت على صنعاء في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وأصبحت العاصمة التي تتجه اليها انظار العرب في كل مكان يرون فيها محط آمالهم القومية، وبخاصة بعد ان فقدت اليمن استقلالها وضعفت مملكتا الحيرة وغسان^(٦).

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ج ١ ص ٢٢٤، والسهيلي، الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) انظر محمد بن جبير، المحبر ص ١٧١.

(٣) انظر الطبري، تاريخ، ج ٢ ص ٢٥٢.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٣٠٠.

(٥) المرجع السابق والصفحة.

(٦) انظر احمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة ص ١٥٠.

ولم ترو لنا المصادر التاريخية ان حروباً ذات أثر كانت تقع بين بطون قريش، اللهم الا حرب الفجار التي حدثت بعد مولد الرسول محمد ﷺ. وعلى أثر هذه الحرب تنادت بطون قريش الى عقد حلف الفضول الذي قيل في سببه المباشر ان أحد القرشيين مطل تاجراً من زبيد ولم يعطه ثمن سلعته، فتنادت قريش الى اجتماع في دار عبدالله بن جدعان وتحالفوا وتعاهدوا على إنصاف المظلوم من الظالم.

وأرى هذا التحالف جاء متفقاً مع سياسة مكة التجارية التي تهدف الى الحفاظ على سمعة طيبة في داخل الجزيرة العربية وخارجها، لانه بدون هذه السمعة لا يتيسر لقريش النجاح في اعمالها. كما يعتبر تأكيداً لعزوف قريش عن القتال ورفضها له، لأن القتال والفتن يضعفان مركزها بين العرب من ناحية ويشغلانها عن أعمالها التجارية من ناحية أخرى. وأما مكانة مكة الاجتماعية والدينية فكانت تماثل مركزها التجاري ان لم تفقه، فالى مكة كان العرب يحجون من كل فج، ليطوفوا حول الكعبة وليؤدوا شعائهم حول اربابهم التي نصبوها حول الكعبة بعدد أيام السنة. ولا يرضى العرب لغير قريش بالسيادة والزعامة فهم حماة الكعبة وحراس هذه الأصنام، وهم دون غيرهم ذوو السقاية والرفادة، ولا تقطع دونهم الأمور العظام. وكانت للعرب مواسم في مكة يجتمعون بها في ايام مخصصة من كل سنة يمتارون فيها ويتناشدون الأشعار ويتبادلون الخطب، وفي هذه المواسم وغيرها اطلع العرب على الثقافات الاجنبية من يهودية ونصرانية ويونانية، ذلك ان اليهود والنصارى نقلوا معهم الى جزيرة العرب الفلسفة اليونانية التي تشربوها اiban الحكم اليوناني والروماني. وقد تعلم بعض الأخبار اليهود الفلسفة اليونانية وتأدبوا بآدابها وساهم هؤلاء مع غيرهم بعملية تمازج الثقافات في منطقة الشرق الاوسط حتى قيل: «ان الشرق والغرب اختلطا في الاسكندرية وامتزجت آراء رومة واليونان والشام في المدينة والعلوم والدين بآراء الشرق الاقصى. فنشأت قضية جديدة عمل على ايجادها بحث الغرب والهام الشرق واتصل الدين بالفلسفة اتصالاً وثيقاً كان من نتائجه ظهور عقائد دينية لا هي من الفلسفة المحضة ولا هي من الدين الخالص وأخذت بطرف من كل. وجاء ذلك من عاملين: أحدهما ميل اليهود الى التوفيق بين معتقداتهم الدينية، والعلم الغربي الذي كان متأثراً بالعلم اليوناني، وثانيهما، ان المفكرين الذين استخدموا آراءهم من الفلسفة رأوا ان يوفقوا بين معتقداتهم الفلسفية والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها

المشاركة . ومن أي الجهتين نظرنا رأينا أن النتيجة كانت فلسفة دينية لا هي فلسفة محضة ولا هي دين خالص»^(١) .

ولما انتقلت اليهودية الى بلاد العرب كانت تحمل في ثناياها شيئا من ذلك . وقد فشلت اليهودية في ان تصبح ديانة العرب مع انها اقدم ديانة توحيدية دخلت الجزيرة العربية ، وربما ان ذلك عائد الى الغموض الفلسفي الذي اصاب الديانتين اليهودية والنصرانية ، كما يمكن ان يكون لسلوك اليهود وعلاقتهم مع غيرهم أثر في فشل اليهودية بين العرب ، لان هذا السلوك كان قائما على الشك والريبة والميل الى العزلة ، وهي صفات ورثها اليهود بعد حوادث التششت والمذابح التي تعرضوا لها طوال تاريخهم .

ولا يغيب عنا ان نذكر في هذا الصدد موقف العرب تجاه كل غريب عنهم ، فاليهود غرباء طارئون على بلاد العرب ، والعربي لا يطمئن لأجنبي سيما وأن الأجانب اليهود استأثروا باقتصاد الحجاز وتعاملوا مع العرب بالربا ، وحفظ لهم العرب قصصا كثيرة في الجشع وعدم الرحمة بالفقراء أضف الى ذلك ما وقع بين اليهودية والنصرانية من جدل وخصومة وصلت حد الاقتتال . مما جعل العربي يتمسك بوثنيته .

لم يحارب العربي الديانات التوحيدية لأنها تقول بالتوحيد ، فالعرب يعرفون الاله الواحد ويؤمنون به ولكنهم كانوا يشركون معه أوثانهم وأصنامهم ، ويؤيد ما سبق ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . .﴾^(٤) .

وإنما حارب العرب اليهودية والنصرانية لانهم رأوا فيهما امتدادا للنشاط الاجنبي الممثل في أطماع الروم والفرس والأحباش في بلادهم .

(١) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٥ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٨٧ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية : ٨٤ - ٨٥ . ذكر فيليب حتى ، انه كان من المعابدات الكثيرة في الكعبة معبود باسم «الله» أو «الإله» . واسم الله عريق في القدم اذ وجد في رقم معيني قديم ج١ ص ١٤١ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٣٨ .

وقد أشار القرآن الكريم الى جماعة من العرب لم تدن بالنصرانية او اليهودية كما لم توافق المشركين على عبادتهم . وكانت هذه الطائفة تعتقد بالاله الواحد الذي لا شريك له ، وعرفت هذه الجماعة بالاحناف ، وهو دين ابراهيم الخليل عليه السلام .

قال تعالى : ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾^(١) . ان وجود هذه الجماعة يدل على ان العرب لم يكونوا بمعزل عن نماذج الثقافات اليونانية واليهودية والنصرانية . كما لم يكونوا بعيدين عن الصراع الفكري بين اليهودية والنصرانية ، وقد ذكر المفسرون وأهل الأخبار أسماء جماعة من هؤلاء الأحناف وبعض أقوالهم التي يؤخذ منها انها كانت متفقة مع مبادئ الاسلام . غير ان القليل الذي وصلنا من أخبار هؤلاء لا يوضح عقيدتهم ومنهجهم الديني ، كما لا يكشف عن فلسفتهم الدينية ونشاطهم الذي مارسوه في سبيل نشر أفكارهم .

وقد تضاربت الأخبار حول حقيقة دين هؤلاء الذين وصفوا بالحنيفية ، فبعض الباحثين يرون انهم شيع من النصرانية واعتبروهم نصارى عربا زهادا كيفوا النصرانية بعض التكيف ، وربما ان هؤلاء الباحثين تأثروا بأخبار من تنصر من الأحناف ، ومن الأشعار التي يفهم من بعضها ان هذه الطائفة من الطوائف النصرانية^(٢) .

غير ان القرآن الكريم لم يترك مجالا للشك في حقيقة الحنيفية التي كان عليها ابراهيم الخليل عليه السلام فقال : ﴿وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما﴾^(٣) . وقد أدخل أهل الأخبار مع الأحناف اناسا من النصارى والرهبان مثل «بحيرا» الراهب وأبي عامر بن صيفي - المعروف بالراهب لأنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح - وأرباب بن رثاب من عبد القيس وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى^(٤) .

والذين ذكر الرواة اسماءهم من الحنفاء هم اناس عاشوا في الجاهلية قبيل الاسلام ، ومنهم من أدرك الاسلام والتقى بالرسول ﷺ . وقد بالغ الرواة كعادتهم بطول

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٥ .

(٢) انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص ٤٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٦٧ .

(٤) انظر ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ط ٢ ١٩٧٠ ص ٢٧ .

أعمارهم فعدوا بعضها بمئات السنين^(١). فمن عادة الاخباريين اطالة اعمار ابطال رواياتهم واحاطتها بالجلال والتعظيم، وذلك لتهيئة النفوس لقبول ما ينسب لهذه الشخصيات من مواعظ وحكم. وهذه الظاهرة عامة وليست خاصة بالاخباريين العرب.

ويرى الدكتور جواد علي ان الحنفاء جماعة سخرت من عبادة الاصنام واثارت عليها وعلى المثل الاخلاقية السائدة في ذلك الزمن، ونادت بأفكار إصلاحية تناولت فيها الجوانب المختلفة للمجتمع الجاهلي، فلم تقتصر دعوة هذه الجماعة على الإصلاح الديني ومحاربة الأوثان بل تعدتها الى محاربة العادات السيئة كشرب الخمرة ولعب الميسر وما شاكل ذلك من أمور مضرة. وهكذا ارتفع صوتهم كما يرتفع صوت المصلحين في كل زمان ينادون بالإصلاح. وربما أثارت هذه الدعوة حفيظة اصحاب الجاه والسلطان والنفوذ وسدنة الأوثان شأن كل دعوة اصلاحية، ويجوز ان يكون من بين هؤلاء من مال الى النصرانية، غير اننا لا نستطيع ان نقول انهم كانوا نصارى او يهودا، إنما يمكن تشبيه دعوة هؤلاء بدعوة الذين دعوا الى عبادة الاله رب السماء (ذو سموي) او عبادة الرحمن في اليمن متأثرين بمبديء التوحيد التي حملتها اليهودية والنصرانية الى اليمن، ولكن لم يكونوا انفسهم يهودا او نصارى، انما هم أصحاب ديانة من ديانات التوحيد^(٢).

مما تقدم نرى ان عرب الحجاز بعامة وسكان مكة بخاصة لم يكونوا بعידين عما يحيط بهم من أفكار بل نجدهم يفتحون عقولهم لكل جديد، فقد اعتادوا على سماع الكثيرين ممن يمجدون دين الآباء والأجداد ويشهدون بالكرم والوفاء لهؤلاء الأجداد، كما سمعوا الى من يدعو الى مفارقة الأوثان واعتناق دين جديد، مثلما كانوا يسمعون الحكم والأمثال عن العذاب والحساب والجنة والنار وعن الله والرحمن، غير ان كل ما سمعوه لم يكون لدى الكثيرين منهم فكرة واضحة أو رأيا جديدا يريده هؤلاء الخطباء، ذلك ان أفكار هؤلاء المصلحين لم تكن واضحة مكتملة. ورغم هذه الآراء المتباينة وسط ضجيج الباعة

(١) على من اراد الاستزادة بأخبار هؤلاء الأحناف فعليه الاطلاع على المصادر التالية: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص ٢٢٥ وما بعدها، المسعودي، مروج الذهب ج١ ص ٧٨ ط دار الأندلس. الأصفهاني، الأغاني ج٣ ص ١١٣ وما بعدها. الألوسي، بلوغ الأرب ج٢ ص ٢٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص ٢٣٠ وما بعدها. ابن قتيبة الدينوري، المعارف ص ٢٧.

(٢) جواد علي، المفصل... ج٦ ص ٤٦٢.

والشعراء والخطباء لم يشك احد بزعامة مكة وزعامة قريش فيها، وكانت قريش قد ارتفعت فوق الأحداث واطمأنت إلى زعامتها التي حسبتها لا تزول.

لقد سمع العرب آراء اليهود والنصارى والأحناف والوثنيين في الأسواق والمراكز التجارية عبر الجزيرة وبلاد الشام، ولم يكن عربي يستغرب ان يسمع رأيا جديدا او دعوة جديدة تماما كما لم يكن يستغرب سماع خطبة جديدة او قصيدة جديدة.

ومن هذا المنطلق نظر القرشيون الى دعوة محمد في بداية الأمر، ولم يكثرثوا بها، وكل ظنهم أنها واحدة من الدعوات التي اعتادوا سماعها وألفوا مثلها. ولم تثر دعوة الرسول مخاوفهم الا بعد أن هاجم آلهتهم وعابها وسفه عقولهم وتبعه احداث الرجال وضعفاء الناس أعظموه وناكروه وأجمعوا عداوته.^(١)

عندما أيقن زعماء قريش ان دعوة محمد تستهدف هدم ما ألفه المجتمع العربي بعامة والمجتمع المكي على الاخص في الدين والاخلاق والاقتصاد والاجتماع وبناء مجتمع جديد، شعروا ان مركزهم في خطر، فهبوا للدفاع عن مصالحهم الممتازة بين العرب، وتظاهروا بحفاظهم على تراث الآباء والأجداد الذي مكن لهم هذه الامتيازات.

لقد كان موقف قريش من الدعوة الاسلامية متفاوتا بين الشدة والضعف تبعا لتفاوتهم في المكانة الاجتماعية والاقتصادية، فنحن قلما نرى الفقراء من قريش في قائمة اعداء محمد ﷺ، وانما تبرز اسماء سادة قريش في مقدمة الذين تصدوا لهذه الدعوة امثال أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمّية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي بن خلف وغيرهم من اصحاب الجاه والثروة من قريش. وكذلك تعرض المسلمون للعذاب والايذاء كل بمقدار مركزه الاجتماعي والاقتصادي والقبلي فكان الموالي والعبيد والفقراء من المسلمين هدفا لاشد انواع الاذى والتعذيب، ويكفي ان نتذكر ما لاقاه المستضعفون من المسلمين امثال آل ياسر وخباب ابن الارت وصهيب بن سنان وبلال بن رباح وأبي فكيهة وعامر بن فهيرة وأشباههم^(٢).

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص ٢٦٤. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص ١٩٩. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، ج١ ص ١١٥ وما بعدها. الطبري تاريخ، ج٢ ص ٣٥٢.

(٢) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج١ ص ١٥٦. صحيح البخاري ج٥ ص ٥٧ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ. انظر كذلك تفسير الرازي ج٣ ص ١٨٩.

٢ - دور العصبية في موقف قريش من الدعوة الاسلامية :

مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعوا اليه حتى اشتد التنافر بينه وبين سادة قريش وتذامروا منه وهم لا يستطيعون ان ينالوه بالاذى والتعذيب كما نالوا من الموالي والعبيد وضعاف المسلمين . فقد كان رسول الله في منعة من قومة بني هاشم ، فقد أراد الله سبحانه وتعالى لهذا الدين ان يظهر فاختر رسول الله من أعز بيوت العرب في الشرف والرفعة . فمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعبد المطلب هو زعيم قريش دون منازع واليه من بعد آبائه انتهت رئاسة مكة . وكان الرسول في حمى عمه أبي طالب أحد سادات قريش ، ومن يهيج أبا طالب يهيج معه بني هاشم وهم كثر وأعزاء في مكة . ولم يكن بنو هاشم ليسمحوا لأحد أن يمس محمدا بأذى بحكم العصبية القبلية . لهذا لم يجرؤ القرشيون على التعدي على شخص الرسول في حياة عمه أبي طالب . قال الرسول ﷺ : « ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »^(١) .

ومن أسباب حرص بعض بطون قريش على أذى الرسول ومن تبعه من المسلمين ما حدث من خلاف على السلطة في مكة بعد وفاة عبد المطلب ، فقد أصبح النزاع والتنافس واضحا بين بني هاشم وبني أمية ، كل فريق يريد ان تكون فيه السيادة والرياسة ، وقد أدى هذا النزاع الى انحلال السلطة في مكة وظهور الاحلاف بين بطون قريش نفسها تارة وبينها وبين القبائل العربية خارج مكة تارة اخرى . ومن نتائج هذا الصراع ان لم نعد نجد في قريش رجلا له مكانة قصي او هاشم أو عبد المطلب ، وأصبح لقريش مجموعة من الزعماء تتنازعهم الاهواء والمصالح . وكان هذا الاختلاف جديرا باسقاط هبة قريش وانحلال سلطانهم لولا ان قبض الله لهم البيت العتيق الذي يحتفظ له العرب في نفوسهم بقدسية وتعظيم .

واذا كان هذا الانقسام وبالأعلى على القرشيين انفسهم فلم يكن كذلك بالنسبة الى باقي العرب ، فقد أدى الى مزيد من حرية الناس في أفكارهم ونشر آرائهم ، وتشجع اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يؤمنون بالوثنية على الطعن بعبادة الأوثان ، ووجد هؤلاء فرصة أفضل من قبل في نشر افكارهم وتعاليمهم . وساهم هذا في انحلال الوثنية نفسها .

(١) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص ٤١٦ . الطبري ، تاريخ ج٢ ص ٣٤٤ . ابن خلدون ، تاريخ ج٢ ص ١٧٦ .

وفي غيبة السلطان الذي كان يدافع عن دين الآباء والأجداد في مكة، استطاع دعاة الأديان السماوية والموحدون من العرب اسقاط هيبة الأوثان لدرجة ان بعض أهل مكة ومن القرشيين أنفسهم اجترأوا على ترك الوثنية علناً وتسفيهاها والتماس دين أفضل منها، وهذه قریش وقد اجتمعت يوماً في عيد من أعيادها عند صنم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فاجتمع نفر منهم وتناجوا سرا وقال بعضهم لبعض: «تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما أنتم على شيء»^(١).

ومن الرجال الذين رفضوا الوثنية في الجاهلية وكان لفكرهم شأن بين العرب أمية بن أبي الصلت. فقد قرأ الكتب المتقدمة ونبذ عبادة الأوثان وأخبر أن نبياً يخرج قد أظلم زمانه، وكان يأمل ان يكون ذلك النبي المنتظر. فلما بلغه خروج محمد ﷺ، كفر به حسداً، ولما أنشد لرسول الله ﷺ شعر أمية قال عليه السلام: «آمن لسانه وكفر قلبه»^(٢) وقد اشتهر أمية بالشعر والترحال في البلدان. وتردد على أهل البيع والأديرة والكنائس من اليهود والنصارى وقرأ كتبهم^(٣)، ولبس مسوح الرهبان في بعض سفراته، وكان النصارى يجلونه ويحترمونه ويفتحون له أبواب كنائسهم^(٤). وهكذا نجد أنفسنا امام رجل تيسرت له سبل المعرفة والاطلاع شأن عدد كبير من العرب ممن رفضوا الوثنية وعابوها وساهموا في تنبيه الأفكار نحو ديانة توحيدية، وأذاع مع غيره أفكارا عن الخالق والجنة والنار والفضيلة والرذيلة والمثل العليا، ونلمس ذلك في بعض الأشعار المنسوبة اليه كقوله:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه انظما^(٥)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية - ج ١ ص ٢٢٢.
(٢) انظر ابن قتيبة الدينوري، المعارف ص ٢٨. والديار بكري، الخميس في أحوال أنفس نفيس - ج ١ ص ٤١٢.
(٣) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج ١ ص ٨٤.
(٤) انظر ابن كثير - البداية والنهاية، ج ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها.
(٥) انظر المسعودي، المرجع السابق - ج ١ ص ٨٤.

ومما ذكره الاخباريون ورواة شعر أمية نجد انه استعمل الكلام الغريب، فاستعمل «الساهور» للقمز، وهي كلمة لا يعرفها العرب، وذكر السلطيط اسما لله تعالى. ونظرا لولعه بهذا الغريب من الكلمات رفض علماء اللغة الاحتجاج بشعره^(١). وقد روى الاخباريون قصصا عن أمية وعن التقائه بالرهبان وتوسمهم فيه معالم النبوة، ورويت قصص عن شق صدره وتنظيف قلبه، وهي قصص مماثلة لما رواه رجال السير عن علامات النبوة عند الرسول ﷺ. ورووا عنه أنه كان يفهم لغة الحيوان فيعرف ما تقوله وما تريده وأنه سخر الجن، وتنبأ بموته حينما نعب عليه غراب^(٢).

وأغلب الظن أن هذه القصص موضوعة وظهرت متأخرة بعد الاسلام، وأنها من نسج أناس من ثقيف ممن يتعصبون لأمية بن أبي الصلت، ولا يستبعد ان تكون هذه القصص ظهرت في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي لان في عهده أنتج الوضاعون الشيء الكثير من الأخبار في قبيلة ثقيف، فلا غرو فالحجاج وأمية ثقفيان، وقد يؤيد ذلك قول الحجاج حين سئل عن شعر أمية: «ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام»^(٣).

وروي ان الرسول ﷺ كان يسمع شعر أمية، وأن «الشريد بن سويد او بن عمرو» الثقفي كان ينشد له شيئا من ذلك في أثناء إحدى أسفاره، فكان كلما انشد له شيئا منه طلب منه المزيد، حتى قال الرسول: «كاد ليسلم، او كاد ليسلم في شعره»، وذكر أن الرسول قال في حديث له عنه: «آمن شعره وكفر قلبه، أو آمن لسانه وكفر قلبه»^(٤).

وذكرت الروايات ان أمية قابل الرسول في المدينة وسأل الرسول قائلا: «ما هذا الذي جئت به، فقال الرسول: الحنيفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، فقال عليه الصلاة والسلام، لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها، فقال: «أما الله الكاذب منا طريدا وحيدا، ثم خرج الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا للسلاح، ثم أتى

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص ٤٧. الأصفهاني، الأغاني ج٤ ص ١٢١. الأب شيخو، شعراء النصرانية ج٢ ص ٢١٩. ديوان أمية بن أبي الصلت - فحول الشعراء، جمع بشير يموت - بيروت ١٩٣٤م ص ٥ وما بعدها.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٣) انظر جواد علي، المفصل... ج٦ ص ٤٨٣.

(٤) انظر ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص ٢٨. انظر ايضا صحيح مسلم ج٧ ص ٤٨ وما بعدها.

قيصر وطلب منه جندا، ليخرج النبي من المدينة، فمات بالشام طريدا وحيدا، وهذه القصة ينسب وقوعها لأبي عامر الراهب^(١).

وهكذا تجمعت في شخصية أمية نوازع العصبية القبلية وكبرياء ابن البادية مع ما تجمع لابن أبي الصلت من أسباب المعرفة والاطلاع، فذهب به الغرور الى حد ادعاء النبوة او الطمع بها، فكان واعظا حكيما في شعره، مترددا في ايمانه، وهو بهذا التردد يعكس لنا تاريخ العرب في الجزيرة من الوجهة الفكرية في الفترة القصيرة السابقة لظهور الاسلام.

ونظرا لأن شعر أمية اشتمل على بعض الألفاظ والمعاني الواردة في القرآن الكريم، ذهب بعضهم^(٢) إلى أن الرسول أخذ القرآن او بعضه عن أمية، غير ان هذا التصور لا يمكن إثباته، وذلك لأن احدا لم يقل بأن شعر أمية أقدم عهداً من القرآن الكريم ثم لو ان في هذا التصور شيئا من الصحة لما سكنت قريش عن اتهام الرسول به، وهم الذين اتهموه بانه يأخذ القرآن من نصراني في مكة. وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون، إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾^(٣).

وقد أشار المفسرون الى اسم الغلام النصراني ولم يشيروا الى اسم أمية بن أبي الصلت^(٤). ثم ان أمية بن أبي الصلت لم يكن على علاقة حسنة مع الرسول ﷺ كما يفهم من الروايات المتعددة، حتى يسكت عن الرسول وهو يأخذ عنه القرآن، فهو خصمه ومنافسه العنيد الذي اخذ منه النبوة على زعمه! ولو كان أمية يعرف مصدرا بشريا يأخذ محمد عنه القرآن لما سكنت عنه، كما لو كان أمية والرسول يأخذان من منهل واحد لما سكنت قريش عنهما.

ولم يذكر أحد من خصوم محمد ﷺ - وهم كثر - اسم مصدر معين كان الرسول يأخذ القرآن عنه، ولم نسمع حتى في لجة حروب الردة ادعاء كهذا. ولم يتورع قوم في هذه الحرب عن الطعن في الاسلام والمسلمين والادعاء بالنبوة.

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص ٢٢٦.
(٢) من أمثال كليمان هوار، وبور. Power، أنظر المقدمة الألمانية لديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق فردش شولثيش، ص ٧. وانظر بروكلمان، تاريخ الادب العربي ١١٣/١. جواد علي، المفصل ج٦ ص ٤٩٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.
(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص ٥٨٦، تفسير سورة النحل، ذكر أن اسم الغلام النصراني الذي أشير اليه هو جبر.

إن التفسير الوحيد للمعاني الدينية الواردة في شعر أمية ومشابهتها لمثيلاتها في القرآن إنما يعود إلى أن ثقافة أمية بن أبي الصلت ثقافة دينية اعتمدت في الأصل الكتب الدينية عند اليهود والنصارى، اطلع عليها أمية في رحلاته إلى الشام وتأثر بأحاديث الرهبان والقسس ورجال الدين لهاتين الديانتين، فاستفاد من الحكم والقصص الواردة في التوراة والانجيل، ثم أضاف إلى اطلاعه هذا ما سمعه من قرآن وحديث في المدة بين البعثة وحتى السنة التاسعة للهجرة وهي سنة وفاته. هذا إن لم يكن الشعر الموافق للقرآن مدسوسا على أمية وفي عهد الحجاج كما أسلفنا، لأن كثيرا من الموضوعين وضعوا الروايات للغرض من شأن الحجاج وقبيلته ثقيف، فأراد هو أن يرفع من شأن نفسه وقبيلته فأضيفت هذه الأشعار إلى أمية لتكون ردا على خصوم الحجاج وأعدائه، وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج إلى كبير جهد لإثبات وضعه، فالقصيدة التي مطلعها :

لك الحمد والمن رب العبا	د أنت المليك وأنت الحكم
محمدا أرسله بالهدى	فعاش غنيا ولم يهتضم ^(١)

فهذه الأبيات كما هو واضح لا يمكن أن تكون إلا من صنع مؤمن عميق الإيمان بالاسلام وبمحمد ﷺ، وهذا ما لم ينطبق على شخص أمية وقد نسبت قصائد من هذا القبيل لأمية بن أبي الصلت تفصح كلها عن أنها من نظم شعراء مسلمين متأخرين ولا يمكننا الاستدلال مما تقدم على أن عقلية العرب قبيل الاسلام بلغت من الرقي الديني حدا تساوت فيه مع تعاليم الاسلام، وإلا لما كانت هناك حاجة إلى الاسلام طالما الناس قادرون على الهدى بأنفسهم، ثم لما كانت بين الاسلام وأهل الجاهلية هذه الخصومة الشديدة والاقتتال الشديد.

والذي نراه أن أفكار أمية بن أبي الصلت وامثاله من العرب ساهمت إلى جانب الديانتين اليهودية والنصرانية في إثارة أفكار عرب الجزيرة وأوجدت عندهم حب الاطلاع وأضعفت من تمسكهم بالوثنية.

(١) انظر ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع بشير يموت ص ٥٣. جواد علي، المفصل . . . ح ٦ ص ٤٩٢ وما بعدها.

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى هيا المناخ الملائم لنجاح الدعوة الاسلامية، فاختار لنجاحها الرجل المناسب والزمان المناسب ويسر لها عوامل النجاح، فمحمد عزيز في عصبية ولم تعد قريش يدا واحدة خلف زعيم واحد، واعتنق الاسلام أناس من بطون مختلفة من قريش مما أضعف اجماع قريش على مقاومة الدعوة الاسلامية. فهذا ابو بكر من تيم، وعثمان بن عفان من بني امية والزبير بن العوام من أسد وعبدالرحمن بن عوف من كلاب، وسعد بن أبي وقاص من عبد مناف وغير هؤلاء من بطون مختلفة علاوة على من أسلم من الموالي والعبيد واصحاب الديانات الاخرى من يهودية ونصرانية^(١).

لا يعني ما قلناه: إن قريشا لم تقاوم الدعوة الاسلامية ولم توقع اذى بالذين اسلموا، وانما نعني ان القوم لم يكونوا علي رأي واحد تجاه محمد ورسالته، فقد كان قسم من قريش يرى في كلام محمد وقرآنه شيئا جديدا ما هو بالسحر ولا بالشعر او الكهانة، ولذلك كان رأي هذا الفريق ان تترك قريش محمدا وشأنه، لان محمدا سيكون له شأن عظيم، وهذا ما أفصح عنه عتيبة بن ربيعة بقوله مرة لبني قومه: «اتركوا محمدا وشأنه لان محمدا سيكون له شأن عظيم، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به»^(٢).

ويرى فريق آخر ضرورة مقاومة الدعوة الاسلامية والحفاظ على تراث الآباء والأجداد الذي بوأ مكة مركز السيادة في الحجاز. اما البطون الصغيرة من قريش وغيرها من البطون التي تسكن مكة فكان الأمر لا يعنيتها ولم تبد حماسا لمشروعات قريش المناهضة للحركة الاسلامية. ورغم العوامل المتقدمة فقد بقي التيار المعادي للإسلام في قريش هو الاقوى ولكنه لا يقدر على الايقاع بالرسول مباشرة، فكان لا بد لقريش والحالة هذه ان لا تغضب بني هاشم وتدخل معهم في حروب. فتوجه جماعة من زعماء قريش الى ابي طالب ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب بن امية، وغيرهم وقالوا له: «ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وظلل آباءنا، فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافة فنكفيكه، فقال ابو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا، فانصرفوا»^(٣). وفي لقاء

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ج١ ص ٢٥٠. البلاذري أنساب الأشراف ج١ ص ١٩٨.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٢٧٠، ٢٩٤، ٣٠٠. البلاذري أنساب الأشراف ج١ ص ١٥١.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٢٦٥.

آخر مع ابي طالب عرض زعماء قريش على محمد امام عمه ابي طالب المال والجاه والسلطان الذي يريده مقابل تخليه عن دعوته . وكان جوابه عليه السلام حاسما : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر ما تركته أو أهلك دونه»^(١) . ولما يئس زعماء قريش من اغراء الرسول لجأوا الى محاولة ارضاء ابي طالب بعرض يتخلى بموجبه عن نصره محمد ، فقد عرضوا عليه هذه المرة فتى قريش «عمارة بن الوليد بن المغيرة» اجمل شباب قريش وانهدم ليكون لابي طالب عقله ونصره مقابل تسليم محمد لهم ليقتلوه ، وينتهوا ممن يسفه عبادتهم ويخالف دينهم ، ويفرق جمعهم ، وانما هو رجل برجل ، فقال ابو طالب : «والله لبئس ما تسوموني ! . أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدا»^(٢) .

وهكذا نجد أن أبا طالب الذي ظل على دين الوثنية حمى الرسول ﷺ من حقد قريش وحسد هم وسوء نياتهم ، كل ذلك بفضل ما فطر عليه العرب من عصبية الدم . ولا يخفى ان يقاء ابي طالب على الوثنية خفف من نقمة قريش عليه لحمايته ابن اخيه ، لان القوم كانوا يذكرون أن أبا طالب ما زال على دين آباءه وأجداده ولم يتبع محمدا .

ولم يكن الدين وتراث الآباء والأجداد هما الحافزان لبني أمية على مقاومة محمد ودعوته بقدر ما كان للعصبية القبلية ، والتي من مظاهرها تنافس هذين البيتين من قريش على الزعامة والسيادة .

ويفصح عما تقدم ما جاء في بعض الروايات من أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ابن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو ، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله وهو يصلي الليل في بيته ، وكان كل واحد لا يعلم مكان صاحبه ، وبعد ان فرغوا من استماعهم عادوا يريدون بيوتهم ، فجمعتهم الطريق وقال بعضهم لبعض ، لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهاكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل الى مجلسه يستمعون الى الرسول خفية ، ثم جمعتهم الطريق مرة أخرى ، وتواعدوا على ان لا يعودوا ، حتى كانت الليلة الثالثة فعاد كل واحد الى مكانه للاستماع وجمعتهم الطريق في انصرافهم ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد الا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شريق خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، وقال له :

(١) انظر ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٢٦٦ .

«أخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والله الذي حلفت به لكذلك. ثم خرج الأخنس الى أبي جهل يسأله مثل الذي سأله لأبي سفيان، فقال أبو جهل: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى اذا تجاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق»^(١).

من هذه القصة نرى ان زعماء قريش كانوا يتشوقون لسماع ما يقوله محمد من القرآن ويعرفون بعض ما يقول، ولا يمنع بعضهم من اتباع محمد الا خجلهم من بعضهم بعضا مرة وحسد هم بني هاشم مرة اخرى.

إن موقف بني امية هذا من دعوة محمد كان يقابله موقف مماثل من بني هاشم الا ما كان من ابي لهب عم الرسول ﷺ. وحتى أبو لهب الذي اشتهر بعدائه لدين محمد ومقاومته لدعوته اخذته العصبية وجعلته يقف حاميا لمحمد الذي كان يحاربه بالأمس، فبعد وفاة أبي طالب اشتد ايذاء قريش لمحمد، فلما بلغ ذلك ابا لهب جاء محمدا وقال له: «يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه، لا واللات لا يوصل اليك حتى أموت، ولما أراد احد المشركين النيل من الرسول أقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح: يا معشر قريش صبا أبو عتيبة فأقبلت قريش حتى وقفوا على ابي لهب، فقال: ما فارقت دين عبد المطلب ولكني امنع ابن أخي ان يضام حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم» ووقف ابو لهب موقفا مماثلا مع ابي طالب حينما استجار به بعض المسلمين^(٢). ولم يقف ابو لهب عن مظاهرة الرسول الا بعد ان علم ان محمدا يقول: ان عبد المطلب في النار مع الذين عبدوا الأوثان^(٣). ولما رأت قريش أن هاشما تناصر محمدا أعلنت مقاطعتها لبني هاشم فانحاز بنو هاشم مسلمهم وكافهم الى الشعب تضامنا مع محمد ورغم تشديد قريش في امر الحصار ومقاطعة بني هاشم الا ان بعض قريش ممن تربطهم صلات رحم مع الهاشميين كانوا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٣١٥.

(٢) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢١١. انظر ابن هشام السيرة النبوية، ج ١ ص ٣٧١.

(٣) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢١١. انظر البلاذري، أنساب الاشراف ج ١ ص ١٢١.

يمدونهم بالقوت وبعض الحاجيات خفية وبمختلف الحيل والوسائل . وقد استطاع هذا نفر في النهاية من نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة^(١).

٣ - مركز الرسول في مكة :

كان محمد ﷺ مؤهلاً لحمل الرسالة السماوية بما توفر في شخصه من صفات فجمال مظهره الذي يبعث الهيبة والوقار وسمو اخلاقه وما اشتهر به من حكمة وفطنة وأثرة وتفان في سبيل العقيدة، كلها ساهمت في انجاح دعوته . فقد وصفه قومه بالامانة والصدق والوفاء وسموه (الأمين) تارة والصادق تارة اخرى وحكموه في المعضل من مشاكلهم ، فهو الذي جنبهم حرباً ضروساً يوم حكموه في قصة الحجر الاسود ، وجعل من خلافهم اتفاقاً فزادت مكانته بين العرب ونظر الجميع اليه نظرة وقار واحترام .

ولقد سما القرآن بهذه الشخصية سمواً عظيماً فاحلها في مرتبة لم تبلغها شخصية انسانية اخرى فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ . فتعززت هذه الشخصية وأصبح لا مجال للشك في نجاح دعوتها . وقد استطاع الرسول ﷺ بما تجمع في شخصه من مواهب وصفات ان يفرض احترامه وجلاله على أصحابه وان يبعث الخوف والوجل في نفوس اعدائه ومبغضيه . وقد أخذ حقوق من استجار به من العرب من الد اعدائه أبي جهل دون ان يستطيع هذا ان ينسب ببنت شفة^(٢).

وعندما أيقنت قريش ان دعوة محمد تشق طريقها نحو النجاح وان الرجل ماض بهمة لا تعرف الكلل في تبليغ رسالة ربه ، ذهب وفد من سادة قريش الى أبي طالب وخاطبه قائلاً : «يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهمنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين^(٣) . من هذا يتبين ان قريشا كانت تعلم ان الاعتداء على شخص الرسول انما هو إيذان بحرب أهلية داخلية تهدد قريشا بالفناء ، لذلك حاولت قريش بمختلف الوسائل ان ينسلخ ابو طالب عن

(١) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ص ٣٧٤ وما بعدها .

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٣٨٩ «الرجل الذي انصفه محمد ﷺ هو الأراشي من اراشة من خثعم مَطله ابو جهل وطلب هذا من قريش أن ينصفوه فأشاروا الى محمد ﷺ استهزاء لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل ، فأقبل الرسول فقام معه إلى دار أبي جهل وأخذ له حقه .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ١ ، ص ٢٦٥ وما بعدها .

حماية الرسول، غير ان قوم الرسول التفوا حول أبي طالب مانعين محمدا من ان يصيبه اذى قريش خلا أبا لهب الذي شذ عن قومه وناصر أعداء الرسول. ولم يُجد عرض قريش عمارة بن الوليد بن أبي المغيرة على أبي طالب ليتخذه ولدا مقابل التخلي عن محمد. امام هذا لم يجد القرشيون وسيلة للرد على دعوة محمد الا ايقاع الاذى بمحمد وأصحابه وجلب الاساءة لهم ولعقيدتهم.

اما اصحاب محمد ممن ليست لهم عشيرة تحميهم فقد استهدفوا للعذاب الشديد وبخاصة العبيد والموالي، وذلك لأن قريشا شعرت بالمهانة وهي ترى هؤلاء المستضعفين في الارض يرفعون أصواتهم بما يكرهه سادتهم، وأغضبهم ان يروا هذا الدين الجديد يدخل بيوتهم مع الموالي والعبيد الذين كان يعدهم السادة بعض متاعهم يتصرفون به حيث يشاؤون. ثم ان قريشا ازعجها أن يشجع محمد هذا الصنف من الناس على ابداء الرأي ورفض الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه.

وامتد العذاب بهؤلاء العبيد حتى كانت تربط ايديهم وأرجلهم ويلقون على ظهورهم فوق الرمضاء المحرقة في الايام الحارة وتوضع فوق صدورهم الحجارة المحماة الثقيلة، وقد مات بعضهم تحت التعذيب مثل ياسر وزوجته سمية، وكان على المسلمين من الأحرار ان يفتدوا هؤلاء ليخلصوهم من العذاب بأبھظ الأثمان وأقسى الشروط وقد اشترى أغنياء المسلمين بعضهم. كان الاعتداء على الموالي والعبيد من المسلمين بداية حملة عامة من المشركين انتهت بالتعرض لكافة المسلمين عبيدا وأحرارا بالأذى والاساءة حتى أصابت في نهاية الشوط شخص الرسول نفسه.

إن شمول المسلمين بالأذى يدل على ان قريشا شعرت بخطر الدعوة الاسلامية بشكل أكبر من قبل لان اشرافا اخذوا ينضمون الى الدين الجديد، وعلى ذلك تعرض للأذى امجاد وسادة مثل أبي بكر وعثمان والزبير وأبي عبيدة، وقد تحمّل المسلمون كل صنوف العذاب بصبر وايمان وكان بإمكانهم ان يردوا على عدوان قريش وان يدافعوا عن انفسهم غير ان الاذن بالقتال لم يكن قد جاء بعد. ويمكن ان يقال: ان الأمجاد من قريش لم يتعرضوا لنفس الشدة من العذاب الذي تعرض له العبيد، كما ان الرسول حتى هذه المرحلة لم يمسه أذى يذكر بفضل عمه أبي طالب.

ولما توفي أبو طالب اشتدت غضبة قريش على المسلمين وبدأ الأذى يصل الى شخص الرسول ﷺ، ومما ساعد اعداء الرسول على المضي في التعرض له أن عمه أبا لهب كان ممن بدأوا الاساءة اليه . كان أبو لهب وزوجته ام جميل (حمالة الحطب) وجيرانه يلقون النجس امام بيت النبي فيزيله ويقول: «يا بني عبد مناف أي جوار هذا»^(١).

— وأنزل الله سبحانه وتعالى سورة المسد بحق أبي لهب وزوجته «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد».

وكانت امرأة ابي لهب توافق زوجها وتشاركه اىذاء الرسول كما تعرض الرسول عليه الصلاة والسلام لاذى ابي جهل وعقبة بن أبي معيط وجماعة ممن كانوا من سادة قريش، وكان هؤلاء يقيمون الأدلة لبعضهم على اخلاصهم للوثنية ونكرانهم للدين الجديد بالتعرض لمحمد وأصحابه . وقد أنزل الله الآيات والسور يعد هؤلاء بالعذاب الشديد ويكشف لهم سوء أعمالهم وينذرهم بسوء عواقبها .

هجرة المسلمين الى الحبشة :

ولما رأى الرسول ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه»^(٢).

ويتساءل كثير من الباحثين عن السبب او الاسباب التي حالت دون السماح بهجرة المسلمين الى اقليم من الأقاليم العربية أو إلى يهود يثرب القرييين من مكة أو إلى إحدى الحواضر النصرانية في بلاد الشام كالحيرة وبصرى . وأما الأقاليم العربية أو القبائل العربية داخل الجزيرة وعلى أطرافها كانت ترتبط برباط ود ومجاملة مع قبيلة قريش منذ أزمان طويلة، بحيث رأى الرسول بثاقب بصره ان المشركين من العرب لا يمكنهم منع قريش من الاعتداء على المسلمين وهو بالتالي لا يكون أمينا على وجود اتباعه بين

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٣٥٤ وما بعدها.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ج ١ ص ٣٢١ وما بعدها.

ظهري قوم يقرون سيادة قريش عليهم . وكذلك لم يفكر بالهجرة الى مواطن أهل الكتاب من اليهود والنصارى داخل الجزيرة العربية ، لأن هذه الطوائف كانت تتنازع فيما بينها وكانت ضعيفة بحيث لا تملك القدرة على حماية الجماعة الاسلامية اولا ولا ترغب في نجاح هذه الدعوة ثانيا .

الدين وعلى هذا لا يمكن لهذه الطوائف ان تقبل منافسا ثالثا خصوصا اذا كان من العرب الذين كانوا يحتقرونهم ويقولون فيهم : ﴿ليس علينا في الامين سبيل﴾^(١) .

ومن الاسباب التي منعت الهجرة الى يثرب علاوة على ما تقدم ان الأوس والخزرج فيها كانوا لا يزالون على الوثنية وكانت الحرب مستعرة بينهم . وأما اليمن فقد شهدت أحداثا من قبل أدت الى سيادة الفرس عليها ، ولم يكونوا يدينون بدين سماوي ، فلم يطمئن الرسول الى الهجرة اليها ، وقد برهنت الأيام على بعد نظر الرسول ، فقد كتب كسرى الى «بازان» عامله على اليمن : «ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين جلدتين من عندك فليأتياني به»^(٢) . وأما الحيرة وبصرى فكانتا تحت النفوذ الرومي تارة والنفوذ الفارسي تارة اخرى ، ولم تكن الاحوال ببلاد الشام تسمح لجماعة المسلمين بحرية نشر دينهم نظرا للاضطراب السياسي والديني في هذه المنطقة . هذا علاوة على بعد الشام عن مكة . وهناك امر هام ايضا منع الهجرة الى كل من اليمن ويثرب والحيرة والشام . ذلك ان هذه المراكز هامة لتجارة قريش ، ولا يكاد القرشيون ينقطعون منها أبدا ولهم مع هذه الدويلات معاهدات واتفاقيات ربما يدفع الحفاظ عليها الى تسليم جماعة المسلمين الى قريش وهو ما لا يريده محمد ﷺ .

وبناء على ما تقدم لم تكن هجرة المسلمين الى الحبشة لكونها البيئة النصرانية التي لا يظلم بها مؤمن كما يرى بعض المتعصبين للنصرانية وذلك لان النصرانية كانت في داخل الجزيرة العربية . وقد حاول البطارقة ورجال الدين في الحبشة اقناع النجاشي بتسليم المهاجرين من المسلمين الى وفد قريش الذي ارسلته امعانا في اضطهاد المسلمين وإفساد أولى الأمر في الحبشة على من عندهم .

(١) انظر حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ط ١٩٦٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، ج ١ ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) جاء هذا في جواب كسرى على رسالة محمد ﷺ حينما ارسل كتابه اليه يدعو للإسلام . انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٦٠٦ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٥٩ وما بعدها .

وقد ناقش مونتغمري وات في كتابه «محمد في مكة»^(١) . الأسباب التي دعت الرسول الى حث المسلمين على الهجرة الى الحبشة وأورد الملاحظات التالية :

١ - ان القول بهجرة المسلمين الى الحبشة كانت لتجنيبهم الاضطهاد والاذى وخوفا من افتتانهم عن دينهم هو قول ضعيف الاحتمال في نظر وات وذلك لان بعض المسلمين بقي في الحبشة حتى السنة السابعة للهجرة . ولم يعودوا مباشرة بعد ان اصبح الاسلام قادرا على حماية اتباعه بعد الهجرة ، مع انه لم يذكر ان الرسول قد أمرهم بالبقاء هناك . غير ان تأخر بعض المسلمين في الحبشة يمكن تبريره بان هؤلاء الذين تأخروا ربما كانت لهم مصالح اقتصادية نشأت من طول اقامتهم هناك ولا بد لهذه المصالح من زمن لتصفيتها . ولما انهى هؤلاء هذه العلاقات التجارية عادوا الى وطنهم ، ويقوي هذا الرأي ان الكثيرين من الذين هاجروا كانوا من اصحاب الخبرة في العمل التجاري ورافقوا القوافل التجارية مدة طويلة .

وأنا أتفق مع «وات» في ان الخوف على المسلمين من الفتنة والارتداد عن الدين كنتيجة اضطهاد وضغط قريش لم تكن السبب الوحيد في الهجرة الى الحبشة ، وأعتقد ان هذه القضية لم تكن واردة بتاتا في ذهن الرسول ﷺ ، لان احتمال الافتتان قد يكون في كل مكان ، وقد يكون في الحبشة ايضا . والجماعة المهاجرة كانت تضم المسلمين الأوائل أصحاب الايمان القوي الذين لا يخشى ارتدادهم ، ولم يكن الذين لم يهاجروا أقوى ايمانا منهم . ولهذا لا يعقل ان يكون الخوف على فتنة المسلمين عن دينهم وحده هو الذي دفع المسلمين الى الهجرة الى الحبشة .

ويورد «وات» فرضية غريبة . لتفسير اسباب هجرة المسلمين الى الحبشة ويقول : ان الهجرة حدثت بسبب اختلاف كان قد نشب بين افراد الجماعة الاسلامية في مكة ، ويدعي ان المسلمين كانوا منقسمين على انفسهم قسمين ، قسم يترأسه عثمان بن مظعون الجمحي ، وقسم يترأسه أبو بكر ، وان الفريق الأول الذي على رأسه عثمان بن مظعون كان يكره أبا بكر لمكانته الخاصة عند الرسول ﷺ ، وكان من بين افراد هذا الفريق

== البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ص ٥٣١ . الطبري ، تاريخ ج٢ ص ٦٥٤ وما بعدها . المقريزي ، إمتاع الأسماع ج١ ص ٣٠٩ .

(١) انظر Muhammad at Mekka PP. 112-117

قام بترجمة هذا الكتاب الى العربية «شعبان بركات» المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، انظر من ١٨٥-١٨٧ .

خالد بن سعيد بن العاص وهو من أوائل المسلمين وأبرزهم، وابن أبي أحيحة، نعيم بن عبدالله النحام، وكلهم هاجروا الى الحبشة، وبعضهم تأخر فيها حتى السنة السادسة للهجرة كالنحام، وبعضهم تنصر وبقي هناك كعبدالله بن جحش^(١).

ان هذا الانقسام الذي تحدث عنه «وات» لا وجود له في هذه الفترة من تاريخ الدعوة الاسلامية وذلك للأمور البسيطة التالية:

١ - ان عثمان بن مظعون وأولاده اسلموا بدعوة من أبي بكر، فهم والحالة هذه كانوا يكونون الحب والاحترام لأبي بكر شأنهم في ذلك شأن عامة المسلمين، كما يؤثر ان عثمان بن مظعون كان مشهورا بالتزهد والتبتل لدرجة ان الرسول طلب اليه ان يتأسى به ويجعل من وقته ما يريح جسده وأهله وقال له: «يا عثمان ان الله لم يعثني بالرهبانية مرتين او ثلاثا، وان خير الدين عند الله الحنيفية السمحة»^(٢). ومن كان هذا شأنه لا يدخل في خلاف او مشاحنه.

٢ - ان موقف عثمان بن مظعون يوم رد جوار الوليد بن المغيرة يدل على ايمان لا يتزعزع ونفس لا تشوبها شائبة، ومثل هذه النفس وهذا الايمان لا يدخلهما حسد او بغضاء. ولم يكن لأبي بكر في هذه الفترة من امر توجيه الاسلام والمسلمين ما يوجب إثارة الحسد او المنافسة لان توجيه الدعوة كان متعلقا بالوحي فقط الذي يأتي محمدا قائد الجماعة المسلمة التي تنتمي الى بطون متعددة من قريش وغير قريش والى طبقات اجتماعية متفاوتة، ولم يكن بين هذه الجماعة اي وزن للمصالح الاقتصادية والاجتماعية مما يوجب بوجود سبب للانقسام.

٣ - لم تورد المصادر الاسلامية او غيرها نبأ مثل هذه الانقسامات المبكرة بين الجماعة الاسلامية، وقد عاد عثمان بن مظعون وأولاده من الحبشة وجاهدوا تحت راية الاسلام زمن محمد وأبي بكر كأفضل ما يكون الجهاد.

وأرى أن هناك ثلاثة احتمالات توضح سبب اختيار الحبشة مكان هجرة للمسلمين.

(١) نفس المرجع السابق ص ١٨٦ وما بعدها .. انظر الاصل الانجليزي PP. 112-117

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٣٩٣.

الأول : أن الرسول ﷺ كان يعرف عن النجاشي عدله وتسامحه وربما إيمانه ، فأثر الرسول هجرة أصحابه الى الحبشة طمعا في نجاح دعوتهم في هذه البلاد ، وتخليصا لأصحابه من اضطهاد قريش وتعذيبها ، ويعزز هذا الرأي ما قيل عن إسلام النجاشي عندما دعاه الرسول لذلك^(١) .

الثاني : وهو سبب سياسي ، ذلك ان الحبشة كانت تطمع بأجزاء من الجزيرة العربية منذ قديم الزمان ، وكانت تراقب الأحوال في بلاد العرب باهتمام لاهتبال الفرص المواتية لتنفيذ اطماعها ، ولذلك رأيناها تغزو اليمن مرات عديدة ، كما حاولت غزو مكة في عهد ابرهة الحبشي ، لهذا لم تكن العلاقات بين قريش وبين الأحباش حسنة ، الأمر الذي جعل الأحباش يقبلون المهاجرين المسلمين ومن ثم يطمئن المسلمون الى ان يد قريش لن تصل إليهم في بلاد الحبشة ، وقد يكون صحيحا القول بأن الأحباش رحبوا بهؤلاء المهاجرين لاستخدامهم فيما بعد لتحقيق اطماعهم السياسية في الجزيرة العربية ، لأن الأحباش لم يكونوا يعرفون الدوافع الحقيقية في نفوس هؤلاء المهاجرين .

الثالث : وهو سبب اقتصادي وهو رغبة المسلمين في العمل والارتزاق بعد ان سدت مكة في وجههم سبل العيش ومنعتهم من العمل التجاري فقد ذكر ابن هشام ان : «أبا جهل كان حين يلقي مسلما لا يقبل الارتداد عن دينه والعودة الى عبادة الأوثان ، كان يقول له : «والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك»^(٢)

وبناء على ما تقدم لا تخرج الأسباب التي أدت الى اختيار الحبشة مكانا لهجرة المسلمين الاوائل عن الاحتمالات الثلاثة التي ذكرناها مجتمعة أو متفرقة .

موقف اليهود من الدعوة الاسلامية :

لقد أشرنا سابقا إلى احتمال وجود طائفة قليلة العدد غير ذات شأن من اليهود في مكة ، ولذلك لم تذكر المصادر شيئا عن اخبار هؤلاء خلال صراع الرسول ﷺ مع قريش .

(١) انظر ابن هشام . . السيرة النبوية ، جـ ٢ ص ٦٠٧ . ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ٢٥٨ ، الطبري : تاريخ ، جـ ٢ ص ٦٥٢ . المقرئ : إمتاع الاسماع ، جـ ١ ص ٣٠٩ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ص ٣٢٠ .

وحتى لو توفرت النية عند يهود مكة للمساهمة في مناهضة الدعوة الاسلامية فلم يكن باستطاعتهم ذلك لاستعار شدة العصبية بين القرشيين أنفسهم مما لا يسمح لهم بكشف ميولهم .

ونظرا لفضالة شأن هؤلاء في مكة، توجهت قريش الى يهود المدينة وأجبارها يسألونهم عن محمد . فقد ارسلت قريش النضر بن الحارث ومعه عقبة بن ابي معيط الى أحبار يهود المدينة وقالوا لهما: «سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفتة، وأخبرا هم بقوله، فانهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجنا حتى قدما المدينة، فسألا احبار اليهود عما جاء من أجله، فقالت لهما أحبار اليهود: «سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها، ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم»^(١).

ينفي بعضهم صحة هذه الرواية دون تعليل لهذا النفي يركن إليه، مع ان هذه القصة قد تكون سببا في نزول سورة الكهف احدى سور القرآن فكيف يمكننا نفيها، ثم إن التلمود يحوي قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف التي أشار إليها القرآن الكريم^(٢).

ومن جهة أخرى نجد ان هذه الرواية تكشف نوايا اليهود تجاه الدعوة الاسلامية، وهي كما نرى عدوانية، فاليهود الذين أنذروا بمبعث محمد ﷺ ووصفوه بكتبهم وأحاديثهم، ووصفوا مكان وزمان مبعثه يظاهرون قريش الوثنية ويمدونهم بأساليب الحجاج والجدل التي لا تعرفها قريش.

هذا الموقف من اليهود يفسر جميع مواقفهم مع الرسول بعد الهجرة حيث كشفوا عن عداوتهم وخصاموا المسلمين في السر والعلن . ومن الجدير بالذكر ان اسلوب قريش في جدال محمد وأصحابه كان يتركز على طلب اتيان الخوارق والمعجزات . . . فما باله لا يحيل الصفا والمروة ذهباً ولا ينزل عليه الكتاب الذي يتحدث عنه مخطوطا من

(١) ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٣٠٠ وما بعدها.

(٢) انظر ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٩٨.

السماء، ولم لا يبدولهم جبريل الذي يطول حديث محمد عنه، ولم لا يحيي الموتى ولا يسير الجبال حتى لا تظل مكة حبيسة بينها، ولم لا يفجر الينابيع ليسد حاجة مكة من الماء العذب، ولم لا يوحى إليه ربه بأثمان السلع حتى يربحوا بالمضاربة عليها في المستقبل، ولم لا يعيش محمد في الجنان وتخدمه الملائكة، ولم... ولم إلى آخر ما تفتقت عنه العقلية العربية الوثنية. ورد الله على تساؤلاتهم بقوله سبحانه وتعالى ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾^(١).

أراد اليهود إذن إحراج الرسول بهذه الألغاز التي لا تعرف العرب عنها شيئا، وبذلك سخرها معرفتهم لما في كتبهم لا عجز الرسول، وهم يعلمون انه رسول حقا، ولكن ما يقف ربه معه لا يعجزه بشر فأنزل الله جوابا على تساؤلاتهم^(٢).

يختلف المؤرخون والمفسرون في ذي القرنين، فمنهم من يقول: إنه الاسكندر المكدوني ومنهم من يرى انه أحد ملوك اليمن. ويرى أبو الكلام آزاد أن المقصود بذي القرنين هو الملك الفارسي كورش، وذلك اعتمادا على ابحاثه في التوراة والقرآن والكشوف الأثرية^(٣).

كان الرسول ﷺ حريصا على دعوة قومه العرب أولا إلى الاسلام، ولذلك لم يبال في سبيل هدايتهم بكل ما نزل به وبأصحابه من أذى، ولما اصر القرشيون على الكفر رحل الرسول الى الطائف وعرض نفسه على بطونها وزعمائها يدعوهم الى الاسلام، فلم يقبلوا منه وخذلوه وأنكروه وأسمعوه بذيء الكلام، وأطلقوا عليه سفهاءهم وأولادهم يعتدون عليه، وكان مما قالوه له: «هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك» وقالوا: «اما وجد الله احدا يرسله غيرك» وقال آخر: «والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك»^(٤).

(١) سورة الاعراف، آية: ١٨٨.

(٢) انظر سورة الكهف الآية: ٩ وما بعدها انظر كذلك سورة الإسراء آية: ٨٥.

(٣) انظر مجلة العربي الكويتية، العدد ١٨٤ سنة ١٩٧٤م ص ١٢٨-١٣٤.

انظر كذلك حياة مولانا أبو الكلام آزاد ويحوته، عبد المنعم النمر، مولانا أبو الكلام آزاد، رسالة دكتوراة مخطوطة في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ١١ ص ٤١٩.

وفي الطائف بلغ صبر الرسول أقصى درجات التحمل وتأبى نفسه الا أن يقول :
«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ،
انّ رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ؟ أم الى عدو
ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ
بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي
غضبك ، أو تحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

★ الرسول يعرض نفسه في المواسم :

عاد الرسول من الطائف الى مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه الا
قليلا مستضعفين ممن آمن به ، ولم يبال الرسول بعدوان القبائل عليه ، وهو بهذه المواقف
انما يدل على شخصيته « شخصية الرسول » لان ما تعرض له من مواقف صعبة ، يسمع
فيها قوارص الكلم من سفهاء القوم ، ويتحمل من مشقة الجوع والعطش والسفر وهو لا
يطمع الا برضاء ربه ونشر دعوته ، إنما هذه مقدرة فائقة قلّ ان تتوفر عند كبار الأخيار من
رجال التاريخ البشري .

مضى رسول الله في سبيله يدعو العرب الى الله بكل ما أوتى من وسيلة ولا يترك
مناسبة الا ويستغلها مذكرا ومنذرا ومبلغا رسالة ربه وقريش تزداد في عدوانها . عندها فكر
الرسول باستغلال المواسم ودعوة الحجيج الى الاسلام ، لعل دعوته تجد آذانا صاغية من
غير قريش وفيما هو يعرض نفسه في احدى هذه المواسم وجدت دعوته قبولا لدى افراد
من يثرب . وكان لهذا اللقاء أثره البالغ في تاريخ الدعوة الاسلامية .

فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ وانجاز مواعده له ، خرج الرسول
في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان
يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة اذ لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .
فقال لهم من أنتم؟ قالوا ، نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود؟ قالوا : نعم ، قال :
أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض
عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله بهم في الاسلام ، أن يهودا كانوا

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٢٠ .

معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوه في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: «يا قوم تعلموا والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه»، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله فلا رجل أعز منك^(١) ثم رجع اليرشبيون إلى بلادهم بعد أن آمنوا وصدقوا.

ويعزو بعض المؤرخين سهولة انتشار الاسلام بين اليرشبيين إلى مجموعة من الأسباب أهمها:

أولا: تأثير الديانتين اليهودية والنصرانية في عقول اليرشبيين مما ولد عندهم الاستعداد لقبول الدين الجديد وذلك بعكس العقلية المكية الجامدة التي لم يكن عندها أي استعداد للتصور الروحي.

ثانيا: الأحوال السياسية السائدة في يثرب كانت توجب إيجاد مخرج لهذه الأزمة السياسية المستحكمة بين الأوس والخزرج واليهود وتسببت في حروب بينهم. ولذلك وجد الأوس والخزرج في اعتناق الدين الجديد المنفذ الذي يخرجون منه ويتخلصون من هذه الأزمة القاتلة.

ومع تقديري لهذه السببين، أرى أن أضيف إلى ما تقدم الملاحظات التالية:

أولا: لا يعقل أن لا يسمع اليرشبيون بخبر الرسول ودعوته بعد مضي سنوات على مبعثه، وهم الذين لا ينقطع وجودهم من مكة أو وجود المكيين بينهم، سواء لتجارة أو طلب حلف. فقد ذكر ابن هشام «أن وفدا من بني عبد الأشهل بزعماء أبي الحيسر، أنس بن رافع قدم إلى مكة وفي الوفد إياس بن معاذ، وقد جاء هذا الوفد يلتمس حلفا من قريش على قومهم من الخزرج، وقد سمع بهم الرسول ﷺ وأتاهم وجلس إليهم وعرف مطلبهم

(١) ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٤٢٨.

ثم قال لهم : «هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : انا رسول الله بعثني الى العباد ، أدعوهم الى ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علي الكتاب ، ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال أياس بن معاذ : اي قوم هذا والله خير مما جئتم له . وقال أبو الحيسر : لقد جئنا لغير هذا وانصرفوا الى المدينة^(١) .

لقد وصلت أخبار نزاع قريش مع الرسول وأصحابه بلاد الحبشة ورددت الجزيرة العربية اخبار الرسول وما ينزل عليه من وحي ، وتناقل الشعراء هذه الاخبار ، فهذا أبو قيس بن الاسلت من بني وائل «ووائل ، وواقف ، وخطمه أخوة الأوس» يدافع عن الرسول وينهي قريش عن حرب المسلمين ، ويطلب اليهم الكف عن التحزب ضد بني قومهم من هاشم ، وذلك في مطلع الدعوة الاسلامية .

ويذكر ابن هشام أن أمر الرسول ﷺ انتشر بين العرب وبلغ البلدان ذكره ، ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل ان يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم^(٢) .

ويؤخذ من الرواية السابقة ان العرب في المدينة كانوا على اطلاع تام على دعوة محمد ﷺ لصلتهم بقريش من جهة واتصالهم باليهود من جهة اخرى . وفي قصتي اسلام سلمان الفارسي - وعبدالله بن سلام اليهودي - ما يفيد ان الجوف يثرب كان مهيا لقبول دعوة الاسلام ، وأن يثرب لم تكن تخلو ممن يعتنق الاسلام أو يتصل بالمسلمين في مكة ، ولا يستبعد ان يكون بعض المسلمين قد أقام في يثرب وساهم في تهيئة المناخ الملائم لنشر الدعوة الاسلامية التي وجدت فعلا هذا المناخ حتى دخل الاسلام كل بيت من بيوت الانصار في مدة لا تزيد على العام الواحد .

ثانيا : كانت العلاقات بين مكة والطائف جيدة وساعدت هذه العلاقة على ترسيخ قواعد زعامة قريش في مكة وسائر انحاء الحجاز . ولا بد ان يثرب لم تكن لترتاح لهذه الزعامة وتود مخلصه لو انها تتبوأ مكانا مماثلا ، ولا يتيسر لها هذا المكان وهي على الوثنية لان مكة هي عاصمة الوثنية ، أضف الى ذلك أن ما سمعه العرب من جيرانهم اليهود لم

(١) ابن هشام ، السيرة - ج ١ ص ٤٢٧ وما بعدها .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٨٢ وما بعدها .

يبقى حجباً للدفاع عن هذه الوثنية . لذلك فكر عرب يثرب في اعتناق هذا الدين الجديد وجعل يثرب موثلاً له يحج إليها المسلمون من جميع الجهات كما يحج المشركون إلى مكة من جهاتها المختلفة، وهذا الرأي يتفق مع دوافع العقلية العربية في تلك الفترة .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم من ملاحظات كون المجتمع اليثربي مجتمعاً زراعياً على الغالب بعكس المجتمع المكي التجاري ، وإن هذا المجتمع الزراعي قد فقد وحدته بعد الحروب المنهكة بين الأوس والخزرج واليهود، وإن هذا المجتمع أصبح مكشوفاً أمام الهجمات الصحراوية البدوية، أدركنا الأهمية الاقتصادية التي كانت تعانيها يثرب . وكانت النظم الاجتماعية في يثرب مشابهة للنظم السائدة في المجتمعات الصحراوية، وأساس هذه النظم يقوم على العصبية القبلية . وكانت حوادث الثأر والديه والصدامات المتكررة تقوي هذه العصبية، ويثرب دائماً تكون هي الخاسرة في صداماتها مع القبائل البدوية بما تفقده من منتجات زراعية سواء بالتهب أو بالتخريب أو ما تخسره من قطعان الماشية بينما لا يخسر الغزاة شيئاً .

ولم تكن تجمع بطون يثرب مصلحة واحدة مشتركة كما جمعت التجارة البطون المكية . لهذا كان التضامن القبلي في مكة أوضح منه في يثرب . ويمكن وصف يثرب قبل قدوم الرسول ﷺ بأنها مدينة منقسمة على نفسها، تنخر الحزازات والأمراض جسمها الاجتماعي وتفقد عناصر النمو والاستمرار . إزاء هذا الوضع كان الجميع في يثرب يتطلعون إلى منقذ يخلصهم من هذه الأزمة القاتلة . وإذا كانت الفرقة وانقسام الصف هما العامل الذي مهد الطريق أمام هجرة محمد إلى يثرب، فإن الخوف من تصدع الصف المكي وتقسيم الناس إلى فريقين متطاحنين كانا من أبرز العوامل التي دعت المكيين إلى حرب الرسول ومقاومة دعوته .

وأضيف إلى ما سبق أنه إذا كان للمكيين مصالح مادية ومعنوية في الحفاظ على الوثنية والدفاع عنها، فإنه لا شيء من هذه المصالح يجعل اليثريين يحافظون على هذه الديانة أو يدافعون عنها .

وهكذا بعد تلك الشدائد والصعوبات والآلام التي نزلت بالرسول ﷺ بسبب عرضه دينه على العرب في مكة والطائف وتمسكهم الشديد بوثنيتهم القديمة ، وهجومهم على

كل من يتعرض لدين آبائهم وأجدادهم ، وجد أمامه بطونا من يثرب تدخل الاسلام دون مقاومة ، وأخذ أفرادها ينظرون إليه نظرة تعظيم وإجلال .

ويرى ولفنسون : أن اليهود في يثرب ساهموا في نشر الاسلام بطريقة غير مباشرة ، وذلك لاعتقادهم بمجيء مسيح ينقذهم من البؤس والشقاء . ويقول كان لهذا الاعتقاد أثره في ظهور النصرانية في فلسطين عند طائفة خاصة من اليهود . وكما كان سببا لظهور عدة أشخاص من اليهود في القرون الوسطى بمظهر الأنبياء والمرسلين حتى عرضوا على اخوانهم تعاليم دينية جديدة وادعوا لانفسهم دعوة المسيح المنتظر . ويقول «ان هذه القصة ملأت صحفا كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلي القديم والحديث وكثيرا ما كانت سببا في نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود في أدوار مختلفة ولا تزال هذه العقيدة الى اليوم راسخة في نفوس الطبقات المتدينة من اليهود ، وإذا قام شخص وادعى انه المسيح المنتظر الذي يحنون اليه منذ أزمان طويلة انكروا ادعاءه وسفهوا قوله ورفضوا الاذعان لما يدعوه اليه . وكأن الأمة الاسرائيلية كانت ترمي لهذه الفكرة الى غاية معنوية لا يريدون تحقيقها بوجه من الوجوه . ولكنها لعبت دورها بين العوامل التي أدت الى انتشار الاسلام . اذ كان العرب يسمعون من اليهود اثناء أوقات الشدائد والأزمات أن المسيح المنتظر سيأتي ليتغلب على أعداء الشعب المنتظر . فلما عرض النبي رسالته على أفراد من الخزرج تنبهوا الى أقوال اليهود فأقبلوا يعتنقون الاسلام ويؤمنون بدعوة الرسول . وهكذا ادت تلك المحادثة بين الرسول وبين نفر من الخزرج الى هذه النتيجة العظيمة ذات الأثر البعيد في التاريخ البشري»^(١) . وبناء على ما تقدم من عوامل ساعدت على دخول الاسلام يثرب ، فان نفر الستة من الخزرج عادوا الى مدينتهم وأخذوا يحدثون الناس بما سمعوه من الرسول ودعوا اهل يثرب الى الاسلام ، وأصبح حديث الرسول والاسلام يدور بين الناس وأصبحت هذه الاحاديث موضع جدال ونقاش .

يرى مونتغمري وات ان لقاء الرسول بوفد الخزرج تم عام ٦٢٠م^(٢) وعلى هذا تكون بيعة العقبة الأولى التي تمت في العام التالي لهذا الحادث سنة ٦٢١م .

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٠٢ .

(٢) "Muhammad at Mekka" P. 145.

أنظر الترجمة العربية ، شعبان بركات ، المكتبة العصرية - بيروت ص ٢٢٩ .

وفي العام الثاني لوفد الخزرج وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا، فالتقوا برسول الله في مكان العقبة، وفي هذا المكان تمت أول بيعة في الاسلام سميت بيعة النساء، لأنها كانت على الأمور التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء، وهي هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وبعد ان تمت هذه البيعة انصرف عنه القوم ومعهم مصعب بن عمير بن هاشم، بعثه الرسول وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرئ بالمدينة. ونزل مصعب على اسعد بن زرارة بن عدس أبي امامه، وكان مصعب يصلي بالمسلمين ويؤمهم في يثرب لان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤم بعضا^(٢). وكان لإسلام هؤلاء الفر ومن سبقهم وذهاب مصعب معهم من الاسباب المهمة في دخول أشراف يثرب في الاسلام، فأسلم أسيد بن حضير الذي كان أبوه قائد الأوس في يوم بعاث، وأسلم سعد بن معاذ سيد بني عبد الأشهل من الأوس الذي تسبب في اسلام قومه^(٣).

ولما حل موسم حج سنة ٦٢٢م توجهت جماعة من يثرب يبلغ تعداد افرادها ثلاثة وسبعين رجلا وثلاث نسوة الى مكة لأداء فريضة الحج. وقد اتفقت هذه الجماعة على لقاء الرسول ﷺ سرا في العقبة. ولما كان الموعد المضروب حضر الرسول الى الشعب بقرب العقبة ليلا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، وفي هذا اللقاء تمت بيعة العقبة الثانية وهي البيعة الكبرى. وقد حضر العباس ليستوثق من ان ابن اخيه في منعة ومأمن، وأنه سيصير الى قوم قادرين على حمايته. وقد تكلم العباس في الوفد وأوضح لهم ان محمدا عزيز في قومه، وطلب اليهم ان يدعوه اذا رأوا انهم غير مانعيه، ثم تكلم رسول الله ﷺ وتلا شيئا من القرآن وعرض شروطه على الوفد وضمائنه حتى يترك مكة الى يثرب. وقد طلب الرسول منهم ان يبايعوه على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم

(١) الآية: ١٢، أنظر أيضاً ابن هشام، السيرة - ج ١ ص ٤٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر ابن هشام، المرجع السابق - ج ١ ص ٤٣٤ وما بعدها.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٤٣٥ وما بعدها.

وأبناءهم . وعند ذلك تقدم البراء بن معرور سيد قومه وكبيرهم فمد يده وقال : «بايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . وقبل ان يتم البراء كلامه اعترض أبو الهيثم ابن التيهان قائلا : «يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبلا ، وانا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتهم ، وأسالم من سالمتم» وهم القوم بالبيعة فاعترضهم العباس بن عبادة قائلا : «يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا : نعم ، قال : انكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الاشراف ، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف . فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا بذلك؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه ، ولما فرغوا من البيعة ، قال لهم النبي : أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ، فاختر القوم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . فقال النبي لهؤلاء النقباء : انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، وكانت بيعتهم الثانية هذه ان قالوا : «بايعنا على السمع والطاعة في عسرا ويسرا ومنشطنا ومكرهنا وان نقول الحق اينما كان لا نخاف في الله لومة لائم»^(١)

ويستفاد من هذه البيعة ان يثرب كانت على جانب عظيم من القوة ، فقد استعد الشريبيون لمواجهة عداوة العرب قاطبة مقابل دعوة الرسول ﷺ واحتضان الدعوة الاسلامية . ولولم يكن الرسول ﷺ واثقا من قدرتهم على حمايته لما عزم على الهجرة الى يثرب . وقد يكون مبعث هذه القوة ان اهل يثرب قد تمرسوا في القتال من خلال علاقاتهم مع القبائل العربية المحيطة بمدينتهم والتي كانت تتربص الفرص في الاغارة

(١) انظر ابن هشام ، السيرة -١ ص ٤٣٨ وما بعدها . ابن سعد ، الطبقات -١ ص ٢٢٢ وما بعدها . البلاذري ، أنساب الأشراف -١ ص ٢٣٩ وما بعدها . يعقوبي ، تاريخ يعقوبي -٢ ص ٣٠ . الطبري ، تاريخ -٢ ص ٣٥٥ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ -٢ ص ٦٣ وما بعدها . طبعة دار الفكر - بيروت . ابن كثير ، البداية والنهاية ، -٣ ص ١٥٨ وما بعدها . المقرئ ، إمتاع الاسماع -١ ص ٣٦ وما بعدها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، -٦ ص ١٩٢ . ابن تيمية ، زاد المعاد في هدي خير العباد - محمد - المطبعة المصرية ومكتبتها -٢ ص ٥٠ وما بعدها .

على مدينتهم طمعا بخيراتها كلما واثت هذه القبائل فرصة للاغارة والقيام باعمال السلب والنهب . ولهذا لجأ سكان يثرب الى بناء الحصون والأطام ، ولعل اليهود هم الذين جلبوا معهم فكرة بناء الحصون والأطام من فلسطين وانتقلت هذه العادة الى سائر المراكز الزراعية في الجزيرة العربية . وتشير هذه الحصون والقلاع الى أن يثرب كانت تتعرض للغارة بين أونة وأخرى ، رغم ان المصادر لم تفصل لنا أخبارها . وقد جاء على لسان بعض الأنصار بعد الاسلام في حديث لهم مع الرسول ﷺ كيف كانوا يقيمون في مدينتهم عند طمع الأعراب بهم مطمئين الى هذه الحصون التي تحيط بالمدينة من معظم جوانبها^(١).

وقد تمرس سكان يثرب في القتال وأصبحت لديهم الخبرة فيه من جراء حروبهم الداخلية والخارجية واستعدادهم الدائم للدفاع عن ارضهم وخيراتهم . ويظهر من خلال الأحداث التي عاشتها يثرب ان جميع بطونها وطوائفها كانت تشترك في رد العدو المشترك وبقي هذا الحال حتى فسدت العلاقات بين المسلمين واليهود وظاهر اليهود والمنافقون أعداء المسلمين . وكانت يثرب تملك القوة الحربية التي تستطيع ان تحمي نفسها بها . وليس لدينا احصاء عن عدد الأوس والخزرج ، كما لا نملك معرفة اعداد اليهود الا من تحديد قوتهم يوم فتح مكة ، ومن خلال حروب المسلمين واليهود ، وكان سكان يثرب قد دخل معظمهم في الاسلام . وقد قدر عدد المسلمين يوم فتح مكة بعشرة آلاف مقاتل^(٢) . اما عدد اليهود فقد بلغ عدد الرجال البالغين من القبائل الثلاثة حوالي الالفين ، هذا دون حساب اعداد البطون اليهودية الصغيرة^(٣).

ومما زاد في منعة أهل يثرب ان المدينة كانت موطن صناعة الاسلحة في بلاد الحجاز واشتهرت بصناعة السيوف والسهام والدروع التي اشتهرت باسم «الدروع الداودية» ، كما روج اليهود بأنهم ورثوا هذه الصناعة من زمن داوود النبي^(٤).

وسبب آخر زاد في منعة يثرب موقعها على الطريق التجاري الهام بين بلاد الشام

(١) انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ج٢ ص ٦٣ وما بعدها . الواقدي ، المغازي ، ج١ ص ٢١٠ وما بعدها .

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ص ٣٢٢ .

(٣) انظر احمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة ص ٣٤٨ .

(٤) انظر ابن سعد ، الطبقات ج١ ص ٢٢٢ . المفضل الطبي ، المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر =

وجنوب الجزيرة العربية، وكانت بموقعها الهام هذا تتحكم بتجارة قريش وتبقيها تحت رحمتها. ثم ان علاقات البطون العربية في يثرب مع غيرها من بطون الأزد وبخاصة قبيلة غسان في بلاد الشام جعلها تطمئن الى نجدة هذه القبائل اذا دعت الضرورة لذلك. وهكذا اطمأنت يثرب الى قوتها ولم تتوسع في عقد التحالفات مع القبائل خارج يثرب، وربما ان سبب هذا يعود الى ان يثرب كانت تزاوّل اعمال الزراعة والتجارة والصناعة، وان اقتصادها كان يميل نحو الاكتفاء الذاتي، وشعر اهل يثرب أنهم في بحبوحة من العيش وسط الجزيرة، فعملوا على اقامة علاقاتهم مع غيرهم وفق المصالح التي تعود بالنفع على مدينتهم. وكان لا بد ليثرب من مثل هذه العلاقات الحسنة مع الجميع حتى يستطيع اليثريون تصريف أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية.

وقد يذهب الباحث الى ابعد من هذا التفسير لطبيعة علاقات يثرب مع غيرها وذلك بعرض الرأي الثاني: «كان اليهود هم سادة يثرب قبل غلبة الأوس والخزرج عليهم، وربما ان اليهود ادركوا طبيعة العقلية العربية التي تحيط بهم وما فيها من حساسية العربي نحو حريته وعصبيته لقومه، لذلك رأى اليهود ان تكون علاقاتهم مع غيرهم مبنية على عدم اثاره حساسية العرب هذه. ويعزز هذا الرأي أن الأوس والخزرج عندما لمسوا نوايا اليهود تجاههم سارعوا الى طلب النجدة من بني قومهم «الغساسنة» والانتقام من اليهود الذين احتكروا اقتصاد المنطقة مدة من الزمن.

ويمكن وصف صلات يثرب بالممالك المجاورة انها كانت محدودة، فلم تذكر المصادر شيئاً عن علاقات يثرب مع الفرس والروم، وقد يكون مبعث ذلك ان يثرب لم يكن لها ذلك النشاط التجاري الخارجي الذي يفرض نوعاً من العلاقات مع الدول المجاورة.

وأما صلات يثرب مع اليمن فقديمه تعود الى ايام المعينين لان يثرب تقع على الطريق التجاري الذي تستخدمه القوافل التجارية بين اليمن والشام. كما أن الأوس والخزرج من القبائل الأزدية التي خرجت من اليمن. وتروي لنا المصادر أخباراً كثيرة عن

= وعبد السلام هارون، ط دار المعارف ط ٢ ص ٥٩. انظر كذلك ديوان الأعشى، شرح محمد محمد حسين، القصيدتان رقم ١٦، ٥٨.

صلات اليمن مع المدينة مما لا حاجة لذكره في بحثنا هذا. وإذا كانت العلاقات الخارجية ليثرب بهذه الصورة فلم تكن كذلك علاقاتها الداخلية لان العداء قد استحکم بين الأوس والخزرج من جهة وبين اليهود من جهة أخرى بعد حروبهما التي أفضت الى تسلم البطون العربية أمور يثرب. ثم فسدت العلاقات بين الأوس والخزرج ونشب بينهما القتال، فأصبح في يثرب ثلاث قوى تكيد الواحدة للأخرى وهي الخزرج والأوس واليهود.

ومما تقدم نرى ان ما آلت اليه حالة المجتمع اليثربي كانت تستدعي تعاون البطون العربية على الخروج من الأزمة التي تردت فيها هذه البطون، فعزمت على استقدام الرسول ﷺ. وسرى ما ترتب على هذه الخطوة الجريئة من مواقف لكل من قبيلة قريش في مكة واليهود في المدينة من هذه البيعة الخطيرة التي كانت مقدمة لهجرة الرسول، سيما وأن الزعيم الخزرجي ابن التيهان ذكر ان هذه البيعة ستؤدي الى قطع روابطهم مع اليهود في معرض بيعة أصحابه.

★ موقف قريش من البيعة الكبرى :

علمت قريش بهذه البيعة وأدركت انها أصبحت مهددة بعداء يثرب، وما ان أصبح الصباح حتى التقوا بوفود الخزرج التي حضرت من أجل الحج، ففاتحوهم «أن قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وأنه والله مآ من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب بيننا وبينهم منكم»^(١).

لقد جن جنون قريش عندما علمت بهذه البيعة وكانت حريصة على وأد الدين الجديد في المهدي فما هو ذا الدين ينتشر في مدينة تنافس مدينتهم زعامة الحجاز بل زعامة الجزيرة العربية. لم يقف القرشيون على الحياد من هذه الأحداث وهم الذين حرصوا على ان لا ينتشر الاسلام في بلاد الحبشة وأرسلوا الى النجاشي وفودهم للظفر بهؤلاء النفر من المسلمين الذين لجأوا الى بلاده. ولم يترك القرشيون وسيلة لايقاد الفتنة ضد المسلمين الا لجأوا إليها، ورغم كل الوسائل وجد القرشيون في هذه البيعة ان الأمر يكاد يفلت زمامه من أيديهم. والقرشيون محقون - من وجهة نظر مصالحهم المادية - بتقدير أهمية الخطر الذي دهمهم بهذه البيعة، وذلك أنهم لا بد سمعوا بانتشار الاسلام في

(١) انظر ابن هشام، ج ١ ص ٤٤٨. ابن تيمية، زاد المعاد ج ٢، ص ٥١.

يشرّب وهالهم حجم الوفد الذي بايع محمدا على الحرب والنصرة وبعث في نفوسهم الخوف ان بين اعضاء هذا الوفد كان زعماء الأوس والخزرج وهم أولي امر يشرّب. ولذلك قدروا ان محمدا سيجد الحماية والمنعة، وأنه أصبح يملك قوة تهدد مصالحهم وتشكك في زعامتهم وتسفه عبادتهم بين القبائل العربية. لذلك سارع زعماء قريش للاجتماع بدار الندوة وتدارك الموقف. وفي دار الندوة ناقش المجتمعون الامر من جميع جوانبه واستعرضوا مجهوداتهم التي بذلت في حرب محمد ابتداء من تعرضهم بالأذى والتعذيب لاصحابه وانتهاء بمحاصرة بني هاشم في الشعب مدة ثلاث سنوات، وخلال هذا الاستعراض تساءل المجتمعون عن أنجح الوسائل في انهاء حركة محمد هذه. ولا بد ان يكون اتصالهم بالحجيج من يشرّب ومناشدة هذا الحجيج الحفاظ على حسن العلاقات مع مكة جزءا من التدابير التي اتخذتها قريش لاتقاء خطر هذه البيعة وقد لاحقت قريش الانصار بعد ان غادروا مكة، ولم يلحقوا الا بسعد بن عباد والمنذر بن عمرو وأخوي بني ساعده، وتمكن المنذر من الافلات منهم، وأما سعد فوقع في أيديهم وصبوا عليه نار حقدهم وغضبهم وأحضره الى مكة وهم يضربونه ويعذبونه وكادوا يقتلونه لولا استجارته بجبير بن مطعم الذي منعه وأجاره. وقد جاوز المجتمعون حدود الاساليب السلمية وفكروا باللجوء الى آخر ما في جعبتهم من وسائل، فاتفقوا على ان يأخذوا من كل قبيلة منهم شابا جلدا يجتمعون ومع كل شاب سيف صارم ويقفون امام دار محمد ﷺ حتى اذا خرج ضربه ضربة رجل واحد يسوفهم وبذلك يتوزع دمه بين القبائل ولا يكون بوسع بني عبد مناف المطالبة بدمه من قبائل قريش^(١).

★ موقف اليهود من هذه البيعة :

لم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن موقف اليهود ازاء ظهور الاسلام بين الأنصار من جهة وازاء بيعة العقبة الكبرى من جهة ثانية. وقد كان موقف الآيات المكية من اليهود متسامحا بل بعضها أشادت ببني اسرائيل الذين اجتباهم ربهم على العالمين. ولم نسمع أن اليهود ظاهروا قريشا في عدائهم لمحمد ودعوته الا بامداد قريش بالاسئلة بقصد إعجاز

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص ٤٨٠ وما بعدها، وابن سعد ج١ ص ٢٢٧ وما بعدها. اليعقوبي، تاريخ ج٢ ص ٣٢. الطبري، تاريخ ج٢ ص ٣٧١. وابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦٧. وابن تيمية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٢ ص ٥٢. والمقرئزي، إمتاع الاسماع، ج١ ص ٣٨. والخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مطبعة الإستقامة ط ١٩٣٥ م، ص ٧٨ وما بعدها. محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٦١.

الرسول ﷺ. وحتى أن الرسول لم يشر الى موقف اليهود هذا ولم تنزل آيات بهذه المناسبة تندد بموقفهم. وكانت الثقة بين اليهود وعرب يثرب شبة معدومة، وقد رأينا^(١)، الأوس يوم بعث يصفون حلفاءهم من بني النضير وبني قريظة «بالثعالب» مع أنهم كانوا يقاتلون الى جانبهم الخزرج.

وفي غمرة القتال كان الأوس ينادون قومهم بان جيرة ابناء عمومتهم الخزرج خير من جيرة هؤلاء الثعالب^(٢) ولم يكن اليهود أنفسهم متحدين في ميولهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد وصل بينهم الانقسام الى درجة الاقتتال. ففي يوم بعث كان بنو قينقاع حلفاء الأوس بينما كان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الخزرج، وفي القتال بالغ بنو قريظة والنضير في الشدة على بني قينقاع. وهذه العداوة قديمة يرى بعضهم انها تعود الى بداية تاريخهم في يثرب حينما أكره اليهود من بني النضير وقريظة بني قينقاع على ترك مزارعهم والخروج منها والاكتفاء بحيهم داخل المدينة، حيث كانوا تحت حماية الخزرج^(٣).

غير ان مثل هذه الخلافات يمكن تسويتها سيما وان اليهود واجهوا من التحديات والصعاب ما يجعلهم يجتازون مثل هذه الخلافات بدافع المصلحة المشتركة. وهذا يوحي بالاستنتاج الى كون الخلافات بين قينقاع من جهة وبقية اليهود من جهة اخرى اعمق من الاسباب التي ذكرناها. وكانت علاقات اليهود مع قريش في غاية الصفاء، وهكذا نجد ان موقف اليهود كان دقيقا جدا املى عليهم ضرورة التصرف بحكمة ازاء الأحداث التي تفجرت في ساحتهم. لقد فرض الاسلام نفسه في مدينتهم واستطاع مصعب بن عمير أن يصطحب سادات الأوس والخزرج ليعلموا اسلامهم امام محمد ويعاهدون على نصرته باموالهم وانفسهم، وهكذا سقطت كل توقعاتهم. فربما تخيل اليهود ان الاسلام اذا انتشر في الأوس ظاهرته الخزرج واذا ظهر في الخزرج ظاهرته الأوس وعندها يبقى الميدان مفتوحا لتدخلات اليهود، بل ربما ذهبوا الى ابعد من ذلك وظنوا ان الاسلام سيفرق الحيين من العرب الى الأبد وسيضمن لهم السيادة في يثرب من جديد دون جهد أو تضحية. ولكن لما سارت الرياح بعكس ما يشتهون آثروا السكوت

(١) انظر ص ٢ من هذا البحث.

(٢) انظر نفس الصفحة السابقة من هذا البحث.

(٣) انظر ولفسون، تاريخ اليهود ص ١٠٩.

حتى ينجلي الموقف واكتفوا باتصالاتهم الخفية بقريش لتدبر الأمر، هذه الانصالات التي يكشف عنها اتساق الحوادث فيما بعد.

وهناك موقف البطون اليهودية الصغيرة في يثرب وخارجها، فلم نسمع عن موقفهم شيئاً، حتى أننا نوافق من يقول: ان هذه البطون الصغيرة هي من بطون العرب المتهودة وانها آثرت ميولها القومية على ميولها الدينية فلم تشارك اليهود في صراعهم مع المسلمين. وفي هذا الجو من الحيرة الذي عاشته كل من قريش واليهود بدأت طلائع المهاجرين تصل الى يثرب إيذاناً بمقدم الرسول الكريم ﷺ.

الفصل السادس

محمد ﷺ في المدينة

- الموقف بعد الهجرة .
- موقف المسلمين من اليهود كما يصوره القرآن الكريم .
- موقف اليهود من هجرة محمد الى المدينة .
- أعمال الرسول في المدينة .
- وثيقة المودعة التي كتبها الرسول بين المهاجرين والأنصار واليهود .
- أ - الوثيقة في المصادر التاريخية .
- ب - أهمية الوثيقة ومدى صحتها .
- ج - تاريخ الوثيقة .
- د - مضمون الوثيقة .
- ماذا كان موقف اليهود بعد المودعة؟
- حرب الجدل والكلام بين المسلمين واليهود .
- تحالف اليهود مع المنافقين .
- تحالف اليهود مع المشركين .

الفصل السادس

محمد ﷺ في المدينة

- الموقف بعد الهجرة :

وصل رسول الله بصحبة أبي بكر إلى يثرب بعد رحلة مثيرة محفوفة بالمخاطر والصعاب، وفي مشارف يثرب التي دعيت بعدئذ مدينة النبي،^(١) استقبل المسلمون رسولهم بالبهجة والسرور وعبروا عن فرحتهم بالاناشيد والتهليل والتكبير.

وكان في المدينة أكبر تجمع لليهود، ولم يشترك هؤلاء ببيعتي العقبة الأولى والثانية، وأخذت تتنازعهم دوافع متضاربة. فهم يرون في داعية التوحيد الجديد نصرا لمعتقداتهم من جهة ويتوجسون خيفة من اجتماع الأوس والخزرج على هذا الدين، وربما ذهب بهم تصورهم إلى اعتبار بيعة العقبة الكبرى حلفا بين محمد والخزرج، وأن الخزرج إنما يهدفون إلى القضاء على اليهود والتخلص من وجودهم والاستيلاء على ممتلكاتهم.

وجدير بنا أن نتعرف على موقف الاسلام من اليهود واليهودية، وهذا الموقف هو في الحقيقة انعكاس لنظرة الاسلام وتصوره لأهل الكتاب عامة واليهود أو بني اسرائيل خاصة، وقد رسم القرآن في سورة المكية صورة واضحة لهؤلاء لا تدع مجالا للشك في صدق نية الرسول التعاون معهم بصدق وإخلاص.

★ موقف المسلمين من اليهود كما يصوره القرآن الكريم :

خاطب القرآن المكي أهل الكتاب بأسلوب يختلف عن خطابه لأهل الوثنية، فقد أحل الكتابيين درجة رفيعة مما يستدل منها أن الرسول ﷺ كان يأمل في أن يعتنق هؤلاء

(١) استبدل الرسول ﷺ اسم «يثرب» باسم «المدينة» وذكر ياقوت الحموي لها تسعة وعشرين اسما، وذكر غيره لها اسماء كثيرة. أنظر معجم البلدان ج ٧ ص ٤٢٥. السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١ الباب الاول.

الاسلام ، لأن مصدر الاسلام وديانتهم واحد . ويفهم من بعض الآيات وجود توافق بين ما جاء في القرآن وما عند أهل الكتاب . فقد جاء في سورة المدثر هذه الآية : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون . ﴾^(١) وهذه الآية من السور المكية التي نزلت مبكرة جدا ويعتقد بأن أول ذكر للكتابيين ورد فيها^(٢) . وفي هذه الآية مطابقة لما بأيدي الكتابيين من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبل محمد ﷺ ، وتزداد هذه المطابقة وضوحا في قوله تعالى : ﴿ ان هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى . ﴾^(٣) وفي قوله تعالى هذا تقرير لوحدة الهدف بين القرآن والكتب السماوية المنزلة قبله .

وقد ورد في سورة النجم آيات مماثلة كلها تفيد ان المبادئ الاسلامية تتفق وما ورد في صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام ، وسورتا الأعلى والنجم من السور المكية التي نزلت مبكرة ، وفيها تصديق القرآن لما تقدمه من كتب سماوية مما ظل القرآن يردده في مختلف أدوار التنزيل . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه . ﴾^(٤) وقد بين سبحانه وتعالى ان ما شرعه على لسان محمد ﷺ يوافق ولا يخالف ما جاء على لسان من سبقه من الأنبياء السابقين ، وقد ورد ذكر هؤلاء الأنبياء في آيات كثيرة تظهر فضلهم ولا تفرق بينهم ، قال تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولننذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم بحافظون ﴾^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾^(٦) ، وفوله : ﴿ وما

(١) الآية : ٣١ . انظر تفسير الرازي ج ٣ ص ١٨٩ - تفسير سورة المدثر .

(٢) انظر صحيح البخاري - مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ - ج ٦ بشأن سورة المدثر . انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤ .

(٣) سورة الاعلى ، الأيتان : ١٨ ، ١٩ .

(٤) المائدة ، الآية : ٤٨ . انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٥ ، انظر محمد سيد طنطاوي ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ط ١ بغداد ١٩٦٨ ص ١٢٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٩٢ .

(٦) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿١﴾.

وقوله: ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير﴾ (٢). وقوله: ﴿وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا..﴾ (٣) وقوله: ﴿وقالوا لولا يأتيها بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى..﴾ (٤).

وهذه الآيات المتقدمة تقيم الدليل بعد الدليل لتكون حجة قائمة وكافية على صدق الرسالة المحمدية التي جاءت متممة لما تقدمها من رسائل سماوية. وكما نرى التنزيل القرآني يقر الوحدة - وحدة المصدر - بينه وبين هذه الكتب السماوية، نراه ايضا يشير الى ان العرب كانوا على علم بما تناولته الكتب السماوية الأولى، وكانوا يرون في أصحابها انهم أهل كتاب وعلم. وقد أشرنا من قبل الى أشخاص من العرب كان لهم اشعار وخطب تدل على هذا الاطلاع (٥). وفي القرآن الكريم ما يقوم حجة قاطعة على علم بني اسرائيل بصحة ما ينزل على محمد من القرآن، وذلك احتجاجا بما في كتبهم وما نزل على انبيائهم من قبل، قال تعالى: ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل..﴾ (٦). ولم يكتف القرآن بتقرير علم اليهود وأصحاب الكتاب بصدق ما جاء على لسان الرسول، بل اقامهم شهودا على ذلك - أي على صحة التنزيل - فقد جاء في سورة يونس: ﴿فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (٧).

وجاء في قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون..﴾ (٨). وهذه الآية تفيد معرفة أهل الكتاب بصحة القرآن معرفة يقينية لا يتطرق الشك إليها وجاء في نفس المعنى: ﴿أبغير الله أبغي حكما وهو

(١) سورة يونس، الآية: ٣٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ١٢.

(٤) سورة طه الآية ١٣٣.

(٥) راجع ص ٢١٣ من هذا البحث

(٦) سورة الشعراء، الآية، ١٩٧.

(٧) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٨) سورة الانعام، الآية: ٢٠.

الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴿١﴾. وفي نفس السورة تعريض بالأنبياء الذين سبقوا محمداً، ومنهم أنبياء اليهود والنصارى. قال تعالى: ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين. واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون. أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ (٢).

وكما هو مبين فهذه الآيات تقرر احترام أنبياء الكتابيين وتؤكد وحدة المنبع والمصب لدعوات هؤلاء الأنبياء البررة ودعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وهذه آيات تفيد نفس المعاني السابقة وتختص بسيدنا موسى وقومه بني اسرائيل وبكتاب الله الذي أنزل اليه «التوراة». قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٥). وفي نفس السورة: ﴿ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٦). وجاءت هذه الآية بعد سلسلة من قصص الأنبياء والخطاب موجه إليهم جميعا ويفيد وحدة طريقهم مع طريق النبي محمد ﷺ الذي جاءت هذه دلالة على وحدة المؤمنين، وتكرر هذا المعنى في

(١) سورة الانعام، الآية: ١١٤.

(٢) سورة الانعام، الآيات: ٨٤-٩٠.

(٣) غافر «المؤمن» - الآيات: ٥٣-٥٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٢.

سورة «المؤمنون» التي نزلت بعد سورة الأنبياء مما يؤكد الصلة اللاحمة بين ما نزل على محمد وما نزل على من سبقه من الأنبياء.

وهكذا نود أن نؤكد حقيقة مستخلصة من القرآن الذي تنزل في العهد المكي، وهذه الحقيقة هي نتيجة تقررها الآيات المكية التي ذكرنا بعضها، وخلاصتها، ان القرآن أكد على وحدة المصدر له وللكتب السماوية التي تقدمته، كما فرق القرآن بين الكتابيين وبين الكفار وسما بهم فوق عبدة الأوثان وأقامهم شهوداً على صحة رسالة محمد وصدق ما يوحى إليه. والقرآن بدوره مصدق للكتب السماوية السابقة. وهكذا تقوم الكتب السماوية حجة بعضها على بعض، وأن غاية القرآن الالتقاء مع الكتابيين عند صيغة من صيغ التوحيد^(١).

وإذا استثنينا بعض الاشارات القرآنية الخفيفة الى انحراف الكتابيين عن النبع الصافي لدينهم - والتي سنذكر بعضها فيما بعد - فإن القرآن المكي مهد الطريق امام اليهود والنصارى لقبول الاسلام دونما تردد. والحقيقة الثانية التي يقودنا اليها القرآن الكريم هي. أن محمداً ﷺ صادق فيما دعا إليه وأنه هو الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل، وهو الذي بشر به أنبيأؤهم من قبل، وقد استفتحو به على الكفار وبوعدهم به. وقد أشارت الآيات المكية الى من اهتدى وصدق بالقرآن بمجرد سماعه ودعوته الى الاسلام. وهذه الإشارات توحى بوجود كتابيين في مكة، وأن هؤلاء الكتابيين اعتنقوا الاسلام ولم يبقوا على دينهم. قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون﴾^(٢) والآية تفصح عن جماعة من اليهود والنصارى ممن كانوا في مكة ولما سمعوا بمحمد وبمبعثه وجدوا ان صفاته مطابقة لما في كتبهم - التوراة والانجيل - فآمنوا به واتبعوه ونصروه فاستحقوا التنويه الذي جاء في الآية الكريمة، وهذه آية أخرى تؤكد ما

(١) انظر محمد احمد خلف الله، محمد والقوى المضادة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م ص ١٦٥.

(٢) سورة الاعراف، آية: ١٥٧.

ذهبنا اليه : ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون﴾^(١).

وهذه الآيات تقرر واقعا مشاهدا، وهو استجابة الكتابيين في مكة، وهذه الاستجابة من الكتابيين تقرر حقيقة ما سبق واستخلصناه من وقائع يقررها القرآن وفي جملتها انه والتوراة والانجيل في الأصل من مصدر واحد.

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية كالسير وكتب التراجم اسماء كثير من الكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة في مكة - وان هذه الاسماء تحمل طابع الاسماء النصرانية - كما ذكرت هذه المصادر قدوم وفد نصراني الى مكة، وان هذا الوفد قابل الرسول بعد بعثته وأعلن اسلامه. وكان صهيب الرومي وعداس الرومي وجابر أو «جبر» من هذه الاسماء التي أعلنت إسلامها وأخلصت في إيمانها^(٢). وحتى تتضح الصورة أكثر لا بد من استعراض اختلاف اليهود والنصارى على ضوء ما تشير اليه الآيات المكية. جاء في سورة هود وفصلت آيتان متماثلتان في النص تؤيدان المعنى الذي نريده وهما: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب﴾^(٣). وفي هذا المعنى أيضا جاء في سورة الشورى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾^(٤).

وجاء في سورة الزخرف: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعوني ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾^(٥).

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٧.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٢٦١، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٢١، أنظر أيضا محمد عزة دروزة، سيرة الرسول، البابي الحلبي وشركاه ط ٢ ح ١ ص ٣٤٨.

(٣) سورة هود، آية: ١١٠، فصلت آية: ٤٥.

(٤) الآيات: ١٣، ١٤.

(٥) الآيات: ٦٣-٦٥.

وفي سورة الجاثية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١). وجاء في سورة السجدة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَّةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

تكشف هذه الآيات عن واقع اختلاف أهل الكتاب وانقسامهم شيعة وأحزابا، وتبين في سياق إنذار المشركين ضرورة التمسك بالكتب التي جاء بها الأنبياء والالتفاف حول مبادئها السامية، وأن لا تكون الأغراض الباغية سببا في اختلاف من جاءهم العلم والبيانات، ثم نجد ان هذه الآيات تدحض حجة المشركين العرب باختلاف الكتابيين واتخاذهم ذلك وسيلة للتمسك بما عندهم والتبجح به أولا، وبسبيل تقرير كون القرآن قد جاء بالحق وأنه لم يبق حجة لمحتج ثانيا^(٣).

ونلمس في هذه الآيات دعوة للالتفاف حول محمد صلوات الله عليه وأتباع ما جاء به من عند الله، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم، والالتزام بنصرة الرسول وتأيدته والتمسك بالقرآن الذي جاء فيه حسم لخلافاتهم المذهبية والنفسية، سيما وان هذه الآيات قد نزلت في مكة وسمعتها الكتابيون فيها.

وهذا المطلب القرآني بعدم اختلاف أصحاب الكتاب امام المشركين فيه اشفاق على اصحاب الكتاب وحرص على تبليغ الرسالة السماوية التي اعاقتها هذه الاختلافات وعشرت مسيرتها نحو اهدافها السامية، وكان من الأولى ان يتكتل اصحاب الديانات السماوية في جبهة واحدة للقضاء على الشرك. ونحن في غنى عن استعراض التنافس والخلافات التي اصابته النصرانية واليهودية، وما كان لها من أثر سلبي على مشركي الجزيرة العربية. وفي القرآن آيات كثيرة تؤدي المعاني السابقة بصورة أوضح منها ما جاء

(١) الآيات: ١٦، ١٧.

(٢) الآيات: ٢٣-٢٥.

(٣) أنظر محمد عزة دروزة، سيرة الرسول، ج ١ ص ٣٥٢.

في سورة النمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمَةٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(١) وجاء في سورة مريم: ﴿وَذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢) والقرآن الذي يحرص على إزالة أسباب اختلاف أهل الكتاب، يعرض لهم كثيرا من القصص التي وردت في كتبهم من وجهة نظره السليمة الصادقة، وذلك ليصححوا معلوماتهم وليثير انتباههم ويشدهم بالايان بما جاء به . ففي السور المكية نجد ان الله قد ذكر قصص أصحاب الأخدود ووصفهم بالايان، وذكر بني اسرائيل، ويونس وهود ويوسف وأهل الكهف وسبأ ونوح وإبراهيم وأخبار الروم وقصص أخرى كلها مذكورة في كتبهم ومعظمها يتصل بأنبيائهم .

ولم يشر القرآن المكي الى انحرافات الكتابيين في عقيدتهم إلا ما كان بشأن السيد المسيح والعقيدة النصرانية^(٣) . وما ورد بشأن بني اسرائيل من انحرافات انما يعود الى عهد سيدنا موسى وأخيه هارون عندما تمردوا على أنبيائهم وعبدوا العجل وانحطت اخلاقهم وساءت أحوالهم الاجتماعية وتسلمت عليهم الكوارث والمصائب وحكمهم الأقوياء كما يبدو من قصصهم في سور الأعراف وطه والاسراء بصورة خاصة . وسنجد كيف ان القرآن المدني حمل عليهم حملة عنيفة بعد ان أعرضوا عن الاسلام، وحاكوا الدسائس والمؤامرات ضده . هذه الحملات لم تكن موجودة في العهد المكي، وربما لان الاسلام لم يعيش تجربته الكبرى مع اليهود الا في العهد المدني، أو لأن اليهود في مكة كانوا أفرادا سارعوا الى اعتناق الاسلام بمجرد سماعهم به . واذا صبح هذا الاتجاه فلا بد ان المسلمين توقعوا ان يستجيب لدعوتهم يهود المدينة بنفس السرعة .

وأما بشأن عقيدة النصارى فقد أورد القرآن فصلا مطولا من سورة مريم . وقد نفى القرآن الكريم بُنُوَّةَ عِيسَى لَّهِ تَعَالَى تَنَزَّهَتْ صِفَاتُهُ عَنِ الْإِشْرَاقِ . ، وقد ساق القرآن مقدمة للوصول الى غرضه . وهذه المقدمة هي قصة ولادة سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام . وهذه القصة مذكورة في الانجيل وهي تشبه قصة ولادة سيدنا عيسى المذكورة في القرآن .

(١) الآيات : ٧٦-٧٨ .

(٢) الآيات : ٣٤-٣٦ .

(٣) انظر محمد عزة دروزة، سيرة الرسول، ج١ ص ٣٥٣ .

ويهدف القرآن من ذكر قصة سيدنا يحيى التي يعتبرها المسيحيون معجزة ربانية، إلى أن الله الذي ضرب معجزة بولادة يحيى قادراً على تكرار مثل هذه المعجزة بولادة سيدنا عيسى دون أن يتخذ ولداً كما لم يتخذ يحيى ولداً من قبل. فقد أجاب الله دعاء عبده زكريا بأن يرزقه ولياً يرث نبوته وماله وذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾. قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً. قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً^(١).

ومن غريب المصادفة ان تأتي هذه القصة التي وردت في مطلع سورة مريم في مطلع انجيل لوقا، وقد جاء في نفس معنى الآيات السابقة:

«فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا. فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى انا شيخ وامراتى متقدمة في ايامها، فأجاب الملاك وقال له انا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر ان تتكلم الى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته»^(٢).

وفي نفس السورة من القرآن الكريم حلقات من قصص النبيين ومن اهتدى بهم ومن خالفهم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء وتنتهي السورة التي يدور محورها حول التوحيد ونبذ الشرك الى اعلان الربوبية الواحدة التي تعبد الله وحده لا شريك له: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سمياً»^(٣).

وفي مجال السلوك أرشد القرآن الكريم المسلمين الى أمثل الطرق في محاجة أهل الكتاب أسلوباً وموضوعاً، فمن حيث الأسلوب أوصانا القرآن بان يكون جدالنا معهم يتسم بالهدوء والحسنى بعيداً عن كل تعنت او تزمت، ما داموا هم غير متعنتين ظالمين. ومن حيث الموضوع أوصانا بأن يكون هدفنا من جدالهم إقناعهم بان دين الله واحد وأن إلهنا وإلههم واحد، وأننا نريد لهم الخير، ولا نبغي منهم إلا ان يتبعوا الحق الذي اتبعناه.

(١) سورة مريم، الآيات: ١٠-٧.

(٢) لوقا، الإصحاح الاول: ١٣، ١٩، ٢٠، ٢١.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٥.

وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾^(١).

وفي هذه الآيات يتجلى تسامح الاسلام ورفقه بأهل الكتاب، ويأبى المسلمون صونا لتعاليم دينهم ان يغفلوا القول الا للظالمين من هؤلاء، وفيما عدا ذلك فهم مطالبون من ربهم بأن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن. ومن يتبع مواقف الاسلام من الوثنيين والمشركين ممن يجعلون مع الله إلهاً آخر يستطيع تقدير المكانة العظيمة التي أعطاها الاسلام لأهل الكتاب، فالاسلام يعلنها حرباً شعواء على الوثنية بكل صراحة ووضوح، ويدعو الى احتقارهم ومقاطعتهم إذ حرم ذبائحهم ومنع التزويج منهم او تزويجهم، ولم يسمح لهم بان يقيموا شعائر الوثنية في البيت الحرام او حوله وأن لا يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر، وأعلمهم يوم الحج الأكبر ان الله بريء منهم، وأمهلهم مدة يتدبرون أمرهم ويراجعون أنفسهم ليعودوا الى حضيرة الاسلام، والا قتلهم المسلمون حيث يوجدون ويؤخذون ويحصرّون ويقعد لهم كل مرصد، ولم يقبل منهم الجزية التي تتبعها الحماية لهم والاقرار باقامتهم وتأديتهم شعائر دينهم الوثني، ومع الوثنية ليس هناك الا السيف او الاسلام. وعندما دخل الرسول الكعبة يوم الفتح تجلّى موقفه ﷺ من الوثنية حيث باشرها بالهدم والتقويض وهو يردد ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾^(٢).

هذا هو موقف الاسلام من الوثنية واما موقفه من أهل الكتاب ففيه التسامح والعدل والدعوة الى الحق بالتي هي أحسن مع اقامة البرهان الساطع والدليل القاطع على صدق النبي ﷺ. وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس: ﴿ان النبي ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق النبي ﷺ رأسه﴾^(٣).

وأباح الاسلام طعام أهل الكتاب والتعامل معهم والزواج منهم، فعن عائشة رضي

(١) سورة العنكبوت آية: ٤٦.

(٢) سورة الإسراء آية: ٨١، انظر ابن هشام، السيرة طبعة محمد علي صبيح، ج ٢ ص ٢٧٦.

(٣) انظر صحيح البخاري، ج ٥ ص ٦٠، «باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة».

الله عنها قالت: «اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاما الى أجل ورهنه درعه»^(١). وعنها أنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودفعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير»^(٢).

وجاء في سورة المائدة تحليلا بأكل طعام أهل الكتاب والتزوج بنسائهم دون نساء المشركين عبدة الأوثان، قال تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان..﴾^(٣).

وقد تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه «نائلة بنت الفرافصة الكلبية» وهي نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية، كما تزوج طلحة يهودية من أهل الشام^(٤) ولم يتورع الاسلام عن اتباع بعض العادات الحسنة لأهل الكتاب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه»^(٥).

وفي مجال تنظيم جماعة العقبة الكبرى، اتبع الرسول ﷺ نهج أخيه موسى عليه الصلاة والسلام في اختيار اثني عشر نقيبا منهم، وجاء في سورة المائدة: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا..﴾^(٦).

ومن النصوص المتقدمة يتبين لنا ان الرسول محمد ﷺ قدم المدينة في حالة نفسية وفكرية تهيجة للتعاون مع اليهود بصفتهم اصحاب كتاب، وذلك تمسكا بتوجيهات الله سبحانه وتعالى.

ونتقل الى التعرف الى موقف اليهود، وهم الطرف الثاني الذي يهمنا معرفة حقيقة

(١) انظر صحيح البخاري، ح ٣ ص ١٢٤ كتاب الرهن في الحضر، باب من رهن درعه.

(٢) انظر صحيح البخاري، ح ٤ ص ٣٣ «كتاب الوصايا».

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٤) انظر محمد سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القرآن والسنة، ح ١ ص ١٦٣.

(٥) انظر صحيح البخاري ح ٣ ص ٣٩، «كتاب الصوم - باب صيام يوم عاشوراء».

(٦) الآية: ١٢.

اتجاهاته وميوله ونواياه إزاء الاسلام والمسلمين ، وذلك عند دخول الرسول ﷺ المدينة بعد حادث الهجرة التاريخي .

★ موقف اليهود من هجرة محمد إلى المدينة :

قبل الحديث عن هذا الموقف لا بد لنا من التعرض ولو قليلا لمنابع الفكر اليهودي في بلاد العرب ؛ ذلك لاننا لا نصيب الحقيقة اذا فصلنا بين هذه المنابع وواقع الجماعات اليهودية ، وكما رسمنا موقف الرسول ﷺ من خلال الآيات المتعلقة بأهل الكتاب عامة وبني اسرائيل خاصة ، نجد أنفسنا ملزمين بتحديد معالم الفكر اليهودي الذي حدد بالتالي مواقفهم من الحركة الاسلامية .

ويأتي الدين في المقام الأول من حيث تغذيته الفكر اليهودي اولا وصوغه سلوكهم ثانيا .

والتوراة وأسفارها الخمسة المنسوبة الى سيدنا موسى ، هي أقدم ما عرف عند اليهود من كتب دينية . غير أن المحدثين من الباحثين قد لاحظوا من خلال دراسة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتواريخ ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله ان أسفار التوراة لم تكتب في وقت واحد ، وأنها ألفت في عصور لاحقة لعصر سيدنا موسى . وقد ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث أن يد التحريف أصابت هذه الأسفار حتى بدلتها^(١) .

واذا تتبعنا تاريخ اليهود نجد ان حوادث النفي والتشرد التي تعرض لها هذا الشعب قد أثرت في فكرهم وسلوكهم ، ويكفي ان نتذكر ان السبي البابلي قد انتج كتاب التلمود الذي يتمسك به اليهود اكثر من التوراة ، واذا قارنا بين العهد القديم والتلمود نجد ان الديانة اليهودية قد تطورت بعيدا وخضعت اكثر فأكثر لأهواء الرابانيين ورجال الدين من اليهود ، حتى ان التعاليم التلمودية تخالف تعاليم التوراة أحيانا ، وقد أدى هذا الى قيام الثورة الدينية الخطيرة التي انكرت قدسية التلمود وأكرت مكانته ، وقاد هذه الثورة الفرقة اليهودية التي عرفت باسم «القرائين»^(٢) .

(١) راجع الفكر الديني اليهودي في الفصل الاول من هذا البحث . ص ٩ وما بعدها .

(٢) انظر فؤاد حسنين علي ، المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده ، معهد الدراسات العربية العالية ص ١٣٨ .

لقد كان لحياة التشرد أثرها السيء على الفكر اليهودي ، ونحن لا ننكر ان الظلم الاجتماعي وقساوة الحياة تفعل فعلها في سلوك الانسان وتجعل لديه الميول الشريرة تجاه بني جنسه في المجتمع ، واما بالنسبة لليهود فقد أصبحت هذه الميول ، دستور حياة لهم ومصدر تشريع ، ومنحوها من التقديس درجة رفيعة جدا .

وقد اتهم يهود الحجاز في فترة من تاريخهم بأنهم ليسوا يهودا حقا وذلك لعدم خضوعهم لكل ما يعرف بالقانون التلمودي^(١) . غير ان هذا الاتهام لم يعد له وجود بعد ان تالت الهجرات الى بلاد العرب ونشط احبار اليهود في ربط المستعمرات اليهودية في الحجاز واليمن والعراق وفلسطين ومصر ببعضها .

والذي أميل إليه أن تصرفات اليهود في كل مكان قد تأثرت بمعتقداتهم الفكرية التي وضع أسسها الربانيون والأحبار في حالة نفسية قلقه . ويكفي ان نتذكر ما لعقيدة «شعب الله المختار» من أثر على علاقتهم مع غيرهم من الشعوب . ومع ان هذه العقيدة ولدت في العهد القديم فقد كرسها التلمود ، ونقرأ هذه الفقرة من التلمود ، «نحن شعب الله افي الارض وقد أوجب علينا ان يفرقنا لمنفعتنا ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الانساني ، وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان ، نوع أخرس - كالدواب والأنعام والطير - ونوع ناطق ، كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل المشرق والمغرب ، فسخرهم لنا ليكونوا مسخرين لخدمتنا وفرقنا في الأرض لئلا نمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم ونسخرهم لمنافعنا أجمعين»^(٢) .

ويعتقد اليهود بأنه لا يوجد في العالم دين غير دين بني اسرائيل ولا رسول غير موسى عليه السلام ، ولذلك فهم ينكرون رسالة عيسى عليه السلام كما أنكروا رسالة محمد ﷺ فيما بعد .

(١) انظر ولفسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٣ .
(٢) انظر الشيخ طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ١٣٥٠ هـ ، ج ٢ ص ١٢٨ ، انظر كذلك ، محمد ابراهيم الجناتي ، اليهود قديما وحديثا ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٩٦٧ م ص ١٤ .

وهذا الاعتقاد نتيجة التعاليم التي وضعها علماءهم في حياة السبي ، وقد نلتمس عذرا للجماعات اليهودية التي وجدت في العهد الاسلامي لأنها ورثت هذه المعتقدات منذ قرون طويلة ولم تعد قادرة على رفضها لان وطأها أصبح ثقيلًا ثقل هذه القرون الطويلة . وإذا أعذرنا هذه الجماعات في صعوبة تمييزها صحة معتقداتها فاننا لا نعذرنا في سلوكها مع الآخرين من غير اليهود .

وإذا كان رصيد اليهود من الفكر يحملهم على الاستعلاء على غيرهم من الشعوب ، ويمنحهم نظرة قائمة لغيرهم لا تمكنهم بالتالي من إقامة علاقات حسنة معهم ، فإن رصيدهم من التجارب مع العقيدة النصرانية يزيد هذه النظرة حلوًا ويجعل شذوذهم أكثر من أي وقت مضى .

واليهود يرمون مريم العذراء بأقذع التهم ولا يقرون بولادة المسيح ، ولا يعترفون برسالته ، ومن جراء نظرتهم هذه تعرضوا لأبشع أنواع الاضطهاد على أيدي الدولة المسيحية .

ولما لم تكن لهم تجربة مع الاسلام فقد اعتبروه كالمسيحية ولذلك أضاف ربانيهم كلمة الاسلام والمسلمين في الأماكن التي ذكر بها المسيحيون والمسيحية في التلمود ، وهذا يقف دليلاً على ان التلمود ما هو الا سجل مذكرات لجماعة من رجال الدين اليهودي على مر العصور .

وإذا كانت هذه هي منابع فكرهم الأساسية ، فإن يهود الحجاز كانت لديهم بعض الأفكار الأخرى تجعل تعايشهم مع المسلمين مستحيلًا .

ولا بد ان اليهود قد أثار مخاوفهم تحالف محمد والخزرج واعتبروا هذا التحالف مرجحاً ضدهم وان غايته قتال يهود يثرب وهدم كياناتهم^(١) . وأصل هذه المخاوف نابع من عدم ادراكهم غاية الرسول من هذا التحالف ، ولأنهم لا يؤمنون بديانة غير ديانتهم ولا برسول غير رسولهم .

ويقول ولفنسون : « إن اليهود لم يكن يدر في خلدتهم ان سيحدث ما يوجه الحوادث في تيار مضاد لكيانهم ولو انهم تبينوا في مظاهر الخزرج ما يدل على شيء من

(١) ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٠٥ .

ذلك لاعلنا الحرب جهرا منظمين الى حلفائهم من البطون اليرشبة او منضمين الى قريش»^(١).

وهذا يدل على قصر نظر اليهود لأنهم بنوا نتائجهم على فهم دوافع الخزرج قبل الاسلام، ولم يكن لديهم الاستعداد لتقدير أبعاد النتائج الحاصلة من انصهار الأوس والخزرج في بوتقة الدين الاسلامي، وان الغايات الجديدة للانصهار تتلخص في الوقوف خلف الرسول ﷺ صفا واحدا لنشر هذا الدين وتطبيق تشريعاته. وربما صور لهم عقلهم ان دين محمد ما هو الا حركة جديدة، سيكون من السهل تسخيرها لصالحهم. وقد رسخ هذا التصور ما سمعوه من محمد وأصحابه وهم يدعون الى التوحيد، ويقصرون بعض قصص التوراة ويمجدون الأنبياء الذين يعتبرهم اليهود آبائهم القدامى مثل ابراهيم ويعقوب واسحاق وموسى. وربما ذهب بهم تصورهم الى حد إمكان التأثير بهذا النبي حتى يدخل في دينهم ويحارب من أجل تحقيق أغراضهم^(٢). وهذه الدوافع المتضاربة هي التي أجلت انفجار الصراع بين المسلمين واليهود بعض الوقت.

وعندما انتشر الاسلام بين البطون العربية في يثرب انعدمت فرص اليهود في ايجاد محالفات مع بعض هذه البطون وذلك أن الأوس والخزرج وجدوا في الاسلام ضالتهم، فهو القادر على جمعهم بعد تفرق واشباع رغباتهم الروحية بعد ما أصاب الوثنية من انحلال. ويتضح هذا من قول رهط العقبة الأولى الخزرجي بعد إسلامهم «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك، فسندم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك»^(٣).

واما قول ولفنسون انه كان بإمكانهم محالفة قريش فربما ان هذه الفكرة قد راودتهم فوجدوا في التغاضي عنها خيرا لهم لأنهم حذبوا إخفاء نواياهم الحقيقية عن المسلمين باظهار العداء، لعدم تأكدهم من مدى موافقة قريش لمشروعاتهم لان العرب كانوا يحذرون اليهود ويخشون أطماعهم، كما ان اليهود انفسهم كانوا يطمعون في تسخير

(١) المرجع السابق ص ١١.

(٢) انظر محمد والقوى المضادة، ص ١٦٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ٤٢٩.

الرسول وانصاره لتحقيق أهدافهم، وسلوكهم مع الأنبياء عبر تاريخهم في غنى عن التوضيح.

وهكذا فقد أصبح الآن امامنا فريقان لكل مكوناته الفكرية وأهدافه العملية، وفي مثل هذا الجوبدأ الرسول مشروعاته في المدينة.

★ أعمال الرسول في المدينة :

كان من أول أعمال الرسول المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وهذه الخطوة ضرورية لتشكيل وحدة متماسكة من الجماعة المسلمة التي تقع على عاتقها حماية الدعوة وتبليغها. واتساقا مع تعليمات القرآن لمحمد ﷺ واستنادا الى فكرة التسامح والتعاطف التي حملها الرسول معه من مكة نحو الكتابيين بشكل عام واليهود بشكل خاص في المدينة لعدم وجود طوائف من النصارى فيها، فقد سارع الى تنظيم العلاقات بين المسلمين واليهود. وذلك بعقد اتفاقية مكتوبة معهم، وهي أول دستور من هذا النوع في الاسلام. ونظرا لأهمية هذه الوثيقة أو «الصحيفة» سنوليها الاهتمام الزائد لما لها من مساس بموضوع دراستنا.

★ الوثيقة أو الصحيفة التي كتبها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ووادع فيها اليهود.

أ - الوثيقة في المصادر التاريخية.

أورد محمد بن إسحاق إمام أهل السيرة (ت ١٥٠هـ، ٧٦٧م) نص الوثيقة وأخذ المتأخرون من المؤرخين خبر هذه الصحيفة نقلا عن ابن إسحاق، وبما ان ابن اسحاق قد أورد هذه الوثيقة دون اسناد على غير عادته فقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين الى أنها موضوعة^(١). ونقلها ابن سيد الناس عن ابن اسحاق^(٢). كما صرح بنقلها عنه ابن كثير^(٣)، وقد أوردها ابن كثير دون اسناد كما هي في السيرة، بينما ذكر ابن سيد الناس ان

(١) مثل يوسف العش في إحدى حواشيه على كتاب الدولة العربية وسقوطها وهو الكتاب الذي نقله من الالمانية للمستشرق فلهاوزن ص ٢٠ حاشية رقم (٩).

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس، تحقيق شوقي ضيف - مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٦هـ - ج ١ ص ١٩٨. وما بعدها.

(٣) البداية والنهاية، ج ٣ ص ٢٢٤.

ابن أبي خيثمة أورد الكتاب «الوثيقة» فأسنده هذا الاسناد (حدثنا احمد بن خباب ابو الوليد حدثنا عيسى بن يوسف حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو المزني عن ابيه عن جده: «ان رسول الله ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والانصار فذكر بنحوه - أي بنحو الكتاب الذي أورده ابن اسحاق^(١)». وما وصلنا من روايات ابن أبي خيثمة تبعت على الاعتقاد بان أخبار هذه الصحيفة ظلت في القسم المفقود من تاريخه اذ لم يصل لنا شيء منها عن طريقه، وقد أورد الوثيقة ابو عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب الأموال باسناد آخر غير اسناد ابن سيد الناس وهو «حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير وعبدالله بن صالح قالوا: حدثنا الليث بن سعد قال حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب انه قال: بلغني ان رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب...»^(٢). ثم أورد نصوص الكتاب وذكر محمد حميد الله في كتابه «مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة» ان الوثيقة جاءت في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق ثالث وهو طريق الزهري، وهكذا فان الوثيقة التي بين أيدينا وردت من ثلاث روايات مختلفة الاسانيد، وقد وردت الوثيقة كاملة، والتطابق كبير بين سائر الروايات سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات او اختلاف بعض المفردات او زيادة بنود قليلة ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام^(٣).

ب - أهمية الوثيقة ومدى صحتها.

وللوثيقة أهمية بالغة من حيث انها تنظم العلاقات بين سائر سكان المدينة على أسس جديدة مكتوبة أشبه ما تكون بما يعرف اليوم «بالدستور» ويقول الدكتور حسين مؤنس: ان هذه الوثيقة تبين بصورة لا تدع مجالا للشك ان الجماعة الاسلامية الأولى أيام الرسول ﷺ كانت منظمة على أساس قانوني واضح، ويعزو سبب ضعف الجماعة الاسلامية بعد عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الى اهمال هذه الناحية القانونية التي تبين الحدود للحاكم والمحكوم^(٤). والوثيقة تعكس رغبة جميع الأطراف المشتركة فيها

(١) سيرة ابن سيد الناس، المرجع السابق ج ١ ص ١٩٨. انظر كذلك اكرم العمري، أول دستور أهلنه

الإسلام، مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الأول ١٩٧٢م ص ٣٥-٦١.

(٢) أبو عبيد بن سلام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، رقم ٥١٧ ص ٢٩٠.

(٣) ذكر محمد حميد الله ان كتاب حميد بن زنجويه المتوفى سنة ٢٥١هـ مخطوط في بوردور بتركيا، انظر مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، ط ٣ بيروت ١٩٦٩م ص ٣٩. وقد

حقق هذا الكتاب ونشره مركز دراسات الملك فيصل - الرياض ١٩٨٦.

(٤) انظر عالم الإسلام، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ص ١٤٢-١٤٣.

في أن يسود الأمن والهدوء مجتمعهم، وهي في نفس الوقت تشهد على اعتراف البطون المشتركة بهذه المعاهدة بالسلطة العليا للرسول ﷺ لأنها ترجع كل خلاف إليه ليكون فصله بيديه، كما أنها تدل على أن الرسول ﷺ يسير مع جماعته وفق أساس قانوني واضح ومكتوب لا يترك مجالاً للمشاركين فيه التملص من التزاماتهم، وربما أتى هذا الاتفاق المكتوب تأكيداً لبيعة العقبة الثانية التي أوردها ابن اسحاق وابن سعد ولا نفهم منها إلا أن ممثلي المدينة بايعوا الرسول ﷺ على «حرب الأحمر والأسود»، ومن الواضح أن الاتفاق كان شفوياً مجملًا «اكتفي فيه بالاخلاص في النية من الجانبين» فاقضى الأمر تثبيت ذلك في نص مكتوب ومفصل واضح بعد استقرار الرسول والجماعة الإسلامية في المدينة.

ولا بد أن يكون هذا الاتفاق قد تم بالتفاهم والتشاور والمناقشة بين الأطراف المشتركة فيه لأنه يمثل دستوراً ويحدد الحقوق والواجبات لكل جماعة وبالتالي عليه يتوقف مستقبل المجتمع المدني، وعلى هذا لا يمكن أن يكون نص الوثيقة قد جاء على صورة امر صادر من جهة واحدة، وهذا يؤكد حرص الرسول ﷺ والجماعة الإسلامية الأولى على مبدأ الشورى وأهمية هذا المبدأ في حفظ كيان الجماعة الإسلامية^(١).

ونظراً لهذه الأهمية التي تحتلها هذه الوثيقة فقد تناولتها الأقلام من زوايا مختلفة، واختلف الكتاب في مدى صحتها، وقد أنكر يوسف العش^(٢) صحة هذه الوثيقة بقوله: «إنها لم ترد في كتب الفقه والحديث الصحيح رغم أهميتها التشريعية، بل رواها ابن اسحاق بدون اسناد ونقلها عنه ابن سيد الناس وضاف أن كثير بن عبدالله بن عمرو المزني روى هذا الكتاب عن أبيه عن جده، وقد ذكر ابن حبان البستي: «أن كثير المزني روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنها إلا على جهة التعجب»^(٣). ويرى العش أن ابن اسحاق اعتمد على رواية كثير لكنه حذف الاسناد. وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام الوثيقة من طريق الزهري استاذ ابن اسحاق، ولذلك يكون أكبر الظن أن ابن اسحاق أورد الوثيقة من طريقه، وذلك أقرب للعقل من إيرادها من طريق كثير المزني. ويعتمد العش في رأيه على أن كتب الحديث لم تور

(١) انظر حسين مؤنس، عالم الإسلام ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) انظر ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت، ط ١٣٢٧ هـ - ٨ ص ٤٢١-٤٢٢.

(٣) الدولة العربية وسقوطها، حاشية رقم ٩ ص ٢٠.

هذه الوثيقة كاملة مع أهميتها في القضايا الفقهية، غير ان كتب الحديث ذكرت بعض فقراتها لتغطية حاجتها ولا يصح الاستنتاج بأن الوثيقة موضوعة لان كتب الحديث لم توردتها كاملة. وبذلك تضعف حجة العش المعتمدة على تضعيف المزني.

ويورد حسين مؤنس عدة أسباب لانصراف المحدثين عن هذه الوثيقة، منها ان علماء الحديث في عصر ابن اسحاق لم يكونوا يحبونه وكانوا يتهمونه بقله الأمانة، وكان الامام مالك بن أنس في خصومة معه، وكان لهذا أثره في موقف بقية المحدثين من نص الوثيقة.

وهناك سبب آخر هو أن النص الذي أتانا به ابن اسحاق اعتمد على أصليين مكتوبين: كان أحدهما عند محمد الباقر بن جعفر الصادق من أئمة الشيعة، وكان الآخر عند عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهذا الأخير هو الذي اعطاه لابن اسحاق، وكان ابن اسحاق شديد الاتصال به.

وفي عصر بني أمية وبني العباس من بعدهم لم يكن أهل السلطان يرحبون بأي وثيقة تصل عن طريق أهل البيت لأن غالبية المسلمين كانت ترى ان أهل البيت أولى بالخلافة، ويضيف حسين مؤنس سببا ثالثا سياسيا، ذلك ان الوثيقة تضمنت قواعد سياسية سامية لم يكن الأمويون، والعباسيون من بعدهم، يرحبون بها، لأنها كانت لا تناسب مصالحهم^(١).

ومن الجدير بالذكر ان هذه الصحيفة ظهرت في العصر العباسي الأول حيث كانت السلطة فيه لا تقبل اي منازع في سلطانها المطلق. وهكذا نرى ان القول بوضع الوثيقة مجازفة ولو انها لا ترقى بمجموعها الى مرتبة الاحاديث الصحيحة، فابن اسحاق رواها دون اسناد مما يجعل روايته ضعيفة وابن خيثمة أوردتها من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو المزني وهو يروي الموضوعات، وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها باسناد منقطع يقف عند الزهري وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله. ولكن نصوصا من الوثيقة وردت في كتب الحديث بأسانيد متصلة أوردتها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها احكامهم. كما أن بعضها ورد في مسند الامام

(١) عالم الاسلام ص ١٤٠.

احمد وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي . وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة . واذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية - سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح - فانها تصلح أساسا للدراسات التاريخية التي لا تتطلب درجة من الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، خاصة وان الوثيقة وردت من طرق عديدة تتظافر في إكسابها القوة، كما وان الزهري علم كبير من الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية . ثم ان أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادة النبي ﷺ لليهود وكتابه بينه وبينهم كتابا^(١)، كما ذكرت كتابته كتابا بين المهاجرين والأنصار أيضا .

كذلك فان اسلوب الوثيقة ينم عن اصالتها، فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب ويكثر فيها التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول ﷺ ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت صعبة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة . وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقدح فردا أو جماعة، أو تخص أحدا بالاطراء أو الذم، لذلك يمكن القول بانها وثيقة أصيلة غير مزورة^(٢) . ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها دعما أكبر^(٣) . ومن يتعمق^(٤) نصوص الوثيقة يجد انها تشتمل على قسمين يختص القسم الاول منها بتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار، ويختص القسم الثاني بتنظيم العلاقات بين المسلمين واليهود . وهناك دلائل على ان كل قسم من أقسام الوثيقة كتب في تاريخ مستقل .

ج - تاريخ الوثيقة .

هناك خلاف بين العلماء في تقسيم الوثيقة وتوقيتها، ولا يهمنا تقسيمها كثيرا طالما

(١) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ح-١ ص ٢٨٦، ٣٠٨، انظر كذلك الطبري، تاريخ ح-٢ ص ٤٧٩ . كذلك ابن حزم، جوامع السيرة، تحقيق احسان عباس، وناصر الدين الأسد، دار المعارف ص ٩٥، والبلخي، كتاب البدء والتاريخ ح ٤ ص ١٧٩ . ابن عبد البر النمري، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٩٦٦م ص ١٥٠ .

(٢) أنظر صالح العلي، تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ص ٤-٥ .

(٣) انظر أكرم العمري، المرجع السابق، ص ٣٩ وما بعدها .

(٤) انظر الملحق رقم (٢) .

أنه متفق على موادها بقدر ما يهمننا تاريخها، ولو أن للتقسيم علاقة بالتاريخ، ذلك لأن هذه الأمور اعتبارية.

لقد اثار موضوع تاريخ الوثيقة النقاش بين المستشرقين وما اذا كانت قد كتبت قبل معركة بدر أو بعدها، فالمستشرق فلها وزن^(١)، يرى انها كتبت قبل بدر، ويخالفه في ذلك المستشرق «هيوبرت غريم» من مستشقي القرن التاسع عشر، ويقول هذا بأن تاريخها يعود الى ما بعد معركة بدر ويسوق على ذلك الحجج التالية:

١ - ورد في المادتين ٢٣، ٣٦^(١)، أن محمدا ﷺ هو الحكم في الخلافات التي تقوم بين الأطراف المختلفة في المدينة وانه لا يسمح بالخروج من المدينة الا بإذنه، ويعتقد «غريم» ان هذا من الأدلة على مكانة الرسول الرفيعة في المدينة وأن هذه المكانة لم تحصل إلا بعد موقعة بدر.

٢ - يستنتج من المواد «١٧، ١٩، ٤٥» التي تحوي إشارات الى القتال في سبيل الله وفي سبيل الدين الى ان القتال قد بدأ قبل كتابة هذه الوثيقة، ويقول بأن الرسول لا يمكن أن يطلب من أهل المدينة ان يقفوا موقفا عدائيا من قريش الا اذا كانت قريش قد هاجمتهم واشتبكت معهم في قتال، ولم يحدث هذا الا بعد بدر. ويتفق المستشرق كايثاني مع فلهاوزن في كون الوثيقة سابقة لبدر لا تالية لها. وأما المستشرق مونتغمري وات فيعطي الموضوع اهتماما أكبر، فبعد ان ناقش آراء من تقدمه من المستشرقين يقرر ان الوثيقة لا ترجع الى تاريخ واحد وليست لها هذا الكل المتكامل الذي أورده ابن اسحاق. ويبنى وات (Watt) رأيه على أساس دراسة لغوية يقوم بها لمقاطعها وأجزائها المختلفة وما بين هذه المقاطع من تفاوت في اللغة والأسلوب (مؤمنون، مسلمون... الخ) كما يبني على أساس ما ورد عن اليهود فيها كاعتبارهم في موادها الأولى جزءا من الأمة أو الجماعة المدنية وهذا ما ينطبق على وضعهم في الفترة الأولى من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وفصلهم عن هذه (الأمة أو الجماعة) بعد بدء القتال بينه وبين قريش وتخصيص حقوق

(١) انظر تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية، ترجمة دكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١.
(٢) انظر نص الوثيقة، الملحق رقم (٢).

وواجبات للجماعات اليهودية المختلفة منفصلة عما يترتب على المسلمين، وذلك واضح في المواد الأخيرة وبعد كل هذا يصل وات Watt الى أن الوثيقة بشكلها الذي يورده ابن اسحاق لا تمت الى الوثيقة الأصلية بصلة، وأن ما ورد من مواد في وثيقة ابن اسحاق هو تجميع لشروط ومواثيق اخذها الرسول على الفئات المختلفة خلال مراحل عديدة تبدأ من بيعة العقبة وتمتد الى ما بعد بدر^(١).

والذي أراه أن من يقرأ الوثيقة «الصحيفة» يرى أن الأمر لا يحتاج الى كثير من النقاش حول تاريخها، وواضح ان النص لم يكتب مرة واحدة وإنما كتب الجزء الأول منه أول الأمر وترك النص مفتوحاً لتضاف اليه المواد التي تدعو اليها الحاجة، وهذا لا يقلل من قيمة الوثيقة بل يزيد من أهميتها ذلك ان القائمين عليها كانوا يدركون ان التشريع مرتبط بالحياة وأن الحياة ليست جامدة وإنما هي مستمرة وهذا يقتضي وضع تشريع يناسب كل جديد.

وكما اختلف المستشرقون في تاريخ الوثيقة اختلف المؤرخون العرب في تحديد تاريخها كذلك، فالمصادر التاريخية تصرح بأن موادة اليهود تمت أول قدوم النبي ﷺ الى المدينة. فقال أبو عبيد القاسم بن سلام «وإنما كان هذا الكتاب - فيما نرى - حدثان^(٢). مقدم رسول الله ﷺ قبل أن يظهر الاسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب»^(٣).

وهكذا يكون جزء الوثيقة المتعلق بموادة اليهود قد كتب قبل معركة بدر الكبرى^(٤).

وقال البلاذري: «وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه على من دهمه وأن لا يقاتل عن أهل الذمة، فلم يحارب احدا ولم يهجه ولم يبعث سرية حتى أنزل الله عز وجل

(١) M. Watt, "Muhammad At Medina" oxford 1956 PP. 225-228 .

أنظر كذلك الترجمة العربية للمرجع السابق، ص ٣٣٧-٣٤٧.

انظر كذلك نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ﷺ ص ٤٤٦ .

(٢) أي إبان قدومه.

(٣) الأموال، رقم (٥١٨) ص ٢٩٧.

(٤) ذهب الدكتور صالح العلي الى أن الوثيقة كتبت بعد بدر، انظر تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ص ٦.

عليه: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير... إلى قوله... والله عاقبة الأمور﴾^(١) فكان أول أيام عقده لواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه^(٢). وقول البلاذري يقرر ان موداعة اليهود «كتاب الوثيقة» تمت قبل إرسال السرايا الأولى. ومن المعلوم ان سرية حمزة كانت في رمضان من السنة الهجرية الأولى، أي قبل غزوة بدر سنة وأيام^(٣). ويقول البلاذري في موضع آخر وهو يتحدث عن غزوة قينقاع «كان سببها ان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وادعته يهود كلها وكتب بينه وبينها كتابا، فلما أصاب ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة سالما غانما موفورا بغت وقطعت العهد»^(٤) وهكذا يجزم البلاذري بأن الوثيقة كانت قبل بدر.

وأما الطبري فيقول: «ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدوم المدينة يهودها، على ان لا يعينوا عليه أحدا، وأنه إن دهمه بها عدو نصره، فلما قتل رسول الله من قتل بيد من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي وقالوا: «لم يلق محمد من يحسن القتال، ولو لقينا لأقوى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد، وأظهروا نقض العهد»^(٥) وهذا يؤيد ما ذهب اليه البلاذري من أن الموداعة كانت قبل بدر وعند قدومه ﷺ المدينة.

وأما القسم المتعلق بالمهاجرين والأنصار من الوثيقة فقد ذكره الطبري في حوادث السنة الثانية من الهجرة بقوله: «وقيل: إن في هذه السنة كتب رسول الله ﷺ المعازل فكان معلقا بسيفه»^(٦) واسم سيفه هذا ذو الفقار وكان قد غنمه في غزوة بدر^(٧). وذكر ابن سعد هذه الرواية: «أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال «قرأت في جفن سيف رسول الله ﷺ ذي الفقار: العقل على المؤمنين ولا يترك مفرح في الاسلام ولا يقتل مسلم بكافر»^(٨). وقد احتفظ علي رضي الله عنه بالسيف بعد وفاة

(١) سورة الحج، الآيات: ٤١-٣٩.
(٢) انظر أنساب الأشراف، ج ١ رقم ٦٤٧ ص ٢٨٦.
(٣) يذكر ابن اسحاق، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٩٥ «ان أول راية في الاسلام كانت لعبيدة بن الحارث وبذلك لا تكون سرية حمزة هي الأولى عند ابن اسحاق.
(٤) انساب الأشراف، ج ١ رقم ٦٧٧ ص ٣٠٨.
(٥) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٧٩.
(٦) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٨٦، المقرئ، إمتاع الاسماع ج ١ ص ١٠٧.
(٧) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١٨. الطبري، تاريخ... ج ٢ ص ٤٧٨.
الامام احمد بن حنبل، المسند ج ١ ص ٢٧١.
(٨) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٨٦، وعرف ابن سعد المفرح «الذي يكون في القوم لا يعلم له مولى» وعند

الرسول وفيه الصحيفة، وقد سئل علي كرم الله وجهه عما في الصحيفة مرة من قبل أبي جحيفة^(١) وثانية من قبل الأشتر^(٢)، فذكر بعض ما فيها لسائليه اما بالمعنى او نصا كما انه ذكر محتواها مجملا في احدي خطبه: «ما كتبنا عن النبي ﷺ الا القرآن وما في هذه الصحيفة ومن ذلك قوله، قال النبي ﷺ: «المدينة حرام ما بين عاير الى كذا فمن أحدث حدثا وأوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. ومن والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل»^(٣). كما ذكر ان في الصحيفة ايضا الجراحات وأسنان الابل^(٤) وأضاف مرة لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده^(٥). وقد قرأ أصحاب علي رضي الله عنه في الصحيفة المذكورة «ان ابراهيم حرم مكة واني أحرم المدينة حرام ما بين حرتيها وحماها كله لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها الا لمن أشاد بها ولا تقطع منها شجرة الا ان يعلف رجل بغيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال»، وقد ذكر السهمودي حديثا مماثلا لهذا يفيد تحريم المدينة^(٦).

وهذه الفقرات تتفق نصا ومعنى مع فقرات من الوثيقة وخاصة تلك المتعلقة بالتزامات المسلمين من الانصار والمهاجرين تجاه بعضهم البعض، وعدم وجود فقرات من الجزء المتعلق بموادعة اليهود يرجح كون الوثيقة في الأصل وثيقتان جمعتا معا فيما بعد، كما ترجح هذه الفقرات التي في الصحيفة المشار اليها بسيف رسول الله ﷺ ثم صارت عند علي بن أبي طالب^(٧)، ثم عند محمد بن الحنفية^(٨) ثم وهبها هذا لعبد الملك بن مروان^(٩). وتوجد نصوص تطابق ما ورد في الصحيفة وتتعلق بالمهاجرين

غيره «الذي عليه دين وكثير العيال» ابن هشام ح ١ ص ٣٠٢.

(١) صحيح البخاري ح ٩ ص ١٠.

(٢) مسند احمد، ح ١ ص ١١٩، ١٢٢.

(٣) انظر صحيح البخاري، ح ٤ ص ٧٩، ٨١، ح ٩ ص ١٨، ١٩. وعائز: اسم جبل.

(٤) المصدر السابق ح ٤ ص ٨٠.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ح ١ ص ١١٩.

(٦) انظر السهمودي، وفاء الوفاء ح ١ ص ٩١.

(٧) انظر أكرم العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٨) انظر ابن سعد ح ٥ ص ١٠٥.

(٩) المرجع السابق ح ٥ ص ١١٢، ١١٣.

والانصار، لكنها منسوبة الى كتب اخرى كتبها النبي ﷺ مثل رواية عمرو بن حزم «ان رسول الله ﷺ كتب الى أهل اليمن كتابا وكان في كتابه» ان من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود، الا ان يرضي أولياء المقتول»^(١) وهذا الكتاب ارسل متأخرا عن وقت كتابة الوثيقة لان زمنه يعود الى وجود عمال المسلمين في اليمن، وحدث هذا بعد بدر، وصرحت بعض الروايات بان النبي ﷺ قال يوم فتح مكة «لا يقتل مؤمن بكافر»^(٢). ولكن هذه النصوص التي حددت أزمانها بوقت متأخر عن الوقت الذي كتبت فيه الوثيقة لا تصلح دليلا على ان الوثيقة هي مجموعة من الكتب التي دونت في أوقات متباعدة ثم دمجت في الوثيقة^(٣)، اذ لا مانع من ان يذكر النبي ﷺ بعض بنود الوثيقة في كتبه الأخرى^(٤).

ان عدم ورود نصوص تتعلق باليهود في الصحيفة التي تعني بشؤون المهاجرين والأنصار يرجح استقلال صحيفة المودعة عن وثيقة الانصار والمهاجرين، ويؤيد هذا الرأي حديث انس بن مالك رضي الله عنه: «حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار انس بن مالك»^(٥). ولم يذكر انس وجود اليهود في هذا الحلف، وكذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ان يعقلوا معاقلهم، وان يقدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين»^(٦). ولم يذكر اليهود فيه.

ومما تقدم يتبين لنا ان الوثيقة التي نحن بصدددها هي في الاصل وثيقتان جمع بينهما المتأخرون وجعلوا منهما وثيقة واحدة، بينما هما وثيقتان كتبت تلك المتعلقة باليهود قبل غزوة بدر بينما كتبت الاخرى بعد هذه الغزوة.

وقد أنكر بعض الباحثين المحدثين اشتراك القبائل اليهودية الثلاث بني قينقاع

(١) الشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، شرح متقى الأخبار من حديث سيد الأخيار، البابي الحلبي بمصر ط ٣ ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ص ٧ - ٦١، يذكر محمد حميد الله ان هذا النص ليس من كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم عامه على اليمن، انظر مجموعة الوثائق السياسية في المهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٨٦.

(٢) انظر الشوكاني، نيل الأوطار ص ٧ - ١٠.

(٣) انظر أكرم العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم، مرجع سابق ص ٤٤، ٤٥.

(٤) انظر أكرم العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم، مرجع سابق ص ٤٤، ٤٥.

(٥) انظر ابن كثير، البداية والنهاية ح ٣ ص ٢٢٤.

(٦) انظر المرجع السابق ح ٣ ص ٢٢٤.

وبني النضير وبني قريظة في هذه المودعة، وذهب بعضهم الى ان بعض موادها اضيفت بعد اجلاء بني قريظة عن المدينة (رجب - شعبان سنة ٦ هـ - أواخر ٦٢٧ م)، وذلك اعتمادا على عدم ذكر هذه القبائل بصراحة ضمن مواد الوثيقة^(١).

لم يشر هؤلاء الى المصادر التي اعتمدوا عليها في نقل خبرهم هذا، اذ لم تصرح المصادر التاريخية الاسلامية التي أوردت الوثيقة بشيء من هذا، كما ان اتساق الحوادث يدل على ان جميع اليهود في يثرب وادعوا الرسول حين قدومه وان لم تذكر نصوص الوثيقة القبائل الثلاث بالاسم، فقد أشارت إليهم بالولاء الى القبائل العربية التي كانوا في حلف معها قبل قدوم الرسول.

كان بنو قينقاع حلفاء بني عوف قبيلة عبدالله بن ابي بن سلول من الخزرج، وأشارت إليهم الصحيفة صراحة في المادة (٢٥) «وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين» ثم تناولت الصحيفة ذكر بقية البطون اليهودية ملحقه اياهم بحلفائهم من الأوس والخزرج. وفي الصحيفة ذكر عام لليهود بالالتزام بما في الصحيفة، فقد جاء في المادة (٢٤) «وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين» كما ساوت الصحيفة بالحقوق بين يهود الأوس وهم «بنو النضير وبنو قريظة» بيهود بني عوف وهم بنو قينقاع، كما جاء في المادة (٣٠) «وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف».

ومما يعزز القول باشتراك كافة اليهود بهذه المودعة ما ورد في بعض المصادر التاريخية التي أوردت ذكر الوثيقة في اسباب غزوة بني قينقاع، انهم اول يهود نقضوا عهدهم مع الرسول بالمودعة^(٢). وقد ذهبت الى مثل هذا معظم المصادر التاريخية الاسلامية التي يركن اليها، بل صرحت بعض هذه المصادر باشتراك كل اليهود في المودعة^(٣). ويستفاد من بعض الروايات ان سكان المدينة من غير المسلمين كانوا بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة اقسام، قسم وادعهم على ان لا يحاربوه، ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاث قريظة والنضير وبني قينقاع...^(٤).

(١) انظر محمد حسين هيكل، حياة محمد ط ٨ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣ م ص ٢٢٠، وحسين مؤنس، عالم الإسلام، ص ١٥٦.

(٢) انظر ص ٣٦٦ من هذا البحث.

(٣) انظر البلاذري، انساب الاشراف، ج ١ رقم (٦٧٧) ص ٣٠٨، انظر ص ٢٦٦، من هذا البحث.

(٤) انظر احمد بن محمد بن ابي بكر الخطيب القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المطبعة الشرقية ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٧ م ج ١ ص ٨٨. انظر كذلك، الحافظ المحدث شمس الدين محمد بن يوسف بن=

والذي أراه ان هذه الاتفاقية شاملة لجميع البطون اليهودية، وكان الرسول ﷺ يعقد اتفاقيات منفصلة بعد هذه الاتفاقية العامة مع بعض البطون اليهودية، وخاصة القبائل الكبرى الثلاث تشتمل على تعهدات ومواثيق جديدة أكثر تحديدا من مواد الوثيقة العامة. وأغلب الظن ان الذين يقولون باستثناء القبائل اليهودية الكبرى من هذه الاتفاقية العامة انما تأثروا بمثل هذه الاتفاقيات الثنائية التي كانت تفرضها مواقف جديدة تحتاج الى تفصيل وبيان جديد. وهذه الاتفاقيات الثنائية لا تمنع من اشتراك القبائل اليهودية في الاتفاقية العامة.

لم يذكر ولفنسون الذي أرخ لليهود في الجزيرة العربية ان القبائل اليهودية الثلاث كانت مستثناة من هذا الدستور العام للمدينة، وكل ما ذكره ان صحيفة خاصة كانت بين الرسول وبين بني قريظة وبين يهود خيبر وتيماء ووادي القرى وغيرهم^(١). وربما قصد ولفنسون الاتفاقيات المتأخرة بعد جلاء بني قينقاع والنضير لان الرسول ﷺ عقد مع بني قريظة اتفاقية خاصة قبل غزوة الأحزاب أخذ اليهود على انفسهم بموجبها حماية المدينة من جهتهم، وهي في الواقع تأكيد للاتفاقية العامة السابقة. والرأي الذي يطعن اليه الباحث ان كتاب الموادة كان دستورا شاملا لسكان المدينة وان القبائل مشتركة فيها، فاليهود من غير هذه القبائل لم تكن لهم أهمية تذكر في المدينة، ولذلك كان يقصد بيهود المدينة، يهود القبائل الثلاث الكبرى هذه.

★ مضمون الوثيقة^(٢) :

سبق ان قلنا من قبل^(٣) ان الوثيقة تتألف من جزئين او «وثيقتين» كل واحدة مستقلة عن الاخرى في التاريخ والهدف، وقلنا ان الوثيقة التي تتحدث عن موادة اليهود كتبت قبل وثيقة الانصار والمهاجرين، رغم ان المصادر أوردت نصوص الأخيرة أولا، لذلك سنبدأ بالحديث عن وثيقة موادة اليهود. تتكون هذه الوثيقة من (٢٤) مادة أي من المادة

= علي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - ٤، الباب الثاني عشر «غزوة بني قينقاع»، مخطوط في خزانة القرويين - فاس - المغرب رقم ٧٥٨/٤٠ نشر هذا الكتاب في القاهرة.

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١١٥.

(٢) انظر نص الوثيقة في الملحق رقم (٢)

(٣) انظر ص ٢٦٦ من هذا البحث.

رقم (٢٤) وحتى المادة رقم (٤٧) في تسلسل مواد الوثيقة كما وردت في المصادر التاريخية.

والمادة الأولى التي تبدأ فيها وثيقة اليهود^(١) تدل على ان اليهود التزموا بالاتفاق مع المسلمين في حالة الحرب، والمقصود بالحرب، الحرب الدفاعية عن المدينة في حالة مدهامة عدو خارجي لها، وقد ذهبت بعض الروايات الى أبعد من هذا التعاون الحربي وتجاوزته الى التزام اليهود بالمشاركة الحربية خارج المدينة واشراكهم في المغازي. قال أبو عبيد صاحب كتاب الأموال «ونرى انه انما كان يسهم لليهود اذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرطه عليهم من النفقة ولولا هذا لم تكن لهم في غنائم المسلمين سهم»^(٢) وذكر حديثا يعزز ما ذهب اليه وهو «حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن يزيد بن جابر عن الزهري قال: «كان اليهود يغزون مع رسول الله ﷺ فيسهم لهم»^(٣). ولا يحتج بهذا الحديث لأنه من مراسيل الزهري^(٤). غير ان هناك احاديث أخرى تقول باشتراك اليهود في الغزو مع المسلمين غير حديث الزهري، نذكر منها ستة احاديث بالاضافة الى الحديث الأول السابق.

(١) استعان رسول الله ﷺ بيهود بني قينقاع الذي ورد من طريق الحسن بن عماره، وقد أخرجه أبو يوسف والبيهقي، وذكر البيهقي ان الحسن بن عماره متروك^(٥)، ورغم ان الحسن بن عماره غير متفق على تضعيفه لكن جهابذة المحدثين يضعفونه حتى حكى السهيلي اجماعهم على ذلك^(٦).

(٢) أن النبي ﷺ أسهم لقوم من اليهود قاتلوا معه، أخرجه الترمذي^(٧) من طريق الزهري مرسلا وقال انه حديث حسن غريب، والقاعدة انه من مراسيل الزهري ولا يحتج بها^(٨).

(١) انظر الملحق (٢)

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ٢٩٦.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) انظر أكرم العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم ص ٥٠.

(٥) أبو يوسف، الرد على سير الأوزاعي ص ٤٠.

(٦) العسقلاني، تهذيب التهذيب، الطبعة الهندية، ط ١٣٢٥ هـ - ٢ ص ٣٠٨-٣٠٩ رقم ٥٣٢.

(٧) الترمذي، سنن ح ٧ ص ٤٩.

(٨) أكرم العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم ص ٥٠.

- (٣) «ان النبي ﷺ كان يغزو باليهود»^(١). وهو من مراسيل الزهري ولا يحتج به.
- (٤) «أن الرسول ﷺ غزا بناس من اليهود» أخرجه البيهقي^(٢). وقال هذا منقطع وهو من مراسيل الزهري أيضا.
- (٥) «خرج رسول الله ﷺ بعشرة من يهود المدينة غزا بهم خير» أورده الواقدي^(٣) وهو ضعيف وعنه البيهقي^(٤) والزيلعي^(٥)
- (٦) «أن النبي ﷺ قاتل معه قوم من اليهود في بعض حروبه، فأسهم لهم مع المسلمين» أخرجه الخطيب البغدادي^(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، لكن إسناده ضعيف سقط منه بعض الرواة. وبعد ان أوردنا هذه الطائفة من الأحاديث وبيننا أوجه الاعتراض عليها نعرض لطائفة أخرى من الأحاديث التي تدل على منع النبي ﷺ اشتراك اليهود في الحروب مع المسلمين.
- وهذه الأحاديث هي:

- ١ - أخرج أبو عبد الله الحاكم^(٧) حديثا عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ حتى إذا خلف ثنية الوداع إذا كتيبة قال: من هؤلاء؟ قالوا: بنو قينقاع وهو ربط عبد الله بن سلام، قال: وأسلموا؟ قالوا: لا بل هم على دينهم، قال: قولوا لهم فليرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين».
- وقد رواه الحاكم كشاهد لحديث آخر، كما روى الحديث نفسه على انه في غزوة احد في حين ان رواية الحاكم تذكر انه في إحدى غزواته دون تحديد للغزوة^(٨). وقد

(١) أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، سلسلة مطبوعات «المجلس العلمي» بدابيل - سورت - الهند - مطبعة دار المأمون بشبرا، ط ١ ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ح ٣ ص ٤٢٢.

(٢) البيهقي، سنن ح ٩ ص ٥٣، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن - الهند ط ١ ١٣٥٦هـ - تم التصوير في مطابع دار صادر - بيروت.

(٣) الواقدي، المغازي ح ٢ ص ٦٨٤.

(٤) البيهقي، سنن ح ٩ ص ٥٣، قال هذا منقطع وإسناده ضعيف.

(٥) الزيلعي، نصب الراية، ح ٣ ص ٤٢٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٤٩هـ، ١٩٣١م ح ٤ ص ١٦٠.

(٧) المستدرك على الصحيحين، مكتبة مطابع النصر الحديثة - الرياض ح ٢ ص ١٢٢.

(٨) الزيلعي، نصب الراية ح ٣ ص ٤٢٣.

أخرجه البيهقي عن أبي حميد الساعدي بإسناد صحيح^(١) وروى الواقدي وابن سعد أنهم كانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول وإن النبي ﷺ قال: «ولا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك»^(٢). الحديث الثالث: روى ابن اسحاق^(٣) والامام سحنون^(٤). وابن القيم^(٥) كلهم من طريق الزهري «ان الأنصار قالت يوم احد نستعين بحلفائنا من يهود فقال ﷺ «لا حاجة لنا فيهم». وهكذا نستنتج ترجيح اشتراك اليهود بالحرب الدفاعية معتمدين على ما ورد في نص الوثيقة عن اشتراك اليهود في نفقات الحرب ولعل المادة رقم (٤٤) توضح ذلك «وإن بينهم النصر على من دهم يثرب». وهذا الرأي يوافق موقف اليهود يوم الخندق قبل نقضهم العهد، إذ أخذوا على عاتقهم حماية المدينة من وجهتهم. ولو اشترك اليهود في حروب المسلمين خارج المدينة وكان معظمها مع قريش لصعب عليهم تحزيب العرب على المسلمين. ولو اشتركوا فعلا لحفظ التاريخ لهم بعض هذه الحروب ولكانت خير شفيع لهم فيما حل بهم على أيدي المسلمين فيما بعد.

وربما تأثر أصحاب الاحاديث التي تقول باشتراكهم مع الرسول في حروبه، بتظاهراتهم مع حليفهم عبد الله بن أبي رأس المنافقين في المدينة، ومواقف هذا المنافق معروفة أثناء حروب المسلمين. فقد كان يتظاهر مع أتباعه وربما منهم حلفاءه بنو قينقاع بالاشتراك مع المسلمين في القتال ثم لا يفتأ ان يعود من الطريق مع أتباعه بعد ان يكون قد عبر عن حقه ونفث سمه وحسده لفت عضد المسلمين، وموقفه في معركة احد مشهور ومعروف، وسرى كيف حرص على تخليص حلفائه بني قينقاع من القتل بعد ان نقضوا عهدهم مع المسلمين بعد بدر.

وهكذا نرى ان الوثيقة تقر مبدأ الدفاع المشترك عن المدينة وتبقي على علاقات القبائل مع بعضها ومع اليهود، غير ان الوثيقة توجه هذه التحالفات وجهة تخدم الأغراض الاسلامية وفي نفس الوقت تسائر الميول العصبية لهذه البطون التي يتشكل منها مجتمع المدينة.

(١) البيهقي ، سنن جـ ٩ ص ٣٧.

(٢) الواقدي ، المغازي، جـ ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ ، وابن سعد ، الطبقات جـ ٢ ص ٢٧.

(٣) ابن هشام ، السيرة جـ ٢ ص ٦٤.

(٤) مالك بن أنس ، المدونة الكبرى جـ ٣ ص ٤٠.

(٥) ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ح ٢ ص ٩٢.

وفي المادة (٢٥) اعتراف بالحرية الدينية للمشاركين في الاتفاقية وهم في نظر هذه الاتفاقية سواء - لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، واستثنت الافراد والجماعات. الذين يخرجون عن اهداف الوثيقة وحملتهم وأهل بيوتهم عواقب اثمهم وظلمهم فقط، ولم تجعل للعشيرة او القبيلة التي ينتمي اليها الاثم أي تبعة، وفي هذا تطور نحو الحياة المدنية. وتشمل المواد من (٢٥ - ٣٥) تحديد علاقة البطون اليهودية المتحالفة مع البطون الخزرجية والأوسية واعتبارها تشكل مع المسلمين أمة واحدة رغم اختلافها بالدين، «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين» واستعمال كلمة أمة له دلالة الهامة، فيه تجاوز لرابطة النسب «الدم» التي ظلت لا تعلق عليها رابطة في مجتمعات الجزيرة العربية، وفي نفس الوقت تكشف عن الالتزام الأمين لمبادئ الاسلام من حيث المساواة بين المسلمين ومد يد التعاون للكتائبيين. وهذا الاصطلاح الجديد «أمة» يشير الى ان عناصر تشكل الدولة الفتية قد وجدت. وأهم هذه العناصر وجود أرض مشتركة تقوم عليها جماعة من الناس، وهذه الأرض هي أرض المدينة وقد حدد الرسول حدودها وحرم ما بين هذه الحدود، ومن العناصر وجود أمة على هذه الأرض، وهذه الأمة هي الجماعة المكونة للمجتمع المدني. ومن العناصر الأخرى وجود تشريع أو نظام يحدد علاقات الجميع، وقد وجد هذا بالوثيقة المستمدة من الاسلام، والعنصر الرابع وجود السلطة التي تقوم على رعاية النظام وتطبق القانون. وقد اعترفت الوثيقة بهذه السلطة ممثلة بالرسول ﷺ وذلك في المادة (٢٣) «ولأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله وإلى محمد».

ولا بد لنا من التساؤل، هل كان اليهود ملزمين بالتقاضي وفق الشريعة الإسلامية بصفتهم مواطنين في الدولة الإسلامية التي تخضع لشريعة الله ويقوم على تنفيذها محمد ﷺ؟ ان هذا ما توحى اليه المادة (٤٢) ولكن هذا التفسير يتعارض مع ما منحتهم انوثيقة من حرية دينية، ولذلك كان على اليهود أن يرجعوا إلى السلطة في المدينة في القضايا العامة ذات الأثر الجمعي، وأما في قضاياهم الخاصة فهم مخيرون بالاحتكام فيها إلى رؤسائهم الدينيين أو إلى النبي محمد وهذا ما تفصح عنه الآية الكريمة: ﴿فإن جازؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين﴾^(١).

(١) سورة المائدة، الآيات : ٤٢ ، ٤٣ .

وحفاظا على مصلحة الدولة العامة وحرصا على امنها وأمن مواطنيها حددت الوثيقة العلاقات الخارجية لليهود ومنعتهم من الخروج من المدينة الا باذن رئيس الدولة محمد بن عبد الله، وذلك بموجب المادة (٣٦) ثم أبقت الوثيقة عادة الجوار كما كانت من قبل بموجب المادتين، (٤٠) و (٤١)، فلكل فرد ان يجير شخصا غريبا ويلزم الجماعة كلها بحق حفظ الجوار. واستثنت المادة (٤٣) قريشا ومن نصرها من حق الجوار «وانه لانتجار قريش ولا من نصرها». وهكذا تحددت سياسة المدينة ازاء قريش وحلفائها نظرا لحالة العداء السائدة بين الطرفين.

وتجعل الوثيقة أمر الدفاع عن المدينة مسؤولية مشتركة بموجب المادة (٤٤) واذا أضفنا لهذه المادة المواد (٢٤) و (٣٧) و (٣٨) و (٤٥) ب) فإنه يتعين على جميع الموقعين على الوثيقة المساهمة في الحرب بالمال والأنفس لرد العدوان عن المدينة كل بحسب حصته التي توكل اليه «على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم».

وبهمنا من المواد المتعلقة بالأنصار والمهاجرين الأمور التالية :

١ - أعطت الوثيقة صفة الجماعة للمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، وتميزت هذه الجماعة بانها «أمة واحدة من دون الناس».

٢ - الاقرار بالروابط العشائرية لبطون المدينة، وإبقائها على عاداتها في أمور الديات وفداء الأسارى والعدل بين المؤمنين. ولا يفهم من هذا اقرار المسلمين بالعصبية القبلية وانما المقصود هو تكافل هذه العشائر في النفقات العامة التي فوق طاقة الفرد كدفع الديات وفداء الأسرى. وعلى الرغم من ابقاء الوثيقة للتشكيل الاجتماعي القبلي في المدينة فقد نزع الجوانب السيئة من هذا التشكيل بان ألزمت الجميع بالخضوع للرسول في حوادث الخلاف والاشتجار بين افراد الجماعة الاسلامية، وجعلت امر الدفاع عن المصالح العامة واجبا جماعيا، وعلى المؤمنين ان ينصر بعضهم بعضا «دون الناس، وهم يتعاقلون بينهم، ويدهم على من سواهم وهم على من بغى منهم»

٣ - كفلت وثيقة المهاجرين والأنصار نصرة اليهود وعدم ظلمهم او التناصر عليهم في حالة تبعيتهم للمسلمين، المادة (١٦).

٤ - تحريم منطقة المدينة بموجب المادة (٣٩)، وقد تحددت هذه المنطقة في احاديث متعددة عن الرسول ذكرنا بعضها^(١). ويستفاد من هذه الأحاديث ومن غيرها ان منطقة المدينة حددت بالجبال والحرثات المحيطة بها^(٢).

وهكذا وجد المدنيون من يؤلف بينهم وينقذهم من خلافاتهم الدموية ويوجد لهم السلطة الالهية التي تسهر على امنهم وتوجههم الوجهة التي فيها منفعتهم العامة، ومصالحهم المشتركة في الدنيا والآخرة. وبذلك هيا الرسول الأسباب لدخول اليهود في الدين الاسلامي وهم أهل الكتاب الأول وأعرف الناس بحقيقة محمد ودعوته. هذا ولم يكرههم على ذلك اكراها بل أقر لهم حريتهم الدينية وأخذ المسلمون على عاتقهم توفير جو الأمن والاستقرار لممارسة شعائهم الدينية وتعهدها بحمايتهم من أي عدوان يقع عليهم.

ويذهب المستشرق توماس أرنولد الى أبعد من ذلك فيقول: «وكان أول ما عني به محمد بعد أن دخل يثرب «المدينة» كما سميت منذ ذلك الحين - أي مدينة النبي - ان يبني مسجدا ليكون مقاما للصلاة ومجمعا عاما لاصحابه الذين كانوا حتى ذلك الحين يجتمعون لهذا الغرض في بيت واحد منهم، وكان المصلون قد تعودوا في العهد الأول أن يولوا وجوههم شطر بيت المقدس وربما كان المقصود من ذلك استمالة اليهود، وقد حاول محمد استرضاءهم بوسائل أخرى كثيرة، فدأب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة ومنحهم الحرية التامة في اقامة شعائهم الدينية، وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق السياسية، ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية»^(٣).

ومما تقدم نرى انه قد توافقت أعمال الرسول مع ما كنا أشرنا اليه من موقف الرسول والإسلام ازاء اليهود عند الهجرة.

(١) انظر ص ٢٦٨ من هذا البحث.
(٢) انظر صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٨ وما بعدها، وياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٦ ص ٤٢٤ وما بعدها. ومحمد حميد الله، الوثائق السياسية في العهد النبوي، ص ٤٧، ٤٨.
(٣) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين، واسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية ط ٣ ١٩٧٠ ص ٤٧.

★ ماذا كان موقف اليهود بعد المواجهة ؟

تزايدت شكوك اليهود بالمسلمين وأخذت تساورهم المخاوف باحتمالات نجاح محمد ودعوته، وكانت هذه المخاوف مبنية على الأسس التالية :

١ - نشاط المسلمين الاقتصادي، ما لبث المسلمون بعد هجرتهم من مكة أن مارسوا العمل التجاري في المدينة، وكانت لهم خبرة في هذا الميدان دونها خبرة اليهود، فلا غرو فهم من قريش، والقرشيّ مشهور ببراعته التجارية. وعلاوة على هذه الخبرة فقد نظموا سوق المدينة وأقاموا بينهم أسسا من التعامل وفق الدين الاسلامي وهكذا تمت تجارتهم وتوسعت علاقاتهم التجارية، مما أضعف اليهود وقضى على طرقهم المعوجة وحيلهم لكسب الربح بالباطل، وبذلك أصبح المستقبل ينذر بسيطرة المسلمين التجارية في منطقة المدينة، وقد تتوسع هذه السيطرة حتى تشمل الحجاز كله.

٢ - استطاع الرسول ان يكوّن من الأنصار والمهاجرين امة واحدة يصعب تفريقها، وجعل من الدين أوثق الروابط التي تشد هذه الأمة الجديدة بعضها الى بعض، وبذلك سادت روح المساواة والتعاون والتسامح بين أفراد الجماعة الاسلامية، كما ضعفت دوافع العصبية القبلية وضعفت معها تحالفات القبائل العربية في المدينة مع غير المسلمين لان الروابط الاسلامية احتلت في نفوسهم المكانة الاولى، وكان بين بعض البطون العربية وعديد من البطون اليهودية محالفات، وأصبحت هذه المحالفات موجهة لغير المسلمين، لأن المسلمين لا يمكن ان يناصروا تحالفاتهم على انفسهم ودينهم، وبذلك أصبحت هذه التحالفات التي حرص اليهود على تقويتها قبل الهجرة لا تخدم أغراضهم.

وقد زاد في اضعاف مركز اليهود في المدينة توالي هجرات الأفراد والجماعات من مكة ومن القبائل العربية المحيطة بالمدينة الى المدينة، وكان الرسول يهدف من وراء هذه الهجرة الى تعزيز الجماعة الاسلامية داخل المدينة اولا ولذلك حث المسلمين على هذه الهجرة بأحاديث كثيرة رغب فيها العيش بالمدينة ولم تقف هذه الهجرة الا بعد فتح مكة^(١).

(١) انظر المقرئزي، إمتاع الاسماع، ج١ ص ٣٩١.

وقول الرسول بان المبايعة على الهجرة قد انقضت بعد فتح مكة^(١) يدل على أن هدف الرسول بجمع المسلمين في مدينة واحدة قد تحقق، إذ أصبحت الدولة قوية وأصبح المسلمون خارج المدينة وداخلها يحملون لواء الاسلام، ولم تعد قريش الوثنية في عداد الأعداء.

كان الرسول يدرك ان قريشا لا يمكن ان تسلم بوجود قوة معادية على الطريق بينها وبين الشام، لأن هذا الطريق كان عصب الحياة الاقتصادية بالنسبة الى مكة، ولذلك شجع هجرة المسلمين الى المدينة حتى يكون المسلمون قادرين على رد اعتداءات قريش اذا ما سولت لهم انفسهم بالاعتداء. وفي نفس الوقت عمل الرسول على ربط جميع فئات السكان داخل المدينة بروابط متينة قصد منها إظهار المدينة كتلة واحدة في نظر الأعداء الخارجيين.. وقد خشى اليهود هذه القوة التي اخذت تعمل بجهد ونشاط ويوحى عملها بان السيادة ستكون لها على هذا الطريق التجاري الهام، ومن ثم ستهدد منه مكة عاصمة الوثنية. غير ان هذا الطريق الهام كان سلاحا ذا حدين، فاقتصاديات المدينة تعتمد عليه الى حد كبير، ولذلك حرص الرسول ﷺ، على تأمينه فأخذت سراياه تستطلع هذا الطريق بين الفينة والفينة تخيف القبائل العربية المستوطنة على طوله تارة وتعتقد معهم التحالفات تارة أخرى. ويدلنا على أهمية هذا الطريق بالنسبة لمكة القصة التالية: «كان أمية بن خلف صديقا لسعد بن معاذ، وكان أمية ينزل على سعد وهو في طريقه الى الشام. وفي إحدى سفرات أمية رافقه سعد الى مكة يحميه جواره، وفي مكة طلب سعد الى أمية ان يطوف بالكعبة، وبينما هو يطوف بها، لقيه أبو جهل وأراد الاعتداء عليه لولا جوار أمية بن خلف، ورد عليه سعد بقوله: «إن منعني هذا لا منعك ما هو أشد عليك منه، طريقك الى الشام»^(٢). وقد وصلت سرايا الرسول الى دومة الجندل في مشارف الشام^(٣) اطمئنانا على سلامة الطريق.

٣ - تطور التشريع وتوالي نزول القرآن، وهذا التطور في التشريع الاسلامي الناتج من توالي السور المدنية بالنزول على رسول الله ﷺ بعث الثقة في نفوس المسلمين بشخصيتهم الاسلامية وتشريعها الخاص، فازدادوا تمسكا بالاسلام وتدارسا

(١) انظر المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر صحيح البخاري، ج ٥ ص ٦٠، ٦١ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ.

(٣) انظر المقرئ، إمتاع الاسماع، ج ١ ص ١٩٤.

لاحكامه وحفظا لآياته، حتى اصبحت الصحراء تردد تلاوة القرآن، وتثير بلاغته اعجاب أعراب الجزيرة، والحلقات تعقد للتفقه بالدين وتنعكس كل تعاليم الاسلام على اخلاق وسلوك المسلمين. وتنتج عن ذلك اسلام عدد من اليهود كان أولهم حبرهم عبدالله بن سلام ومخيريق وغيرهم^(١). ثم توالى اسلام الناس زرافات ووحدانا.

لهذا أدرك اليهود بانهم لم يعودوا أهل الكتاب وأصحاب العلم الأول في الجزيرة العربية، وإن المسلمين ماضون ليكونوا هم أصحاب هذا العلم، كما هم ماضون ليكونوا أصحاب السيادة الأولى في بلاد العرب.

ولما بدأ المسلمون بتطبيق احكام الاسلام وحرمت الخمر والربا والاحتكار، وحاربوا الاستغلال ودعوا الى المساواة في الحقوق والواجبات بدأ اليهود يشعرون ان مصالحهم المادية اخذت تهتد أكثر فأكثر. وكان التفكير المادي يحتل مكانة كبيرة وعظيمة تفوق اهتمامهم بشؤون الدين ولم يكونوا يعولون على نشر الدين كثيرا، وكانت بيوت العبادة عندهم «المدواس» تستعمل كأندية للقوم. ولم ترو المصادر التاريخية لهم أي نشاط تبشيري يذكر في المنطقة او خارجها، كما ان صلاتهم مع غيرهم من اليهود لم تكن قوية^(٢). كما انهم كانوا يجهلون الكتابة والقراءة، وكانت المعرفة بهذه الأمور من نصيب الربايين الذين أخضعوا اليهود الى نوع من السيطرة الاستبدادية^(٣)، ولهذا كانت عامة اليهود تقف ضد الاسلام بدافع الشعور القومي والمادي وليس بدافع الدين.

٤ - فشل اعتقادهم باتباع الرسول دينهم أو إبقائهم خارج مجال دعوته.

كان اليهود يأملون ان يجذبوا محمدا الى صفوفهم بعد ان رأوه يدعو الى التوحيد وينشر رسالة شبيهة برسالة التوراة، ولكنهم ما لبثوا ان وجدوا الأمور لا تسير حسب رغباتهم وآمالهم، اذ شتان بين التوحيد الذي يؤمن به اليهود وبين التوحيد الذي يدعو اليه محمد، فاليهود ربطوا رسالة التوحيد بجنسهم، فالله الواحد هو إله إسرائيل وهم شعبه المختار من دون الناس وهو إلههم المختار من دون الآلهة. وهكذا كانوا يشعرون بأنهم مميزون على

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٥١٦، ٥١٨، وبرهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢ ص ١٢١.

(٢) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٦ ص ٥٤٩.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

العالمين . بينما كان الرسول يدعو الى عبادة إله واحد بعثه رسولا الى الناس أجمعين . لا فرق عنده بين عربي أو أعجمي الا بالتقوى ، وانما يميز الناس عملهم الصالح ، فهم في نظر الاله سواسيه . وجد اليهود في دعوة محمد هذه تهديدا خطيرا لمعتقداتهم فهم كانوا يستفتحون على الناس برسول ينفذ رغباتهم ويبالغ في منحهم الامتيازات ، ويقتل الناس لصالح شعب اسرائيل قتل عاد وارم ! ولذلك أنكروا نبوة المسيح وحاربوا دعوته وحاولوا قتله . ولن يكون موقفهم من محمد ودعوته يختلف عن موقفهم ازاء المسيح ودعوته .

وهكذا وجد اليهود ان الشكوك التي كانت تساورهم بنجاح دعوة محمد بدأت تتلاشى ويحل مكانها اليقين بنجاح هذه الدعوة ، ومع تلاشي هذه الشكوك بدأت تتلاشى احلامهم في ان يكسبوا محمداً الى صفهم ويستعينوا به ويأتباعه وجلهم من العرب في تشكيل قوة قادرة على الانتقام من الروم الذين كانوا يحتلون سوريا والذين تسببوا في تشتيت الشعب اليهودي والحاق الأذى والظلم به .

وهنا يجدر بنا ان نرد على بعض المستشرقين^(١) الذين ذهب بهم الظن الى ان الرسول كان يكيّف شعائر المسلمين وفق الديانة اليهودية لكسب اليهود الى جانبه متأثرين بصيام عاشوراء واتجاه المسلمين في صلاتهم بادية الأمر الى بيت المقدس . وهو قبلة اليهود ، وإباحة التزاوج معهم وتحليل وتحريم بعض ما حللوه وحرموه من الأطعمة . إن آراء هؤلاء أتت من كونهم ينظرون الى محمد نظرة انسان عادي تأتي تصرفاته وفقا لرغباته الشخصية وليدة الساعة ، فهم لا يؤمنون به رسولا يتلقى وحيه من السماء . وعلى أساس هذا التصور لم يكونوا يدركون ان محمدا رسول يدعو الى دين سماوي جديد يجمع الناس جميعا تحت رايته بما فيهم النصارى واليهود ، وأن تشابه بعض الأمور في الأديان الثلاث انما هو ناتج من كونها نبعت في الاصل من مصدر واحد ، والاسلام وحده الذي اعترف برسالات السماء السابقة . لكل هذه المخاوف شعر اليهود بان عليهم ان يعملوا شيئا لوقف الخطر الداهم على كيانهم وكان اليهود قادرين على العمل فعلا ضد المسلمين لولا ان حلفاءهم من الأوس والخزرج قد أصبحوا هم القوة التي ترفع الراية الاسلامية ، فقد تمكن الاسلام من جمع شملهم تحت لوائه ، بينما ظلت الخلافات بين اليهود على

(١) انظر ر. ف. بودلي ، الرسول - حياة محمد ، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ، دار الكتاب العربي بمصر ص ١٠٩ وما بعدها . انظر ايضا بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومير البعلبكي ، ط ٥ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨م ، ص ٤٦ .

أشدها، وقد كشفت الحروب بين المسلمين واليهود عن عمق هذه الخلافات، ورغم هذه الخلافات فقد اتبع اليهود أساليب متعددة في مقاومة الجماعة الإسلامية ومن هذه الأساليب:

١ - الحصار الاقتصادي: تعرض المسلمون في المدينة بعد الهجرة الى ضائقة اقتصادية شديدة وذلك لان المهاجرين تركوا اموالهم في مكة وقدموا الى المدينة في حالة من الضنك، فاستغل اليهود هذه الحالة وقاطعوا المسلمين مقاطعة سلبية وامتنعوا عن تقديم القروض للمسلمين، فقد ارسل النبي ابا بكر الى رؤساء يهود ليستقرض منهم مالا يستعين به على أموره موصيا اياه الا يشتط في كلامه، وألا يسيء اليهم اذا رفضوا اجابته. فلما دخل أبو بكر المدراس - وهو بيت عبادة اليهود - وجد يهودا مجتمعين الى أحد أحبارهم يدعى فنحاص فسلمه رسالة النبي وعرض عليه حاجته فقال فنحاص: احتاج ربكم ان نمده؟ فنزل الوحي الالهي^(١) ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾^(٢).

ومن مظاهر حصارهم الاقتصادي ان اليهود امتنعوا عن تأدية ما عليهم من ديون وبيع وأمانات لمن اعتنق الاسلام مدعين ان ما كان لهم من حق انما كان لهم قبل الاسلام، وان اسلامهم قد أبطل حقوقهم والى ذلك يشير القرآن ﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾^(٣).

وهكذا تجد ان اليهود وقفوا في باذية الأمر موقفا سلبيا من مساعدة المسلمين، وذلك قبل ان يجهروا بعدوانهم.

٢ - إثارة الأحقاد القديمة:

حاول اليهود تفتيت وحدة الأوس والخزرج بعد الاسلام، واستغلوا ما كان بين

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج١ ص ٥٥٨ وما بعدها، ابن كثير، التفسير، ج١ ص ٤٣٤. عفيف طيارة، اليهود في القرآن ص ٢٨.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٨١.

(٣) سورة آل عمران آية: ٧٥. انظر تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٧٤. عفيف طيارة، اليهود في القرآن ص ٢٨.

الحيين من ثارات قديمة ونزعات عصبية، فقد ذكر ابن اسحاق «أن شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا^(١) عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الاسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملا بني قيله^(٢) بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من يهود كان معهم، فقال اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث، وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقولوا فيه من الأشعار.

وكان يوم بعث يوما اقتتل في الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج. قال ابن اسحاق: ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلا من الحيين على الركب، أوس بن قيطي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقالوا، ثم قال أحدهما لصاحبه: ان شتم ردناها الآن جذعه، فغضب الفريقان جميعا، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة والظاهرة: الحرة، السلاح السلاح، فخرجوا إليها. فبلغ رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبعثوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام. . وبقي الرسول يعظهم الى ان ذهب ما هم فيه وعادوا كما كانوا قد أطفأ الله عنهم كيد شاس بن قيس، فأنزل الله تعالى بحق شاس هذا وما صنع: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) وأنزل الله في أوس بن قيطي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما ادخل عليهم شاس من امر الجاهلية: «يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون. . . الى قوله تعالى _وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^(٤).

(١) عسا: أسن وولي - القاموس.

(٢) بني قيلة: الأوس والخزرج.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٠-١٠٥، انظر الرواية السابقة في ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٥٥٥ وما بعدها.

وهذا الأسلوب الذي مارسه اليهود في تاريخهم القديم من الأساليب التي لا زال اليهود يحرسون على استعماله لتفتيت وحدة الأمة العربية والإسلامية، وما نشاهده في عصرنا الحاضر من دسائس يهودية خير مصداق على ذلك.

٣ - التشكيك بالاسلام.

وردت بعض الآيات الكريمة تشير الى مساعي اليهود في صد المسلمين عن الاسلام واضعاف ايمانهم بطرق شتى ومن ذلك قوله تعالى^(١): ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون، ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم، قل ان الهدى هدى الله، ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم. قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

ويلحق محمد سيد طنطاوي على ما سبق بقوله: «ان هذه الآيات الكريمة قد حكمت عن اليهود طريقة مكرة لثيمة، هو تظاهروهم بالاسلام ليحسن الظن بهم من ليس خبيراً بمكرهم وخداعهم حتى اذا ما اطمأن الناس اليهم جاهرُوا بكفرهم، ورجعوا الى يهوديتهم، ليوهموا حديثي العهد بالاسلام، أو ضعاف الايمان، انهم قوم يبحثون عن الحقيقة، وأنهم ليس عندهم أي عداة للنبي ﷺ وان الذي حصل منهم هو انهم بعد دخولهم الاسلام واتباعهم لمحمد ﷺ وجدوه ديناً باطلاً، وأن محمداً ﷺ ليس هو النبي المرتقب، وأنهم ما عادوا الى يهوديتهم الا بعد الاختبار والفحص وامعان النظر في دين الاسلام».

«ولا شك ان هذه الطريقة التي سلكوها لصرف المسلمين عن دينهم من أقوى ما تفتق عنه تدبيرهم الشيطاني، لأن إعلانهم الكفر بالاسلام بعد إظهارهم الايمان به، من شأنه أن يدخل الشك في القلوب، ويوقع ضعاف العقول والايمان في حيرة واضطراب، خاصة وان العرب قوم أميون، ومنهم من كان يظن ان اليهود أعرف منهم بمسائل العقيدة والدين، وأنهم ما ارتدوا عن الاسلام الا بعد اطلاعهم على نقص في تعاليمه»^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٧٢-٧٤.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ج١ ص ٢٧٣.

وهذه الأساليب تدل على ان اليهود لا يعولون كثيرا على شرف الوسائل التي توصلهم الى أهدافهم، وتدلل أيضا على أن قضية الايمان لديهم ليست راسخة، وسنجدهم يتعاونون مع أصحاب الوثنية ضد اتباع الاسلام الذين يدعون الى التوحيد ويحاربون الكفر وهو ما نادى به ديانته من قبل..

وقد حلل المفسرون الآيات المتقدمة من زوايا مختلفة وعرضوا لأساليب اليهود وبينوا خبثهم ومكرهم مما لا مجال لذكره هنا^(١).

ولم يمض وقت طويل حتى أظهر اليهود عدائهم للاسلام والمسلمين وكأنهم كانوا يرون ان الفرصة في حرب المسلمين تفوتهم ولذلك شنوا حربا كلامية وجدالا عنيفا قصدوا منه هدم الاسلام من أساسه لأنهم رأوا فيه قوة الجماعة الاسلامية، وقد كشف القرآن الكريم عن محاولاتهم هذه في سورة المدنية. وقد وقف الرسول من هذه الحرب الكلامية موقفا متسامحا محاولا ان لا يدخل معهم في مثل هذه الخلافات التي قد تؤدي الى اشعال نار الحرب بين الطرفين، وهذا الأمر كان لا يريده الرسول لانه كان يعد العدة لمنازلة خصمه الرئيسي «قريش» ولهذا كان يعمل جاهدا للحفاظ على وحدة المدينة، لذلك طلب من المسلمين مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ومنعهم من الاعتداء على اليهود وحرّضهم على التمسك بالمواثيق والمعاهدات معهم. وقد تمكن الرسول بهذه الوسائل من تأخير الاصطدام المسلح مع اليهود حتى معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون على قريش. وبعد هذه المعركة استعرت الحرب الكلامية وحرب الجدل بين المسلمين واليهود طيلة هذه الفترة التي سبقت الصراع المسلح مع اليهود.

★ حرب الجدل والكلام بين المسلمين واليهود.

كانت مواقف الحجاج اليهودية مقدمة للحرب الدموية التي انتهت باخراج اليهود من بلاد الحجاز. وقد اتخذت مواقف المجادلة والحجاج هذه مظاهر مختلفة منها.

١ - إنكارهم التنزيل وطعنهم في نبوة الرسول محمد ﷺ وتهجمهم على الذات الالهية وقد أظهروا هذا الانكار بسلوكهم الاستهزائي والتهكمي بشعائر المسلمين، وقال

(١) انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار بمصر، ط ٣ ١٣٦٧ هـ - ج ٣ ص ٣٣٣. تفسير الطبري، طبعة بولاق ١٣٢٣ هـ - ج ٣ ص ٢١١، وتفسير الرازي، المطبعة البهية المصرية، ط ١، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ج ٨ ص ١٠١.

تعالى في هذا المعنى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾^(١).

ففي هذه الآية كما هو ظاهر خطاب للمؤمنين بعدم اتخاذ الذين أتوا الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين أعوانا وأنصارا لأن هدفهم واحد في محاربة المسلمين والاستخفاف بدينهم . قال ابن اسحاق : «قال مسكين وعدي بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى»^(٢).

ومن مواقفهم الحجاجية ، ما كان حول نبوة النبي ﷺ بسبب عروبه ، فقد جاء في سورة الجمعة الآيات التالية :

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين . قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾^(٣).

ويستفاد من هذه الآيات أن فيها ردا على ادعاء اليهود بأن الله اختصهم بالنبوة من بين سائر البشر ، وقولهم ان لا نبوة في غير بني اسرائيل ، ثم حملت الآيات عليهم لعدم امتثالهم لما جاء في التوراة التي أخبرت ببعثة محمد وأثبتت أوصافه وأعرض اليهود عن رسالته حسدا وبغضا ، وقالوا ان ليس هذا هو النبي المنتظر وأظهر الله كذبهم بقوله : ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾^(٤).

وفي معرض حجاجهم طالبوا الرسول بأن يأتيهم بالمعجزات فقال تعالى : ﴿الذين

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٥٧ - ٥٨ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ١ ص ٥٦٢ .

(٣) الآيات : ٢ - ٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٨٩ .

قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ﴿١﴾.

والمراد ان الله أرسل نبيه عيسى بكثير من المعجزات ومع ذلك لم يؤمن به اليهود وحاربوه وحاولوا قتله . وطلبوا من الرسول ان يسأل ربه ليكلمهم حتى يسمعون كلامه وذلك ليؤمنوا به فأنزل الله في ذلك قوله تعالى : ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم، قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ (٢).

وفي هذه الآية اشارة لطلب بني اسرائيل من موسى عليه السلام ان يجعل ربه يكلمهم مثلما طلبوا إليه أن يريهم الله جهرة، وهي أسئلة يقصد فيها الاستخفاف والتعجيز. ومن أمثلة طعنهم بنبوّة الرسول وانكار نزول الوحي عليه ما أخرجه ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال : «جاء رجل من اليهود يقال له «مالك بن الصيف» فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين - وكان حبرا سمينا - فغضب وقال : «ما أنزل الله على بشر من شيء» فقال له أصحابه ويحك ولا على موسى ؟ فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (٣).

وجاء في سورة النساء :

﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تظلوا السبيل، والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا، وكفى بالله نصيرا. من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا﴾ (٤).

وفي هذه الآيات صور من مواقف اليهود الساخرة تجاه النبي ، فهم يلوون السنتهم بكلمة راعنا حتى تؤدي الى نعت الرسول بالرعونة (٥). ويجهرون بالعصيان بعد السماع

(١) سورة آل عمران، آية : ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١١٨ .

(٣) انظر السيوطي ، لباب النقول في اسباب النزول، على هامش تفسير الجلالين، ص ٢٢٢ .

(٤) الآيات : ٤٤-٤٦ .

(٥) انظر محمد عزة دروزة ، سيرة الرسول ﷺ، ج-٢ ص ١٤٥ .

فهم يقولون سمعنا وعصينا بدل القول المشهور للمسلمين عند سماعهم القرآن «سمعنا وأطعنا». ومن صور الاستهزاء انهم كانوا اذا كلموا الرسول قالوا «راعنا سمعك»^(١). وهي كلمة عبرانية فيها سبه.

وهذه آية يستفاد منها طلب اليهود من الرسول ان يتبع دينهم، قال تعالى: ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾^(٢). وذكر ابن اسحاق ان عبد الله بن صوريا الأعور الفطيويني قال لرسول الله ﷺ «ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد»^(٣). وقد ذهب اليهود في جدلهم شأوا بعيدا حتى تهجموا على ذات الله. ذكر ابن اسحاق ان رهطا من اليهود أتى إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: «يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟»^(٤). وبهذه المناسبة نزل قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾.

٢ - جدل اليهود حول الأحكام الاسلامية. مثل النسخ وتحليل وتحريم الأطعمة وتحويل القبلة. ويظهر من التنزيل ان اليهود أثاروا جدلا شديدا حول هذه الأمور واعتبروا النسخ وتحويل القبلة ردة دينية وإجراءات شخصية أولته ظروف المخاصمة مع اليهود، وظنوا ان باستطاعتهم النيل من الاسلام بولوجهم هذا الباب وقالوا: الا ترون إلى محمد يأمر أصحابه ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول قولا ويرجع عنه غدا، ما هذا من شأن الأنبياء، وما هذا القرآن الا من كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا^(٥).

وقد تولى القرآن الرد على إثارتهم الشبهات حول الاسلام، ويقيم عليهم الحجج القاطعة والبراهين الساطعة يكشف عما في نفوسهم من حسد وحقد وما بينهم من خلاف وتشاحن، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا: راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا، وللكافرين عذاب أليم. ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. ما ننسخ من

(١) انظر السيرة المحلية جـ ٢ ص ١٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٥.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة جـ ١ ص ٥٤٩.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة جـ ١ ص ٥٧١.

(٥) انظر محمد سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القرآن والسنة، جـ ١ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

آية او ننسها نات بخير منها أو مثلها. ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير؟ ألم تعلم ان الله له ملك السماوات والأرض، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ظل سواء السبيل. ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره. إن الله على كل شيء قدير، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، ان الله بما تعملون بصير. وقالوا: لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، بلى من أسلم وجهه لله، وهو محسن، فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقالت اليهود: ليست النصرارى على شيء، وقالت النصرارى: ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها؟ أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسع عليم^(١).

ويبدو أن اليهود تذرعو بالنسخ وتحويل القبلة وتحريم بعض الأطعمة وتحليل بعضها الآخر للتشكيك في مصدر هذه الأوامر بالتكليف، ويمكن الاستدلال على انهم ربما أثاروا الشك عند بعض المسلمين فأخذوا يسألون الرسول ﷺ عن هذه الأوامر وسبب إباحتها ثم تغييرها. ويطلبون الأدلة والبراهين على الحكم من هذه الأوامر وتلك المنسوخات، وسبب تغيير القبلة وتحريم بعض الأطعمة وتحليل بعضها الآخر، فنزل القرآن يبين لهم ان نسخ بعض الآيات انما هو حكمة إلهية اقتضتها ظروف معينة وأوجبت نسخها ظروف جديدة، وفي كل ذلك يختار الله الأحسن والأصلح لعباده لأنه بهم رؤوف رحيم. وفي نفس الوقت تنبه هذه الآيات الى أهداف اليهود الحقيقية التي يخفونها وراء حجاجهم وأسئلتهم ويقصدون منها تضليل المسلمين واضعاف ثقتهم وإيمانهم بعقيدتهم ويستتبع ذلك نزع ثقتهم برسولهم، وظن اليهود ان هذه الاساليب كفيلة بتصديق وحدة المسلمين وتشكيكهم بقيادتهم. وفي هذه الآيات يفند سبحانه وتعالى أماني اليهود

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٠٤ - ١١٥.

والنصارى في دعواهم في ان الجنة من حقهم وحدهم. ويكشف للملأ ان هذين الفريقين كل يدعي ان له الجنة، وهم على ما فيه من الخلاف والتناذب في الأصول والجزئيات من دينهم. ثم يورد سبحانه وتعالى رده على تقولهم بتحويل القبلة مبينا ان المشرق والمغرب لله وأينما توجه المرء فثم وجه الله سبحانه وتعالى، ويمضي السياق ليكشف للمسلمين عن الأهداف الحقيقية لأهل الكتاب من يهود ونصارى، وأن هؤلاء لا يرضون من المسلمين ما لم يتبعوا دينهم. وهذه الحجج الكاذبة والجدل الباطل انما المقصود به هدم القواعد التي انتصب عليها الاسلام. ويبين الله سبحانه وتعالى انهم لا يريدون الاتجاه الى الكعبة بيت الله ومسجده الأول تمهيدا لهجر هذا البيت وانقطاع ذكر الله فيه بعد خرابه. ثم يختم السياق هذه الآيات ببيان ما ينتظر هؤلاء من عذاب جزاء افتراءهم الكذب وهم يعلمون ذلك.

وقد جادل اليهود الرسول في أمر تحريم بعض الأطعمة وتحليل بعضها. وقد تولى الله سبحانه وتعالى الرد على هذه الشبهات التي كان مقصد اليهود من وراء إثارتها الطعن في نبوة سيدنا محمد وزعزعة ايمان المسلمين من حوله. قال تعالى: ﴿كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة، قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين، فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون، قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾^(١).

وفي الآيات التي تنزلت على محمد تحد لليهود بان ما جاء من تحريم بعض الأطعمة على لسان محمد قد جاء في التوراة مثله، وفي الأصل قبل نزول التوراة كان جميع أنواع الأطعمة حلالا على بني اسرائيل الا شيئا واحدا كان محرما عليهم وهو ما حرمه اسرائيل على نفسه منها ثم حرمه بنو اسرائيل على أنفسهم اقتداء بأبيهم. ولما نزلت التوراة نزل فيها تحريم بعض الأطعمة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٩٣-٩٥، انظر كذلك محمد سيد طنطاوي بنو اسرائيل في القرآن والسنة جـ ١ ص ٢٤٥، ٢٤٤.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٤٦.

وجاء في الكشف: «وحيث أرادوا جحود ما غاظهم واشمأزوا وامتعظوا مما نطق به القرآن من تحريم بعض الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم، فقالوا لسنا بأول، من حرمت عليه، وما هو الا تحريم قديم كانت - هذه الأشياء - محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا، الى ان انتهى التحريم الينا، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله، وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم الله عليهم نوعا من الطيبات، عقوبة لهم»^(١).

٣ - جدال اليهود بشأن ابراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده.

اجتمعت وفود من نصارى نجران وأخبار اليهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى من أهل نجران، ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين، ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين^(٢).

ومن المسائل التي احتدم فيها الجدل نبوة سيدنا عيسى عليه السلام فاليهود ينكرون نبوته جملة وتفصيلا، وقد تولى القرآن رد حججهم والدفاع عن سيدنا عيسى ونبوته، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع، وأزار بن أبي أزار وأشيع، فسألوه عمن تؤمن به من الرسل فتلا قوله تعالى ﴿قُلْ آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون^(٣). فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا تؤمن بمن آمن به وما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم

(١) انظر الزمخشري، الكشف، البايي الحلبي، ج ٢ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٦٥ - ٦٨. انظر ايضا ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٥٥٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨٤.

فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١).

ولما لم يفلح اليهود في الوصول الى أغراضهم بالطعن بالدين الاسلامي، والمحااجة بالأصول والفروع لجأوا الى أسلوب أخبث، وذلك بمحاولتهم فتنة الرسول نفسه ليحكم في أمور حكما يخالف ما جاء في الاسلام، ومن ثم يتكشف الرسول امام المسلمين وغير المسلمين بهذه الصورة التي أرادوها. فقد ذكر ابن اسحاق ان كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبدالله بن صوريا، وشاس بن قيس - وهم من زعماء اليهود - قالوا لبعضهم بعضا «أذهبوا بنا الى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو يشر، فأتوه، فقالوا له: يا محمد، انك قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وانا ان اتبعناك اتبعناك يهود، ولم يخالفونا، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ. فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنْ كَثُرُوا مِنَ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ. أَفَحُكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢).

ولم يدع اليهود مسلكا للنيل من النبي إلا واتبعوه فسألوه عن قيام الساعة، وعن الرجل الطواف وعن الروح، وعن تشبه المولود بأمه أو بأبيه، وكل قصدهم تعجيز الرسول، وكان الله يتولى الرد عليهم بالحجة والبرهان القاطع بالتي هي أحسن. وكان الرسول كما أسلفنا يحرص على عدم الاساءة إليهم أو إغضابهم في بداية الأمر آملا أن يعيدهم إلى الصواب وأن يدخلوا الاسلام دون إكراه. ويعتقد كثير من المستشرقين ان الخصومة الكلامية التي استمرت بين اليهود والمسلمين في المدينة، إنما كان سببها دعوة محمد لليهود للدخول في الاسلام. ان محمدا صلى الله عليه وسلم مكلف بدعوة جميع الناس الى الاسلام دين الفطرة البشرية. غير انه بدعوته اليهود الى ذلك لم يستعمل الشدة لأكراههم على اتباعه ودليلنا على ذلك انه اعترف لهم بدينهم وضمن لهم حريتهم الدينية عندما وادعهم بعد الهجرة. وظل اليهود في الجزيرة العربية وفي البلاد الاسلامية

(١) سورة المائدة، آية: ٥٩. انظر تفسير الطبري، ج٦ ص ١٩١-١٩٢. محمد سيد طنطاوي بنو اسرائيل في القرآن والسنة. ج١ ص ٢٠٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٩-٥٠. انظر ابن هشام، السيرة ج١ ص ٥٦٧.

يتمتعون بحريتهم الدينية أكثر من أي مكان آخر في العالم ، بم تهى أمة لليهود الحرية الدينية كما هياتها الدولة الاسلامية وحسبنا ان نتذكر موقف المسلمين من يهود اسبانيا بعد الفتح .^(١)

ومن الجدير بالذكر ان كثيرا من اليهود قد أسلموا وأحسنوا في اسلامهم ومنهم عدة من الصحابين والصحابيات ذكرت فضائلهم المصادر التاريخية الاسلامية^(٢) .

وبينما كان اليهود يدفعون الأمور بالمدينة الى حافة الحرب والاقتيال، كان الرسول والمسلمون يواصلون الرد عليهم بالبينه والكلام الحسن ويحرصون كل الحرص ان لا تفلت الامور من ايديهم ويدخلون معهم في حرب في ظروف هم أحوج فيها لوحدة كافة سكان المدينة كما أسلفنا .

ولما استعرت حملة اليهود ووصل ايذاءهم الرسول وإنكار التنزيل، ومحاولة فتنه المسلمين حذر الله المؤمنين مباظنتهم والسماع اليهم، كما حذر اليهود سوء سلوكهم وسوء المصير الذي ينتظرهم . وفي القرآن كثير من الآيات في هذه المعاني . قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٤) . ومن الآيات التي طلبت الى اليهود ان يتركوا جدلهم وعنادهم ويشوبوا الى رشدهم قوله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾^(٥) . ومنها قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾^(٦) .

(١) Goltzen, "Jews & Arabs" New Yourk 1964. P. 7.

(٢) انظر ابو عبدالله بن محمد بن زكري الفاسي ، رشف الضرب في فضل بني إسرائيل والعرب ، مخطوط في الخزانة الملكية - الرباط رقم ١٦٠١ .

(٣) سورة الاحزاب ، آية : ٦٩ .

(٤) سورة الصف ، آية : ٥ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

ومن الآيات التي نهت عن موالاة اليهود وأمثالهم من المشركين وحذرتهم سماعهم وتصديق أقوالهم، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ أَنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ، هَآ أَنتُمْ أَولَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(١).

ونهى النبي ﷺ عن سؤال اليهود فيما يتعلق بأمور الدين وأمر المسلمين أن يرجعوا في أمور دينهم إلى قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ فيه أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشترؤا به ثمنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»^(٢). وحذر الله سبحانه المسلمين من اتباع اليهود في نهجهم مع أنبيائهم بقصد تعجيزهم وإيذائهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(٣). وذهب اليهود في خصومتهم الاسلام والمسلمين الى أبعد من المخاصمة الكلامية فقد حالفوا المنافقين والمشركين وظاهروهم في العداء المكشوف للرسول، وبذلك قربوا الأمور بسعيهم الى شفى الحرب.

★ تحالف اليهود مع المنافقين :

كان عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي على وشك أن يبايعه قومه ملكا على المدينة، عندما انتشر الاسلام في المدينة، ولما أعلن الأنصار إسلامهم تطايرت أحلام ابن أبي في الحكم، فحقق هذا على الاسلام والمسلمين، ولما وجد أن المسلمين أقوياء وأن جميع الناس من حوله قد اعتنقوا الاسلام، تظاهر بالاسلام بعد معركة بدر نفاقا ورياء، وظل ينفث حقه كلما واثته فرصة. وجمع هذا حوله أمثاله من ضعاف النفوس

(١)، سورة آل عمران، الآيات: ١١٨-١٢٠.

(٢)، صحيح البخاري ج٣ ص ١٥٨، «كتاب الشهادات».

(٣)، سورة الأحزاب، آية: ٦٩.

ممن تظاهروا بالاسلام اما خوفا اورياء ابتغاء غرض من الأغراض وبقيت هذه الفئة تكيد في الظلام لجماعة المسلمين وتتمنى لها الهلاك في كل مناسبة، وكان الرسول ﷺ على علم بهذه الفئة الضالة المضلة، وكان يمنعه من إنزال العقوبة بها عاملان :

الأول : حاجة الرسول الى ابقاء قوة المسلمين كاملة ليوم المواجهة مع كفار قريش وكان يعلم علم اليقين بأن هذا اليوم آت لا ريب فيه.

الثاني : كان الرسول ينظر إلى هذه الفئة نظرة تختلف عن نظرتة لليهود وذلك ان المنافقين ومعظمهم من عرب المدينة وقبائلها لا يوافقون بحكم العصبية القبلية على التهاون، امام قريش أو غيرها من القبائل العربية للاحاق الهزيمة بالمدينة او احتلالها. وهم في هذه الناحية يخدمون أغراض الرسول في حماية المدينة من الأعداء، وقد وقفوا هذا الموقف في غزوة الأحزاب كما سرى. ويدل هذا التصرف على بعد نظر الرسول وحسن تقديره للأمور. لهذه الاسباب تجاوز الرسول ﷺ مواقف المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي، ولم يعاقبهم رغم أن بعض الصحابة طلبوا إليه عقاب ابن أبي هذا وقتله، وكان جواب الرسول لهؤلاء: «إننا لا نريد أن يقال بأن محمدا يقتل أصحابه»^(١)

وقد أشار القرآن الكريم الى تحالف اليهود والمنافقين بالآيات التالية :

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ﴾^(٢). ويقصد بالشیاطین هنا اليهود، وهذه الآية تصف حال المنافقين مع المسلمين وكيف كانوا على صلة مع اليهود يسرونهم حسبما شاؤوا.

ومن قوله تعالى : ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيتَ عَلَيْهِمُ الْعِزَّةُ فَأَنْزَلْنَا اللَّهُ جَمِيعًا﴾^(٣).

وجمهور المفسرين متفقون على ان الكافرين هنا هم اليهود، وفي الآية قرينة على صحة ذلك، كما ان فيما بعدها قرينة ثانية. وواضح ان اتخاذ المنافقين اليهود أولياء،

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٥٨٤، ح ٢ ص ٢٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية : ١٤.

(٣) سورة النساء، الآيات : ١٣٨-١٣٩.

وتوافقهم معهم ، انما هما أثر من آثار التآمر الموطن بين اليهود والمنافقين تجاه الجماعة الاسلامية .

وجاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نَزَلَ الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم﴾^(١) .

وجمهور المفسرين يقولون ان الآية الأولى عنت المنافقين وان الذين كرهوا ما نزل الله هم اليهود . وهكذا تكشف هاتين الآيتين عن طبيعة العلاقة أو الرابطة التي تجمع اليهود والمنافقين .

وجاء في سورة المجادلة : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) . وهذا دليل آخر على تولي احدى الفئتين المعاديتين للمسلمين احدهما للأخرى ، وعلى الرغم من ان جمهور المفسرين يرى أن فئة المنافقين هي التي تتولى اليهود ، إلا أنني أرى أن اذعان اليهود للمنافقين إنما هو ظاهري ، فهم يتظاهرون بالانقياد للمنافقين طالما ينفذ هؤلاء برنامجهم ومخططاتهم ، لأن من غير المعقول ان يكون لهؤلاء مكر اليهود وحيلهم ، وجاء في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) .

والمقصود بالذين كفروا هم اليهود لأن سياق الآيات بصدد بيان تأمر اليهود وتحالفهم مع المنافقين . ويقرر القرآن في الآيات التالية ما يريده اليهود والنصارى ليكون المسلمون على بينة من أمرهم ولا يخوضون معهم بالجدل والحجاج . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُم مِّنْهُم إِنِ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم

(١) سورة محمد ، الآيات : ٢٥-٢٦ .

(٢) سورة المجادلة ، آية : ١٤ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ١١ .

يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح . أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿١﴾ .

والنهي في هذه الآيات موجه للذين آمنوا من أهل المدينة ليحذروا من اتخاذ اليهود والنصارى أولياءهم ، ولما لم يكن نصارى في المدينة فيكون المقصود هم اليهود ، وقد روى المفسرون والرواة ان الآية الثانية نزلت بمناسبة مشادة بين كبير المنافقين عبدالله بن أبي وأحد زعماء المسلمين ، اذ قال هذا اني بريء من اليهود ، فقال الأول ، أما أنا فلا أتبرأ منهم لأنني أخشى الدوائر ﴿٢﴾ .

ويجب ان لا يغرب عن البال ان اليهود كانت لهم محالفات مع القبائل العربية في الجاهلية وكان العرب يتميزون بالوفاء ، فكان لهذه التحالفات قوة القانون الملزم اليوم ، وقد استغل كل من الفئة المنافقة واليهود هذه المحالفات لاطهار توادهم لبعضهم وتكوين جبهة واحدة ضد المسلمين ، وقد تمكنوا من النيل من بعض مواقف المسلمين ممن لا يدركون مقاصد اليهود وحلفائهم المنافقين ، أو ممن لم يتمكن الاسلام في قلوبهم . ولذلك نهاهم الله عن اتخاذ اليهود بطانة لهم كما نهاهم عن الاستماع اليهم لئلا يفتنهم عن دينهم . وقد أبقى الرسول على هذه التحالفات لادراكه قوة العصبية السائدة بين العرب عند الهجرة ، وكان واثقا ان الاسلام كفيل باضعاف هذه العصبية مع الزمن . وقد تمكن معظم المسلمين من احلال الرابطة العصبية وهو ما كان يرمي اليه رسول الله ﷺ .

ويخطيء من يظن ان الرسول ﷺ قد تحامل على غير المسلمين من اليهود والنصارى لمخالفتهم الشريعة الاسلامية وتمسكهم بعقائدهم ، وذلك لأن الله أوضح في نهيه عدم موالة اليهود والمنافقين الذين ناصبوا الاسلام العداء ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، أَمَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٥٢-٥١ .

(٢) انظر محمد عزة دروزة ، سيرة الرسول ج-٢ ص ١٨١ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآيات : ٩-٨ .

فهاتان الآيتان في تحديد الفئات المعادية للمسلمين، وهؤلاء هم الذين قاتلوا المسلمين في دينهم، أي طعنوا في الاسلام وعملوا على تشكيك المسلمين بدينهم وحاولوا فتنهم عنه وهم الذين تولى الله سبحانه وتعالى فضحهم في آيات متعددة من قرآنه الكريم، وهم اليهود الذين شرحنا أهدافهم على ضوء ما تقدم من القرآن.

وأما الفئة الثانية التي حددتها الآيات ووضعتها في عداد أعداء الاسلام، الذين قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم وهم كفار قريش الذين حاربوا الاسلام والمسلمين في مكة حتى أخرجوهم منها. ويجدر بنا الان الوقوف على طبيعة العلاقات التي سادت بين اليهود أعداء محمد ﷺ في المدينة وبين كفار قريش أعداء محمد ﷺ في مكة، بعد ان أوضحنا بما فيه الكفاية علاقات اليهود مع جماعات المنافقين.

★ تحالف اليهود مع المشركين :

لم يكتف اليهود بالتعاون مع المنافقين في المدينة بل اتجهوا الى مشركي قريش في مكة وحزبهم على المسلمين، وسجل القرآن عليهم موقفهم المخزي عندما فضلوا الوثنية على دين التوحيد الذي يدعو إليه المسلمون، وتباهي اليهود بالدعوة إليه من قبل^(١). وبذلك يكون اليهود قد نقضوا المعاهدة التي أبرموها مع الرسول وشهدوا بموجبها بعدم اجارة قريش او مساعدتها ضد المسلمين. وقد يظن البعض أن نقض المعاهدة جاء متأخرا اعتمادا على الزمن الذي حدثت فيه محادثة وفد من زعماء اليهود مع زعماء قريش - وفي هذه المحادثة زعموا ان الوثنية دين قريش خير من دين محمد كما سيأتي معنا - في مكة قبيل حدوث معركة الخندق، غير أن القرآن يشير الى نقض مبكر لهذه العهود والمواثيق، فدعوة القرآن الى عدم اتخاذهم أولياء أو بطانة للمسلمين، برهان ساطع على عدم تمسك اليهود بهذه الاتفاقيات.

وهكذا نرى ان الرسول ﷺ تمسك بالأهداف والمثل التي رسمها لنفسه وهذه الأهداف تقوم على مسالمة سكان المدينة ومعاملتهم بكل تسامح واحترام مفضلا السلم على الحرب والوفاق على الخلاف، والسلم مثل اسلامي يتمسك به المسلمون في علاقاتهم العامة والخاصة، وتتردد عبارة - السلام عليكم - بين المسلمين في تحيتهم

(١) ستعرض لهذا في الفصل القادم.

لبعضهم بعضاً ولغيرهم عند كل لقاء . فالرسول لم يفرض الاسلام بالسيف والاكراه ولا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي لا دراكه ان العقائد لا تفرض على فكر الناس فرضاً لأنها تنبع من الداخل ولا تفرض من الخارج، ولهذا اتبع القرآن سبل الهداية الموصلة للعقل بأساليب عقلية تدل على احترامه لعقول الناس . ولهذا فالاضطهاد يثير التعصب في النفوس ويحدث فيها مقاومة للمضطهدين . وحتى القتال في الاسلام شرعه الله سبحانه وتعالى حفاظاً على القيم الانسانية، ومثلها العقلانية، فهو للدفاع عن النفس وحماية المسلمين في أنفسهم ودينهم، وهو بالتالي للمحفاظ على أمن الانسان واتاحة الفرصة له لكي يعيش حراً طليقاً من كل تهديد، وفتح المجال للمباديء ان تسير حجة بحجة وبرهانا ببرهان دون ان تقف القوى المادية المسلحة في طريقها، وحتى لا يحجب عنا القتال صفاء الأفكار، ولا ريب فان الاسلام دخل المدينة دون حرب، وجماعة المسلمين الذين أحاطوا بمحمد ﷺ آمنوا جميعهم طواعية ودون إكراه . ولم يكن يدر بخلد الرسول ﷺ ان السيف كفيل بحمل الناس على تغيير معتقداتهم سيما وأنه وصحبه الكرام أصحاب التجربة مع كفار قريش، فلم تفلح وسائل التعذيب والاضطهاد في حمل المسلمين من المستضعفين في مكة على الرجوع عن الاسلام ويكفيها دلالة على ذلك ما تعرض له المستضعفون من المسلمين على أيدي كفار مكة من تعذيب .

الفصل السابع

الصراع المسلح بين اليهود والمسلمين في العهد النبوي

- أسباب الصراع .
- غزوة بني قينقاع .
- موقف اليهود بعد جلاء بني قينقاع .
- مقتل كعب بن الأشرف .
- غزوة بني النضير .
- دور اليهود في غزوة الأحزاب .
- غزوة بني قريظة .
- أعمال الرسول الاحتياطية قبيل غزوة خيبر .
- غزوة خيبر .
- زواج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب اليهودية .
- يهود فدك .
- وادي القرى .
- تيماء .

الفصل السابع

الصراع المسلح بين اليهود والمسلمين في العهد النبوي

★ أسباب الصراع :

كانت الخصومات الكلامية بين المسلمين واليهود قد بلغت أشدها في المدينة قبيل موقعة بدر، وكان النفور بين الجانبين ظاهرا حتى في الشوارع حيث يترامى الطرفان بقوارص الكلم، ويتشاجر المتخاصمون في بعض الأحيان^(١)، وكان الرسول ﷺ قد أمر المسلمين بالصبر على أذى اليهود وجدالهم بالتي هي أحسن رغم سوء أدبهم، فلم يشأ الرسول أن يدخل معهم في قتال، أملا أن يثوبوا إلى رشدهم ويدخلوا الإسلام أو يتعاونوا مع المسلمين كشركاء لهم في التوحيد. غير أن الموقف لم يبق على مثل هذه الحال من الخصومات الكلامية بل سارت الأمور سريعا إلى أن تفجر الموقف وحمل الجانبان السلاح.

لقد فجرت معركة بدر الموقف، فقد خضد المسلمون شوكة عدوهم الأكبر قريش في هذه المعركة، ولم يبق إلا أن يقلموا أظافر اليهود في المدينة. ، لقد كان لهذه المعركة نتائج عظيمة حقا بالنسبة للمسلمين، فقد أظهرت الجماعة الإسلامية قوة لدرجة أن الرعب قد أصاب المنافقين واليهود، وشعروا بأن الإسلام قد انتصر بهذه المعركة. فبدأ اليهود يقومون بالتشكيك والتآمر وتكذيب الأخبار الواردة من بدر. فلما بعث الرسول ﷺ «عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة» بشيرين بالنصر لأهل المدينة وسمع اليهود أخبار النصر من هؤلاء أصابهم الحقد والبغي والحسد وظهرت عداوتهم مكشوفة من أقوالهم بتكذيب البشيرين وكان مما قالوه: «ان محمدا قد قتل وأصحابه قد هزموا، وهذه ناقته نعرفها جميعا «وكان يمتطيها زيد بن حارثة» ولو كان محمد حيا لبقيت راحلته عنده، وإنما يقول هذان ما يقولان هذيانا من الفزع والرعب، ولئن كان ما يقولانه حقا لبطن الأرض

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٢٤.

خير من ظهرها، بعد أن أصيب أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن». ولم يكتفوا بهذه الأقوال بل سافر كعب بن الأشرف الى مكة ينشد الأشعار ويشبب بنساء المسلمين ويرثي قتلى بدر من المشركين^(١).

لقد دلت نتائج معركة بدر على حقيقة غفل عن ذكرها بعض المؤرخين، وهي ان اليهود كانوا يأملون بخضد شوكة المسلمين بسيوف الكفار من العرب في الوقت المناسب، ولما يثس اليهود من كل محاولاتهم لاختضاع الرسول وجماعته لأهدافهم لجأوا الى الاتصال بالمنافقين والكفار من القبائل العربية، وكانوا يتصورون ان أمر القضاء على الحركة الاسلامية سهل يسير.

إن اتصال اليهود بالفئات المعادية للرسول اعتبر نقضا للمعاهدات والمواثيق التي عقدها الرسول مع البطون اليهودية. وتذكر معظم المصادر الاسلامية هذه المواثيق وترى ان نقض اليهود لها كان السبب في اعلان الرسول الحرب عليهم^(٢).

واذا اعتبرنا معركة بدر بداية الصراع المسلح بين المسلمين والوثنية في جزيرة العرب، فان اليهود اعتبروها ايذاً بالقضاء عليهم وعلى كياناتهم المادي والمعنوي، ولذلك وقفوا في صف الوثنية علناً. وأدرك الرسول بأن قريشا ستجمع كل قواها للأخذ بثأر بدر، وأن عليه أن يستعد للمواجهة مع قريش في أقرب فرصة، وأول واجباته في هذا الاستعداد، هو تطهير جبهته الداخلية حتى لا تطعن من الخلف. فبدأ الحرب مع اليهود الذين يعيشون داخل المدينة بين المسلمين لحماية مؤخرته في حالة القتال مع قريش.

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٦٤٢. الواقدي: المغازي ج١ ص ١٢٢. ابن سعد: الطبقات دار صادر ودار بيروت، ج٢ ص ٣٢.

(٢) انظر ابن هشام: السيرة ج٢ ص ٤٧، والواقدي: المغازي ج١ ص ١٧٦ وما بعدها، وابن سعد: الطبقات، ج٢ ص ٢٩ والطبري: تاريخ ج٢ ص ٤٧٩، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢ ص ٩٠، والديار بكري: الخميس في احوال أنفس نفيس ج١ ص ٤٠٨، وابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية ومكتبتها، ج٢ ص ٩١، وابن سيد الناس: هيون لأثر في فنون المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف: مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ، ج١ ص ٢٩٤، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي: شرح المواهب اللدنية، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٥هـ ج١ ص ٤٥٦، وشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مخطوط سبق ذكره، ج٤ «الباب الثاني عشر» المخطوط غير مرقم.

★ غزوة بني قينقاع :

كان بنو قينقاع يسكنون داخل المدينة بين أحياء المسلمين، وهم أول يهود نفصروا عهدهم مع الرسول ﷺ بالموادعة وحاربوا بين بدر وأحد^(١). وأعلنوا حقدهم وحسدتهم للمسلمين بعد بدر. ولم يكتفوا بذلك بل اعتدوا على شرف امرأة مسلمة في سوقهم، كانت قد حضرت لبيع سلعة لها، وبينما كانت تجلس الى صائغ يهودي جعلوا يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ اليهودي الى ثوبها فعقده الى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فصاحت المرأة مستنجدة، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فاجتمع اليهود على الرجل المسلم وقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع^(٢).

وقبل ان يعلن الرسول الحرب على بني قينقاع دعاهم الى اجتماع في سوقهم وخطبهم قائلا: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم» وما كان منهم الا ان قالوا: يا محمد إنك ترى انا قومك! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس^(٣). أدرك الرسول بعد مقاتلتهم هذه ان القوم قد أطاشهم الغرور وان النصيحة لا تجدي في هدايتهم، وأنهم لا يبتغون الا الفتنة، وأنهم أصبحوا خطرا عليه وعلى دعوته، وتبين للرسول ان اليهود أصبحوا عيوننا ينقلون أخباره الى قريش التي تستعد لحرب محمد وأصحابه. ولذلك كانت تحركات المسلمين في غاية السرية، سيما تحركاتهم الحربية خوفا من تسرب أنباء هذه التحركات الى قريش بواسطة اليهود^(٤).

(١) انظر ابن سعد: الطبقات جـ ٢، ص ٢٩، والطبري: تاريخ جـ ٢ ص ٤٧٩، وابن علي الشامي: المخطوط السابق، ونفس الباب.

(٢) انظر المراجع السابقة والصفحات.

(٣) ابن هشام: السيرة جـ ٢ ص ٤٧، انظر كذلك ابن علي الشامي، سبل الهدى والرشاد، جـ ٤، الباب الثاني عشر.

(٤) ومثالا على ذلك سرية عبدالله بن جعش الى نخلة - بين مكة والطائف - التي كانت مهمتها التعرف على أخبار قريش، فقد كتب الرسول لقائد هذه السرية كتابا وطلب اليه ان لا يفتح الا بعد مسيرة يومين، كما طلب اليه ان يتجه بسريره شرقا بدلا من الاتجاه جنوبا وذلك امعانا في السرية.

انظر ابن هشام: السيرة، جـ ١ ص ٦٠١، والواقدي: المغازي، جـ ١ ص ١٣.

ابن سعد: الطبقات جـ ٢ ص ١٠، والطبري: تاريخ جـ ٢ ص ١٠.

وهكذا نجد ان العلاقات بين اليهود والمسلمين كانت تسير نحو الحرب سواء حدثت معركة بدر أم لم تحدث، وقد بدأ اليهود هذه الحرب بإعلان أهدافهم وتحالفهم مع الأعداء وعدم تقيدهم بالعهود والمواثيق. وليس صحيحا ما قيل ان سبب العداء بين المسلمين واليهود هو دعوة الرسول لهم للدخول في الاسلام، لأن المواثيق اليهودية التي كتبها الرسول لهم اعترفت لهم بالحرية الدينية كما ان الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ولا اكراه في الدين﴾ وقد ذكرنا من قبل ان العاطفة الدينية لم تكن قوية عند يهود الحجاز لدرجة كافية لاشهار الحرب حفاظا عليها^(١)، وكان أجدر باليهود ان يعملوا على دعوة القبائل الوثنية للدخول في دينهم. ولم تذكر المصادر التاريخية اي حوادث تدل على ان اليهود لديهم الاستعداد للتضحية في سبيل نشر عقيدتهم الدينية في شمال الحجاز. وقد ظل اليهود يستغلون الدين استغلالا سيئا طيلة تاريخهم ابتداء من خروجهم من مصر وانتهاء بقيام الدولة اليهودية في فلسطين في العصر الحديث. ويتجلى الاستغلال الديني بأشجع صورة في سياسة الدولة اليهودية، فقد ادعت الحركة الصهيونية منذ قيامها بما يعرف بالحقوق الدينية للشعب اليهودي، ولما قامت الدولة تبين ان زعماءها لا يعترفون بأي دين. وفي ما تقدم رد على أولئك الذين حاولوا ان يصوروا للناس ان الحرب التي وقعت بين المسلمين واليهود انما هي بسبب العصبية الدينية عند الرسول ﷺ^(٢). فقد قال ولفنسون في هذا الصدد: «ولو وقفت تعاليم الرسول عند محاربته للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود ان يعترفوا برسالته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين ولكن اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والاحترام لتعاليم الرسول ولأيدوه وساعدوه بأموالهم وأنفسهم حتى يحطم الأصنام ويقضي على العقائد الوثنية لكن بشرط ان لا يتعرض لهم ولا لدينهم وبشرط ان لا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة، لان العقلية اليهودية لا تلين امام شيء يزحزحها عن دينها وتأبى ان تعترف بانه يوجد نبي من غير بني اسرائيل، بل يعتقدون عقيدة راسخة انه بعد ان ختمت صحف التوراة وكتب العهد القديم قد انقضى بعث الرسل وظهور الانبياء سواء كانوا من بني اسرائيل أو من غيرهم»^(٣). ويضيف ولفنسون، أن هذه العقيدة يجب أن لا تغرب عن الأذهان لأنها أساس كل ما حدث بين اليهود

(١) انظر ص ١٥٠ من هذا البحث.

(٢) انظر كتابات المستشرقين أمثال بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الترجمة العربية ص ٤٧، وفلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العشي، ص ٢٣.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٢٢.

والرسول من خلاف ونزاع ولولا وجودها لما حدث شيء من الخلاف^(١).

ويتضح من كلام ولفنسون بانه يصف الرسول ﷺ بالتعصب بطريقة مأكرة، ويتجاهل فشل اليهود في اقامة علاقات سلمية مع أي شعب جاورهم أو عايشهم، ففي يثرب نفسها اقتتل العرب واليهود كما اقتتل اليهود انفسهم ولم يطلب اليهم تغيير دينهم، وهذا كله يؤيد ما ذهبنا اليه^(٢) من أن الأسباب الاقتصادية والتعصب القومي وحب الاستعلاء هي الأسباب الحقيقية في خلافهم مع المسلمين.

وذهب أرنولد توينبي الى أبعد مما سبق بقوله: «إن الشعب اليهودي بعد ان اهتدى الى التوحيد سمح لنفسه ان تفتنه هذه الحقيقة، فترك اليهود لانفسهم العنان لتفتنهم حقيقة ناقصة، نسبية وموقوتة، ومدار تلك الحقيقة اعتبارهم السمو الروحي الذي بلغوه امتيازاً خلعه الرب عليهم وحدهم بموجب عهد أبدي يجعل منهم «شعب الله المختار»، وهكذا أضلتهم الحقيقة الناقصة فأردتهم في خطأ مميت»^(٣).

وهكذا أوجس الرسول خيفة من وجود اليهود أعداء بين ظهرانية فبعد ان ان قطعوا كل صلة حسنة مع المسلمين فأنزل الله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾^(٤).

كان بنو قينقاع قد ذهب بهم الغرور الى درجة الظن بانهم قادرون على هزيمة المسلمين كما يتضح من مقولتهم السابقة للرسول. وربما كان اليهود يعتمدون في غرورهم هذا على نصره جماعة المنافقين في المدينة بزعامة عبدالله بن أبي بن سلول وباقي الطوائف اليهودية الموجودة فيها، لأنه لا يعقل ان لا يعرف اليهود قوة المسلمين الحقيقية وهم يعيشون معهم في مدينة واحدة، كما لم يمض وقت طويل على هزيمة قريش في بدر من قبل هؤلاء المسلمين. ومهما يكن فقد تكفل الله تعالى بالرد عليهم بقوله: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ويشس المهاد، قد كان لكم آية

(١) المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر ص ١٥٨ من هذا البحث.

(٣) مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١٩٦٦م، ج ١ ص ٥٩.

(٤) سورة الانفال، آية ٥٨، انظر كذلك تفسير الطبري، ج ١ ص ١٩ وتفسير الرازي: ج ٥ ص ٨٢ بشأن تفسير الآية السابقة.

في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار»^(١).

سار الرسول ﷺ على رأس جماعة من المسلمين لحصار بني قينقاع في بيوتهم حتى ينزلوا على حكمه، وبعد حصار استمر خمسة عشر يوما، وافق اليهود على النزول على حكم رسول الله يفعل بهم ما يشاء. فكثفوا تمهيدا لقتل المحاربين منهم، فقام عبدالله بن أبي وقال للرسول: يا محمد أحسن في موالي، فأبطأ عليه النبي ﷺ، فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه النبي ﷺ، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فغضب - عليه الصلاة والسلام - حتى رأوا لوجهه ظللا وقال له: أرسلني ويحك، فقال ابن أبي لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة، إني امرؤ أخشى الدوائر، فقال ﷺ هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها^(٢). وقد حاول ابن أبي أن يبقئهم في المدينة وذلك بالسعي لدى رسول الله ﷺ، إلا أن بعض الصحابة ممن كانوا يقفون على باب الرسول منعوه من الدخول إليه وأدموا وجهه، ولما رأى بنو قينقاع ما أصاب صاحبهم خافوا وقالوا: «والله لا نقيم في بلد تشج فيه يا ابن أبي ولا نستطيع عنك دفاعا»^(٣).

وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج وزعيما الخزرج يومذاك هما سعد بن عبادة وعبدالله بن أبي بن سلول، أما الأول فقد أسلم وحسن اسلامه، ولما شاهد ما يفعله مواليه ذهب الى الرسول وتبرأ منهم، وأما ابن أبي فكان مخلصا لهم ومخلصون اليه فهو رأس المنافقين في المدينة. لم يجرؤ عبدالله بن أبي على نصره حلفائه يهود بني قينقاع خوفا من مواجهة جميع القبائل العربية في المدينة وبخاصة قبيلته الخزرج التي اعتنق معظم أفرادها الاسلام. ولذلك أراد أن يدفع اليهود لعلهم يستطيعون القضاء على الرسول ودعوته، متظاهرا بأنه إلى جانبهم، وأما بقية البطون اليهودية في المدينة فلم تساعد بني قينقاع في حربهم بسبب علاقات هذه الجماعات اليهودية مع كل من المسلمين واليهود من جهة ولأن هذه البطون ربما رأت أن الحق مع محمد ﷺ في حربهم بعد نقضهم

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٢، ١٣. انظر كذلك تفسير الرازي ج٧ ص ٢٠٢.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٤٨، والطبري، تاريخ ج٢ ص ٤٨٠.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٤٨.

للعهود والمواثيق من جهة ثانية . فقبيلتنا النضير وقرينة اليهوديتان - وهما أكبر القبائل اليهودية - كانتا في نزاع شديد مع بني قينقاع ، ولهم عند بعضهم ثارات دموية من قبل يوم بعث ، وزادها يوم بعث شدة واستعارا . كما ان هذه القبائل كانت ترتبط مع الأوس بعهود ومواثيق ليس من السهل عليها نقضها ، وكان معظم الأوس قد اعتنق الاسلام ومنهم عدد كبير كان في حصار بني قينقاع . وأما بقية اليهود في المدينة فكانوا مجموعة من البطون الصغيرة التي يعتقد بانها قبائل عربية متهودة ارتبطت مع القبائل العربية من الأوس والخزرج بأحلاف ، علاوة على ان شعورها القومي أضعف صلتها بالقبائل اليهودية الكبيرة ، ومن هنا ندرك ان بني قينقاع لم يكن امامهم الا فرصة الاستسلام والنزول على حكم الرسول ، على الرغم من أنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم ثراء لاشتغالهم بالصياغة والمجوهرات .

ومن الجدير بالذكر ان بعض الباحثين اعتبروا ان ثروة بني قينقاع هي التي جلبت عليهم حرب محمد ، أي أن الرسول أعلن الحرب عليهم طمعا في ثروتهم لاستعمالها في تخفيف الضائقة الاقتصادية التي كان يعاني منها المسلمون وبخاصة المهاجرون الذين كانوا في حالة من الفقر تبعث على الشفقة «على زعمهم»^(١) . وهذه الفرية لا أساس لها من الصحة ، سيما وان غنائم بدر قد وسعت على المسلمين وأنقذتهم من الضائقة التي يتحدث عنها هؤلاء .

أمر الرسول ﷺ باخراج بني قينقاع من المدينة ، فخرجوا يحملون أمتعتهم على جمالهم الى وادي القرى ، فأقاموا فيها زمنا ثم انتقلوا كلهم أو معظمهم الى بلاد الشام^(٢) ، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن اخبارهم بعد ذلك ، والراجح انهم تفرقوا في بلاد الشام والعراق .

وقد غنم المسلمون ما تبقى من أموال بني قينقاع وأخذ الرسول ثلاث قسي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح ، ووجدوا في بيوتهم سلاحا كثيرا وآلات صياغة ، وخمس الرسول ما أصاب منهم وقسم ما بقي على أصحابه^(٣) . وكان هذا أول خمس خمس

(١) انظر فلهاوزن ، المرجع السابق ، ترجمة يوسف العش ، ص ٢٢ ، ودر منقم ، حياة محمد ، ترجمة عادل زعير ، ص ٢٣٩ . وولفنسون ، -المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر المقرئزي ، إمتاع الاسماع - ص ١٠٥ .

(٣) انظر ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ٢٩ .

لرسول في الاسلام^(١). واستخلف رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا بابة بن عبد المنذر وحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وكان أبيض ولم يكن الرايات يومئذ^(٢).

وفي ختام حديثنا عن غزوة بني قينقاع يجدر بنا ان نشير الى الملاحظتين التاليتين :

لأولى : إن اجلاء بني قينقاع من داخل المدينة يدل على تصرف سياسي آية في الدلالة على الحكمة وبعد النظر^(٣). وهذه الخطوة لا بد منها للتمكن من مواجهة الأعداء خارج المدينة، وهذا الأسلوب ما زال متبعاً في الحروب الى يومنا هذا، وهو ما يدعى «بتأمين الجبهة الداخلية» وسيبقى متبعاً الى ما شاء الله.

الثانية : استعمل الرسول ﷺ في حربهم خطة عسكرية في غاية الاحكام، وهذه الخطة تقوم على محاصرتهم في دورهم، ووجد الرسول ان هذه الخطة كفيلة بتحقيق النتائج التي يريدونها وهي استسلامهم دون خسائر تذكر. وقد بنى الرسول ﷺ خطته على اعتبارين اثنين هما :

١ - إن بني قينقاع يعيشون مما يصوغونه من حلي ومصنوعات أخرى، وبذلك فهم يعتمدون على غيرهم في تأمين الطعام اللازم والحصار كفيل بقطع الطعام عنهم، فهم والحالة هذه لا يستطيعون المقاومة طويلاً.

٢ - أدى الحصار الى إضعاف روحهم المعنوية فقد أصبحوا محصورين من جميع الجهات لا يخف لنجدتهم يهودي أو منافق، وفي مثل هذا الجو تنتشر الاشاعات والمخاوف عما سيحل بهم، فساد بينهم جو من الفزع والرهبة أدى الى استسلامهم. وهكذا اضاف المسلمون نجاحاً آخر الى نجاحهم في بدر وكان لهذا الانتصار أثره على المنافقين وبقية اليهود في المدينة، فقد خفت صوت المنافقين

(١). انظر الطبري : تاريخ ج ٢ ص ٤٨١.

(٢). انظر المقرئ : إمتاع الاسماع ج ١ ص ١٠٥.

(٣). انظر محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٢٨١.

وقل عددهم، كما أصيب بقية اليهود من قريظة والنضير بالرعب والخوف. وبالنسبة للمسلمين دخل في الاسلام اناس جدد وقويت هيبة المسلمين داخل المدينة وخارجها، وازداد المسلمون منعة بما غنموه من أموال بني قينقاع وأصبحت لديهم القوة المادية والبشرية الكافية للقيام بحروب أكبر اذا تطلب الامر ذلك.

★ موقف اليهود بعد جلاء بني قينقاع :

ازداد المسلمون تمسكا بدينهم بعد هذه النجاحات التي أحرزوها في بدر وفي المدينة، فأصبحوا أكثر استعدادا للتضحية في سبيل ما يؤمنون به، ولذلك ما ان ارتفع صوت عصماء بنت مروان «من بني أمية» بالشعر تؤذي به الرسول ﷺ وتعييب الاسلام، وتحرض على المسلمين حتى سارع اليها عمير بن عدي - وهو من المسلمين من بني خطمة وخطمة هي قبيلة زوج عصماء - ودخل عليها ليلا ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها^(١). ولقي أبي عفك اليهودي نفس المصير على يد سالم بن عمير بن ثابت، اذ دخل عليه في ليلة صائفة فناء داره، حيث كان ينام أبي عفك، فأقبل سالم ووضع السيف على كبده حتى قتله^(٢). وقد وجد المسلمون ان من الأفضل لهم ان يتخلصوا من اعدائهم في الداخل قبل ان تحين ساعة المواجهة مع قريش التي وصلت اخبار استعداداتها للثأر الى المدينة. ولمس المسلمون استعداد اليهود لمساعدة قريش، وقد نزل ابو سفيان وجماعته في غزوة السويق على سلام بن مشكم سيد بني النضير، وقدم هذا اليه الطعام والشراب، كما زوده باخبار المسلمين. وهذه الحادثة ربما تشير الى صلة قديمة بين يهود المدينة وكفار قريش وتآمرهم على المسلمين، اذ لا يعقل ان يخاطر ابو سفيان بنفسه وبمائتي راكب من قريش معه، ويدخل بهم المدينة دون علم بمساعدة اليهود له، وكتمانهم أمره حتى يوقع الأذى بالمسلمين، فقد قتل ابو سفيان احد الأنصار وحليفا له ثم انصرفوا منهزمين ليلا^(٣).

(١) انظر المقرئزي: إمتاع الاسماع: ج١ ص ١٠٢.

(٢) انظر المرجع السابق ج١ ص ١٠٣ «تذكر بعض المصادر التاريخية أن أبا عفك، هو عربي من بني عمرو بن عوف وتصفه بعضها بأنه يهودي، ولعله يهودي من اليهود الموالين لقبيلة بني عوف الخزرجية وقد اختلف في تفسير ايها قتل أولا عصماء أم أبو عفك؟» انظر ابن سعد: الطبقات ج٢ ص ٢٧، ٢٨، والديا بكري، الخميس في أحوال أنفوس نفيس، ج١ ص ٤٠٦-٤١٢، والسمهودي: وفاء الوفاء ج١ ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٤٤، الواقدي: المغازي ج١ ص ١٨١. ابن سعد: الطبقات، ج٢.

★ مقتل كعب بن الأشرف :

وهو من طيء وأمه من بني النضير من اليهود، وكان ميالا لآخواله أكثر من أهله واعتبر من اليهود، كما يستفاد من أكثر الروايات التي تعرضت له. وكان ابن الأشرف شاعرا سخر شعره للطعن بالرسول وجماعة المسلمين وهو الذي قال حين علم بمقتل سادات مكة يوم بدر «هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها، هؤلاء سراة الناس قد قتلوا وأسروا. وخاطب قومه قائلا فما عندكم؟ قالوا عداوته «أي النبي ﷺ» ما حيننا^(١). وخرج من المدينة الى مكة ليحرض على محمد وينشد الاشعار ويبكي اصحاب القليب^(٢)، وهو الذي رجع بعد ذلك الى المدينة وجعل يشبب بنساء المسلمين، وقد ندب الرسول حسان بن ثابت للرد عليه وهجاء من ينزل عليه من كفار مكة، فلا يزال يهجوهم حتى نبذ رحله، فلما لم يجد مأوى عاد الى المدينة ينهش أعراض المسلمين بشعره. وجاء في شرح المواهب اللدنية: «ان ابن الاشرف كان طويلا جسيما ذا بطن وهامة، شاعرا مجيدا، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطي احبار اليهود ويصلهم، فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءه احبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة لآخذ صلته على عادته فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل؟ قالوا: هو الذي كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيئا، فقال لهم: قد حرمتهم كثيرا من الخير، ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثيرة، فرجعوا عنه خائبين، ثم رجعوا اليه فقالوا له: انا تعجلنا فيما أخبرناك به أولا، ولما استوثقنا علمنا أننا أخطأنا وليس هو النبي المنتظر، فرضي عنهم ووصلهم، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئا من ماله...»^(٣).

وهذه الرواية تدل على شدة بغضه وعداوته للمسلمين، وكما هو واضح فان سبب هذا العداء يرجع الى مكانة ابن الاشرف في قومه وخوفه على ماله، فهو في موقفه هذا حريص على الجاه والثروة وهي امور يحاربها الاسلام. وقد نصح الناصحون كعب بن الاشرف ان يكف عن أذاه ويؤوب الى رشده ويتعض بما سمعه وراه، ولكنه تمادى في طغيانه وغدره وأبى أن ينزع عن كيد وفجوره، فأهدر النبي ﷺ دمه^(٤).

(١) انظر ابن هشام، السيرة «طبعة حجازي» ج٢ ص ٤٣١، والواقدي: المغازي ج١ ص ١٨٥.

(٢) القليب: بئر قديمة القى المسلمون فيها قتلى المشركين في بدر.

(٣) الزرقاني: ج٢ ص ٨.

(٤) انظر محمد سيد طنطاوي: بنو اسرائيل في القرآن والسنة ج١ ص ٣٤٩.

جاء في بعض الاحاديث: «حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا سفيان، قال عمرو سمعت جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما يقول: «قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذنى الله ورسوله؟ فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله اتحب ان اقتله؟ قال: نعم قال فاذن لي ان اقول شيئاً؟ قال: قل فأتاه محمد بن مسلمة، فقال ان هذا الرجل قد سألناه صدقة، وأنه قد عتانا، وإنني أتيتك استسلفك، قال وأيضاً والله لتملّنه، قال إنا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه، وقد اردنا ان تسلفنا وسقا او وسقين، وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقا أو وسقين، أو فقلت له فيه وسقا أو وسقين^(١)، فقال نعم ارهنوني، قالوا أي شيء تريد؟ قال ارهنوني نساءكم، قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال فارهنوني ابناءكم، قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيسب احدهم، فيقال رهن بوسق او وسقين، هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة، قال سفيان: يعني السلاح، فواعده ان يأتيه فجاءه ليلاً ومعه ابوناثة، وهو اخو كعب من الرضاعة، فدعاهم الى الحصن، فنزل اليهم فقالت له امرأته: اين تخرج هذه الساعة؟ فقال انما هو محمد بن مسلمة وأخي ابوناثة، وقال غير عمرو، قالت اسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو اخي محمد بن مسلمة، ورضياعي ابوناثة، إن الكريم لودعي الى طعنة بليل لأجاب، قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلاً قتل سماهم عمرو؟ قال سمى بعضهم، قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو، أبو عيسى بن جبر والحارث بن اوس وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، فقال إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه، فإذا رأيتهموني استمكنك من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال ما رأيت كاليوم ريحاً، اي اطيّب، وقال غير عمرو: قال عندي اعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال اتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال نعم، فشمه ثم شم اصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال نعم، فلما استمكن منه، قال دونكم فقتلوه، ثم اتوا النبي ﷺ فأخبروه^(٢).

وقد وردت قصة مقتل ابن الأشرف بروايات مختلفة في التفاصيل متفقة في الهدف، كلها تقول بانتداب محمد بن مسلمة وجماعته من المسلمين لقتله فقتلوه احتيالا، كما سبق.

(١) الوسق: بفتح أو كسر ثم سكون، ستون صاعاً، أنظر صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٦ والهامش.

(٢) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٧٦-٧٧، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٨٤.

وقد دفعت هذه الطريقة في قتل ابن الأشرف بعض المستشرقين ومن في قلوبهم مرض الى القول: ان مقتل ابن الاشرف كان غدرا وغيلة وخيانة .

وقد دفع هذه التهمة جماعة من علماء المسلمين بقولهم : «أولا : كعب بن الأشرف كان قد عاهد النبي ﷺ على ان لا يعين عليه احدا ولكنه نقض العهد ، فقد رحل الى قريش بعد بدر ورثى قتلهم وحرضهم على قتال النبي ﷺ وفضل دين الجاهلية على دين الاسلام ، وجاهر بعداواته للمسلمين .

وجاءت أحاديث متعددة تفيد ان الرسول ﷺ ما اذن في قتل ابن الاشرف الا بعد ان نقض العهد وامعن في ايذاء المسلمين ، ومن هذه الاحاديث ما رواه ابن ابي اويس عن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن مسلمة عن ابيه عن جابر بن عبدالله ان كعب بن الأشرف عاهد رسول الله ﷺ الا يعين عليه ولا يقاتله ثم نقض عهده ولحق بمكة ، ثم قدم المدينة معلنا معاداة النبي ﷺ وكان اول هجائه للنبي ﷺ فندب له الرسول من قتله^(١) .

وقد جاء اليهود الى رسول الله ﷺ بعد قتل كعب بن الاشرف فقالوا له يا محمد : قد طرق - اي قتل - صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا ، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه ، فقال رسول الله ﷺ وسلم ، انه لو قرّر كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه آذانا وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا احد منكم إلا كان للسيف^(٢) .

ثانيا : كعب بن الأشرف بإيذائه للنبي ﷺ وهجائه له ، اصبح مهدر الدم ولا يعصم دمه بأمان ولا عهد .

وقد عقد الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فصلا ضافيا لتحقيق هذه المسألة فقال ما ملخصه : «الحديث الثالث ما احتج الشافعي على ان الذمي إذا سب الرسول ﷺ قتل وبرئت منه الذمة ، وهو قصة كعب بن الأشرف اليهودي^(٣)» وقد رويت أحاديث عدة كلها تفيد قتل الذمي إذا سب الرسول او قصد إيقاع الأذى به^(٤) .

(١) انظر ابن تيمية ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، دار الفكر - بيروت ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق والصفحة . انظر كذلك القاضي عياض بن يوسف اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - الباب الثاني في حكم سباب الرسول وشاتمته ، مخطوط رقم ٢٥٠ / ٤٠ ، خزانة القرويين - فاس - المغرب .

(٣) ذكر ابن تيمية قبل ذلك حديثين استدلل بهما على ان من سب الرسول ﷺ يقتل وهذا هو الحديث الثالث . انظر المرجع السابق ص ٧١ وما بعدها .

(٤) . انظر القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، المرجع السابق ، الباب الثاني في حكم سباب =

وقد بعث قتل ابن الأشرف الذعر في قلوب اليهود والمنافقين ويظهر هذا في قول محمد بن مسلمة معلقا على قتله لكعب: « . . . فأصبحنا وقد خافت اليهود لوقعتنا بعددو الله ، فليس بها - اي المدينة - يهودي إلا وهو يخاف على نفسه »^(١) وروي عن الرسول ﷺ قوله بعد مقتل ابن الأشرف: « من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيته وهو من تجار اليهود وقتله ، فغضب حويصة وقام يضربه ويقول: أي عدو الله ، أقتلته ، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ، فرد عليه محيصة قائلا: والله لقد امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضربت عنقك . . . فقال حويصة: والله إن ديننا بلغ بك هذا لعجب! فأسلم حويصة »^(٢) .

ومن هذه القصة ندرك ان المسلمين كانوا في حالة حرب مع اليهود بين بدر وأحد وأن الرسول اراد ان يقضي على شوكة اليهود ويجعلهم في حال لا يستطيعون معها الوقوف في وجه الدعوة الاسلامية أو مناصرة قريش وأحلافها على ذلك . وقد نجح الرسول ﷺ في بعث الرعب في قلوب اليهود فقدموا إليه وطلبوا منه الأمان فدعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحا حتى لا يتعرضوا لما تعرض له كعب بن الأشرف ، فكتبوا بذلك كتابا يعتقد بأنه كان مع علي رضي الله عنه فيما بعد^(٣) .

★ غزوة بني النضير:

نزل بنو النضير في شمال المدينة عند وادي بطحان أو «بطحان» وقد ذكر اهل السير ان اليهود لما قدموا المدينة نزلوا السافلة فاستوخموها فاتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزورا وهما واديان يهبطان من حرة هناك تنصب منها مياه عذبة ، فاتخذ بها بنو النضير الحدائق والآطام واقاموا بها الى ان غزاهم النبي ﷺ^(٤) . وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين او ثلاثة وكانت لهم مزارع النخيل والآطام والحصون التي لا زالت بعض آثارها باقية .

= الرسول وشاتمته ، وابن تيمية ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٧١ وما بعدها .

(١) انظر ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ص ٥٧ .

(٢) انظر ابن هشام المصدر السابق ج٢ ص ٥٨ .

(٣) انظر ابن سعد ، الطبقات ج٢ ص ٣٤ .

(٤) انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٢ ص ٢١٦ .

★ تاريخ الغزوة:

ذكرها بعضهم في السنة الثالثة الهجرية قبل احد، وقال الزهري: كانت على رأس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد، وذكرها ابن إسحاق والطبري وابن سعد والواقدي في السنة الرابعة الهجرية بعد معركة احد^(١). وأنا أميل إلى أنها حدثت بعد أحد لاتساق الحوادث التاريخية الدالة عليها.

★ أسباب الغزوة:

تعود اسباب هذه الغزوة الى طبيعة الاحوال التي سادت منطقة الحجاز بين بدر واحد، ففي هذه الفترة اتضح أن الصراع بين محمد وقريش صراع حياة أو موت فحاول كل طرف أن يحشد ما يمكنه من امكانيات وان يتخذ ما يستطيعه من اجراءات تضمن له النصر على خصمه. ولذلك سادت الروح الحربية منطقة الحجاز كلها، وتأثر سكان هذه المنطقة بريح الحرب التي تهب من مكة والمدينة، فقد وجد الرسول ﷺ نفسه ملزماً بتأمين قاعدته «المدينة» سليمة وقوية لا ثغرة ضعف فيها، كما تحركت سراياه على طول طريق قريش التجارية الساحلية من مكة الى فلسطين وقد حققت هذه الغزوات هدفين، اولهما تأمين مواصلات المدينة مع الشمال ومنع تهديد القبائل العربية من هذه الجهة وذلك بردع هذه القبائل او بعقد تحالفات معها، وثانيهما حصار قريش حصاراً اقتصادياً بتهديد هذا الطريق الحيوي حتى تضطر قريش للخضوع لأهدافه.

وهناك رواية يقول صاحبها بأنها صحيحة الأسناد في سبب غزوة بني النضير ومجملها ان كفار قريش توعدوا كفار المدينة ومنافقيها ان لم يقاتلوا محمداً ويخرجوه من المدينة، ولما بلغ الرسول ﷺ ذلك، خاطب الكفار والمنافقين الذين اجتمعوا على كيدهم، وذكّرهم بأنهم إنما يقاتلون أبناءهم وإخوانهم، فتفرق هؤلاء وانصرفوا عن مكيدتهم. ولما علمت قريش بذلك كاتبت اليهود بعد بدر وحرضتهم على محمد واصحابه وتوعدتهم بالقتل وسبي النساء ان لم يقاتلوا محمداً . . . وأجمعت بنو النضير على غدر محمد ﷺ^(٢).

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ١٩٠. الواقدي، المغازي: ج١ ص ٣٦٣. ابن سعد، الطبقات ج٢ ص ٥٧، وصحيح البخاري ج٥ ص ٧٤. الطبري: تاريخ، ج٢ ص ٥٥٠، والسمهودي وفاء الوفاء ج٣ ص ٢٩٧.

(٢) ابن علي الشامي، سبل الهدى والرشاد، مخطوط سبق ذكره، ج٤ «الباب الثاني عشر».

وفي مجال عمله ﷺ على تأمين قاعدته الأمنية «المدينة» عقد التحالفات والمعاهدات مع القبائل اليهودية لضمان وحدة هذه القاعدة، وتأكيدا لاحترامه للكيان اليهودي فيها.

وبعد بدر كشف اليهود من بني النضير عن نياتهم الحقيقية وظهروا حقدهم وبغيتهم وحسدكم لانصار المسلمين . وقام كعب بن الأشرف الذي كان ينتمي لبني النضير بما قام به . ونقض بنو النضير عهودهم مع الرسول مرة ثانية عندما آوى زعيمهم سلام بن مشكم ، أبا سفيان بن حرب في غزوة السويق^(١) وارشدته الى مواطن ضعف المسلمين .

ونقض ثالث لهذه الموائيق تظاهر به اليهود عندما كان المسلمون يتجهزون ليوم أحد، فلما وصلت انباء استعدادات قريش لهذه المعركة ارجف اليهود وظهروا غايتهم^(٢) ، ونشطوا في اتصالاتهم مع المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول . والمعروف ان ابن سلول كان حليفا لبني قينقاع بينما كان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء للأوس وكان بين الطرفين ثارات ودماء فتجاوز يهود بني النضير هذه الثارات وهذه الدماء واحسنوا علاقاتهم مع ابن أبي بن سلول زعيم المنافقين ، كل ذلك عداء للمسلمين واستعدادا لحربهم . وقد رفضوا الاشتراك مع المسلمين في معركة احد سواء بسلاحهم او بأموالهم او برجالهم ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك في نقضهم للعهد، فقد انضموا الى عبدالله بن أبي وشكلوا جيشا مستقلا عن جيش المسلمين وتظاهروا بالخروج مع المسلمين فلما كانوا في ثلث الطريق رجعوا حتى يثيروا الشك في صفوف المسلمين ويبعثوا في نفوسهم الخوف . وكان المسلمون قد انقسموا في رأيهم حول البقاء في المدينة او الخروج لملاقاة العدو خارجها الى قسمين ، وكان رأي ابن ابي التحرز بالمدينة وعدم الخروج وهذا هو رأي الرسول ﷺ . غير ان رأي الرسول ﷺ كان اجتهادا ورأي ابن ابي سلول كان مخالفة للجماعة .

وجد الرسول ان بني النضير لا يختلفون في موقفهم عن باقي القبائل العربية المعادية التي كانت تتجمع لغزو المدينة بعد احد ، فأراد أن يطبق عليهم نفس سياسة

(١) أغار أبو سفيان بعد بدر على المدينة ونزل على سلام بن مشكم الذي آواه وساعده، وقد قتل أبو سفيان بمن معه رجلا من الأنصار وحرقوا بيتين ونحلا ثم انهزموا وفي طريق عودتهم رموا بما معهم من السويق وهو زاد المسائر من طحين الحنطة والشعير بعد تحميمه، وقد يلت بالبن والعسل والسمن، والماء، ومن أجل ذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق، انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٢٠٤ .

(٢) انظر الواقدي: المغازي ج١ ص ٢٠٤ ، وابن سعد: الطبقات، ج٢ ص ٣٧ .

الردع التي اتبعها تجاه هذه القبائل . ولذلك كانت غزوة بني النضير عملاً وقائياً . وإذا أضفنا إلى ما سبق من أسباب الحالة التي سادت بعد انكسار المسلمين في أحد، وتعرضهم لبعض المصائب في الرجيع وبئر معونة^(١)، أدركنا أن هذه الظروف كافية ليعرف المسلمون أصدقاءهم وأعداءهم، ولو لم يتربص اليهود الدوائر بالمسلمين لما غزاها الرسول في هذه الظروف الحرجة التي توحى بأن عهد فناء المسلمين أصبح وشيكاً .

وقد يتبادر إلى الذهن أن اليهود لم يكونوا ملزمين بالخروج مع الرسول في يوم أحد متعللين بأن الاتفاق لا يلزمهم إلا بالدفاع عن المدينة وليس عليهم أن يخرجوا للقتال خارجها، غير أنني أجد أن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى وجود اتفاقية مع بني النضير تلزمهم بمثل هذا الخروج، وذلك للأسباب التالية :

١ - لم يطلب الرسول من بني قريظة أن يخرجوا معه، وهم يهود يسكنون إلى جوار بني النضير والاتفاقيات الموجودة بين الطرفين متساوية في الحقوق والواجبات مما يدلنا على وجود اتفاقية خاصة مع بني النضير تلزمهم بالاشتراك مع المسلمين في الحرب خارج المدينة ولا تلزم إخوانهم من بني قريظة .

٢ - خروجهم أول الأمر مع جيش المنافقين إلى الثنية للاشتراك مع المسلمين في يوم أحد ثم انخذاهم ورجوعهم من ثلث الطريق . فلو لم يكن هناك اتفاق يلزمهم بالخروج لما خرجوا .

٣ - عندما خرج المسلمون من المدينة لحرب الكفار يوم أحد جاء بني النضير مخيريق اليهودي وقال لهم : يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق،

(١) الرجيع هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالنفر السبعة الذين بعثهم رسول الله ﷺ لنشر الإسلام بين هذه القبائل، وقال ابن اسحاق والواقدي الرجيع ماء لهذيل قرب الهداة بين مكة والطائف، وقد ذكره أبو ذؤيب فقال : رأيت وأهلي بواد الرجيع وأهلي من أرض قبلة برقاً مليحاً . . . ياقوت، معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٨-٢٢٩، بئر معونة : وهو بين أرض عامر وحرّة بني سليم، حيث غدر بنو سليم بعدد من المسلمين معن أرسلهم الرسول مع أبي البراء ملاعب الأسمه لتفقيه أهل نجد بالإسلام . وقال حسان بن ثابت يرثي من قتل غدرًا فيها :

على قتلى معونة فاستهلي	بدمع العين سحا غير نُزُر
على خيل الرسول غداة لا قوا	ولا قتهم مناياهم بقدر

ياقوت، معجم البلدان . ح ٨ ص ١٠١ .

قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم^(١). وقد حارب مخيريق يوم احد حتى قتل واوصى بأمواله لمحمد وأصحابه، وهذه الحادثة تدل على أنهم كانوا ملزمين بالحرب مع محمد ﷺ ولكنهم تعللوا بالسبت.

إن ما ذكرناه سابقا لا يتعارض مع الأحاديث التي تقول بالتزام اليهود بالحرب الدفاعية مع المسلمين، وذلك لأن غزوة أحد كانت دفاعاً عن المدينة لأن قريشا وأحلافها كانت في طريقها لمهاجمة المدينة، ولولا خروج المسلمين لملاقاة عدوهم لهاجمهم الأعداء في عقر دارهم تماما كما حدث في غزوة الخندق التي سيأتي تفصيلها.

وهكذا نجد ان كل الدلائل تشير الى نقض بني النضير لعهدهم مع المسلمين وانضمامهم لجانب المشركين والمنافقين. ويذكر بعض المؤرخين قصة اعتبروها السبب المباشر لانفجار الأزمة بين يهود بني النضير والمسلمين وملخص هذه القصة ان جمعا من المسلمين قتل ببئر معونة، وسبب ذلك ان ابا براء بن عازب بن عامر بن مالك الملقب ملاعب الأسنة، سيد بني عامر بن صعصعة قدم إلى المدينة وعرض على رسول الله ﷺ ان يبعث معه الى قومه عددا من المسلمين الى اهل نجد للدعوة الى الاسلام، ولما اوجس الرسول خيفة من اهل نجد، قال ابو براء: انا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا وقيل اربعين فلما نزل هؤلاء بئر معونة في طريقهم الى نجد، بعثوا رسولا منهم يحمل كتابا من النبي ﷺ الى عامر ابن الطفيل، ولما اتاه لم ينظر الى الكتاب وعدا على حامله وقتله، ثم استصرخ بني عامر فلم يجيبوه حتى لا يخفروا ذمة ابي براء، فاستصرخ بني سليم فأجابوه وخرجوا للإحاطة بجماعة المسلمين وقتلوهم عن آخرهم الا رجلا أو رجلين من بينهم عمرو بن أمية. وعاد هذا الى المدينة لأخبار الرسول بما اصاب جماعته، وفي طريقه لقي رجلين من بني عامر فقتلتهما. ولما اخبر النبي بذلك قال له: لقد قتلت قتيلين لأديهما وكان هذان الرجلان قد اخذا جوار النبي قبل انطلاقيهما من المدينة، فقتلتهما عمرو وهو لا يعلم بجوارهما^(٢).

ولما علم عامر بن الطفيل بمقتل صاحبيه وجوارهما ارسل الى النبي يطلب دية العامريين فخرج الرسول الى حلفائه من بني النضير يستعينهم في امر الدية، وكان معه

(١) انظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٨٨.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ١١١، ١١٢، والسهيلي: الروض الأنف، جـ ٣ ص ٢٣٨ وما بعدها.

عدد من الصحابة . وتظاهر اليهود بتلبية الطلب، وجلس ينتظر وفاءهم بما وعدوا . ولكن اليهود تآمروا على قتله في هذه اللحظة لوجوده بين عدد قليل من اصحابه، وإلى جانب جدار من ابنيهم . وقالوا لبعضهم من منكم يصعد هذا الجدار ويلقي عليه صخرة يريحنها منه؟ وتطوع عمرو بن جحاش اليهودي للقيام بهذه المهمة . ولما اوشك ابن جحاش على تنفيذ مهمته أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله بما يراد به من مكيدتهم ، فنهض من مكانه وعاد الى المدينة مسرعا . ولما طال انتظار الصحابة وهم يظنون ان الرسول انما ذهب لقضاء حاجة ، عادوا ايضا الى المدينة فوجدوا ان الرسول قد سبقهم إليها . فأخبرهم رسول الله الخبر بما عزم عليه اليهود للغدر به وقتله^(١) .

ينكر ولفنسون هذه القصة ويستدل على انكاره بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت ببني النضير، ويذهب الى ان هذه الحادثة لو صحت غير كافية لاشهار الحرب على جميع بطون بني النضير لأننا نعلم من نص المعاهدة الكبيرة بين الرسول واليهود ان كل جرم من جهة فرد او عدة افراد يقع وزره على فاعليه، وأهل بيتهم دون ان يمس غيرهم بشيء من الأذى، ويضيف ولفنسون الى رأيه هذا قوله «والذي يظهر لكل ذي عينين ان بني النضير لو كانوا ينوون اغتياله غدرا لما كان هناك ضرورة لالقاء الصخرة عليه من فوق الحائط، بل كان باستطاعتهم ان يفاجئوه وهو يحادثهم إذ لم يكن معه غير قليل من اصحابه»^(٢) .

وجاء في بعض الروايات ان اليهود تواعدت مع الرسول ان يلتقوا في جمع من الطرفين ، من كل ثلاثة نفر ليسمعوا منه ويؤمنوا به إن صدقوه، وإنما كانوا يريدون الغدر به، فقد اشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر وارادوا الفتك برسول الله فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما اراده بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل اخوها سريعا حتى ادرك رسول الله ﷺ فسأره بخبرهم قبل ان يصل اليهم، فخرج رسول الله الى المدينة^(٣) .

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ١٩٠، والواقدي: المغازي: ج١ ص ٣٦٣-٣٦٤، وابن سعد: الطبقات ج٢ ص ٥٧، والبلاذري: انساب الاشراف ج١ ص ٣٣٩، وصحيح البخاري ج٥ ص ٧٤، والطبري، تاريخ ج٢ ص ٥٥١، وابن الأثير، الكامل ج٢ ص ١١٣ .

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٣٦-١٣٧ .

(٣) انظر شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مخطوط سبق ذكره ج٤ «الباب الخامس عشر: غزوة بني النضير» - المخطوط غير مرقم .

وإزاء ما سبق من روايات لا يسعنا استبعاد محاولة الغدر هذه سيما وان اليهود حاولوا بعد هذه المحاولة اغتيال الرسول بالسم ، ولا يوجد سبب يدفعنا الى تكذيب هذه المحاولة التي تتفق واتساق ما قبلها من حوادث . وربما ان اليهود لجأوا إلى طريقة الغدر بالصخرة لاعتقادهم بأنه من السهل عليهم تبريرها فيما بعد ، ليتخلصوا من انتقام المسلمين . وربما كان الجدار قديما تعلوه بعض الحجارة الكبيرة المبعثرة مما يسهل عليهم ان يحتجوا بانها هذه الحجارة من على الجدار سيما وان الناس كانوا يجلسون عادة على الجدران والسطوح .

يذهب مؤنقمري وات إلى أن سبب الغزوة إنما هو لرفع الروح المعنوية عند المسلمين بعد سلسلة من الهزائم التي منوا بها^(١) .

والذي اراه ان غزوة بني النضير لا تعود لسبب واحد بعينه ، وانما هي وليدة مجموعة من الأسباب نتجت عن العلاقات بين المسلمين واليهود ، وقد توالى هذه الأحداث من جانب اليهود ، بحيث لم يعد بالامكان السكوت عنها اذا اراد المسلمون لأنفسهم ظهيرا امينا في حربهم المستمرة مع الوثنية في جزيرة العرب .

★ حوادث الغزوة :

بعث الرسول ﷺ محمد بن مسلمة الى اليهود وقال له : اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم ، ان رسول الله ﷺ أرسل اليكم ان اخرجوا من بلده ، فإنكم قد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر . وقد اجلتكم عشرا فمن روي بعد ذلك ضربت عنقه^(٢) . وأسقط في أيديهم من هذا الأندار وقالوا لمحمد بن مسلمة : «يا محمد : ما كنا نرى ان يأتي بهذا رجل من الأوس ، فأجابهم محمد : تغيرت القلوب^(٣) ونزل بنو النضير على حكم الرسول ومكثوا اياما يتجهزون وارسلوا إلى ظُهر لهم بذى الجدر ، وتكاثروا من أناس من أشجع إبلا ، فأرسل اليهم عبدالله بن ابي : «لاتخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم فإن معي الفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم ، وتمدكم

(١) انظر "Muhammad prophet & states Man," P. 151

(٢) انظر المقرئزي ، إمتاع الاسماع ج١ ص ١٧٨-١٧٩ .

(٣) الواقدي : المغازي ج١ ص ٣٦٧ .

قريظة وحلفاؤكم من غطفان»^(١). تغير موقف اليهود، وبعث فيهم قول ابن ابي شجاعة جديدة، فأرسل حيي بن اخطب الى الرسول من يقول له: «إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك»^(٢). وكان بعض اليهود من بني النضير لا يثقون بحيي وصدق مقالته، وقد نصح سلام بم مشكم حيي بعدم الاهتمام بمقالة ابن ابي مذكرا إياه بأنه إنما يريد ان يورط بني النضير في الهلكة ويجلس في بيته كما فعل مع بني قينقاع حلفائه^(٣). ولما جد الجد تخلى عنهم ابن ابي، كما ان بني قريظة تمسكت بعهدهما مع الرسول ولم تناصرهم، وكان على اليهود ان لا يسمعو لنصيحة ابن ابي الذي نكث بوعده لحلفائه بني قينقاع، فكيف به ينصر من لا زالت سيوفهم تقطر من دم قومه.

ولما انقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم، سار المسلمون اليهم والقوا عليهم الحصار. وقد تحصن اليهود في أطامهم وحصونهم وعندهم الماء الوافر والطعام الكافي، كما زادوا في تحصين بعض مواقعهم برمي الحجارة في الطرقات والأزقة حتى يمنعو المسلمين من التقدم. وقد اشار القرآن الكريم إلى تحريض ابن ابي لليهود بعدم الخروج بقوله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لأخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب، لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا، وإن قوتلتهم لننصركم والله يشهد إنهم لكاذبون، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾^(٤).

ومما يجدر ذكره ان اليهود عندما يشعرون بالخطر يسارعون إلى الاعتصام بحصونهم وإلى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى معصنة أو من وراء جدر﴾^(٥).

مكث الرسول في حصارهم عشرين يوما، وكانت حصونهم مانعة ولذلك لجأ الرسول الى وسيلة اخرى ينهي بها الحصار ويخفف عن المسلمين ويجبر اليهود على الاستسلام، فأمر جنده بأن يقطعوا النخيل ويحرقوه، وهو المورد الرئيسي لرزقهم، واراد

(١) ابن سعد: الطبقات ج٢ ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية ج٢ ص ٢٧٨.

(٤) سورة الحشر، الآيات: ١١-١٢. انظر كذلك التفسير الكبير للرازي، ج٢٩ ص ٢٨٨.

(٥) سورة الحشر، آية: ١٤.

الرسول من هذا الاجراء احد امرين : إما أن يخرج اليهود من حصونهم ليقاتلوا عن اموالهم وبذلك يسهل على المسلمين التخلص منهم ، أو أن يضعف تعلقهم بأرضهم ، وبذلك تضعف معنوياتهم ولا يبقى لديهم شيء يستحق ان يدافعوا عنه بعد ذهاب اشجارهم ، وجزع اليهود جزعا شديداً من هذا الاجراء ونادوا : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها^(١) . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾^(٢) . وقد تسبب قطع النخل في تسرب اليأس الى قلوب اليهود فاستسلموا ونزلوا على حكم الرسول ﷺ . والذي زاد من يأسهم انهم انتظروا ان يتقدم احد من العرب او اليهود لنجدتهم ، ولما لم ينجدوا ادركوا سوء مصيرهم اذا اصرروا على متابعة القتال . فسألوا الرسول ﷺ ان يؤمنهم على اموالهم ودمائهم وذرائعهم حتى يخرجوا من المدينة ، فقبل منهم الرسول على ان يخرجوا منها ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من اموالهم إلا الحلقة « السلاح » . فاحتملوا من الأموال ما استطاعت الإبل ان تحمل وخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى اذرعات في بلاد الشام ، وكان من اشرافهم الذين نزلوا خيبر ودانت لهم اهلها : سلام بن ابي الحقيق وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ، وحبي بن اخطب^(٣) .

وقد نزلت سورة الحشر بمناسبة إجلاء بني النضير تقص ما اصابهم من نقمة الله سبحانه وتعالى وتصف مكرهم ونفاقهم ، وهي في نفس الوقت دليل على اهمية انتصار المسلمين في هذه الغزوة وما لها من قيمة على مستقبل الجماعة الإسلامية . وقد اشارت بعض آيات هذه السورة إلى أن اليهود كانوا يخربون بيوتهم قبل ان يرحلوا منها ﴿ يُخْرِبُونَ بَيْوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾^(٤) .

وأرى أن اليهود كانوا يهدمون بيوتهم حتى لا يستفيد منها المسلمون بعدهم وقد عرفت الشعوب القديمة هذا الاسلوب ولا زالت الشعوب الحديثة تحرص عليه ولا تسمح بوقوع شيء بأيدي العدو يستفيد منه . وقد ذهب البعض في تحليل هذه الظاهرة غير هذا المذهب فزعموا ان اليهود إنما هدموا بيوتهم لحمل اخشابها معهم بزعم ان الأخشاب

(١) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ١٩١ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ج٤ ص ٧٥ .

(٢) سورة الحشر ، آية : ٥ .

(٣) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ١٩١ .

(٤) آية : ٢ .

كانت نادرة في بلاد العرب فأخذها اليهود معهم لبيعوها^(١) وهذا الرأي واضح ضعفه، لأن اليهود لم يكونوا قادرين على حمل كل شيء، حيث جعل لكل ثلاثة منهم بغير واحد، وهذا البعير وحده لا يستطيع حمل المواد الضرورية اللازمة لهم كالأطعمة والأمتعة وغيرها من الأشياء الأثمن من الأخشاب اللازمة والأخف حملا، فكيف تترك هذه الضروريات النفيسة ليحمل بدلها خشب بال! . ومن الباحثين من يرى ان الهدم يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة عند اليهود، وهي ان كل يهودي يعلق على نجاف داره صحيفة تشتمل على وصية موسى لبني إسرائيل أن يحتفظوا بآله واحد ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا، فاليهود حين ينزحون من منازلهم يأخذونها معهم وهي عادة متبعة عند اليهود الى يومنا هذا، ويظهر ان يهود بلاد العرب كانوا يضعون تلك الصحيفة في داخل النجاف خوفا من اتلاف الهواء لها أو من مس الأيدي فلما رحلوا من ديارهم هدموا نجاف السقوف وأخذوها^(٢).

ومما يلفت النظر ان اليهود أخذوا زيتهم يوم خروجهم كأبهى ما تكون الزيتة، وعبروا المدينة في موكب جليل، وفي قطار من الأبل يتكون من ستمائة بغير، فوقها النساء والهوداج وعليهن الحرير والديباغ وقطف الخبز والخضر والحمز، وقد صف لهم الناس، فجعلوا يمشون قطارا في إثر قطار^(٣). لقد أثار سيرهم بهذا الموكب مشاعر المنافقين ومن بقوا على الشرك من اهل المدينة، وكان اليهود ارادوا من خروجهم بهذا الشكل اثارة الشفقة والحسرة عند هؤلاء، فأخذوا يذكرون كرمهم ونجدتهم وحسن عشرتهم^(٤).

وتصور لنا سورة الحشر ما اصاب بني النضير جزاء مخالفتهم الله ورسوله ونكثهم العهد واعتمادهم على المنافقين في المدينة في مواجهة المسلمين الذين ايدهم الله بنصره ومكنهم من إخراج بني النضير كما مكنهم قبل من إخراج يهود بني قينقاع. وأنذر القرآن اليهود بحشر آخر إذا تمادوا في سلوكهم المناهض للدعوة الاسلامية^(٥). ويثبت هذه السورة أحكام الفىء ومصارفه بقوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى، واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

(١) ولقسنون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر ابن هشام السيرة «طبعة حجازي» ج ٣ ص ١٩٣، والواقدي: المغازي ج ١ ص ٣٧٤.

(٤) انظر الواقدي، المغازي ج ١ ص ٣٧٥.

(٥) انظر الآيات: ٥-٢.

للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»^(١).

وقد حكم الرسول ﷺ في أموال بني النضير حكماً يختلف عن حكمه في أموال قريش التي غنمها المسلمون في بدر، لأن هذه الأموال وقعت بيد المسلمين دون قتال فاعتبرت فيثاً^(٢). قال أبو عبيد: «فأما أموال بني النضير، فإن سفيان بن عيينة حدثنا عن عمرو بن دينار ومعمرب بن راشد عن الزهري عن مالك ابن اوس بن الحدثان النصري عن عمر بن الخطاب قال: «كانت أموال بني النضير مما افاء الله على رسوله، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع»^(٣) والسلاح عدة في سبيل الله^(٤).

ونلاحظ ان الله سبحانه وتعالى أوكل أمر إنفاق الفيء في الأوجه التي يراها موجبة لمحاربة الفقر وتقريب المستوى الاقتصادي بين طبقات المجتمع الواحد. ولذلك وجد الرسول الفرصة في تطبيق مبدأ المساواة الذي دأب على اعلانه، فوزع ارض بني النضير بين المهاجرين ولم يعط احداً من الأنصار. ورأى أن يدعو الأنصار كلها، فلما حضرت الأنصار تكلم فيهم الرسول وذكر لهم ما صنعوه بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأثرتهم على أنفسهم، ثم قال: «إن أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما افاء الله علي من بني النضير. وكان المهاجرون على ما هم عليه من مشاركة الأنصار في السكنى والاشتغال بالأموال، فأجاب الأنصار بأنهم طابوا نفساً عن هذه الأموال وطلبوا الى الرسول ان يقسمها بين المهاجرين، فقسمها الرسول ولم يعط أحداً من الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين - سهل بن حنيف وأبا دجاجة - واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر عندهم»^(٥). ومما يجدر ذكره ان الرسول غنم اسلحة كثيرة في هذه الغزوة منها خمسون درعاً وثلاثمائة واربعين سيفاً^(٦).

(١) الآيةان: ٨-٧.

(٢) الفيء: ما غنمه المسلمون دون حرب من الأعداء.

(٣) الكراع: اسم لجميع الخيل والسلاح. انظر أبو عبيد، الأموال، هامش ص ١٤.

(٤) الأموال: رقم ١٧ ص ١٤، انظر صحيح البخاري، ج ٤ ص ٧٥. وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١.

(٥) انظر الواقدي: المغازي، ج ١ ص ٣٧٩.

(٦) انظر الواقدي: المغازي، ج ١ ص ٣٧٩.

وقد يرى بعضهم ان توزيع هذا الفيء على المهاجرين إنما هو استثناء بسبب قرابة الرسول للمهاجرين ، وفي هذا القول مخالفة لواقع المهاجرين الاقتصادي ، فهم فقراء دون ارض ومال ، وهم جند الاسلام في كل وقت ، وفي توزيع اراضي بني النضير على المهاجرين منفعة للأنصار لانه جعلهم في غنى عن معونة إخوانهم المهاجرين ، وبذلك تحسنت احوال الأنصار المادية ، كما ان في هذا الأجراء تطبيق لمبدأ المساواة الذي يدعو إليه الإسلام . وقد وصف الله الأنصار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَوَلَّكَ اللَّهُ مَمْلُوكًا مَغْلُوبًا ۚ ﴾^(١).

★ نتائج الغزوة :

تركت هذه الغزوة آثارا مختلفة على مستقبل العلاقات بين المسلمين واعدائهم من مشركين ومنافقين ويهود . فبالنسبة للمسلمين ، يُلد هذا النصر سلطانهم في المدينة وارهب اعداءهم من التباثل العربية الطامعة بهم خارجها ، وابتعدت عنهم تحالف اليهود والمنافقين في داخل المدينة ، واثارة المشاكل والفتن في وجه المسلمين ثم ابتعدت - الى حين - خطر اتفاق هذه الجبهة المعادية داخل المدينة مع القوى المعادية خارجها ، ورغم ان هذا الاتفاق كان موجودا من قبل الا انه لم يصل الى درجة التحالف المسلح . هذا بالإضافة الى ان الأموال التي انتفع بها المسلمون بعد بني النضير ، قد زادت في منعة المسلمين وجعلتهم قادرين على الصمود اذا ما حوصروا مدة طويلة ، هذا مع ما تبعته القوة المادية من روح معنوية عند اصحابها .

وأما اثارها بالنسبة للمنافقين فكانت شديدة الوقع عليهم اذ افقدتهم حليفا قويا كانوا يعتمدون عليه في رفع اصواتهم ، فلما فقدوه خفتت هذه الاصوات وضعف اصحابها .

وأما بالنسبة لليهود فقد اسلم من بني النضير رجلان هما يامين بن عمر وأبو سعد

(١) سورة الحشر، آية : ٩ ، ومن اراد الاستزادة من مقاصد سورة الحشر فيما يتعلق باليهود فعليه ، بمحمد طنطاوي - بنو اسرائيل في القرآن والسنة ج١ ص ٣٦٣ .

بن وهب اسلما فأحرزا اموالهما وبقيا في المدينة^(١)، كما بقيت قبيلة بني قريظة التي تسكن خارج المدينة وبعض البطون المتهودة الصغيرة التي لا نعرف عن مصيرها شيئا، واغلب الظن لم تشارك القبائل اليهودية الكبيرة في حوادثها مع المسلمين وآثرت الالتزام بصلة القريبى مع القبائل العربية مضحية بذلك بعقيدتها الدينية.

تجمع زعماء بني النضير في خيبر وكان هؤلاء اشد اليهود عداوة للمسلمين لأنهم كانوا يشعرون بالسيادة على بقية اليهود نظراً للمركز الديني والمادي الذي يتمتعون به على سائر اليهود. لذلك اصبحت خيبر مركزاً لتآمر اليهود الذين يأكل قلوبهم الحقد ويملاؤ نفوسهم حب الثأر والانتقام من المسلمين، ولذلك جدوا في تحزيب القبائل العربية لمهاجمة المدينة.

ولا بد أن يكون انتصار الرسول ﷺ على يهود بني النضير قد اثار مخاوف قريش التي تتربص بالمسلمين الدوائر، فقد كانت تخشى ان يزداد محمد قوة ومنعة، وشعروا ان قوافلهم التجارية نحو الشمال ستكون تحت رحمة المسلمين، كما لم يكن زعماء قريش وفي مقدمتهم ابوسفيان يرحبون بنجاح محمد، وذلك نتيجة امتداد النزاع التقليدي على الرياسة والسيادة في مكة منذ الجاهلية، بالاضافة الى التهديد الذي يحمله محمد لزعامة مكة في الجزيرة العربية. لذلك سنجد قريشا تسارع لتكوين الحلف الكبير مع اليهود وبعض القبائل العربية الطامعة بخيرات المدينة.

ومن آثار هذه الغزوة ايضا أن الرسول ﷺ كان له كاتب سر من اليهود الى حين إجلاء بني النضير عن المدينة، وذلك ليتسنى له ان يكتب بعض رسائله بالعبرية والسريانية. فلما جلا اليهود عن المدينة خاف النبي ان يستعمل في اسراره غير مسلم، فأمر زيد بن ثابت ان يتعلم اللغتين المذكورتين، وأصبح زيد بن ثابت كاتب سر النبي، وهو الذي جمع القرآن في خلافة عثمان، فوضع مصحف عثمان وأحرقت سائر المصاحف^(٢).

وقد قيلت اشعار كثيرة بمناسبة إجلاء بني النضير، بعضها يمدح فعال بني النضير ويذكر محاسنهم، وبعضها رد من شعراء المسلمين على هؤلاء المادحين. وكان عباس

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج ٢ ص ١٩٢.

(٢) انظر محمد حسين هيكل، حياة محمد ص ٣١٢.

بن مرداس أشهر الشعراء العرب الذين بكوا بني النضير، وكان مما قاله :-

لو ان قطين الدار لم يتحملوا وجدوا خلال الدار ملهى وملعباً
فإنك عمري هل رأيت ظعائنا سلكن على ركن الشطاة فثياباً^(١)
إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة له بوجوه كالدنانير مرحباً
وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا انت تخشى عندنا ان تؤنبا
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

وقد رد عليه خوات بن جبير بقصيدة جاء فيها :

تبكي على قتلى يهود وقد ترى من الشجو لو تبكي احب واقربا
إذا السلم دارت في صديق رددتها وفي الدين صدادا وفي الحرب تصلبا
رحلت بأمر كنت اهلاً لمثله ولم تلف فيهم قائلاً لك مرحباً
فهلاً الى قوم ملوك مدحتهم تبنا من العز المؤثل منصبا
أولئك احرى من يهود بمدحة تراهم وفيه عزة المجد ترتباً^(٢)

تعكس لنا هذه الأشعار حالة المشركين والمنافقين في المدينة بعد اجلاء بني النضير كما تعكس الروح المعنوية للمسلمين بعد هذا النجاح الذي احرزوه .

★ دور اليهود في غزوة الأحزاب :

نزل زعماء بني النضير بعد رحيلهم من المدينة في خيبر، وذان يهودها لهم، وهذا يشير الى ان يهود خيبر لم تكن لهم أحساب يهود بني النضير. لقد جد زعماء بني النضير في العمل على الانتقام والثأر من المسلمين، ولهذا جدوا في تحريض القبائل العربية وتحريضها على حرب محمد واصحابه ورأوا ان يقيموا حلفاً منيعاً مع قريش لهذه الغاية. لذلك قام فريق منهم بالذهاب الى مكة فيهم : سلام بن ابي الحقيق النضري، وحيي بن

(١) الظعائن : جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج، والشطاة بفتح الشين والطاء اسم موضع، ولم يذكر ياقوت مكاناً بهذا الاسم إلا موضعاً في الديار المصرية قرب دمياط، ويغلب على الظن أن الشطاة طريق ساحلية من المدينة الى بلاد الشام أو جزء من هذا الطريق تسمى بهذا الاسم، وثياب اسم موضع أيضاً، لم يذكره ياقوت، وربما انه مجاور للمكان السابق كما يفهم من الشعر السابق أيضاً.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج ٢ ص ٢٠١-٢٠٢. ترتباً : هو من رتب عند سيبويه. ن. م.

اخطب النضري ، وكنانة بن ابي الحقيق النضري ، ومعهم نفر من بني وائل هم : هؤذة بن قيس الوائلي وابو عمار الوائلي^(١) . ولما قدموا الى مكة دعوا اهلها الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : «إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت قريش لهم : «يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحتنا نختلف فيه نحن ومحمد ، افديننا خير ام دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه»^(٢)

وقد سجل القرآن الكريم على اليهود موقفهم المخزي هذا في قضية الايمان التي كانوا يجاهرون بها ويدعون انهم اهل التوحيد الاول ، وذلك بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِييًّا مِنَ الْكِتَابِ يُمْنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(٣)

وقد استنكر المؤرخ اليهودي ولفنسون موقف اليهود هذا بقوله «كان من واجب هؤلاء اليهود الا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامي ، ولو ادى بهم الأمر الى عدم إجابة مطلبهم ، لأن بني إسرائيل الذين كانوا مدة قرون ، حاملين راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين»^(٤) .

فلما قال زعماء اليهود هذه المقالة سرت قريش ونشطت في الاجابة لما دعوا اليه من حرب محمد رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج اولئك النفر من اليهود ومن معهم حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوههم الى حرب رسول الله ﷺ ، واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ، وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه^(٥) .

ومن المعروف ان قريشا كانت شديدة الرغبة في القضاء على محمد ولذلك رحب ابو سفيان بالوفد اليهودي وقال لهم : «أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد»^(٦) .

(١) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ٢١٤ ، والطبري ، تاريخ ج٢ ص ٥٦٥ والمقرئزي : إمتاع الاسماع ج١ ص ٢١٦ .

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ٢١٤ ، والطبري ، تاريخ ج٢ ص ٥٦٥ ، وابن كثير البداية والنهاية ج٤ ص ٩٤ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٥١ . انظر ايضاً تفسير الطبري ج٥ ص ١٣٤ ، وتفسير ابن كثير ج٢ ص ٥١٢ ، والكشاف للزمخشري ، ج١ ص ٥٣٣ ، وتفسير الجلالين ، مكتبة الجمهورية المصرية ، مراجعة محمد علي الضباع ص ٧١-٧٢ .

(٤) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٤٢ .

(٥) انظر ابن هشام : السيرة ، ج٢ ص ٢١٥ ، وابن سعد : الطبقات ج٢ ص ٦٦ .

(٦) انظر الواقدي : المغازي ، ج٢ ص ٤٤٢ .

ومما يدل على شدة حقد الطرفين اليهودي والقرشي على المسلمين ان تنادوا الى حلف يعقدونه تحت استار الكعبة، وبعد ان الصقوا اكبادهم بجدارها - إمعاناً في توثيق التحالف - وحلفوا بالله ان لا يخذل بعضهم بعضاً ما بقي منهم رجل حتى يستأصلوا محمداً ﷺ^(١)، ساروا الى غطفان وجعلوا لهم تمر خبير سنة إذا هم ساروا معهم ومع قريش لحرب محمد^(٢)، ثم خرجوا حتى جاءوا بني سليم وحرصوهم مثل سابقهم وكذلك فعلوا في بني أسد وأشجع وفزاره وكل القبائل التي لها ثأر عند المسلمين أو لقريش نفوذ عليها.

وهكذا نرى ان اليهود هم الذين بادروا بتحزيب الأحزاب ليوم الخندق ووضعوا كل إمكاناتهم في سبيل القضاء على محمد ودعوته الإسلامية، فوضعوا عقولهم بما خططوه ورسموه، كما وضعوا أموالهم في خبير لتنفيذ هذه الخطط. وإذا نظرنا الى معركة الأحزاب من زوايا التمهيد والاعداد والتمويل نجد ان هذه الغزوة الخطيرة في حياة الدعوة الإسلامية هي غزوة يهودية في لحمتها ودمها.

لم يكن المسلمون بغافلين عما يحاك ضدهم بالظلام، فقد كانت أنباء استعدادات هذه الأحزاب ونشاطاتها تصل الرسول ﷺ أولاً بأول، يحمل هذه الأخبار مسلمون كلفوا بهذه المهمة، او رجلاً من العرب اثارتهم العصبية القبلية نحو اخوانهم ممن اسلموا وهاجروا الى المدينة، قالت عليهم عصيتهم نحو ذوي القربى إلا أن يخبروهم بما يُدبر لهم.

وحقيقة : كان تيار العصبية هذا يخدم المسلمين في كثير من المواقف الحرجة، كما كان له اثره على وحدة قريش تجاه الجماعة الإسلامية. فقد رأينا هذا الاتجاه يؤدي دوراً هاماً في تثبيط عزائم القرشيين في مسيرتهم الى بدر، اذ برز الاتجاه القائل «ما لنا ولمحمد، فدعوه ان يكن كاذباً ان في العرب لمن يكفيناه ولئن كان صادقا إنا اسعد العرب به إنا للحمته»^(٣). غير ان هذا التيار على عظم فائدته لم يقو على منع قريش من محاولة القضاء على الإسلام وأتباعه.

ولا بد ونحن بصدد الحديث عن غزوة الأحزاب ان نذكر الوضع العام في المدينة قبيل هذه الغزوة. فقد كان في المدينة ثلاث فئات، الأولى وهم المسلمون ويشكلون القوة الرئيسية في المدينة من حيث العدد والتماسك والعدة، والفئة الثانية هم اليهود من بني قريظة وكانوا يسكنون في اطراف المدينة الجنوبية، وهم اصحاب أموال وأطام، كما ان عددهم يقل عن عدد المسلمين، والفئة الثالثة هم المنافقون الذين يتظاهرون

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر الواقدي : المغازي، ج٢ ص ٤٤٢، والمقريزي، إمتاع الأسماع ج١ ص ٢١٧.

(٣) انظر الواقدي : المغازي، ج١ ص ٤٢-٤٣.

بالأسلام ويكيدون له في الخفاء، وكان قد خفّ صوتهم بعد إجلاء بني النضير، ثم عاد هذا الصوت ليرتفع عندما اخذت اخبار زحف القبائل العربية وقريش واليهود تصل الى سكان المدينة. ولما تيقن رسول الله ﷺ من اخبار الأحزاب وما عقدوا عليه العزم، جمع اصحابه من ذوي الرأي وعرض عليهم الأمر كما هي عادته عند كل امر يتعلق بالمصلحة العامة. فاستقر رأي الجميع بعدم الخروج من المدينة لملاقاة العدو خارجها. وقد املى هذا القرار عاملان هامين هما.

١ - ضخامة جيش العدو الذي يزيد عن عشرة آلاف مقاتل بالنسبة لعدد المقاتلين المسلمين الذين لا يزيدون عن ثلاثة آلاف مقاتل.

٢ - الدروس التي استفادها المسلمون من معركة احد. وهم في هذا الاختيار يكسبون جماعة من اهل المدينة ممن لم يسلموا او بعض جماعة المنافقين ممن يدافعون عن المدينة بدافع العصبية، كما ان المدينة توفر لهم الحماية «الاستراتيجية» بفضل المواقع الطبيعية والصناعية المحيطة بها، فالمدينة محاطة بحرات من الغرب والشرق وفي جزء من الجبهة الجنوبية، وتنتشر في هذه المناطق الحجارة البركانية ذات الرؤوس المدببة التي يصعب السير عليها.

وبينما كان الرسول ﷺ يشاور اصحابه في افضل الطرق التي يمكن اتباعها لتحصين المدينة، اقترح سلمان الفارسي حفر الخندق في الجبهة الشمالية التي يخشى دخول الاحزاب منها للمدينة ووافق المسلمون على هذا الاقتراح وبدأوا يعملون في حفر الخندق. وفي الجبهات الاخرى كان المسلمون يرون في اشجار النخيل الكثيفة وفي الحصون والأطام موانع يصعب على جيوش الاحزاب القتال منها. كما اوكل الرسول امر الدفاع عن الجبهة الجنوبية الشرقية لليهود بني قريظة - حيث كانت تتشابك حصونهم - والذين كانت معاهدة المودعة تلزمهم بالدفاع عن المدينة في حالة مداومة الأعداء لها. ولا بد ان الرسول قد اخطرهم بذلك واخذ عليهم عهدا بأن يحافظوا على العهد ولا ينقضوه كما يستدل على ذلك من محاولات حيي بن اخطب سيد بني النضير مع كعب بن اسد سيد بني قريظة لحمله على نقض العهد وتمزيق الصحيفة التي كتبها اليهود مع الرسول بهذا الشأن كما سيأتي ذكره.

وبينما كان المسلمون يحفرون الخندق كل في المكان المخصص له، عرضت صخرة لسلمان الفارسي غلظت عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ ان الصخرة امتنعت على

سلمان تناول المعول منه وضرب الصخرة ثلاث ضربات كانت الصخرة تلمع تحت المعول في كل مرة، فقال سلمان: «بأبي وأمي انت يا رسول الله ما هذا الذي رأيت، لمع تحت المعول وانت تضرب؟ قال: اوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت نعم، قال: أما الأولى، فإن الله فتح علي بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق»^(١)

لقد اوردت هذه القصة للتدليل على صدق الالهام في احلك الظروف، ثم للتعرف على الوسائل التي استخدمها الرسول في رفع معنويات جماعته والعدو يطبق عليهم من كل جهة، ثم لتذكر اخيرا كيف اتخذ المنافقون من هذا الحديث سلعة لتثبيط عزائم المسلمين وألفت في عضدهم.

لم يشترك اليهود في حفر الخندق بينما يشير القرآن الكريم الى اشتراك المنافقين في الحفر وانسحاب بعضهم من العمل دون إذن الرسول ﷺ خلافا للمسلمين الصادقين الذين كانوا لا يغادرون اماكنهم لو عرضت لهم حاجة الا بإذن من الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، وأما اليهود وان لم يشتركوا في حفر الخندق فقد اعاروا للمسلمين آلات كثيرة للحفر من مساحي وكرازين ومكاتل^(٣).

وربما كان تقديمهم لهذه الآلات دليلا على تمسكهم بما عاهدوا الرسول عليه ان يقفوا مع المسلمين صفا واحدا لرد الغزاة. ولما اقبلت جيوش الاحزاب ووصلت مشارف المدينة، دهشت لرؤية الخندق، ولما نظر اليه فرسان الاحزاب قالوا: «والله ان هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها»^(٤).

(١) انظر ابن هشام، ج٢ ص ٢١٩.

(٢) سورة النور، آية: ٦٣.

(٣) المساحي: جمع مسحة وهي المجرفة من الحديد. الكرازين: جمع كرز وهو الفأس. المكاتل: جمع مكمل، وهو الزيل الكبير، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعا، انظر الواقدي: المغازي ج٢ هامش ص ٤٤٥.

(٤) انظر الطبري: تاريخ ج٢ ص ٥٧٤.

وقد اعتمدت الأحزاب على كثرة عددها وعُدديها من جهة وعلى نصرة يهود بني قريظة من جهة أخرى. وكان بنو قريظة على جانب عظيم من القوة، إذ لديهم حوالي سبعمائة مقاتل علاوة على كثرة الأسلحة التي بحوزتهم والأموال الطائلة التي يمتلكونها، وكان وجودهم خلف جيش المسلمين وعلى مقربة من نسائهم واطفالهم يزيد من أهمية الدور الذي قدّره كلا الطرفين المسلم والمُشرك في نصرة بني قريظة له. وكان حيي بن اخطب يقول لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم: «إن قومي قريظة معكم، وهم أهل حلقة وافرة، هم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً»^(١). ولما وصل حيي بن اخطب المدينة توجه إلى بني قريظة ونشط في حملهم على نكث العهد مع الرسول ﷺ، وكان محمد بن كعب القرظي يحدث فيقول: «كان حيي بن اخطب رجلاً مشؤوماً، هو شام بني النظير قومه، وشام قريظة حتى قتلوا، وكان يحب الرئاسة والشرف عليهم وله في قريش نسبة، أبو جهل بن هشام»^(٢).

خرج حيي بن اخطب حتى أتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، ولما طرق حيي باب كعب أبى أن يفتح له، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب! افتح لي! قال ويحك يا حيي! إنك امرئ مشؤوم، وإنني عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا، قال ويحك افتح لي اكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله أن اغلقت دوني إلا عن جشيتك^(٣) أن آكل معك منها، فاحفظ الرجل (أي أغضبه) ففتح له، فقال ويحك يا كعب جئتكَ بعز الدهر وبيحر طام، جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقي إلى جانب أحد، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه^(٤)، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فاني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء. فلم يزل حيي بكعب

(١) انظر الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٤٥٤.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٥٥.

(٣) الجشيشة: طعام يصنع من الجشيش، وهو البر الذي يطحن غليظاً وهو الذي تقول له العامة ديششة والصواب فيه الجيم. انظر ابن هشام: السيرة، ط حجازي ج٣ ص ٣٢٦.

(٤) بجهام هراق ماؤه: الجهم، السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه، وهراق: صب، ويريد أنه خال من المطر: ابن هشام، السيرة، ج٣ ط حجازي هامش ص ٢٣٦. انظر خارطة الخندق رقم ٣ - ص ٣٣٩.

يفتله في الذروة والغارب^(١) حتى سمح له، على ان اعطاه عهدا من الله وميثاقاً: «لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك»، فنقض كعب بن اسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ^(٢).

★ أثر نقض العهد على المسلمين:

في الوقت الذي كانت جيوش الاحزاب بالآفها العشرة تحاصر المدينة وتضيق على المسلمين الحصار، والمسلمون في يقظة مستمرة يراقبون تحركات الاعداء يترصدون لكل فارس تسول له نفسه عبور الخندق حذرين من اقتراب الاعداء للخندق خوفاً من ردهم وصنع الممرات فيه، فكانوا يبعدونهم عنه بالنبال وبالحجارة، وكان المنافقون يصنعون الأراجيف وينشرون الشائعات وينسلون من صفوف المسلمين زرافات ووحدانا، في مثل هذا الوقت وصلت الأخبار للرسول بنقض بني قريظة لعهدهم واستعداداتهم لقطع المسلمين من الخلف. ابلغ عمر بن الخطاب خبر بني قريظة للرسول ﷺ، فاشتد الأمر عليه وقال: «من نبعث يعلم لنا علمهم؟ ثم ارسل الزبير بن العوام، فنظر هذا خبرهم فوجدهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم^(٣)، ولما تأكد الرسول من الخبر استدعى زعماء الأنصار سعد بن معاذ وسعد بن عباد وأسيد بن حضير، وابلغهم خبر بني قريظة، وطلب اليهم الذهاب بأنفسهم الى يهود بني قريظة والوقوف على حقيقة الموقف عن قرب وموافاة رسول الله ﷺ بالخبر اليقين، دون ان يُعلموا المسلمين بخبرهم اذا كانوا قد نقضوا عهدهم حفاظاً على وحدة المسلمين وشجاعتهم من ان يصيبها خور. واراد الرسول من بعث هذا النفر من زعماء الأنصار ان يقفوا بأنفسهم على حقيقة حلفائهم القدامى حتى لا تأخذهم في قتالهم لومة لائم إذا جد الجد وكان لا بد من القتال، كما قصد عليه السلام ان يحاول هذا النفر رأب الصدع وثنيهم عن نكثهم العهد، اذا كان ذلك ممكناً. ولما وصل الوفد الى منزل كعب بن اسد وجدوا القوم قد نقضوا العهد، فناشدوهم الله والعهد الذي كان بينهم ان يرجعوا الى ما كانوا عليه قبل

(١) الذروة والغارب واحد ودخل «في» على معنى تعرف فيه: بأن قتل بعضه دون بعض فكانه قيل: قتل بعض ما في ذروته، قال الأصمعي: قتل في ذروته أي خادعه حتى أزاله عن رأيه، ويضرب في الخداع والمماكرة.

أنظر: أبو الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني المتوفي ٥١٨هـ مجمع الأمثال، تحقيق محمد م. الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ج ٢ ص ٦٩.

(٢) ابن هشام، السيرة ٢ ص ٢٢٠-٢٢١، والواقدي: المغازي ج ٢ ص ٤٤٥-٤٥٦.

(٣) انظر الواقدي: المغازي ج ٢ ص ٤٥٨.

ذلك ان يلتحم الأمر، وسألوهم ان لا يطيعوا حيي بن اخطب، فقال كعب: لا نرده ابداً قد قطعت كما قطعت هذا القبال^(١) - لقبال نعله^(٢). وعبثا حاول وفد الأنصار إعادة اليهود الى رشدهم فحاولوا ان يبينوا لهم عواقب غوايتهم هذه، وذكرهم بما اصاب اخوانهم من بني قينقاع وبني النضير لما ركبوا رؤوسهم واتبعوا شياطينهم، فلم يزد القوم الا عناداً، واطلقوا الشتائم على اعضاء الوفد، وتوعدوا المسلمين وهددوهم وانذروهم بعزمهم على القتال. ولما غضب سعد بن عباد من شتائمهم واراد ان يرد بمثلها قال له سعد بن معاذ: «دعهم فإننا لم نأت لهذا، ما بيننا اشد من المشاتمة - السيف»^(٣) ثم رجعوا الى النبي ﷺ وقال له احدهم: «عضل والقارة» وهي اشارة الى غدر بني قريظة بالمسلمين كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع^(٤).

كان وقع نبأ بني قريظة على المسلمين اليماء فاعظم البلاء واشتد الخوف واصبح المسلمون محاصرين من كل جانب، وارتفع صوت المنافقين يقول: «كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط»^(٥). ولما اشتد البلاء على المسلمين رأى الرسول ان يصلح غطفان، فبعث الى زعيمى غطفان عيينه بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان في جيوش الاحزاب، واعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه «فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوغة في ذلك، ولما اراد رسول الله ان يفعل، بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، امرا تحبه فنصنعه ام شيئاً امرك الله به، لا بد لنا من العمل به، ام شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء اصنعه لكم، والله ما اصنع ذلك الا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت ان اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا

(١) قبال النعل: زمام ما بين الأصبع الوسطى والتي تليها - القاموس.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة «مطبعة حجازي» ج٣ ص٢٣٨، والواقدي، المغازي، ج٢ ص٤٥٨.

(٣) الواقدي: المرجع السابق ج٢ ص٤٥٨.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص٢٢٢.

(٥) انظر ابن هشام ج٢ ص٢٢٢، الواقدي: المغازي: ج٢ ص٤٥٩ - ٤٦٠، والطبري، تاريخ ج٢ ص٥٧٢.

يطعمون ان يأكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا^(١) ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطهم اموالنا! والله مالنا بهذا من حاجة ، ولا نعطهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . قال رسول الله ﷺ فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا^(٢) .

إن هذا الاتفاق وإن لم يتم فقد كان له اثره على الأحزاب فلا بد ان يكون خبر قدوم زعماء غطفان الى الرسول ﷺ قد فشا بينهم وانتشر امر الصلح ، ومثل هذه الشائعات تلعب دورها في جموع تختلف اهدافها كجموع الاحزاب ، فساعدت هذه الشائعات على بذر الشكوك بين الحلفاء انفسهم واصبح كل قائد من قادة الاحزاب يرتاب بنيات الآخر ، وكان حيي بن اخطب يحرص كل الحرص على ان لا تفشل هذه الحملة التي افرغ فيها كل ما استطاع من حيل وعدد وأموال .

اخذت جموع الاحزاب تلوم قريظة على تأخرها في مناجزة المسلمين وكان فرسان بني قريظة يغيرون على مؤخرة المسلمين ويعتدون على الحصون التي تضم ذراري المسلمين . وقد قتلت صفية بنت عبد المطلب أحد هؤلاء الفرسان^(٣) ثم اصبحت سرايا من المسلمين تراقب تحركات بني قريظة وتحرس نساء المسلمين واطفالهم .

وفي هذه الظروف الصعبة التي اشتد البلاء فيها على المسلمين قيض الله لهم نعيم بن مسعود الغطفاني ، جاء هذا الى الرسول واعلمه بإسلامه وقال له : «إن قومي لا يعلمون بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فإن الحرب خدعة^(٤) . فخرج نعيم الى قائد الاحزاب ابي سفيان واعلمه ان بني قريظة قد ندمت على نقض عهدها مع محمد واصحابه وارسلوا اليه انهم سيقدمون اليه سبعين شريفا من رجال الاحزاب ليضرب اعناقهم وفاء منهم بعهده ، ثم اخبر زعماء غطفان بمثل ذلك وطلب اليهم ان يكتموا خبره لانهم يعلمون انه نديم بني قريظة ، وجاء نعيم كعب بن اسد القرظي واعلمه ان الأحزاب على وشك الرحيل وترك بني قريظة

(١) القرى : بكسر القاف ، الطعام الذي يقدم للضيف ، وقيل هو المصدر ، يريد ان هؤلاء لم يكونوا ليضعوا أن يلوقوا ثمر المدينة إلا بأحد سببين إكرامهم اذا نزلوا ضيوفا او شرائه منهم .

(٢) ابن هشام ، السيرة جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) انظر ابن هشام ، السيرة جـ ٢ ص ١٩٠ ، والواقدي : المغازي : جـ ٢ ص ٤٦٢-٤٦٣ .

(٤) انظر ابن هشام ، السيرة جـ ٢ ص ٢٢٩ ، والواقدي : المغازي : جـ ٢ ص ٤٨٠ وما بعدها .

وحدهم امام المسلمين، ثم نصحهم بأن يطلبوا من زعماء الاحزاب سبعين رهينة تبقى لديهم حتى لا يغادروا المدينة الا بعد القضاء على محمد وأصحابه، وكان نعيم غير متهم عند الجانبين، ويظن كل طرف بأنه الناصح الأمين له^(١). ولما طال انتظار الاحزاب وهلك الخف والحافر ولم تكن العرب تعرف الحرب الطويلة، سارع ابو سفيان وزعماء غطفان وارسلوا الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان وطلبوا اليهم ان تناجز قريظة محمداً القتال وتواعدهم القتال في الغد، وكان يوم سبت فأجابهم اليهود «إن اليوم يوم سبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضربتكم الحرب، واشتد القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا الرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه»^(٢). فلما عاد الرسل الى زعماء الاحزاب باخبار بني قريظة تأكدت عندهم اقوال نعيم بن مسعود ورفضوا ان يعطوهم الرهائن وارسلوا الى بني قريظة، إن كنتم تريدون قتال محمد فاخرجوا له، ولا نعطيكم رجلاً واحدا رهينة، فوثق رجال بني قريظة بمقالة نعيم بن مسعود وزاد الانشقاق بينهم، وبدأت الشكوك تساورهم والبرد يلفح اجسادهم والريح تسفي مواقدهم والجوع يعضهم ويميت مواشيهم ولم يبق لهم الا الرحيل.

وأرى أن أضيف الى ما سبق من اسباب سببها هاما غفل عن ذكره المؤرخون، وكان لهذا السبب المحل الأول في فشل الأحزاب، وهو اختلاف الأحزاب في أهدافهم ومقاصدهم وضعف الصلات بينهم، ثم عدم الثقة باليهود حلفائهم، ويظهر لي أن الأحزاب كانت تطمع بخيرات اليهود وأموالهم بدرجة لا تقل عن طمعهم بالقضاء على الجماعة الإسلامية، ويتضح ذلك من الحوار بين زعيم غطفان «عيسه بن حصن الفزاري» و«الحارث بن عوف» بعد عودتهما من عند الرسول ويستفاد من هذا الحوار ان غطفان كانت لا ترغب في ظهور قريش على محمد، لأن ظهورها يجعل الزعامة فيهادون سائر العرب، ولم يكن يهم غطفان من محالفة اليهود الا المغنم المادي، فهذا الحارث بن عوف يرد على قومه الذين قالوا: سيقع خُرُّ محمد على بني قريظة بعد انصراف الأحزاب «بعداً وسحقاً! محمد أحب إلينا من اليهود»^(٣).

(١) انظر ابن هشام، المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٢٣١.

(٣) الواقدي: المغازي: جـ ٢ ص ٤٧٩. انظر كذلك محمد شيت خطاب، الرسول القائد، مكتبة الحياة ومكتبة =

ومما يجدر ذكره قبل أن ننهي أخبار الخندق أن بعض المستشرقين يشكّون فيما أورده المصادر الإسلامية حول عدم توقيع الرسول على الاتفاقية مع غطفان، ويعتقدون أن فشل الأحزاب يعود إلى هذه الاتفاقية التي صدّعت صفوفهم وحملت غطفان على ترك الحصار. وهذا الاعتقاد لا يدعمه أي دليل، فلم نسمع أن غطفان أخذت شيئا من ثمار المدينة أو طالبت به بموجب الصحيفة المذكورة. كما أننا لا نغفل عوامل أخرى أهم، كان لها الحسم في أمر الأحزاب أراد الله لها أن تكون. ومن هذه العوامل أن الأحزاب كانت بحاجة إلى المؤن لهذا الجيش العرمرم، كما كانوا بحاجة إلى أعلاف لمواشيهم في هذا الحصار الذي طال أمده، ثم إن عوامل القلق على ما تركوه بمكة أخذت تدب في صفوف رجال الأحزاب الذين ما تعودوا أن يتركوا بيوتهم كل هذه المدة الطويلة، وأخيرا خدعة نعيم بن مسعود التي باعدت بين يهود قريظة والأحزاب وساهمت في إشاعة الفوضى في صفوفهم وشاء الله أن يزيدهم فوضى على فوضى فأرسل عليهم ريحا شديدة في ليلة باردة فاقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وكفأت قدرهم وشردت جمالهم وخیولهم وقذفت في قلوبهم الرعب حتى ظنوا أن الجن تهاجمهم من كل جانب^(١). فقال أبو سفيان بن حرب: «ألا أراني أستعين بإخوة القردة والخنازير . . . أيا معشر قريش: إنكم لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر^(٢) وأجذب الجناب، واخلفتنا بنو قريظة ولقد لقينا من الريح ما ترون فارتحلوا فلإني مرتحل»^(٣).

وهكذا بدأ انسحاب الأحزاب وقبع بنو قريظة في حصونهم آثمين يترقبون قصاصهم العادل جزاء غدرتهم الشنيعة. وكان جلاء الأحزاب نعمة على المسلمين كما أسماها الله في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

== النهضة ببغداد ط ٢ ١٩٦٠ م، ص ١٥٤ وما بعدها ففيها تفصيل بسبب فشل الأحزاب.

(١) انظر در منقم، حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعير، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي وشركاه بمصر، ص ٢٣٨.

(٢) الخف والحافر: الإبل والخيول. وأجذب الجناب: قلت المؤن وانعدمت.

(٣) انظر ابن سعد: الطبقات، ج ٢ ص ٦٩.

ورسوله إلا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا^(١) .

★ غزوة بني قريظة :

دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ودفع إليه اللواء وكان على حاله لم يُحَلْ من مرجعه من الخندق، وبعث إلى بلال فأذن في الناس: «إن رسول الله يأمركم ألا تصلوا العصر إلا ببني قريظة»^(٢) .

وسارع المسلمون يلبن النداء فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم: «بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف أحدا منهم»^(٣) . وكان الرسول قد لبس درعه والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده وتقلد الترس وركب فرسه . وحف به أصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وكانت ستة وثلاثين فرسا منها ثلاثة أفراس مع الرسول^(٤) .

ولما وصلت طلائع جيش المسلمين أيقن اليهود بالهلكة فأخذوا يشتمون الرسول وأزواجه بقبيح الشتائم، سمعها علي بن أبي طالب، فرجع حتى لقي الرسول بالطريق وسأله أن لا يدينوا من اليهود، فعرف الرسول أن علياً سمع منهم ما فيه أذى له، فدنا رسول الله من حصونهم وقال يخاطبهم «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً»^(٥) . وحاصروهم المسلمون حصاراً شديداً حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وأخذت المخاوف تنهشهم من كل جانب واجتمع ساداتهم يتداولون الأمر من جميع وجوههم يجدون سلامة من هذا المأزق، وطلب اليهود من الرسول ﷺ أن يكلموه فأنزلوا نباش بن قيس، فكلم رسول الله ﷺ ساعة وقال:

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٩-١٣ . وانظر كذلك التفسير الكبير للرازي ج٥ ص ١٩٨ وما بعدها . وانظر أيضاً تفسير ابن كثير، طبعة المنار بمصر ١٣٤٧ هـ ج٦ ص ٥٠٧ وما بعدها، وانظر ص ٥١٨ تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ﴾ . تقدم عن حذيفة رضي الله عنه أنهم بنو قريظة .
(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٣٤، والواقدي: المغازي: ج٢ ص ٤٩٧، وابن سعد، الطبقات، ج٢ ص ٧٤ .

(٣) صحيح البخاري ج٥ ص ٩٣ .

(٤) انظر المقرئ، إمتاع الأسماع ج١ ص ٢٤٢ .

(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٣٤ .

يا محمد ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير، لك الأموال والحلقة وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ، فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فقال رسول الله ﷺ: «لا إلا أن تنزلوا على حكمي»^(١). ولما رجع نباش بجواب رسول الله ﷺ، ازداد اليهود ضيقاً وأخذوا يتلاومون فيما بينهم، وعرض عليهم زعيمهم كعب بن أسد الإسلام قائلاً: يا معشر بني قريظة والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي الله وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن نبياً من بني إسرائيل فهو حيث جعله الله، ولقد كنت كارهاً نقض العهد والعقد، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس علينا وعلى قومه (يعني ابن أخطب الذي وفي بعهدة وانضم إلى كعب في حصنه بعد انصراف الأحزاب) وقومه كانوا «أشوى» منا»^(٢)، وذكر لهم كعب البيانات والأدلة على صدق نبوة محمد ثم قال لهم: «تعالوا فلنتابعه ولنصدق به ولنؤمن به، فنأمن على دماءنا وأبنائنا ونسائنا وأموالنا فنكون بمنزلة من معه». قالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا، نحن أهل الكتاب والنبوة، ونكون تبعاً لغيرنا؟ وعبثاً حاول كعب نصحتهم وردهم إلى الصواب، فأبوا أن يفارقوا ما هم عليه على زعمهم أنهم على عهد سيدنا موسى عليه السلام. ولما لم يسمعوا لنصيحة كعب هذه عرض عليهم خطة أخرى، قال: فهلتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج وفي أيدينا السيوف إلى محمد وأصحابه فإن قتلنا قتلنا وما وراءنا أمر نهتم به. وإن ظفرنا فلعمري لتتخذن النساء والأبناء، فتضاحك حيي بن أخطب ثم قال: ما ذنب هؤلاء المساكين؟! وقالت رؤساء اليهود الزبير بن باطا وذووه: ما في العيش خير بعد هؤلاء. قال: فواحدة قد بقيت من الرأي لم يبق غيرها، فإن لم تقبلوها فأنتم بنو استها، قالوا: ما هي؟ قال: الليلة السبت، وبالحري أن يكون محمد وأصحابه آمنين لنا فيها نقاتله، فنخرج فلعلنا نصيب منه غره. قالوا: نفسد سبتنا وقد عرفت ما أصابنا فيه؟ قال حيي: قد دعوتك إلى هذا وقريش وغطفان حضور فأبيت أن تكسر السبت، فإن أطاعتني اليهود فعلوا، فصاحت اليهود، لا تكسر السبت»^(٣). ثم تساءل اليهود كيف يستطيعون أخذ محمد وأصحابه على غرة وهم يقظون في الليل والنهار.

(١) انظر الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥٠١.

(٢) أشوى منا: أي احسن حالاً منا، انظر المرجع السابق ص ٥٠١-٥٠٢.

(٣) الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥٠٣.

واختلف اليهود وأسقط في أيديهم، وندموا على خيانتهم بعد أن أصبح لا ينفع الندم. ولأذ النساء والأطفال بالبكاء عندما أدركوا ضعف أحوالهم وسوء مآلهم. ثم بعثوا إلى الرسول أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبدالمنذر ليستشيره في أمرهم، وهو من الأوس وكانوا حلفاءهم. فأرسله النبي إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح. وقال أبو لبابة «فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ﷺ»، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . . . وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ينتظر أن يتوب الله عليه. وبقي على هذه الحال ست ليالي تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع حتى تاب الله عليه ونزل قوله: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾^(١)، وبعد ذلك أطلقه الرسول ﷺ. وأخيراً لجأ اليهود إلى استدراج عطف حلفائهم من الأوس فإرسلوا إليهم من يقول لهم: «ألا تأخذون لإخوانكم مثل ما اخذت الخزرج لإخوانهم؟» يريدون أن تقف الأوس وقفة عبدالله بن أبيّ الخزرجي مع بني قينقاع، حتى نجوا من القتل واكتفى الرسول ﷺ منهم بالجللاء عن المدينة. وقد جاء رجال من الأوس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله: ألا تقبل من حلفائنا مثل الذي قبلت من حلفاء الخزرج؟ فقال لهم يا معشر الأوس، ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم رجلاً منكم؟ قالوا بلى، قال «فذاك إلى سعد بن معاذ»^(٢). وقد قبل بنو قريظة اختيار سعد ليحكم فيهم ظناً منهم أن الحلف الذي كان بينهم في الجاهلية سيسنفع لهم ويخفف من عقابهم، وهم الذين نصحهم سعد بن معاذ في البداية وخوفهم من يوم كيوم بني النضير بل أشد منه، ونسوا السباب والشتائم التي أطلقوها على الرسول والمسلمين بحضور سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وتناسوا غرورهم ووعيدهم بهلاك المسلمين يومذاك وكان سعد بن معاذ قد أصيب

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٢.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٢٧. الواقدي: المغازي: ج٢ ص ٥١٠. المرجع السابق والصفحات، وصحيح البخاري ج٥ ص ٩٤، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٢ ص ٦٠٣ وما بعدها، والطبري تاريخ ج٢ ص ٥٧٥، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص ١٢٢-١٢٣.

بجرح بليغ في حرب الخندق، فدعا الله وقال: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش شيئاً فابقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة»^(٢).

وكان سعد بن معاذ يعالج من جرحه في خيمة «رفيدة»^(٣) التي أمر بإقامتها الرسول بقرب المسجد ليوضع فيها الجرحى، فلما استدعاه الرسول ﷺ، أحاطت به الأوس يسألونه أن يحسن بيهود بني قريظة ويقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، ولكن سعداً لم يكن يطمع إلا في رضى الله ورسوله، وأصم أذنيه عن سماع أصوات هؤلاء الذين تحركهم العصبية القبلية، واسترجع في ذهنه ما ارتكبه يهود بني قريظة من غدر وخيانة واستنذر سبابهم للرسول وقبحهم معه ومع الوفد الذي قدم لنصحهم وثنيهم عن نقض العهد، وكان سعد بن معاذ يدرك ما كان يريده هؤلاء اليهود بالمسلمين في المدينة فقد نقضوا عهدهم وعرضوا المدينة لبطش جيوش الأحزاب، وكان يعرف أنه لولا رحمة الله سبحانه وتعالى وعنايته بالمسلمين لأبليت الجماعة الإسلامية شرّاً إبادة، وقد كان اليهود هم أصحاب هذه الخطة أولاً وآخرًا. وبعد هذه المراجعة السريعة التفت سعد بن معاذ إلى أبناء قومه وهم يكثررون الرجاء وقال: «لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم»^(١). فأدرك القوم أن سعداً سيحكم بهم حكم الإسلام دون مراعاة لعاطفة أو عصبية، ولن يكون حكمهم اقل من الموت فذهب بعضهم ينعي بني قريظة^(٢) مسبقاً، ولما وصل سعد إلى حيث يجتمع الأوس والرسول أخذ على الجميع عهد الله وميثاقه، أن الحكم في بني قريظة لما يحكم، فوافق الجميع فقال سعد «فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء»^(٣). وأجاب الرسول: «قد حكمت حكم الله ورسوله وفي رواية أخرى، قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سماوات)»^(٤).

(١) رفيدة: امرأة من أسلم وقيل من الأنصار كانت تقوم بخدمة الجرحى ومداوتهم، وذكرها الواقدي، باسم كعبية، انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٢٢٧. الواقدي المغازي ج٢ ص ٥١١.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٢٣٩. الواقدي المغازي: ج٢ ص ٥١١.

(٣) انظر الواقدي، المرجع السابق والصفحة، والطبري ج٢ ص ٥٨٧.

(٤) انظر ابن هشام، المرجع السابق ج٢ ص ٢٣٩-٢٤٠، والواقدي المرجع السابق ج٢ ص ٥١٢، وابن عبد البر، الاستيعاب رقم (٩٥٨) ج٢ ص ٦٠٣، والطبري تاريخ ج٢ ص ٥٨٧.

(٥) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٣٩ وما بعدها، وابن سعد، الطبقات ج٢ ص ٧٥٠.

وقد تولى أمر تنفيذ الحكم ببني قريظة محمد بن مسلمة، فكُتِفُوا ونُحُوا ناحية، وأخرج النساء والذرية فكانوا في ناحية أخرى واستعمل عليهم عبدالله بن سلام، وجمع أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب، فوجد فيها ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وألفاً وخمسمائة ترس وجحفة، وخمراً وجراراً وجراراً وسكر فأهريق كله ولم يخمس، ووجدوا جمالاً نواضح وماشية كثيرة^(١) وأما الرجال البالغون ممن تنبت وجوههم الشعر، فخذق لهم الرسول في سوق المدينة الخنادق، ثم بعث اليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا، وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة. وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً:

يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: «أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ. وجيء بحبي بن أخطب و. به حلة فقاحية موشاة قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلاث يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها على بني اسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه^(٢). وفيه قال الشاعر جبل بن جوال الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكن من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغى العز كل مقلقل^(٣)

وقتل امرأة واحدة من اليهود، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: «لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة، قالت: والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، اذ هتف هاتف باسمها: اين فلانة؟

(١) انظر الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٧٥.

(٢) انظر ابن هشام السيرة ج ٢ ص ٢٤١. الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥١٤.

(٣) قال ابو ذر: «الثعلبي، هو بالثاء المثلثة والعين المهملة، هو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال الدارقطني: له صحبة، وقال ابو عبيد: كان يهوديا فأسلم، انظر ابن هشام، السيرة، طبعة حجازي ج ٣ هامش ص ٢٦٠، قلقل كل مقلقل: اي ذهب في كل وجه.
انظر الواقدي، المغازي، ج ٢ هامش ص ٥١٤.

قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك مالك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته، قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنس عجباً منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل». وهي المرأة التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته^(١).

وقد أظهر اليهود في يومهم هذا تجبراً وصبراً وجلالة، وأقدموا نحو نهايتهم بكل شجاعة، وكانوا قد انكبوا على التوراة والمزامير يقرؤون قصص آبائهم وما تحملوه من العذاب عبر تاريخهم: وربما منحتهم هذه القراءات هذا الجلد الذي أبدوه أمام الموت، ثم انهم عزفوا أن لا مفر من الموت، بعد حكم سعد بن معاذ فيهم، فابدوا تجلداً وشجاعة.

ويستفاد من بعض الروايات أن يهود بني قريظة بلغ بهم اليأس من الحياة إلى حد التضامن على الموت، خلف ساداتهم، فقد استوهب ثابت بن قيس بن شماس دم الزبير بن باطا القرظي وزوجته وغياله وأمواله ليد كانت لليهودي عند ثابت يوم بعث، فأراد أن يجزيه بدل صنيعة به يومذاك، فكان من الزبير إلا أن خاطب ثابتاً قائلاً: «أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه امرأة صينية يتراءى فيها عذارى الحي، كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، غزال بن سموأل؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة، قال: ذهبوا قتلوا؟ قال: فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح^(٢) حتى ألقى الأحبة، فقدمه ثابت فضرب عنقه^(٣).

ولما علم رسول الله ﷺ أن بعض الأوس قد كرهوا قتل بني قريظة، أمر بتفريق أسرى اليهود في الأوس ليكون لهم نصيب في قتلهم، فجعل رجل من المسلمين يضرب بالسيف وآخر يذفف وأحدهما من الأوس^(٤)، وقد استوهبت أم المنذر سلمى بنت قيس

(١) انظر ابن هشام، ج ٢ ص ٢١٢. الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥١٧ ذكر الواقدي أن المرأة التي قتلت اسمها «نباتة»، المرجع السابق والصفحة.

(٢) فتلة دلو ناضح: وأراد بها مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها في الحوض فيقلها ويردها إلى موضعها - انظر ابن هشام، السيرة ط حجازي بالقاهرة ج ٣ هامش ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٤٣، الواقدي، المغازي ج ٢ ص ٥١٩.

(٤) انظر الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥١٥، والمقرئ، إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٨. يذفف: يجهز على الجريح - القاموس.

ابن عمرو أحد اليهود يدعى رفاعه بن سموأل، فوهبه لها الرسول، ولما قالت للرسول إنه سيصلي ويأكل لحم الجمل تبسم الرسول ﷺ ثم قال: «إن يصل فهو خير له، وإن يثبت على دينه، فهو شر له» قالت فأسلم^(١).

وقد أسلم بعض اليهود وسلمت لهم أموالهم وذرايعهم منهم ثعلبة وأسيد ابنا سعيه وأسد بن عبيد عمهم. ويقال ان عمرو بن سعدي وهو من اليهود طلب الى بني قريظة ان تتبع الرسول أو تدفع الجزية، ولم يجيبوه الى واحدة مما طلب، فتركهم وقد أسلم ولا يعلم الى أين توجه^(٢). وقال فيه الرسول: «انه كان يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر فلذلك نجاء»^(٣).

ولما أتى بكعب بن أسد قائد بني قريظة مجموعة يداه الى عنقه، قال له رسول الله ﷺ: «وما انتفعتم بنصح ابن خراش وكان مصدقا بي، أما أمركم باتباعي وإن رأيتموني تقروؤني منه السلام: قال: بلى والتوراة يا أبا القاسم، ولولا ان تعيرني اليهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكني على دين اليهود» ثم ضربت عنقه^(٤).

★ غنائم بني قريظة:

بعد ان انتهى المسلمون من قتل المقاتلة من بني قريظة جمع الرسول المغانم وقسمها على المسلمين واصطفى لنفسه من السبايا ريحانة بنت عمرو. وقد خمس الرسول مغانم بني قريظة بخلاف ما عمله في اموال بني النضير، ثم أمر الرسول ببيع ما بقي من متاع وسبي فيمن يزيد^(٥). وقد أسهم الرسول للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللرجل من ليس له فرس سهم. وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا، وكان أول شيء وقعت فيه السهمان وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي. وكان مع الرسول ثلاثة أفراس فلم يأخذ الا سهما واحدا. وأسهم لخلاد بن سويد بن ثعلبة الذي

(١) انظر الواقدي: المغازي: ج٢ ص ٥١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٤.

(٣) ابو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ١٦٣.

(٤) الواقدي، المغازي ج٢ ص ٥١٦.

(٥) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٢٤٤، الواقدي: المغازي: ج٢ ص ٥٢١، وابن سعد، الطبقات، ج٢

ص ٧٥، والبقريري، إمتاع الأسماع، ج١ ص ٢٥٠.

طُرحت عليه الرحي من فوق الحصن فقتلته، وأسهم لأبي سنان بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة وكان قد مات أثناء حصار المسلمين لبني قريظة.^(١)

وكان عدد المسلمين يومئذ ثلاثة آلاف، فكانت سهمان الخيل والرجال ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهمًا، وأسهم على الأموال فجزئت خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، فخرجت السهمان، وكذلك الرثة «متاع البيت الرديء» والابل والغنم والسبي، ثم فض أربعة أسهم على الناس، وأخذ فيء الرسول ﷺ النساء اللاتي حضرن القتال ولم يسهم لهن. وهن صفية بنت عبدالمطلب، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء الأنصارية، والسميرة بنت قيس الأنصارية، وأم سعد بن معاذ «كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة»^(٢)، ثم بعث رسول الله ﷺ ببعض السبايا الى نجد «وقيل الى الشام» وابتاع للمسلمين بهم خيلا وسلاحا^(٣). وقد اشترى المسلمون بعض السبايا، وكان ممن اشترى ابو الشحم اليهودي، الذي اشترى امرأتين - مع كل واحدة ثلاثة أطفال - بخمسين ومائة دينار، وجعل يقول: الستم على دين يهود؟ فتقول المرأتان: لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه وهن يبكين. وكان رسول الله ﷺ يعتق من خمسه ويهب ويخدم منه من أراد^(٤). وقد نهى محمد ﷺ ان يفرق بين النساء وذرايهن عند البيع أو القسمة فقال: «لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا»^(٥). وقد سمح الرسول عليه السلام لليهود من المدينة وخيبر وقيس بابتياح السبي والخروج به من المدينة^(٦). وهكذا نجد أن الرسول ﷺ كان يحافظ على وحدة الأسرة اليهودية، كما تسامح بخروج السبي اليهودي من المدينة الى حيث يقيم اليهود خارجها.

وقد أشار القرآن الكريم الى ما نزل ببني قريظة جزاء نقضهم العهد وتآمرهم على المدينة وسكانها من المسلمين وتعريضهم الدعوة الاسلامية للخطر، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

(١) ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٢٤٤، والواقدي، المغازي جـ ٢ ص ٥٢١، وابن سعد: الطبقات، جـ ٢ ص ٧٥، والمقرئزي: إمتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٥٠.

(٢) انظر الواقدي: المغازي: جـ ٢ ص ٥٢٢، والمقرئزي، إمتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٥٠.

(٣) انظر الواقدي، المرجع السابق والصفحة، وكذلك المقرئزي - المرجع السابق والصفحة.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٢٤٥، والمقرئزي، إمتاع الاسماع، جـ ١ ص ٢٥١.

(٥) المقرئزي: إمتاع الاسماع، جـ ١ ص ٢٥١.

(٦) الواقدي: المغازي جـ ٢ ص ٥٢٤.

وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا^(١).

ويعلق ولفنسون على حوادث بني قريظة بقوله: «... وقد كان القضاء على اليهود هو رائد بطون الأوس والخزرج منذ الساعة الأولى لمجاورتهم لهم في يثرب، وقد بذلت في هذا السبيل جهودا عظيمة في فترات مختلفة ولم توفق حتى جاءت الحوادث بعد الهجرة فحققت آمالهم وأطماعهم السياسية في وقت كانت خامدة فيه تلك الآمال»^(٢).

غير ان الباحث المحقق في العلاقات القبلية في الفترة بعد الهجرة يرى ان الأوس والخزرج لم يكونوا مجمعين على القضاء على اليهود في المدينة ذلك الاجماع الذي شاهدناه قبل يوم بعث، فقد احتفظ اليهود بتحالفاتهم مع البطون الأوسية والخزرجية، ورأينا كيف أن عبدالله بن أبي تدخل لدى الرسول حتى خلص حلفاءه بني قينقاع من القتل، كما رأينا كيف أن الكثيرين من الأوس تدخلوا لدى الرسول ﷺ لانقاذ بني قريظة، كما حاول هذا النفر من الأوس ان يكون حكم سعد بن معاذ مخففا على حلفائهم من بني قريظة.

وبناء على ما تقدم لا نرى في العداء القبلي القديم بين الأوس والخزرج من جهة واليهود من جهة ثانية مبررا لما لحق اليهود من نكبات، ذلك لأن الخصومات القبلية كانت مظاهر للحياة الاجتماعية عند العرب وغير العرب في تلك الفترة وما كان بين اليهود والعرب كان بين العرب أنفسهم، وما كان يحدث بين الأوس والخزرج خير شاهد على هذا. ويعد فهل في هذا الحكم الذي نفذه المسلمون ببني قريظة قسوة كما يرى بعض المستشرقين؟^(٣).

علينا ان نتذكر قبل الاجابة على هذا التساؤل أن اليهود كانت أمامهم فرص الخلاص من القتل، وذلك اما باعلان اسلامهم واتباع الرسول فتبقى لهم حياتهم وأموالهم وأرضهم ويصبحون مثل سائر المسلمين، واما ان يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية للمسلمين مقابل حمايتهم، مثلهم مثل سائر أهل الذمة. ولكن اليهود رغم

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٢٦-٢٧.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٥٢.

(٣) انظر واشنطن، ارفنج، حياة محمد.. ترجمة وتعليق علي حسني الخربوطلي ط ٢ دار المعارف بمصر ص ١٩٥.

ادراكهم أهمية هذه الفرص وسماعهم نصيح بعض إخوانهم لهم باغتنامها، الا انهم كابروا وتعنتوا ورفضوا اغتنام اي منها، وبهذا السلوك لم يكن اليهود منسجمين مع أنفسهم، في تحزيب قريش ودفعها لقتال محمد^(١). وكان أخرى باليهود ان يسجدوا للاله الواحد الذي يؤمنون به ويكونوا مع المسلمين يدا واحدة على الشرك. غير ان هذا المسلك يؤكد طمع اليهود بالسيادة على المدينة بل ربما على بلاد الحجاز كاملة، ووجدوا ان الاسلام يقف بينهم وبين هذا المطمع فأخذوا يكيدون في السر والعلانية ويتآمرون مع الكفار للقضاء على هذا الدين الجديد واتباعه الذين هددوا سلطان اليهود وحرموهم من الوصول الى أطماعهم.

وقد باشر اليهود بانفسهم مؤامرة لو قدر لها النجاح لأبيحت المدينة على أيدي الأحزاب، ولتعرض سكان المدينة الآمنون للذبح الجماعي دونما تمييز بين صغير وكبير ورجل وامرأة، ولسبي من يفي منهم ويبيع كالسواثم، أي أن اليهود دبروا مذبحة جماعية بسابق عزم واصرار «كما يقول الحقوقيون». وهذه الجريمة يعاقب مرتكبوها بالموت لانهم أرادوا الموت لغيرهم. وليس هذا الحكم جديدا فقد اتبعته أمم من قبل وأمم من بعد، ولا تزال عقوبة مثل هذه الجرائم «الاعدام» في معظم بلدان اليوم وهي خيانة عظمى في نظر التشريعات الحديثة.

ومن الغريب ان اليهود يستنكرون ما حصل لهم وينسون أوامر إلههم يهوه بإبادة غيرهم وتقتيل النساء والرجال، فقد زعمت ان الرب امر موسى بمهاجمة المديانيين، فهاجموهم وقتلوا كل ذكر فيهم وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا مواشيهم وأملاكهم وأحرقوا مدنهم وحصونهم بالنار^(٢). وعندما دخل يشوع وجنده اريحا قتلوا الرجال والنساء والاطفال والشيوخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف^(٣)، والمذابح التي ارتكبها اليهود في التاريخ ليس لها حصر، وها هم أولاء في عصرنا الحاضر - عصر التقدم والمدنية - يرتكبون المجازر البشرية الجماعية، فمجازر دير ياسين وكفر قاسم، وقبيه، ونحالين^(٤)، وغيرها خير شاهد على ان الشعب اليهودي متعطش لدماء الابرياء أكثر من أي شعب آخر

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج ٢ ص ٢٤، المغازي، ج ٢ ص ٢٤٢، والمقريري، إمتاع الاسماع ج ١ ص ٢١٧.

(٢) انظر سفر العدد، الإصحاح ٣١: ١-١٢، ومدين شعب كان يستوطن مرتفعات شرق نهر الاردن الجنوبية.

(٣) انظر سفر يشوع، الإصحاح ٦: ٢١-٢٢.

(٤) قرى فلسطينية، هذا وتعرض القرى والمدن الأردنية واللبنانية في كل يوم لأعمال العنف الإسرائيلية.

لا لذنب ارتكبه هذه الشعوب التي آوتهم وقدمت لهم المساعدة على العيش، اللهم الا شعور النقص الذي يعاني منه اليهود.

ومما يجدر ذكره ان المسلمين لم يباغتوا بني قريظة بالقتل، وانما سبق نصيحهم وتحذيرهم على لسان حليفهم سعد بن معاذ بان لا يلجوا هذا الطريق الغادر وان يعتبروا بما حل ببني قينقاع وبني النضير، وأعلموهم ان الله سبحانه وتعالى سيحكم المسلمين بهم وأنه قادر على هزيمة الأحزاب. ذلك كله حتى لا يأخذهم الغرور ويعودوا الى الصواب. ولم تفلح النصائح معهم، كما لم تفلح المواعظ والعبر في ردهم عن غيهم وعزمهم على خيانة المسلمين وطعنهم من الخلف في أحلك أوقات الشدة التي تعرض لها الرسول وصحبه. ومما يزيد الجريمة بشاعة ان اليهود كانوا معاهدين وملزمين بنصرة المسلمين على أعدائهم، فنكثوا العهد وقلبوا رأس المجن، وانقلبوا الى أعداء بعد ان كان يحسبهم المسلمون أعواناً، وبذلك استحقوا جزاء الله العادل، فقتل المسلمون المقاتلون البالغون وتسامحوا مع النساء والاطفال.

وبعد القضاء على بني قريظة أصبحت المدينة قاعدة امينة للمسلمين، فلم يعد فيها ولا في أطرافها أقوام يخشى شرهم، كما ان المنافقين ضعفت شوكتهم، فساد الأمن داخل المدينة، وزادت هيبة المسلمين في قلوب أعدائهم، وأصبح الجميع يتحدث عن قوتهم ونفوذهم، وأيقنت قريش ان دعوة محمد قد أصبحت قوة لا تقهر. وقد عبر عن هذا رسول الله ﷺ بقوله بعد هزيمة الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير اليهم»^(١) وجاء هذا القول مصداقاً لما تبع من أحداث.

★ أثر جلاء اليهود على اقتصاد المدينة :

ذهب بعض الباحثين الى القول بأن المدينة شهدت تدهوراً في أحوالها الاقتصادية بعد زوال اليهود منها^(٢). ويقصدون بهذا التدهور ما أصاب التجارة والزراعة والصناعة من تأخر، ومع ان في هذا القول نصيباً من الصحة، فقد قصد به الايحاء بعلاقة نهضة المدينة الاقتصادية باليهود.

(١) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٩٢.

(٢) انظر ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٥٢.

إن المسلمين كانوا مضطرين لحمل السلاح في العهد النبوي وما بعده للدفاع عن انفسهم وحماية دينهم ، فلم يكن لهم من الوقت ما يصرفونه على شؤون الزراعة والصناعة . ولم يهمل المسلمون شؤون التجارة ، فقد بقيت تجارتهم رائجة ، فقد جهز عثمان بن عفان «رضي الله عنه» وحده غزوة تبوك من عائدات تجارته . وأما في الصناعة فلم يهتم بها عرب الحجاز منذ القدم ، وجعلوها خدمة للموالي والعبيد اعتقاداً منهم بأنها مهنة وضيعة .

ومع ذلك فالحالة الاقتصادية في المدينة قد تحسنت وازداد عدد سكانها وأصبحت عاصمة الدولة الاسلامية ، وتفوقت على مكة في كافة المجالات . وقد يرى بعضهم ان تحول المسلمين الى مقاتلين انما كان بسبب ما تجلبه الحروب لهم من منافع ، وكأن المسلمين اختاروا باب القتال على أبواب الزراعة والتجارة والصناعة ، غير ان المسلمين كانوا مضطرين لولوج باب القتال تحقيقاً لأغراض دينية وسياسية ، فقد أملت عليهم ظروفهم الجديدة حمل السلاح للدفاع عن وجودهم وحماية دينهم .

يفسر ولفنسون الظاهرة السابقة بقوله : «أهمل العرب أعمالهم الزراعية وتركوها بأيدي العبيد الذين جلبوهم من الأمم المغلوبة ، ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على العنصر العربي وحده بل نجدتها شاملة لكل الأمم في طور الانتقال من الفقر والبداءة الى الملك والاستعمار ، فقد نعلم ان الأمة اليونانية اخذت بعد خروج الاسكندر الأكبر لفتح ممالك الشرق تنحط في الزراعة والتجارة وتهمل ما في بلادها من مصادر الثروة طمعاً في جلب ما في الممالك الشرقية من المغانم الكثيرة والى مثل هذه الظاهرة تشير كتب تاريخ روما وما بعد قهرها لأمم العالم القديم»^(١) . ويعزو ولفنسون انقطاع قوافل مكة التجارية فيما بعد الى تدهور اقتصاد المدينة وتخلي المكيين عن التجارة لاشتغالهم في الفتوح ، ويقول بأنه لولا وجود ضريح النبي في المدينة والكعبة لأصبحنا مثل سائر المدن في الجزيرة العربية من حيث الاهمال^(٢) .

والذي أراه هو أن خروج المسلمين الى خارج الجزيرة انما أملت عوامل الفتوح ، وقد استطاع المسلمون ان يحصلوا على بلاد جديدة أكثر خصبا من منطقة الحجاز ،

(١) ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٥٣-١٥٤ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

ولذلك أصبحت غلات هذه البلاد بين أيديهم دونما حاجة للقوافل التجارية من مكة والمدينة، ثم ان معظم سكان هذه المدن كانوا عماد الجيش الاسلامي المنتشر في سوريا والعراق وشمال افريقيا، فمن أين الرجال لهذه الزراعة والتجارة التي يتحدث عنها ولفنسون؟!

ولو دخل اليهود في الدعوة الاسلامية أو ظلوا على ولائهم للمسلمين على الأقل لما تأخروا لحظة في الخروج من منطقة الحجاز الى حيث المزارع الوفيرة والمياه والخصوبة في بلاد الشام او العراق او مصر، ولذلك فإن ما أصاب الحجاز من تحول اقتصادي انما كان بسبب توسع الرقعة الاسلامية وضم بلدان أكثر خصبا وأوفر غنى من بلاد الحجاز من جهة، ولأن المسلمين تحولوا للفتوح في أرجاء متعددة من جهة أخرى. وقد أثر الفتح في المسلمين فحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية. وأما الأثر المباشر لغنائم بني قريظة فكان واضحا في ما ناله كل المسلمين في المدينة من هذه الغنائم.

وقد قيلت أشعار كثيرة في غزوتي الخندق وقريظة عكست لهاتين الغزوتين من أثر في نفوس المتحاربين، ومضمون هذه الاشعار مدح وقدح من الجانبين واطراء لشجاعة المتحاربين، وبكاء على القتلى من الطرفين، ومن هذه الأشعار ما قيل في مدح بني قريظة، وقد برز حسان بن ثابت وكعب بن مالك أخو بني مسلمة للرد على الشعراء الموالين لليهود أمثال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني الحارث ومسافع بن عبد مناف بن وهب وجبل بن جوال، ومما قاله حسان في رثاء سعد بن معاذ.

لقد سجمت من دمع عيني عبرة وحق لعيني ان تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعت به عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفد^(١)

ومما قاله ضرار بن الخطاب يفتخر بحصار يوم الخندق :

فاحجرناهم شهرا كريتا وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوهم ونغدو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج-٢ ص ٢٥٢-٢٧٣.

فلولا خندق كانوا لديه
ولكن حال دونهم وكانوا
فان نرحل فانا قد تركنا
وسوف نزرركم عما قريب

لدمرنا عليهم أجمعينا
به من خوفنا مشعوذينا
لدى أبياتكم سعدا رهينا. (١)
كما زرناكم متوازيينا

وجاء في رد كعب بن مالك عليه :

وسائلة تسائل ما لقينا
صبرنا لا نرى لله عدلاً
وكان لنا النبي وزير صدق

ولو شهدت رأينا صابرينا
على ما نابنا متوكلين
به نعلو البرية أجمعينا

ومما قاله جبل بن جوال يبيكي قريظة والنضير :

ألا يا سعد سعد بني معاذ
فأما الخزرجي أبو حباب
ونُدلت الموالى من حضير
وأفقرت البويرة من سلام
أقيموا يا سراة الأوس فيها

لما لقيت قريظة والنضير
فقال لقينقاع لا تسيروا (٢)
أسيدا والدوائر قد تدور
وسعية وابن أخطب فهي بور (٣)
كأنكم من المعزاة عور (٤)

★ أعمال الرسول الاحتياطية قبيل غزوة خيبر :

كان لأخبار مقتل رجال قريظة وقع أليم بين يهود الحجاز، وبخاصة يهود بني النضير الذين اشترك قادتهم في غزوة الأحزاب . وقد استقبلت النساء هذه الأخبار بالبكاء والمآثم وشق الجيوب وجز الشعور، وتنادى الرجال الى الاجتماع عند سلام بن مشكم وحضر زعماء اليهود من بني النضير وزعماء خيبر، وتداولوا ما أصاب بني قريظة وتلاوموا وقال سلام بن مشكم : « هذا كله عمل حيي بن أخطب، شأمننا أولاً ونخالفنا في الرأي، فأخرجنا من أموالنا وشرفنا وقتل إخواننا » (٥) . وشعر المجتمعون ان الخطر داهم وان اليهودية في

(١) يقصد سعد بن معاذ الذي جرح في حصار الخندق .

(٢) الخزرجي أبو حباب : عبدالله بن أبي بن سلول الذي تدخل لصالح بني قينقاع .

(٣) سلام : هو ابن مشكم ، وسعية ابن أخطب من زعماء بني النضير .

(٤) انظر ابن هشام ، السيرة ، ج ٢ ص ٢٥٢-٢٧٣ .

(٥) الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ص ٥٣٠ ، انظر ايضا المقرئ ، إمتاع الاسماع ج ١ ص ٢٥٣ .

بلاد الحجاز على وشك الزوال وانه لا بد من الرأي والعزم قبل فوات الأوان، وتبادلوا الرأي، وكان رأي ابن مشكم ان يجمع يهود خيبر وتيماء وفدك ووادي القرى ويسير بهم لحرب محمد دون الاستعانة بأحد من العرب، وقال مخاطبا حضوره: «فقد رأيتم في غزوة الخندق ما صنعت بكم العرب بعد ان شرطتم لهم تمر خيبر نقضوا ذلك وخذلوكم، وطلبوا من محمد بعض تمر الأوس والخزرج وينصرفون عنه»^(١).

وهكذا رأى اليهود عدم الاعتماد على العرب، وزاد هذا في عزلتهم في بلاد العرب حتى شعروا بالغرابة، ولم يكن خذلان العرب لليهود في واقعة الأحزاب بسبب ما قيل عن اتفاق الرسول مع غطفان لينسحبوا مقابل تمر الأوس والخزرج، بل هناك مجموعة من الأسباب سبق ذكرها^(٢).

لم يكن اليهود جميعا مع رأي ابن مشكم بالخروج لقتال محمد ﷺ في المدينة، فقد رأوا أن محمدا لن يسير اليهم لما يعرفه من مناعة حصونهم في خيبر وربما كان الخوف وراء هذا الفريق. كانت جميع الأخبار المتعلقة بتحركات يهود خيبر تصل الرسول ﷺ، فوجد ان من الحكمة ان يمنع اليهود من تشكيل تحالف جديد من اليهود ومشركي العرب، وأن يؤخر حربه مع يهود خيبر بعض الوقت.

وفي سبيل هذه السياسة وجد ان عليه أن يتخلص من الرؤوس اليهودية المدبرة لهذا التحالف، وفي نفس الوقت يوجه سرايا والغزوات لتأديب القبائل العربية التي يخشى تحالفها مع اليهود. وكانت سياسة الرسول هذه تعتمد على فصم العلاقات بين قريش العدو اللدود في الجنوب وبين اليهود العدو اللدود في الشمال. ولذلك بدأ الرسول سلسلة أعمال في الشمال والجنوب دلت على عظم العبقرية النبوية.

١ - مقتل أبي رافع «سلام بن أبي الحقيق».

كان أبو رافع ممن حزبوا الأحزاب لغزو المسلمين، وتواترت الأنباء الى رسول الله ﷺ انه يحرض ويجد في تحزيب العرب واليهود للغزو من جديد، وقد ازداد نشاطه بعد مقتل بني قريظة، كما ازداد في الايذاء لرسول الله ﷺ. وخرج هذا الى غطفان ومشركي

(١) الواقدي، المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر ص ٣٣٧ من هذا البحث

العرب يؤلّهم على المسلمين ويجعل لهم المال الكثير إن هم نصره على حرب محمد وأصحابه^(١).

وفي الجانب الإسلامي كانت الخزرج تريد أن تتساوى مع الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف، وأحرزوا سبقاً عليهم بقتل واحد من أشد أعداء النبي ﷺ. ولما شاعت أخبار أبي رافع بأنه يعمل على تأليب الجموع لحرب المسلمين، استأذن نفر من الخزرج رسول الله في قتله. جاء في سيرة ابن هشام: «وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك»^(٢).

وهكذا وجد الخزرج في أبي رافع تاجر الحجاز^(٣) المعروف عدواً لرسول الله والمسلمين مساوياً في عداوته لكعب بن الأشرف. ولا غرو فأبو رافع التاجر المعروف وصاحب الأموال الكثيرة قد جعلها في سبيل إيقاع الشر بالمسلمين.

ذكر أهل السير والمغازي أن الرسول أذن لعبد الله بن عتيك الخزرجي ومعه أربعة نفر من قومه بقتل أبي رافع، وأذن لهم أن يتخذوا الحيلة والخدعة في تنفيذ مهمتهم، وأوصاهم خيراً بالنساء والأطفال والشيخوخة. قدم هؤلاء إلى أطراف خيبر، وقيل إن أم ابن عتيك بالرضاعة كانت يهودية^(٤)، وأنها ساعدتهم بأن قدمت لهم الطعام وآوتهم وأرشدتهم إلى حيلة يدخلون بها على أبي رافع في حصنه. وتمكن هؤلاء أن يدخلوا بيت أبي رافع بحيلة احتالوا بها على أهل الحصن فأخبروهم بأنهم من العرب جاؤا يلتمسون الميرة، ودخلوا عليه في فراشه ليلاً وكان يرى في الظلام لشدة بياضه، وقد أوجست امرأته خيفة منهم فسارعوا إلى قتل زوجها وامتنعوا عن قتلها حفاظاً على وصية الرسول ﷺ^(٥).

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٧٣. الواقدي، المغازي، ج١ ص ٣٩١. ابن سعد الطبقات، ج٢ ص ٩١. صحيح البخاري ج٥ ص ٧٧. ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٩٦٦م ص ١٩٥. ابن سيد الناس، حيون الأثر في فنون المغازي والسير ج٢ ص ٨١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٧٤.

(٣) انظر برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣ ص ١٨٣.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص ٣٩١. والمقرئزي، إمتاع الاسماع ج١ ص ١٨٦.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٢٧٣. الواقدي: المغازي، ج١ ص ٣٩١. وابن سعد: الطبقات ج٢ ص ٩١، والطبري: تاريخ ج٢ ص ٤٩٣. وابن الأثير، الكامل ج٢ ص ٩٥. وابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٩٥. والمقرئزي: إمتاع الاسماع ج١ ص ١٨٦.

وهكذا نجح المسلمون في التخلص من زعيم بارز من زعماء اليهود، عرفه شمال الحجاز بشدة عداوته للمسلمين، واشتهر بينهم بأنه الذي يجمع الجموع لحربهم. ولذلك أوقع قتله الرعب في قلوب زعماء اليهود والمشركين من العرب على السواء، وأصبح أحدهم يحتاط في إعلان عداوته للرسول ﷺ، وبعد مقتل أبي رافع بعث رسول الله ﷺ سرية استخبارات أمرها باستطلاع احوال اليهود بعد مقتل أبي رافع ثم الوقوف على تحركاتهم ومعرفة نواياهم. وقد استطاعت بعثة ثلاثية يرأسها عبدالله بن رواحة، من الوقوف على أخبار خيبر، وعرفت ان اليهود أمّرت عليها أسير بن زارم بعد سلام بن أبي الحقيق، وان هذا عازم على اقتفاء أثر سلفه في التحريض على المسلمين^(١).

٢ - مقتل أسير بن زارم اليهودي :

أراد الرسول ان يبعث الذعر في نفوس اليهود ويعطل خططهم، فندب عبدالله بن رواحة على رأس سرية لقتل أسير بن زارم، وكان هذا قد خرج الى غطفان فجمعها ليسير بها الى المدينة^(٢).

سار ابن رواحة على رأس ثلاثين من المسلمين حتى وصل الى خيبر، وبعثوا الى أسير فأمنهم حتى يأتيه فيما جاؤا له، فأتوه وأخبروه أن الرسول ﷺ بعثهم اليه ليستعمله على خيبر ويحسن اليه، فركب أسير بن زارم مع نفر من قومه يساوي عددهم عدد المسلمين. وفي الطريق أظهر ندمه على سيره. فمال المسلمون عليه وعلى أصحابه وقتلوهم عن آخرهم الا رجلا واحدا فرمنهم وحمل خبرهم الى قومه^(٣).

إن قيام أسير بن زارم مع عبدالله بن رواحة ومسيره معه الى المدينة أمر يبعث على التساؤل، فقد ارتاب بعض الحضور من اليهود في أمر دعوة محمد ﷺ، وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بني اسرائيل^(٤)، ثم إن خيبر لم تكن خاضعة لنفوذ محمد ﷺ حتى يجعل لها عمالا من عنده، فما هو الدافع وراء قيام ابن زارم مع الوفد المسلم؟

(١) انظر الواقدي : المغازي جـ ٢ ص ٥٦٦. وابن سعد : الطبقات، جـ ٢ ص ٩٢. والمقرئزي : امتاع الأسباع جـ ١ ص ٢٧٠. وبرهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٠٧.

(٢) انظر المقرئزي امتاع الأسباع، جـ ١ ص ٢٧١.

(٣) انظر الواقدي : المغازي جـ ٢ ص ٥٦٦ وابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ٩٢. والديار بكري، الخميس جـ ٢ ص ١٥.

(٤) انظر الواقدي، المغازي جـ ٢ ص ٥٦٦.

يرى ولفنسون ان أسير بن زارم انما خرج مع عبد الله بن رواحه ليعقد هدنة مع محمد وليمحوما علق في قلوب الأنصار من أشياء بسبب اشتراك بعض زعماء خيبر والنضير يوم الخندق^(١). إنني أرى أن تعليل ولفنسون غير كاف في توضيح هذه القضية التي سكنت عنها المصادر التاريخية ولم تعطها ما تستحق من البحث والدرس. وفي تصوري ان يهود خيبر انما قرروا عقد صلح مع المسلمين لتجنب الحرب معهم لأن ما عرف عن يهود خيبر هو ميلهم الى السلام وابتعادهم عن الحوادث التي كان يثيرها زعماء بني النضير، وذلك أنهم كانوا في وضع مستقل في بلاد الحجاز يستثمرون مزارعهم دون ان يكدر صفوهم احد حتى قدم عليهم زعماء بني النضير واخذوا يحرضونهم على حرب محمد. وقد أثبتت الحوادث بين المسلمين واليهود في المدينة عقم الاعتماد على العرب في محاربة المسلمين، لهذا وجد يهود خيبر أن سعيهم للحرب إنما هو مجازفة بشرواتهم الطائلة، فمالوا الى الصلح لاحدى الغايتين التاليتين:

الأولى : تجنب الحرب مع المسلمين وبذلك يضمنون استمرارهم في معيشتهم دون أن يخسروا شيئاً.

الثانية : ربما أن يهود خيبر قد ملوا الحرب التي طالت بين المسلمين واليهود، ورأوا أن المسلمين بحاجة إلى السلام، سيما وأن هذا السلام أصبح في نظرهم ممكناً بعد هزيمة قريش ويهود المدينة.

ويغلب على الظن ان يهود خيبر كانوا يتوقون الى السلام ولو لفترة تمكنهم من اعداد أنفسهم لحرب المسلمين من جديد. وتعكس الغايتان المشار اليهما افكار يهود خيبر بعد مقتل أبي رافع، فرأوا انه لا سبيل الى السلام مع المسلمين بعد ما حدث بينهما من دماء، فأرادوا اغتنام الفرصة التي عرضها الوفد المسلم لاتباع أسلوب جديد في حربهم المقبلة، وأرجح هذا الافتراض لأن اتساق الحوادث فيما بعد تؤيده.

وقد يرى البعض في مثل هذه الأساليب من القتل نقيصة تصم المسلمين بالغدر، الا ان حالة الحرب التي سادت العلاقات اليهودية الاسلامية تسمح بذلك. ذلك ان الرسول كان مضطراً لاتباع هذا الأسلوب لانه رأى ان قتل فرد قد يوفر قتل جماعة، وندرك مدى صحة نظرة الرسول هذه اذا عرفنا ان يهود خيبر وتيماء وفدك ووادي القرى قد نجوا

(١) تاريخ اليهودي في بلاد العرب ص ١٥٩.

مما أصاب يهود بني قريظة، هذا فضلا عن إن الرسول كان يتبع سياسة ثابتة من شأنها الحفاظ على أمن وسلامة المسلمين. ويقتل هذين الزعيمين استطاع الرسول ﷺ أن يبعد خطر اليهود بعض الوقت.

٣ - السرايا والغزوات الاستطلاعية :

كانت سياسة الرسول ﷺ تقضي بتأديب القبائل العربية الواقعة على الطريق التجاري بين مكة وفلسطين ليحقق بذلك غرضين :

الأول : الضغط على قريش عن طريق حصارهم وجعل تجارتهم تحت رحمة المسلمين، وبهذا يمكن ترويضهم وجعلهم أكثر ميلا لقبول الصلح مع الرسول ﷺ، وكان الرسول يعقد على مثل هذا الصلح آمالا واسعة.

الثاني : إثبات وجود القوة الإسلامية في منطقة الحجاز، وإرهاب القبائل البدوية وإبعادها عن المدينة، ومنعها من تشكيل تحالفات مع بعضها ومع اليهود في شمال الحجاز بقصد الاغارة على المدينة.

وفي سبيل تنفيذ هذه السياسة لم يسترح المسلمون بعد الخندق الا قليلا، ففي شهر ربيع الأول من السنة السادسة الهجرية بدأ بغزو بني لحيان وفقا لسياسته المرسومة، وحتى ينتقم منهم لأصحاب الرجيع، وقد شتتهم وأبعد خطرهم، ثم تلاها المسلمون بغزوة «ذي قرد» الى بعض بطون غطفان شمال المدينة، وأبعدوا خطرهم وأنزلوا الذعر في صفوفهم. وفي نفس السنة تحركت سرية عكاشة بن محصن الأسدي الى «غمر مرزوق» على الطريق بين مكة والشام فاستاقوا نعم بني أسد وشتتوا شملهم، ثم سار محمد بن مسلمة في سرية الى بني ثعلبة وقتل جميع اصحابه ولم ينج الا هو بعد ان أصيب بالجراح وحمله بعض المارة الى المدينة، وبعث الرسول في الحال سرية اخرى بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح فهربوا منه في الجبال، وسار زيد بن حارثة في سرية الى بني سليم قرب المدينة وأصابوا نعماء وأسرى، ثم سار بنفسه الى موضع العيص قرب المدينة واعترضوا قافلة تجارية لقريش وأخذوها كلها وأسروا أناسا منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة الرسول ﷺ وغنموا فضة كثيرة لصفوان بن أمية. ثم بعث الرسول سرية بقيادة زيد بن حارثة الى أعراب بني ثعلبة في موضع يقال له : «الظرف» على بعد ستة وثلاثين

ميلا من المدينة وأصاب زيد نعمًا وشاء وجاء بها الى المدينة، وسار زيد مرة اخرى الى «حسمى» وهو واد وراء ذات القرى وذلك لعقاب بني الضبيب الذين اعتدوا على أحد المسلمين. وفي سبيل الغاية نفسها كانت سرية كرز بن جابر الفهري الى الغريين وهم حي من قضاة وحي من بجيلة. ومن بين السرايا سرية زيد بن حارثة الى وادي القرى، وسرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل لدعوة بني كلب الى الاسلام، أو قتالهم، وقد أسلم أناس منهم. ومن بين هذه السرايا والغزوات ايضا غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة، وقد هزمهم المسلمون وغنموا كثيرا منهم، وكان في غنائمهم جوية بنت الحارث زعيمهم فتزوجها الرسول ﷺ، وإكراما لهذا الزواج أطلق المسلمون ما بأيديهم من السبايا، كما أدى هذا الزواج الى انتشار الاسلام بين بني المصطلق^(١).

لقد ذكرنا امثلة من هذه السرايا والمغازي للمثال لا للحصر، لنقف على الجهود التي بذلها المسلمون قبل غزوة خيبر. وهكذا نجد ان الرسول قد حقق هدفين من الأهداف الثلاثة التي رسمها في سياسته، فقد أوقع باليهود وبعث الفوضى والعرب في صفوفهم بعد قتل زعمائهم. كما تمكن من دحر القبائل العربية وبث الرعب في بعضها ونشر الاسلام في بعضها الآخر، ووضع تجارة قريش نتيجة هذه السرايا والمغازي تحت رحمة المسلمين، وبقي عليه ان يسعى لتحقيق الهدف الثالث والبعيد وهو عقد صلح مع قريش تمهيدا لغزو خيبر.

٤ - صلح الحديبية:

كان المسلمون قد ازدادوا عددا وعدة في السنة السادسة الهجرية، فقبل هذه السنة فشلت غزوة الأحزاب، كما تخلص المسلمون من أعدائهم داخل المدينة وانحازت الى جانبهم بعض القبائل العربية وأصبحوا يسيطرون على طرق التجارة بين مكة وبلاد الشام. ويغلب على الظن ان هذه العوامل قد ساعدت دعاة الصلح من قريش أن يرفعوا أصواتهم لتخفيف نقمة قريش على محمد وأصحابه له شأن عظيم. لقد كان الكثيرون من القرشيين يرغبون في الصلح مع محمد تلبية لدوافع القربى والعصبية، ويؤيد هذا ما جاء على لسان الزهري من أن خزاعة كانت عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشرکها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة^(٢).

(١) انظر ابن هشام، السيرة، طبعة حجازي، ج٣ ص ٣٤٠. الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٥٣٥ وما بعدها. والديار بكري، الخميس، ج٢ ص ٥ وما بعدها.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣١٢، عيبة نصح «أي خاصته واصحاب سره».

ولما تقدم سارعت قريش لمفاوضة محمد عندما قدم للعمرة مع جموع المسلمين واتفقت معه على وضع الحرب لمدة عشر سنين والسماح للمسلمين بالحج الى مكة في السنة المقبلة - أي السنة السابعة الهجرية - وتركت الحرية للقبائل العربية ان تحالف من ترغب من قريش أو المسلمين^(١).

وبهذا الصلح حقق الرسول هدفا كان يتطلع اليه فقد روي عنه أنه قال: «لا تدعوني قريش اليوم خطة يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إياها»^(٢) وبهذا الصلح أمن المسلمون شر قريش وأصبحت لديهم حرية التحرك في كل الاتجاهات. فقد انتشر خبر هذا الصلح بين القبائل العربية وأخذ العرب ينظرون نظرة المساواة لقوة المسلمين مع قوة قريش التي كانت قبائل العرب تخشاها، ولذلك أقبل على الاسلام عدد كبير من أفراد هذه القبائل، ويدلنا على تزايد عدد المسلمين ان عددهم كان عندما خرجوا للحديبية في السنة السادسة الهجرية، ألفا وأربعمائة، ثم أصبح عددهم عندما خرجوا لفتح مكة بعد ذلك بستين عشرة ألف^(٣).

لقد كان صلح الحديبية آخر الأعمال الاحتياطية التي اتخذها الرسول ﷺ قبل غزوة خيبر، وبعد هذا الصلح أصبح يهود خيبر وحدهم أمام المسلمين. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الصلح وما ترتب عليه من نتائج ومغانم كثيرة^(٤) ويرى بعض المفسرين ان مغانم صلح الحديبية فتح خيبر. .^(٥)

★ غزوة خيبر^(٦)

كانت واحة خيبر قديما أخصب مناطق الحجاز، كما كان أهلها من اليهود أنشط

(١) انظر شروط صلح الحديبية كاملة عند ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٥٨-٦٣ رقم (١١).

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ٣١٧ . وابن سعد : الطبقات ج٢ ص ٩٦ .

(٣) انظر ابن هشام ، المرجع السابق ج٢ ص ٣٢٢ .

(٤) انظر سورة الفتح ، الآيات : ١-٣ ، ١٠ ، ٢١ ، ٢٤-٢٧ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٩١ . والزمخشري ، الكشاف ج-٣ ، ص ٥٤٦ . وسيد قطب في ظلال القرآن ج٧ ص ٥٠٦ . وتفسير الجلالين ص ٤٣٣ .

(٦) تقع خيبر على مسافة لا تزيد عن ١٨٩ كم الى الشمال الشرقي من المدينة المنورة ، وهي واحة واسعة غزيرة الماء ، تقع في حرة تعد من اعظم الحرات واوسعها مساحة على مرتفع يبلغ علوه (٨٥٠) مترا عن سطح البحر . وفي المواسم تهطل الأمطار الغزيرة فتتدفق السيول ، وترسل ينابيع خيبر كميات من المياه على شكل نهر تقريبا ، وتعيش الأسماك في هذا النهر بين الفجوات المغمرة التي تتشكل من الصخور كما ان الثمر والقمح والشعير =

المزارعين ، وقد شادوا السدود لحفظ المياه والتصرف بها حسب حاجات مزارعتهم^(١). فلا عجب إذن إذا اشيد هؤلاء الحصون المنيعة التي اشتهرت بها خيبر وجعلوها مستودعات كبيرة كدسوا فيها اموالهم وغلالهم وحفظوا مواشيهم وتحصنوا بها اذا ما داهمهم الخطر . والأمر الذي يثير الحيرة عند المؤرخين هو التعرف على موقف يهود خيبر من الصراع الذي كان يدور بين يهود المدينة وبين المسلمين ، فلم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا ما عن هذا الأمر الغامض ، وأغلب الظن ان هؤلاء اليهود وقفوا على الحياد من هذا الصراع في باديء الامر وذلك لانشغالهم في أمور الزراعة والتجارة ، فلم يكن لهم هم الا جمع الثروة كما كان اهتمامهم قليلا بأمور السياسة والحرب . ويمكن ان يقال ايضا ان يهود خيبر كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية لوفرة عددهم وعددهم ومناعة حصونهم ، لهذا لم يشغلوا أنفسهم في صراع بعيد عنهم .

لقد ظل يهود خيبر بعيدين عن الصراع داخل المدينة حتى قدم عليهم بنو النضير بعد اجلائهم ، ولما نزل عليهم سادات بني النضير «دان لهم أهلها»^(٢) . وقد كان يهود بني النضير أرفع اليهود نسبا وأرقاهم حسبا ويرون ان لهم السيادة والشرف على جميع فئات اليهود لأنهم «يزعمون» انهم من نسل هارون بن عمران عليه السلام ، ولهذا كان يقال لهم ولاخوانهم بني قريظة : «الكاهنان» ، لأنهم من نسل هارون الذي يسميه اليهود بالكاهن^(٣) . لذلك كان اليهود يقرون لهم بالسلطة الدينية والسياسية . وقد يكون مركز زعماء بني النضير هذا هو الذي جعلهم اكثر فئات اليهود حقدا على الاسلام والمسلمين ، ويعزز هذا ما ورد عند ابن هشام : «قال : حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب انها قالت : كنت احب ولد أبي اليه ، والى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن

تتمر بكيميات وافرة في هذه المنطقة . لقد قيل ان اسم خيبر مشتق من اللغة العبرانية ومعناه «الحصن» وجمعها خيابر «حصون» كما قيل انها سميت نسبة الى خيبر بن قانية بن مهلائيل بن ارم .

أنظر وصف خيبر عند ، مصطفى مراد الدباغ ، جزيرة العرب - منشورات دار الطليعة بيروت - ط ١ ١٩٦٣ ج ١ ص ١٢٦-١٢٧ . وعبدالله فليبي ، أرض الأنبياء - مدائن صالح - ترجمة عمر الديراوي - المكتبة الأهلية بيروت ١٩٦٢ ص ٤٦ .

وأنظر تسمية خيبر عند ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٩٦ .

(١) انظر فليبي ، أرض الأنبياء ، ص ٢٦ .

(٢) ابن هشام ، السيرة ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) انظر الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٩ ص ١٩٦ .

عوف، غدا عليه أبي، حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالكين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت اليهما كما كنت اصنع، فوالله ما التفت الي واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لابي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت^(١).

ان هذه الرواية تكشف حرص زعماء بني النضير على مركزهم الديني الذي ضمن لهم السيادة الروحية والمادية على اليهود. وقد بقي حيي بن اخطب العدو اليهودي الذي لا يلين لرسول الله ﷺ.

استطاع بنو النضير أن يجعلوا خيبر وما فيها من عدد وعدة تحت قيادتهم وبذلك تحولت خيبر من حالة الحياد الى مركز التآمر الأول ضد المسلمين. وباشر زعماء بني النضير مع زعماء يهود خيبر اعداد المشروعات لغزو المدينة. وكان رأي سلام بن مشكم ان يحشد جيشا من اليهود ويغزوه المدينة دون الاستعانة بالعرب الذين نقضوا تعهداتهم حسب زعمه. ولكن القائلين بالبقاء في خيبر والتحرز في حصونها غلبوا على رأي ابن مشكم، وموقف اليهود هذا جاء مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾^(٢).

كانت العلاقات بين المسلمين واليهود قد ساءت لدرجة أن الحالة النفسية عند كلا الجانبين كانت مستنفرة، بحيث كان كل جانب يتوقع هجوم الآخر بين لحظة وأخرى، وفي مثل هذا الجو المشحون بالعداوة يصعب التحدث عن السلام.

كان الرسول ﷺ يتطلع الى ازالة العقبة التي تقف أمام نشر الاسلام في شمال الحجاز، فقد كان وجود خيبر بهذه المنعة والقوة يشجع الأعراب على مقاومة الدعوة الاسلامية وذلك اطمئنانا الى حماية يهود خيبر ذوي العدد والعدة. وقد ذكرت بعض المصادر ان الأعراب كانوا يحتمون بخيبر^(٣). واذا ما أضفنا إلى ما تقدم تحريض يهود

(١) ابن هشام، السيرة، ج١ ص ٥١٨-٥١٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٣) انظر الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٦٣٧-٧٢٩.

خير على التحالف لحرب المسلمين نجد أن أسباب غزو خير قد تجمعت ولم يعد بالامكان القعود عن حربهم .

كانت غزوة خير الخطوة الأولى نحو فتح مكة، وهي أول فتح اسلامي بالمعنى الصحيح، فقد أضيفت أرض جديدة الى الرقعة الاسلامية. واذا كان فتح خير قد اعتبر مقدمة لفتح مكة، فقد اعتبر صلح الحديبية ايضا مقدمة لفتح خير. وفي الحديبية وعد الله رسوله بهذا الفتح بقوله: ﴿وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فاجعل لكم هذه﴾^(١). ومن الحديبية بشر الرسول ﷺ أصحابه بدخول المسجد الحرام: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾^(٢).

سار الرسول الى خير بتكتم شديد حرصا من وصول اخباره الى خير والأعراب القريبة منها، وكان يهدف من ذلك الى تنفيذ خطة تمنع غطفان من نجدة اليهود، كما كان الرسول حريصا على مفاجأة أعدائه قبل ان يأخذوا الحيطة لذلك، وعندما شعر اليهود الذين في المدينة ان المسلمين يتجهزون لغزو خير حاولوا تشييط عزائم المسلمين وعرقلة تجهيزهم، وأشاعوا في سبيل ذلك الشائعات عن قوة يهود خير ومناعة حصونهم. فقد ذكرت بعض الروايات انه لما أخذ الناس يتجهزون لغزو خير، شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعون لرسول الله ﷺ وعرفوا انهم اذا دخلوا خير أهلك الله خير كما أهلك بني قينقاع والنضير وقريظة. قال: فلما تجهزنا لم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق الا لزمه، وكان لأبي الشحم اليهودي عند عبدالله بن أبي حذر الأسلمي خمسة دراهم في شعير أخذه لأهله، فلزمه، فقال: أجلني فأني أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقل إن شاء الله، إن الله عز وجل قد وعد نبيه خير أن يُغنم إياها. وكان عبدالله بن أبي حذر ممن شهد الحديبية، فقال: يا أبا الشحم، انا نخرج الى ريف الحجاز في الطعام والأموال، فقال ابو الشحم حسدا وبغيا: «تحسب أن قتال خير مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل»^(٣).

(١) سورة الفتح: الآية: ٢٠.

(٢) سورة الفتح: الآية: ٢٧.

(٣) الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٣٤-٦٣٥.

سار الرسول بالمسلمين الى خيبر في مطلع السنة السابعة الهجرية^(١) وسلك في طريقه على عَصْر فبنى فيها مسجدا ثم أقبل بجيشه حتى نزل في واد يقال له الرجيع بين غطفان وخيبر، وكان يخشى أن تمد غطفان اليهود لوجود حلف قديم بينهم، وبذلك قطع الطريق على مدد غطفان. وقد أوردت بعض المصادر ما يفيد ان غطفان جهزت قوة بقيادة عيينه بن حصن الفزاري لمعونة خيبر، غير ان الرسول ﷺ تمكن من خدع هذه القوة وأظهر لها ان المسلمين أطبقوا على منازل الأهل، فرجعت قوات غطفان مذعورة لحماية موطنها^(٢).

وخرجت بعثة يهودية قوامها أربعة عشر رجلا برئاسة كنانة بن أبي الحقيق تستنصر القبائل العربية فجاءت غطفان وطلبت نصرتها مقابل نصف تمر خيبر سنة. كما طلبت النصرة من قبائل أسد وبنو مرة، وقد استجابت غطفان بزعامة عيينه بن حصن الفزاري وأسد بزعامة طليحة بن خويلد الأسدي، وأما بنو مرة فرفضوا دعوة اليهود، وذهب زعيمهم الحارث بن عوف الى عيينة ينصحه عاقبة الأمور ويقول له: «ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول انا نحسد محمدا على النبوة بحيث خرجت من بني هارون، وهونبي مرسل ويهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر. قال الحارث: قلت لسلام يملك الأرض جميعا؟ قال: نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن يعلم يهودي بقولي فيه»^(٣).

وقيل ان قوات من هذه القبائل دخلت خيبر ورابطت الى جانب القوات اليهودية. وإذا أخذنا بروايات أهل السير والمغازي فيكون جيش المسلمين ما بين ١٤٠٠-١٦٠٠ مقاتل فقط، بينما بلغ عدد المقاتلين اليهود عشرة آلاف. وإذا أضفنا الى هذا العدد الفا

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٢٨. والواقدي، المغازي، ج٢ ص ٦٣٣. وابن سعد: الطبقات ج٢ ص ١٠٦، والبلاذري: أنساب الأشراف ج١ ص ٣٥٢، والطبري: تاريخ ج٣ ص ٩. وابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢ ص ١٤٢. وجرجس بن العميد بن الياسر بن أبي المكارم بن أبي الطيب، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام «أبي القاسم» محمد إلى الدولة الأتابكية، مخطوط، مكتبة جامعة مدريد، بدون رقم ص ٥.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٣٠.

(٣) انظر الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٧٠٢. وابن القيم الجوزية: زاد المعاد ج٢ ص ١٣٩. وانظر كذلك محمد احمد باشمبل، غزوة خيبر - سلسلة من معارك الإسلام الفاصلة، بيروت، غزوة خيبر، الكتاب السادس ص ١٠٦ وما بعدها.

من غطفان وأسد فيكون قد تجمع في خير أحد عشر ألفا من المقاتلين^(١).

كان الرسول يعلم انه مقدم على حرب عدو، يفوقه في العدد والعدة ويملك من المكر والدهاء الشيء الكثير، ولذلك حذر أصحابه قائلا: «لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم»^(٢). ثم تضرع الى الله عز وجل بهذا الدعاء وهو يشرف على خير «اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدمو باسم الله»^(٣).

زحف المسلمون على أول حصون خير وقد استغلوا الفزع الشديد والفوضى التي انتابت اليهود فقال عليه السلام: «الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(٤).

تنقسم خير يوم فتحها الى ثلاثة مناطق تتألف كل منطقة من مجموعة من الحصن والقلاع. أما المناطق فهي: نطا والسق والكتيبة ومن حصون النطا حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ، وحصن قلعة الزبير، ومن حصون السق: حصن أبي وحصن النزار، ومن حصون الكتيبة، حصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السالام وهو حصن بني أبي الحقيق^(٥).

وقد انتشرت هذه الحصون فوق حرة خير المرتفعة، ابتناها اليهود منذ القديم ليكونوا في مأمن من غارات البدو المتتالية وقد جعلوا في جدرانها بعض الفتحات ليتسنى لهم رمي المغيرين بالسهم وهم في داخل حصونهم. وكانت هذه الحصون واسعة من الداخل بحيث تتسع لحفظ الغلال والطعام والمواشي والاسلحة والامتعة وكل ما يحتاجه اليهود في حياتهم. وعندما يتحصنون لا يتركون خارج أسوار حصونهم الا المزروعات

(١) انظر الواقدي المرجع السابق والصفحة. المقرئ: امتاع الاسماع ج١ ص ٣٢٧. انظر كذلك تاريخ في المغازي والفتوح، لمؤلف مجهول، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٤٥٥، ص ٤٣.

(٢) أنظر ابن سيد الناس عيون الاثر في فنون المغازي والسير ج٢ ص ١٣٢.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٢٩.

(٤) انظر ابن سعد: الطبقات ج٢ ص ١٠٩. وصحيح البخاري ج٥ ص ١٠٨. والديار بكري، الخميس ج٢ ص ٤٥.

(٥) انظر محمد سيد طنطاوي، اليهود في القرآن والسنة ج١ ص ٤٠٧.

التي في الأرض، كما ان روايات اهل السير والمغازي تفيد ان الماء كان وافرا داخلها، ولا بد أن اليهود أضافوا لحصونهم بعض التحسينات عبر تاريخهم كما أصلحوها وزادوا من مناعتها قبيل غزو المسلمين لهم.

كانت مقاومة اليهود في بداية حصار المسلمين شديدة جدا، بحيث جرح من المسلمين في اليوم الأول خمسون رجلا^(١) حول حصون النطا التي جمع اليهود فيها مقاتليهم وذخائرهم. وقد دخل سلام بن مشكم حصن النطا رغم مرضه ليشارك في هذه الحرب. وقد مات في هذا الحصن^(٢) وبموته تخلص المسلمون من أشهر قادة يهود خيبر. وقد استمر قتال المسلمين حول النطا سبعة أيام يصبحون الحصن ثم يعودون في الليل الى معسكرهم في الرجيع. وكان المسلمون يشددون الحصار واليهود يردون الهجوم بالنبال والحجارة، ونقل جرحى المسلمين الى المعسكر للتداوي. وحرص الرسول أصحابه وحثهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وفرق عليه السلام الرايات ولم تكن هذه الرايات الا بخيبر. وانما كانت قبلها الألوية^(٣).

استفاد المسلمون من اليهود الذين يقعون في أيديهم لارشادهم على عورات الحصون ومعرفة أحوال اليهود منها، وقطع المسلمون أشجار النخيل في منطقة النطا لاجبار اليهود على التسليم، ثم امتنعوا عن قطع هذه الأشجار بنصيحة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٤). وقد لحق المسلمون في حصار خيبر جوع شديد حتى أكلوا الحمر الأهلية، فنهى الرسول عن أكلها وامتنع المسلمون عن ذلك منذ ذلك اليوم^(٥).

وفي اليوم السادس من الحصار قال ﷺ لمحمد بن مسلمة: «لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يولى الدبر، يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه من قاتل أخيك»^(٦). وفي صباح اليوم التالي بعث رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي

(١) انظر الواقدي: المغازي - ج٢ ص ٦٤٦.

(٢) انظر الديار بكرى: الخميس، ج٢ ص ٤٥.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٣١.

(٤) انظر الديار بكرى: الخميس، ج٢ ص ٤٥.

(٥) انظر الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٦٤٤، والديابكرى، الخميس ج٢ ص ٤٦.

(٦) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٣١. وصحيح البخاري ج٥ ص ١٠٩. وبرهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية ج٣ ص ٥٤.

(٧) انظر المراجع السابقة والصفحات.

طالب رضي الله عنه وكان أرمم العنين، فمسم الرسول على عينيه وسلمه الراية ودعاه بالفتح .

ولما تسلّم علي رضي الله عنه الراية قال لرسول الله : «أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا - فقال رسول الله أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدهم الى الاسلام فإن لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»^(١).

وفي قول الرسول هذا رد على بعض المستشرقين الذين يقولون : ان المسلمين انما غزوا خيبر للحصول على ما فيها من الغنائم ، وان الحجة التي تذرعو بها، هي أن أهلها لم يكونوا على الاسلام، ففي هذا المعنى يقول مارجليوث ان الرسول غير سياسته مع اليهود ومع المشركين ويذهب إلى : «أن سياسة الرسول قد طرأ عليها تطور عظيم منذ أيامه الأولى في المدينة عندما أعلن مساواة اليهود بالمسلمين في المعاملة، وأن يترك الوثنيين لا يتعرض لهم بسوء، طالما كانوا بعيدين عن إظهار عداثهم للمسلمين . اما الآن فإن مجرد القول بأن جماعة ما مشركة أو يهودية أو غير مسلمة ، يعتبر كافيا لشن الغارة عليها . وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي سيطرت على نفس محمد والتي دفعته الى شن غارات متتابعة ، كما سيطرت على نفس الاسكندر من قبله ونابليون من بعده»^(٢).

والذي أراه أن هذا القول يدل على جهل بمراحل تطور الدعوة الاسلامية ، فقد بدأت الدعوة في السر ثم أعلنت في نطاق ضيق ، ثم توسعت ، ومع توسع نطاق الدعوة كانت تتنوع وسائل نشرها ، ولم يكن السلب والنهب والتلصص كما يقول مارجليوث^(٣) وغيره من المستشرقين هدفا من أهداف الرسول ﷺ . فعندما كان المسلمون يتجهزون في المدينة لغزو خيبر جاءت الأعراب للرسول طالبين إليه أن يشركهم في الغزو، فعرف الرسول ما في نفوسهم من حب المغنم فقال مخاطبا المشركين والمسلمين على السواء «لا تخرجوا إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا ! وبعث مناديا فنادى : «لا يخرجن

(١) أنظر البيهقي ، أبي بكر احمد بن الحسين ، بغية السائل عما حواه كتاب الدلائل مخطوط ، المكتبة الظاهرية بدمشق رقم س ٢٨ جـ ٢ ص ١ . انظر ابن كثير ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م جـ ٣ ص ٣٥١ .

(٢) "Muhammad & the rise of Islam, PP. 362-363. 3rd ed London, 1932

(٣) Ibid.

معنا إلا راغب في الجهاد فأما الغنيمة فلا^(١). وعلينا ان نذكر ان اليهود الذين وادعوا المسلمين ظلوا في المدينة بعد جلاء القبائل اليهودية الثلاث الكبرى، وقد أظهروا عاطفتهم مع اخوانهم من يهود خيبر عندما عرفوا ان المسلمين يستعدون لغزوهم، ومع ذلك لم يتعرض لهم المسلمون بالأذى ولم يكرهوهم على شيء وبقوا على دينهم وأموالهم^(٢).

وقد تجلّى التسامح الاسلامي في حرب خيبر حيث نهى الرسول ﷺ عن اغتصاب أي شيء من اليهود دون ثمنه^(٣). وقد وقعت بأيدي المسلمين وهم يفتحون حصون خيبر صحائف من التوراة طلب اليهود إلى الرسول أن يعيدها إليهم، فأعادها إليهم دون أن يلحق المسلمون بها أي تلف^(٤).

يعلق ولفنسون على الحادثة السابقة الذكر فيقول: «ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان، ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض بسؤ لصحفهم المقدسة ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ بعد الميلاد. إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الاندلس، حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة. هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الاسلام»^(٥).

وفي أثناء هجوم المسلمين على حصن ناعم حدثت مبارزة بين أبطال المسلمين واليهود، قتل على أثرها بطل خيبر «مرحب» الذي خرج للبراز مرتجزا.

قد علمت خيبر أنني مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحيناً أضرب
إذا الليوث أقبلت تحرب^(٦)
إن حمائي للحمي لا يقرب^(٧)

(١) الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٣٤.

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة.

(٣) انظر الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٦٩١. وابن سعد: الطبقات ج٢ ص ١١٥.

(٤) انظر الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٨٠-٦٨١.

(٥) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٧٠.

(٦) تحرب: أي مغضبة، القاموس.

(٧) انظر ابن هشام: السيرة ج٢ ص ٣٣٣. الواقدي: المغازي، ج٢ ص ٦٥٤-٦٥٥.

وخرج إليه محمد بن مسلمة وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ماض
ويقال: إنه جعل يومئذ يرتجز ويقول:

يا نفس إلا تقتلي تموتي لا صبر تلي بعد أبي النبيت^(١)
وهكذا نكب اليهود بموت سلام بن مشكم ومقتل بطل خيبر مرحب، وبعد موت
ابن مشكم تسلم قيادة اليهود الحارث أبي زينب. وقد قاد هذا هجمات شديدة على
المسلمين كان يضطربهم للتراجع عن الحصون، وأخيرا تمكن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه من قتله.

وتتابع أبطال خيبر في المباشرة بقيادة اليهود في حرب شديدة لم يعرفها المسلمون
من قبل وذلك لطولها واشتداد الجوع والحر على المسلمين، علاوة على شدة المقاومة
التي أبدتها اليهود، وبعد أن قتل أسير اليهودي وياسر أخو مرحب قال رسول الله ﷺ:
«أبشروا قد ترحبت خيبر وتيسرت»^(٢). ثم قتل بعد هؤلاء عامر اليهودي، وبذلك يكون
أشهر أبطال خيبر قد قتلوا بالمباشرة مع عدد كبير من اليهود، وقد أثر هذا في الروح
المعنوية لليهود وتوقعوا الهزيمة. وسقط حصن ناعم وهو من أمنع الحصون اليهودية،
ولكن المسلمين لم يجدوا به وافر الطعام الذي يفرج عنهم الجوع، وإذا لم يكن فيه
طعام، فقد سهل فتح حصن الصعب بن معاذ الذي وجد به المسلمون أطعمة كثيرة. وقد
وصف أحد شهود العيان ما وجدوه في الحصن فقال: «فوجدنا والله من الأطعمة ما لم
نظن أن هناك، من الشعير والتمر، والسمن، والعسل، والزيت، والودك ونادى منادي
رسول الله ﷺ، كلوا واعلفوا ولا تحتملوا»^(٣)، وكان المسلمون قبل فتح هذا الحصن قد بلغ
بهم الضنك مبلغا شديدا فتوجه بعضهم إلى الرسول ﷺ وشكوا إليه حالهم وطلبوا ما يسد
رمتهم، ولم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئا يعطيهم إياه فقال: «اللهم إنك قد عرفت
حالهم وإن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم
حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاما وودكا»^(٤).

(١) أبي النبيت: كنية محمود بن مسلمة، انظر الواقدي المغازي ج٢ ص ٦٥٥.

(٢) انظر الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٥٧.

(٣) انظر الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٤٤. الودك: دسم اللحم - القاموس.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٣٢.

وعندما حاصر المسلمون حصن الزبير امتنع عليهم فجاءهم يهودي وعرض عليهم مساعدته مقابل الأمان له ولعِياله، وعندما حصل على الأمان أرشدهم إلى قطع الماء عن المحصورين، وكان هذا الماء يجري في قناة مخفية تحت الأرض ويصل إلى داخل الحصن. واضطر اليهود في قلعة الزبير إلى الخروج من القلعة والفرار من أطام الشق^(١) ولما سقطت حصون النطاة شعر المسلمون بالراحة وقرب الانتصار لأن أهل النطاة كانوا أحد اليهود وأهل النجدة منهم^(٢).

وكان أشد القتال عند حصن النزار من حصون الشق، حيث امتنع به اليهود ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، وقد أصابت نبال اليهود ثياب رسول الله ﷺ وسقط الحصن وغنم به المسلمون مغنم كثيرة وكان من جملتها صفية بنت حيي بن أخطب وابنة عمها^(٣). بعد سقوط قلعة الزبير ترك الرسول بقية حصون الشق لقلّة أهميتها من الوجهة العسكرية واتجه بالمسلمين إلى أرض الكتيبة حيث احتشد أكثر من ألفين من اليهود ومن نسايتهم^(٤)، وكان حصن القموص حصن خير الأعظم، وهو لبني أبي الحقيق، أحسن حصون الكتيبة، ويقول لفسنون: «كان لهذا الحصن اسم آخر وهو نزار ومعناه باللغة العبرية «التاج»»^(٥).

يفهم من الأخبار المتفرقة التي ذكرها المؤرخون أن الرسول استعمل المنجنيق وآلات الحرب التي غنمها من الحصون السابقة في ضرب حصون منطقة الكتيبة، ولما سقط الحصن عنوة، أيقن من بقي في حصني الوطيح وشلالم بالهلكة، فسألوا الرسول ﷺ أن يُسيّرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل^(٦).

وهكذا نجد أن المسلمين فتحوا حصون خير عنوة إلا ما كان في أمر هذين الحصنين من حصون الكتيبة «الوطيح وشلالم».

إن التفاوت في عدد المقاتلين بين المسلمين يجعلنا نتساءل عن أسباب انتصار

(١) الواقدي: المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٦٦-٦٦٧.

(٢) المرجع السابق والصفحات.

(٣) المرجع السابق والصفحات.

(٤) الواقدي: المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٦٤.

(٥) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٦٨.

(٦) ابن هشام، السيرة، جـ ٢ ص ٣٣٧.

المسلمين، ومع اننا نضع في اعتبارنا اتصاف المسلمين بالايمان، وبالقيادة الموحدة، فاننا نرى وجود عوامل أخرى أسهمت في إحراز هذه القلة المسلمة النصر على الكثرة اليهودية وحلفائها. وافترض ان هناك عاملين آخرين ساهما في النصر، أولهما المباغثة فاننا نجد أن أكثر المصادر التاريخية تذكر أن المسلمين صَبَّحُوا خيبر وقد خرج اليهود كالعادة الى أعمالهم ومعهم مكاتلهم وكرازينهم ومساحيهم، فلما رأوا جيش المسلمين أصابهم الهلع والدهشة وصاحوا «محمد والخميس» وعادوا إلى حصونهم^(١). وقد فعلت هذه المفاجأة فعلها في نشر الفوضى والرعب بين صفوف اليهود بحيث حصرتهم مجموعات مجموعات في حصون متعددة، ولم يعطهم المسلمون الوقت لتنظيم صفوفهم.

والسبب الثاني: ان يهود خيبر لم يكونوا يدا واحدة، ويظهر ان حروبا ومنازعات كانت بينهم ولذلك واجهوا جيش المسلمين منقسمين على أنفسهم، فسهل هذا الانقسام هزيمتهم ويقوي هذا الافتراض بعض ما ورد من اشارات في المصادر التاريخية. فقد ذكر الواقدي ان جاسوسا من اليهود أتى النبي وأرشده الى الحصن الذي يحوي السلاح والطعام والودك وقال: «ان فيه آلة حصونهم التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضا»^(٢). ويذكر في مكان آخر ان الرسول حرض أصحابه على الجهاد وأخبرهم ان اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا وأنها قد تجادلت واختلَفوا، فيما بينهم^(٣). والله تعالى يقول فيهم ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾^(٤).

ان هذه الافتراضات لا تقلل من أهمية غزوة خيبر، فعلى نتيجة هذه الغزوة يتوقف مستقبل الوجود اليهودي كله في بلاد الحجاز، كما على نتيجتها يتوقف المد الاسلامي في الجزيرة العربية وخارجها، وأهم من ذلك كله مستقبل قريش وزعامتها، لأن ابعاد اليهود من الصراع مع المسلمين يجعل مكة وجها لوجه وحيدة في هذا الصراع. لذلك كان القرشيون يتبعون أبناء القتال في خيبر باهتمام زائد، وتكشف لنا الروايات التاريخية

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٣٠. والواقدي: المغازي، ج٢ ص ٦٤٢. وصحيح البخاري، ج٥ ص ١٠٨. والديار بكري، الخميس ج٢ ص ٤٥. وسيرة ابن سيد الناس ج٢ ص ١٣١. والمقرئزي، إمتاع الاسماع ج١ ص ٣١١.

(٢) انظر الواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٤٧ ومونتغمري وات، ومحمد في المدينة. الترجمة العربية ص ٣٣٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢ ص ٦٤٦.

(٤) سورة الحشر، آية: ١٤. انظر أيضاً تفسير ابن كثير ج٤ ص ٣٤٠.

مدى هذا الاهتمام وانشغال قريش به، فقد ذكر ان الحجاج بن علاط السلمي أسلم ورافق الرسول الى خيبر وذلك دون ان تعلم بأمره قريش، وبعد نصر خيبر استأذن الحجاج الرسول بالسفر الى مكة لجمع أمواله الباقية فيها، وأذن له الرسول ان يحتال ما شاء لجمع أمواله، إذ كان الحجاج من تجار مكة. ولما أشرف الحجاج على مكة استقبلته قريش والتفوا حول ناقتة وهم يقولون: إيه يا حجاج ماذا حصل بخيبر؟ فاحتال عليهم وأخبرهم بان محمدا هزم هزيمة شنيعة، وان اليهود قادمون به إلى مكة ليقتل فيها بمن قتل من أبنائها، فاستبشر القرشيون وأظهروا الفرحة وأخذوا ينتظرون قدوم محمد إليهم، وقاموا يساعدون الحجاج في جمع أمواله، ولما علم العباس عم الرسول وأقاربه بمقولة الحجاج، امتعضوا أيما امتعاض، وأظهروا الحزن حتى أخبرهم الحجاج الخبر الصحيح، وطلب الحجاج الى العباس ان يشيع ما أخبره به من انتصار الرسول بعد ان يجمع أمواله ويغادر مكة بثلاثة أيام. ولما علم القرشيون من العباس الخبر اليقين، وان الحجاج احتال عليهم قالوا «يا لعباد الله! انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن»^(١).

★ صلح خيبر:

أشارت بعض المصادر التاريخية إلى معاهدة كتبت بين الرسول وبين بعض طوائف اليهود بما فيهم يهود خيبر، وقد وصلت إلينا وثيقة تاريخية في هذا الصدد من مصدرين فيهما بعض الاختلاف، والمصدر الأول الذي أورد هذه المعاهدة هو البلاذري الذي أورد الوثيقة على صيغة أمان موجه من الرسول ﷺ إلى أهل حبيبة «الصواب حنينة» وأهل مقنا جاء فيه: سلم أنتم فإنه أنزل علي أنكم راجعون إلى قريبتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وأن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم اتبعتم به، لا شريك لكم في قريبتكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله، وإنه لا ظلم عليه ولا عدوان. وإن رسول الله ﷺ يجبركم مما يجبر منه نفسه، فإن لرسول الله بزنكم ورقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله، وإن عليكم

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٤٥-٣٤٧، وابن سعد: الطبقات ج٢ ص ١٠٨. انظر كذلك، الشيخ ابي عبدالله محمد بن عبدالسلام بناني ت ١١٦٣هـ، مغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء - ابي الربيع الكلاعي، مخطوط، بمكتبة القرويين - فاس المغرب، رقم ٢٧٥/٤٠ ج٤ ص ٢٦.

بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عرككم^(١)، وربع ما اغتزلت نساؤكم وأنكم قد برئتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله ﷺ عن كل جزية وسخرة، فإن سمعتم واطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن ائتمر في بني حبيبة «حنينة» وأهل مقنا من المسلمين خيراً فهو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله ﷺ. وكتب علي بن أبو طالب في سنة تسع^(٢).

ووردت المعاهدة من مصدر آخر غير البلاذري، حيث اكتشف نص معاهدة مكتوب بالخط العبراني واللغة العربية في مخطوطة عثر عليها في إحدى المقابر اليهودية في مدينة الفسطاط بمصر، وهي الآن في جامعة كامبرج، وقد نشر لها هيرشفلد صورة شمسية في بعض مقالاته، ونقلها الدكتور محمد حميد الله إلى العربية وقابلها بما ورد بالمصادر الإسلامية، ونشبتها هنا نقلاً عنه^(٣).

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾^(٤)

«هذا كتاب من محمد رسول الله لحنيننا ولأهل خيبر والمقنا ولذراريهم، ما دامت السماوات على الأرض، سلام أنتم إنني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنه أنزل عليّ الوحي إنكم راجعون إلى قراكم وسكنى دياركم، فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله، ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم، وأموالكم وريقكم وكل ما ملكت أيما نكم. وليس عليكم أداء جزية ولا تجز لكم ناصية، ولا يطاء أرضكم جيش ولا تحشدون ولا تحشرون ولا تعشرون ولا تظلمون ولا يجعل أحد عليكم رسماً، ولا تمنعون من لباس المشققات والملونات، ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح. ومن قاتلكم فقاتلوه، ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية، ومن قتل منكم أحد المسلمين تعمداً فحكمه حكم المسلمين، ولا يفترى عليكم بالفحشاء، ولا

(١) عرككم: شباك صيدكم، القاموس.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ٧١-٧٢.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٩٣ وما بعدها.

(٤) إن إشارات الاستفهام والتعجب الواردة في النص تشير إلى أخطاء نحوية أو غيرها، لأننا ابقينا الأخطاء كما هي.

تنزلون منزلة أهل الذمة، وأن استعنتم تعانون وإن استرقدتم ترفدون، ولا تطالبون ببيضاء ولا صفراء ولا سمراء ولا كراع ولا حلقة، ولا شد الكشتيز ولا لباس المشهّرات، ولا يقطع لكم شسع نعل ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون عن ولاية المسلمين، ولا يؤلّى عليكم وال إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله، ويوسع لجنائزكم إلا (إلى؟) أن تصير إلى موضع الحق اليقين، وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفة ابنة عمكم. وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن تكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم؟ ومن سافر منكم، وهو (فهو) في أمان الله وأمان رسوله. ولا إكراه في الدين، ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً. ذلك بفضل مني عليكم، وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب. فمن اطلع لحيننا وأهل خير والمقنا بخير فهو أخير له، ومن اطلع لهم بشر فهو شر له. ومن قرأ كتابي هذا، أو قرئ عليه وغير أو خالف شيئاً بما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الملائكة والناس أجمعين، وهو بريء من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة وأنا خصمه، ومن خصمني فقد خصم الله، ومن خصم الله فهو في النار. . . . وشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً وملائكته حملة عرشه ومن حضر من المسلمين.

وكتب علي بن أبو (!) طالب بخطه، ورسول الله يملئ عليه حرفاً حرفاً يوم الجمعة لثالث (!) ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة. شهد (عمار) بن ياسر وسلمان الفارسي (!) مولى رسول الله وأبوذر الغفاري.

ويتضح من مقارنة نصي المعاهدة أن بينهما علاقة وطيدة مع بعض الاختلافات، فالنص الأول جعل تاريخه سنة تسع بينما أرخ النص الثاني بسنة خمس، واستندت الروايتان كتابة الوثيقة إلى علي بن أبي طالب، واشتمل النص الثاني على حقوق وامتيازات أكثر مما اشتمل النص الأول الذي أورده البلاذري، بعد أن أورد النص السابق للوثيقة. إن الوثيقة وصلت إليه من بعض أهل مصر الذين رأوا الصحيفة بعينها، وهي من جلد أحمر دارس الخط، مما يجعلنا نذهب إلى القول بأن الصحيفة التي اكتشفت بالمقبرة اليهودية، إنما هي نفسها الصحيفة التي أوردها البلاذري بعد أن أضاف لها اليهود ما شاءوا وحسب الأحوال والمناسبات وقدموا تاريخها منعاً للالتباس.

ذكر محمد حميد الله في تعليقه على هذه الوثيقة أن الكتاب حمل سنة ٤٤٧ هـ إلى رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن وزير القائم، فعرضه هذا على الخطيب البغدادي، فقال: «مزور لأن فيه شهادة سعد وقد مات قبل فتح خيبر بستين، وفيه شهادة معاوية وإنما أسلم سنة بعد خيبر عام فتح مكة.

واستدل بعضهم على تزوير الصحيفة بالقول: «لم تكن الجزية وقت فتح خيبر ولم تنزل آية الجزية إلا بعد سنتين من غزوة خيبر، ولم يكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن رسول الله ﷺ حتى توضع عنهم. ولم يرد نص الكتاب وكان فيه شهادة سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان وكاتبه علي بن أبي طالب. وفيه إسقاط الكلف والسخرة والجزية، وكأنهم «صححوا» النص الأول الذي جعله الدكتور حميد الله تحت رقم ٣٤/أ وكتبوا أسماء عمار وسلمان وأبي ذر بدل سعد ومعاوية وأبقوا اسم علي ككاتب الصحيفة»^(١).

والذي لا شك فيه أن هذه الصحيفة ملفقة، كما لفقت صحائف ومعاهدات كثيرة جداً بعد أن انتقل الرسول إلى جوار ربه لأن الذين كانت لديهم وثائق صحيحة أقرهم عليها الخلفاء الراشدون ولم ينقضوا من شروطها شرطاً واحداً^(٢).

ونحن لا نستبعد أن كثيراً من البطون اليهودية والعربية عمدت بعد وفاة الرسول ﷺ، في عهد الاضطرابات بين بني أمية وهاشم إلى تزوير الكتب باسم الرسول لنيل بعض الحظوة والزلفى عند علي بن أبي طالب وآله بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

ومما يؤكد تزوير هذه الصحيفة إضافة لما سبق، أن جملة الكتب التي بيد اليهود منسوبة إلى خط علي كرم الله وجهه وفي هذا نظر لذي فهم يتأمله، فبين له أن هذا الكتاب مزور مفتعل والدليل عليه من وجهين أحدهما أن علياً كرم الله وجهه هو الذي اخترع الكلام في علم النحو خشية من اختلاط كلام العرب بكلام النبط، فما كان عليه

(١) محمد حميد الله، نقلاً عن ابن القيم الجوزية، انظر مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٩٥-٩٦.

انظر أيضاً السهمودي، وفاة الوفاء ج ١ ص ٣٢١.

(٢) انظر وفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٨٠.

السلام ليخشى من شيء ويعتمد ما يؤدي إلى الالتباس ، والثاني أن صلح رسول الله ﷺ لأهل مِثْنًا إنما كان في غزوة تبوك فكيف ينسب هذا الكتاب إليه وهو غائب؟! (١).

ويزيد الشك بهذه الصحيفة تاريخها بالسنوات الهجرية مع ان المسلمين لم يكونوا يؤرخون بالهجريه أثناء حياة الرسول (٢)، هذا مع الجهل الواضح لكاتب الصحيفة بتاريخ الغزوات ، فالمعروف أن تاريخ غزوة خيبر هو سنة سبع من الهجرة وليس سنة تسع .

ومع علمنا بوجود الكتب والأحاديث المزورة على لسان الرسول وأصحابه ، فعلينا أن لا نشك بوجود كتب ومواثيق أخرى غير مزورة منحها الرسول ﷺ لبعض القبائل اليهودية والعربية لأيضاح ما لهم وما عليهم أو لمنحهم أمان المسلمين . ثم لا يعقل أن لا يكون هناك اتفاق مكتوب بين الرسول وأهل خيبر بعد أن صالح من صالح منهم ، ذلك لأن الرسول ﷺ كان يحرص دائماً على ترتيب علاقاته مع غيره بنصوص مكتوبة وموقع عليها حتى لا يتهرب الجانب الآخر من عهده ومواثيقه .

والذي أميل إليه أن الوثيقة الأصلية ربما اختفت بعد وفاة الرسول ﷺ ، فعمد اليهود إلى تزوير صحيفة على لسانه ليفوزوا بهذه الحقوق والامتيازات الواردة بالصحيفة المزورة ، مع أن هذه الامتيازات لم يكن يتمتع بها إلا آل بيت رسول الله ﷺ . وإذا أخذنا بالأقوال المتناثرة في المصادر الإسلامية حول صلح خيبر نرى ان هذا الصلح بمضمونه العام قد نص على ما يلي :

- ١ - اعلان اليهود الاستسلام والقاء السلاح .
- ١ - تسليم ما بحوزتهم من مال وحلقة ومتاع دون أن يكتموا المسلمين شيئاً منها .
- ٣ - التخلي للمسلمين عن الأراضي والحصون .
- ٤ - إبقاء اليهود في خيبر لزراعة الأرض مقابل نصف الثمر ، وإخراجهم منها إذا رأى المسلمون ذلك في أي وقت وتعويضهم عن ممتلكاتهم .

(١) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، هامش ص ٧٢ .

(٢) هذه المسألة فيها خلاف بين الباحثين حتى الآن .

٥ - يتعهد الرسول ﷺ بحقن دماء المقاتلين من اليهود ونسائهم وذرايرهم، ويمنع المسلمون من التعدي عليهم واغتصاب شيء من ممتلكاتهم دون ثمن.

وذكر ابن هشام أن محيصة بن مسعود أخا بني حارثة هو الذي سعى بالصلح بين الرسول ﷺ واليهود، وأن أهل خيبر وافقوا على البقاء على أموالهم مقابل النصف، لأنهم أعلم باستغلال أرضهم، كما وافقوا على الخروج من خيبر إذا رأى المسلمون ذلك^(١).

وقد غنم المسلمون في خيبر غنائم كثيرة لم يغنم مثلها المسلمون من قبل ومن هذه الغنائم الأسلحة المختلفة الكثيرة، وكميات كبيرة من الذهب والفضة التي اشتهر بجمعها اليهود، كما غنموا أنواع الغلال من اطعمة وأعلاف بالإضافة إلى الأمتعة المتنوعة^(٢). وكان أعظم غنم للمسلمين مزارع اليهود وبساتينهم التي كانت تغطي مساحات واسعة من حول خيبر. وإذا علمنا أن منطقة الكتيبة وحدها كان فيها أربعون ألف عذق (شجرة) من النخيل أدركنا حجم الغنيمة التي غنمها المسلمون في أرض خيبر^(٣).

وقد قسمت مغانم خيبر على أهل الحديبية لأنها طعمة من الله، من شهد منهم ومن غاب، وكانوا ألفاً وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس، لكل فرس سهمان، وقسمت على ألف وثمانمائة سهم، ولم يغب عن خيبر من أهل الحديبية إلا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها^(٤).

وقسم رسول الله ﷺ خيبر إلى نصفين، الأول وزعه على أهل الخمس والقائمين على جمع موارد خيبر من المسلمين لأن هذا النصف فتح عنوة وعزل النصف الثاني - وهو الذي فتح صلحاً - لنوائبه وما يحتاج إليه من المسلمين^(٥).

ولا شك أن هذه المغانم قد زادت في توطيد أركان الدولة الإسلامية الناشئة وارتفعت موارد هذه الدولة المالية ارتفاعاً ملحوظاً، وأصبح الرسول ﷺ قادراً على الإنفاق على شؤون المسلمين أكثر من أي وقت مضى.

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٣٣٧. والواقدي: المغازي ج٢ ص ٦٩٠.

(٢) انظر المقرئ المبرزي امتاع الاسماع ج١ ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) انظر ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج٢ ص ١٣٧-١٣٨.

(٥) المرجع السابق والصفحة.

★ زواج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب اليهودية :

غنم المسلمون صفية وابنة عم لها بعد أن تم لهم فتح حصن القموص «النزار» وكانت السيدة صفية تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكانت حديثة عهد بالزواج منه . وخرجت في سهم دحية الكلبي أحد أصحاب الرسول ﷺ . وقد عرض أحد المسلمين أمر هذه السيدة على النبي وقال له : إن هذه سيدة بني قريظة والنضير ولا تصلح إلا لك ، فاستصفاهما الرسول ﷺ من دحية ، فتنازل عنها للرسول ﷺ .

وكان اول ما قام به الرسول تجاه صفية أن أعتقها وخيرها بين البقاء على دينها أو الاسلام فاختارت الإسلام . ولو كانت الدوافع الجسدية - كما يتبادر لذهن البعض - وراء هذا الزواج لما كانت هناك حاجة لأن يعتقها الرسول ويخيرها بين البقاء على دينها أو الاسلام ، ولو اختارت دينها لترك لها الرسول حرية العودة إلى أهلها لأنها أصبحت حرة بعد العتق .

وقد يتساءل الانسان إذن عن دوافع هذا الزواج ؟ . . . وأرى بأن الدوافع إنسانية بحتة ، فإذا كان عالم اليوم يتخبط في وضع موثيق الحرب وقوانينها التي تحفظ للأسرى كرامتهم فإن الرسول ﷺ ، ضرب أروع آيات التسامح والمحافظة على كرامة الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين ، وبخاصة بعد انتصار المسلمين في خيبر . فقد قويت أركان الدولة الإسلامية ، ولم يعد اليهود يشكلون ذلك الخطر على هذه الدولة كما كان الأمر من قبل . وصفية ابنة سيد وامرأة سيد لا توهب هكذا كما توهب السبايا الأخريات ، ولهذا أراد الرسول من زواجه منها الحفاظ على منزلتها ، تمشيا مع القاعدة القائلة «أكرموا عزيز قوم ذل» وليس أكرم لها وأجبر لخاطرها من أن تكون زوجة النبي ﷺ بدلا من أن تكون مملوكة عند رجل من عامة الناس^(١) سيما وقد لحقها من النوائب والمصائب ما يثير عندها أشد الحزن . وقد حسن اسلام صفية وأصبحت من أمهات المسلمين المشهورات وكان الرسول يبالغ في إكرامها ويراعي شعورها كإمرأة عزيزة في قومها فقدت الوالد والزوج والأحبة .

وما دمنا بصدد الكلام عن صفية يجدر بنا التعرض لحادثتين لهما اتصال بالسيدة صفية ، وفيهما تسامح اسلامي وخلق نبوي ، وأول هاتين الحادثتين أن بلالا مَرَّ بصفية

(١) انظر المقرئزي : إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٣٢١ . وابن القيم : زاد المعاد ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

وابنة عمها في الطريق إلى رحل الرسول بقتلى اليهود في خير. فصاحت ابنة عمها صياحا شديدا، فكره الرسول ﷺ ذلك وقال مخاطبا بلالا: «ذهبت منك الرحمة تمر بجارية حديثه السن على القتلى؟ فقال: يا رسول الله: ما ظننت أنك تكره ذلك وأحببت أن ترى مصارع قومها»^(١).

والحادثة الثانية تكشف عن كرم معاملة الرسول لها ومنزلتها عنده. فقد قالت السيدة صفية: «كنت ألقى من أزواج النبي ﷺ يفخرون علي، يقرن: يا ابنة اليهودي وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بي ويكرمني، فدخل علي يوما وأنا أبكي، فقال: مالك؟ فقلت: أزواجك يفخرون علي ويقرن: يا ابنة اليهودي، قالت فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ثم قال: إذا قالوا لك أو فاحروك فقول: أبي هارون وعمي موسى»^(٢).

وقد خشي أصحاب الرسول عليه ليلة عرسه بصفية. جاء في سيرة ابن هشام: «ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخير أو ببعض الطريق، وكانت جملةتها رسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، ويات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار، متوشحا سيفه يحرس رسول الله ﷺ، ويطفئ بالقبّة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثه عهد بكفر، فخفتها عليك»^(٣).

لم يكن تخوف المسلمين على الرسول في غير مكانه فقد حاولت زينب ابنة الحارث اليهودية تسميم الرسول انتقاما لأخيها «مرحب» وأبناء قومها الذين قتلهم المسلمون، فقد ذبحت «عنزا» لها وطبختها وسممتها وزادت السم في ذراعي العنز لأنها علمت أن أحب ما في الشاة للرسول الذراعان. وفي مساء أحد الأيام في خير عرضت زينب للرسول عند رحله وقدمت له الشاة هدية: فأمر بها رسول الله فوضعت بين يديه، ودعا أصحابه ليأكلوا. فتناول الذراع، وتناول بشر بن براء لحما من أمامه، وانتهش رسول الله ﷺ، الذراع ولاك منه مضغة فلم يسغها. وقال لأصحابه: كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة! فقال بشر بن البراء: والله يا رسول الله، وجدت ذلك من أكلتي التي أكلت، فما

(١) انظر المقرئ، امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٢١. وابن القيم: زاد المعاد جـ ٢ ص ١٣٧.

(٢) انظر الواقدي، المغازي جـ ١ ص ١٣٧، جـ ٢ ص ٧٥.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٣٣٩-٣٤٠.

منعني أن ألفظها إلا كراهية أن أنغص عليك طعامك . ولما جاءوا بزئيب ، اعترفت بذلك وقالت : إن الذي حملها على ذلك ما لحق قومها على أيدي المسلمين . وقالت : لقد قلت في نفسي ، ان كان محمد ملكاً استرحنا منه وان كان نبياً سيخبر بذلك ولن يصيبه شيء . وكان الرسول يشكو آثار هذا السم حتى توفي بعد ذلك بثلاث سنوات^(١) .

ولم يقتل المسلمون أحداً بعد صلح خيبر إلا ابني ابي الحقيق كنانة والربيع ، وذلك أنهم عاهدوا الرسول أن لا يكتموا عنه شيئاً من أموالهم ، وغيبوا مسكاً «جلد جمل» فيه مال وحلي لحبي بن أخطب كان قد احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير ، ولما سألهم عنه الرسول انكروه وأدعوا أنهم انفقوه في الحروب ، ولما وجده الرسول ﷺ قتلهم لنكثهم^(٢) .

وقد اتسمت معاملة المسلمين ليهود خيبر فيما بعد بالتسامح والعدل ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رواحة ليخرص عليهم النخل ، ولما قتل ابن رواحة بمؤتة خرص عليهم ابو الهيثم بن التيهان قيل : جبار بن صخر وقيل فروة بن عمرو ، وجعل المسلمون يقعون في حرث اليهود وبقلهم بعد المساقاة ، فشكى اليهود ذلك الى رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ وخاطب جماعة المسلمين قائلاً : «إن يهود شكوا إلي أنكم وقعتم في حظائهم وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التي في أيديهم وفي أراضيهم وعاملناهم ، وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها» فكان المسلمون لا يأخذون شيئاً من بقولهم إلا بضمن^(٣) .

تساءل بعض المستشرقين عن سبب هذه المعاملة التي عامل بها الرسول يهود خيبر ، بخلاف ما عامل به يهود يثرب؟

والذي أراه أن سبب هذه المعاملة يعود لكون خيبر واحة واسعة الأطراف كثيرة

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٣٣٧-٣٣٨ . والواقدي : المغازي ج٢ ص ٣٣٧-٣٣٨ . وابن سعد : الطبقات ج٢ ص ١٠٧ ، وابن عبد البر : الاستيعاب ، ج١ ص ١٦٧ والقاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، فصل احياء الموتى ، مخطوط سبق ذكره . والديار بكري : الخميس ج٢ ص ٥٢ . وابن القيم الجوزية : زاد المعاد ج٢ ص ١٣٩ . والمقرئزي : امتاع الأسماع ، ج١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ . وبرهان الدين الحلبي : السيرة الخلبية ج٣ ص ٦٣

(٢) انظر ابن هشام ، السيرة ج٢ ص ٣٣٧ .

(٣) انظر المقرئزي : امتاع الأسماع ج١ ص ٣٢٨ .

اليساتين وأراضيها الزراعية بحاجة إلى عدد كبير من المزارعين، ولم يكن هذا العدد متوفراً عند المسلمين لاشتغالهم بأمر القتال والحروب، فرأى الرسول ﷺ أن بقاء اليهود يعملون في مزارعهم وهم أصحاب الخبرة الواسعة في أعمال الفلاحة، سيعود على الخزائنة الإسلامية بالخير، ثم إن اليهود لم يعودوا يشكلون خطراً على كيان الدولة الإسلامية الناشئة بعد أن خضعت شوكتهم في خيبر، وكان النبي ﷺ يرى بثاقب نظره أنه لن يمضي طويل وقت حتى يكون الإسلام قد عم سائر أرجاء الجزيرة العربية. فقد ذكرنا أن فتح خيبر إنما هو مقدمة لفتح مكة حصن الوثنية في الجزيرة، ولما فتح المسلمون خيبر أصبح أمر مكة مرهوناً بحفاظها على شروط هدنة الحديبية، وفي الوقت الذي تنقض عهدها لن يقعد عنها المسلمون، وحتى لو لم تنقض مكة عهدها فإن زيارة المسلمين لها في مواسم الحج كفيل بزعزعة الوثنية فيها نظراً لاعداد المسلمين الكثيرة التي ستفد إلى مكة لتؤدي الشعائر فيها وما يتبع ذلك من نشر الأفكار الإسلامية.

وقد اشترط الرسول على أهل خيبر إخراجهم في أي وقت يشاء، لأنه علم أن اليهود لا يحافظون على عهودهم، فوضع هذا الشرط ليكون اليهود على علم بما سيصيبهم إن هم نكثوا عهدهم.

ويذكر ولفنسون سبباً آخر لهذه المعاملة، وهو أن يهود خيبر لم يفعلوا ما يوغر صدر الرسول ويثير حقهده عليهم كما فعل غيرهم وكل ما كان منهم لا يعدوا اشتراك بعض زعماء بني النضير اللاجئين إلى يهود خيبر في تحريض زعماء غطفان وقريش ضد المسلمين يوم الخندق^(١)

هذا وإنني أرى في قول ولفنسون السابق نصيباً من الصحة، ذلك أن يهود خيبر لم يعودوا يشكلون خطراً على المسلمين وبخاصة بعد مقتل زعماء بني النضير الذين كانت لهم الرياسة على اليهود وكانوا المحرضين على حرب الرسول، وهذا دليل على أن الرسول ﷺ لم يقس على اليهود إلا حفاظاً على مصلحة المسلمين العامة من خطر اليهود، فلما زال هذا الخطر مدّ لهم يد التسامح والعدل. وقبل أن ننهي الحديث عن يهود خيبر، علينا أن نشير إلى أن هذا الفتح إنما هو نتيجة من نتائج الحديبية ذلك الفتح

(١) تايج اليهود في بلاد العرب ص ١٦٩.

العظيم الذي قال عنه الزهري: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه»^(١).

★ يهود فذك^(٢)

كان معظم سكان فذك من اليهود وإلى جوارهم بنو مرة^(٣) ولما فتحت خيبر أكبر معقل اليهود في شمال الجزيرة خافت بقية اليهود في المستوطنات المتفرقة من حول خيبر ان يصلهم جيش محمد ﷺ. وبينما كانت حصون خيبر تتساقط الواحد تلو الآخر، كانت أخبار خيبر عند هؤلاء اليهود، فأراد الرسول ان يستغل خوف اليهود هذا، فبعث إلى يهود فذك محيصة بن مسعود الأنصاري، يدعوهم إلى الإسلام، ويستطلع أخبارهم، ويقف على نياتهم، ويقال بأن رئيسهم يوم ذاك رجل يقال له: «يوشع بن نون اليهودي»^(٤) ولما بلغهم ان خيبر فتحت وصالحت رسول الله ﷺ، ارسلوا وفد منهم إلى رسول الله ﷺ صالحه على أمر فذك، ولا يعرف فيما اذا كان وفد فذك قد عقد الصلح في خيبر او الطائف أو بعد عودته في المدينة^(٥). وبموجب هذا الصلح صار نصف ارض فذك خالصاً لرسول الله ﷺ، أخذها بغير إيجاف خيل ولا ركاب، وأبقاه بيد أهلها يعملون في الأرض مقابل نصف الثمر^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٣٢٢.

(٢) فذك إحدى القرى القريبة من خيبر بها ماء ونخل كثير «ويقال لها الخويط» وقال الزجاجي سميت بفذك بن حاتم وكان اول من نزلها وقد ذكر غير ذلك وهو في ترجمة أجا وينسب إليها أبو عبدالله محمد بن صدقة الفدكي، سمع مالك بن أنس وروى عنه إبراهيم بن المنذر الخزامي وكان مدلساً . . . قال زهير:

لئن حللت بجزء في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك
ليأتينك مني منطلق قدع باق كما دنس القبطية الودك

أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٤٥. ومصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب جـ ١ ص ١٢٩.

(٣) أنظر ابن سعد، الطبقات جـ ٢ ص ١١٩.

(٤) أنظر البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٢.

(٥) أنظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٣٥٣.

(٦) أنظر ابن هشام، السيرة جـ ٢ ص ٣٥٣، والبلاذري فتوح البلدان، ص ٤٢ وما بعدها. المقرئ، إمتاع الاسماع، جـ ١ ص ٣٣١. والديار بكري الخميس في أحوال أنفاس نفيس جـ ٢ ص ٥٨.

★ وادي القرى^(١)

بعد أن انصرف المسلمون من خيبر توجهوا الى وادي القرى وسكانه من اليهود، ولما علموا بمجيء الرسول اليهم تهيؤوا للحرب وخرجوا للقتال، وقد حاصرهم الرسول عدة ليال حتى فتحها عنوة، وأصاب المسلمون فيها أثاثاً ومتاعاً فخمس الرسول ﷺ ذلك وترك النخل والأرض في أيدي اليهود وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر^(٢).

★ تيماء:

عندما علم يهود تيماء ما نزل بإخوانهم من يهود خيبر ووادي القرى وفدك، طلبوا مصالحة الرسول ﷺ، فصولحوا على الجزية وأقاموا على أموالهم^(٣) وقد ذكر محمد حميد الله نص الأمان الذي اعطاه محمد رسول الله ﷺ الى يهود بني عادي من تيماء جاء فيه.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذا كتاب من محمد رسول الله لبي عادي: إن لهم الذمة وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء الليل مد، والنهار شد. وكتب خالد بن سعيد^(٤):

وقد صالح بقية اليهود في مقنا وجربا وحنينا على مثل ما صالح عليه بقية اليهود^(٥). وهكذا فقد اليهود استقلالهم السياسي ولم يعد لهم ذلك النفوذ الاقتصادي والاجتماعي والفكري في شمال الجزيرة العربية، واخذت حالهم تسوء شيئا فشيئا حتى اجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من الديار الحجازية.

(١) هو مجموعة من القرى في واد خصيب بين المدينة والشام، قال فيه الشاعر:

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل ارين جملا به وهي أيم وما رث من جبل الوصال جديد

انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٨ ص ٣٧٥.

(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧، والديار بكري، الخميس، ج ٢ ص ٥٨. والسمهري، وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٨.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٨.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٧٣ وثيقة رقم (١٩).

(٥) المرجع السابق ص ٩٣، وثيقة رقم (٣٤).

ويستشهد ولفنسون على تدهور احوالهم الاقتصادية برواية الواقدي ، التي تقول على لسان راويته «كنا بالمدينة والمجاعة تصيبنا فنخرج الى خيبر فنقيم بها ما أقمنا ثم نرجع ، وربما خرجنا الى فذك وتيماء ، وكان اليهود قوما لهم ثمار لا تصيبها قطعه^(١) أما تيماء فعين جارية تخرج من اصل جبل لم يصبها قطعه منذ كانت ، وأما خيبر فماء واتن ، فهي مُغْفَرَة (مخطاة) في الماء ، وأما فذك فمثل ذلك ، وذلك قبل الاسلام فقال اصحابي : ان البلاد ليس كما كانت ، نحن قوم مسلمون وإنما نقدم على قوم اهل عداوة وغش للإسلام وأهله ، وكنا قبل ذلك لا نعبد شيئا ، قالوا : قد جهدنا فخرجنا حتى قدمنا خيبر ، فقدمنا على قوم بأيديهم الأرض والنخل ليس كما كانت فقد قتل سراة اليهود وأهل السعة منهم . . . وكنا نكون في الشق يوما وفي النظاة يوما وفي الكتيبة يوما فرأينا الكتيبة خيرا لنا»^(٢) .

والذي اراه انه لا بد من تفهقر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في منطقة خيبر بعد زوال الكيانات اليهودية ، فمن البديهي ان يتبع هزيمة اليهود السياسية والقومية تفهقرا في مجالات الحياة الأخرى . وليس المسلمون هم المسؤولون عما أصاب اليهود من ذل وتخلف ، فقد جنوا على انفسهم بمحاربتهم الدعوة الاسلامية وتحالفهم مع الوثنية في سبيل قتل دعوة التوحيد التي نادى بها رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام . كما ان ما يقال عن التدهور الاقتصادي في خيبر ليس وقفا عليها ، ذلك أن النشاط الزراعي والصناعي في بلاد الحجاز قد اصابه التخلف بوجه عام بسبب انصراف سكان الجزيرة الى الفتوح وانشغالهم عن الاهتمام بشؤون الزراعة والصناعة .

كانت معارك خيبر نهاية الصراع المسلح بين المسلمين واليهود ، ولم يعد لليهود بعد هذه المعارك القدرة البشرية والاقتصادية والسياسية للقيام بحروب جديدة لأن غزوة خيبر انتهت القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لليهود جزيرة العرب .

وقد ترتب على هذا ان هدأت الخصومة الكلامية ووقف تيار المطاعن والمثالب التي كانت بين الطرفين ، ويستشهد بعضهم على ذلك بأن الرسول ﷺ لم ينزل عليه شيء

(١) قطعه : أي قطع الماء .

(٢) الواقدي : المغازي ، ج٢ ص ٦٣٤ . تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٧٣ .

كثير من الآيات القرآنية التي تتضمن ذم اليهود والطعن فيهم بعد هذه الغزوة على خلاف ما كان من ذلك في الفترة التي كانت بين يوم بدر وغزوة خيبر^(١).

ويستفاد من بعض الروايات التاريخية^(٢) ان بعض اليهود قد بقوا في المدينة ولم يهجروها، كما ان بعضا من اليهود ممن هاجر منها قد عاد اليها، وقد صرف المسلمون النظر عن هؤلاء العائدين للاستفادة منهم في الأمور الصناعية التي كان يعمل بها هؤلاء من قبل، سيما وأنهم لم يعودوا يشكلون خطرا يخشى منه على الجماعة الإسلامية.

ومما يدلنا على وجودهم في المدينة انه لما توفي عبدالله بن ابي بن سلول زعيم الخزرج ورأس المنافقين في المدينة، بكاه اليهود ونثروا التراب على رؤوسهم حزنا عليه^(٣). عاش اليهود عهدا من التسامح في حياة الرسول ﷺ بعد خيبر، فقد منحهم عهود الأمان وكفل لهم حريتهم الدينية والاقتصادية. ولما كانت غزوة تبوك اظهر اليهود عداوتهم القديم بتعاونهم مع المنافقين في تثبيط عزائم المسلمين عن الغزو مع الرسول ﷺ، وكان نفر من المنافقين يجتمعون في بيت بعض اليهود فأمر عليه الصلاة والسلام طلحة بن عبيد الله ان يخرب عليهم البيت فخربها^(٤).

وفي رجوعه ﷺ من تبوك صالح أهل دومة الجندل وأياله وتيماء وأذرح، فقد اوردت المصادر التاريخية عهدا من الامان والتسامح الى اهل الذمة بعامه بما فيهم اليهود، وذكرت هذه المصادر أن الرسول كتب كتابا إلى يحنه بن ربيعة وأهل ايلة جاء فيه:

«هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنه بن ربيعة وأهل ايلة، بسفنتهم وسائرهم في البر والبحر. لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، ولمن كان معه من اهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، ومن احدث حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وانه طيب لمن أخذه من الناس، وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه، ولا طريقا يريدونه من بر وبحر، هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ، ووضع رسول الله ﷺ الجزية على اهل ايلة، ثلاثماية دينار كل سنة، فكانوا ثلاثماية رجل»^(٥).

(١) انظر ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٧٥.

(٢) انظر الواقدي: المغازي، ج ٢ ص ٦٣٤ وما بعدها.

(٣) انظر المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٥٩-١٠٦٠.

(٤) انظر ابن خلدون: تاريخ مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٥-١٩٣٦ م ج ٢ ص ٢٤٤.

(٥) الواقدي: المغازي ج ٣ ص ١٠٣١.

وكتب عليه السلام لأهل جربا وأذرج: «انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة اوقية طيبة وأن الله عليكم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين»^(١).

كذلك كتب الرسول لأهل نجران من نصارى ويهود، ولأهل اليمن كتباً مماثلة يبين لهم فيها من حقوق وما عليهم من واجبات، ويتضح مما جاء في هذه الكتب ان الجزية فرضت على اهل الذمة مقابل حماية المسلمين لهم، وحددت كتب الرسول مقدار هذه الجزية، كما كفلت هذه الكتب لليهود حرية الدين والعمل وطلبت الى المسلمين مساعدتهم وحمايتهم وعدم الإضرار بهم. ويمكن أن يقال: إن رسول الله ﷺ قد أصدر أمان المسلمين إلى جميع ساكني الجزيرة العربية من اصحاب الديانات وغيرهم، وأخذ على المسلمين معاملتهم بالحسنى ما داموا يحافظون على عهودهم ولا يؤذون المسلمين. وبهذه العهود والمواثيق فتح المسلمون عهداً جديداً من التسامح والعدالة إيذاناً بولادة مجتمع جديد تحكمه قوانين الإسلام العادلة.

(١) انظر ابن كثير: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٦-١٧.

الفصل الثامن

العرب واليهود في عهد الخلفاء الراشدين

- ★ في عهد أبي بكر.
- ★ اليهود في عهد عمر.
- ★ اليهود ومقتل الخليفة عمر.
- ★ الفتنة في عهد عثمان ودور السبئية.
- ★ السبئية في خلافة علي بن أبي طالب.
- ★ الاسرائيليات.

الفصل الثامن

العرب واليهود في عهد الخلفاء الراشدين

★ في عهد أبي بكر:

ارتدت كثير من القبائل العربية في عهد الخليفة الأول أبي بكر، وسادت الفوضى وضعف الأمن «واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق»^(١). وكانت الردة أعظم حدث واجهه أبو بكر رضي الله عنه في صدر خلافته. ويمكن أن يقال ان الردة كانت أعظم حدث هدد كيان الأمة الاسلامية لما نشرته من اضطرابات وأحيت من عصبية، وبما صدر عن المرتدين من مخالفات لتعاليم الاسلام واصرار على تحريفه والتشكيك فيه.

لم تذكر المصادر التاريخية شيئا يُعتمد به عن دور اليهود في حوادث الردة، غير أن الباحث المدقق لا يمكنه الاطمئنان الى سكوت هذه المصادر، ذلك أن عددا كبيرا من اليهود بقي في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية - في المدينة وخيبر، وفدك، ووادي القرى، وتيماء، وجربا وأيلة وفي نجران واليمن وغيرها - كما تفرق الذين خرجوا من بلاد الحجاز في فلسطين وسوريا والعراق. ولا يعقل ان لا يتدخل اليهود في مثل هذه الحوادث التي كادت تؤدي بالدولة الاسلامية الفتية لولا إرادة الله سبحانه وتعالى وثبات أبي بكر والمسلمين المخلصين من حوله، وفي وسط الاضطراب الذي عم بلاد العرب تصور الكثيرون أن عهد الاسلام قريب الزوال. ونساءل بعد هذا عن السبب في عدم اشتراك اليهود اشتراكا مسلحا في هذه الأحداث؟

وقبل الاجابة على هذا التساؤل علينا ان نتذكر أن اليهود لم يتخلوا عن حقدهم على الاسلام والمسلمين، كما لم يتخلوا عن تعاونهم مع المنافقين، فقد رأيناهم بعد خيبر في حياة الرسول ﷺ يكون عبدالله بن أبي وشرون^(٢) التراب على رؤوسهم حزنا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٧٩.

(٢) انظر ص ٣٨٥ من هذا البحث.

عليه، كما رأيانهم يتعاونون مع المنافقين ويفتحون بيوتهم لهم، ولا شك أنهم كانوا يترقبون الفرص التي تمكنهم من الثأر من المسلمين، ووجدوا هذه الفرصة على أحسن ما تكون في حوادث الردة، فما كان دورهم إذن؟

لم يشترك اليهود في حوادث الردة بالسلاح لأنهم فقدوا هذا السلاح في حروبهم من قبل مع المسلمين، وفقدوا مع سلاحهم ثقتهم بالقبائل العربية، وفقدوا في حروبهم زعماءهم، كما فقدوا ثروتهم وأصبحوا يعيشون على هوامش الأحداث لا يعاب بهم، ولم تعد لهم تلك الثروة التي يطمع بها العرب، ولا تلك المنعة التي كانوا يتمتعون بها. لذلك فقدوا عناصر القدرة على حرب المسلمين حربا مكشوفة، ولم يبق لهم الا سلاح النفاق والدسيسة، ولا يشك بأنهم استعملوا هذا السلاح. فقد كانت العوامل الأجنبية ومنها الدعاية اليهودية وراء حوادث الردة^(١). كما أن حركة الأسود العنسي باليمن أثارها كثرة الأديان في اليمن بما فيها اليهودية في عهد الرسول ﷺ وبعده^(٢).

وذكرت الروايات ان سجاح التميمية كانت قد تنصرت وحقدت على المسلمين وانحدرت الى الجزيرة العربية من جهات الفرات، وكانت تسكن هناك جالية يهودية نشيطة، ربما كانت وراء حركة سجاح هذه، لانه تبين ان سجاح انما تنصرت لتكسب النصاري العرب الى جانب حركتها. لانها ادعت النبوة فيما بعد واتصلت بمسيلمة الكذاب واتفقت معه في نبوءته وتخلت عن نصرانيتها. ويعزز هذا الاتجاه ما ذكرته بعض المصادر من ان المسلمين أسروا امرأة يهودية مع المرتدين أثناء حروبهم كانت قد اشتركت معهم ولجأت الى حصونهم^(٣). وقد ذهبت بعض الروايات الى أن أبا بكر رضي الله عنه مات بالسم الذي دسه اليهود في أكلة من اكالاته^(٤)، كما ذكرت بعض المصادر التاريخية أن فريقا من اليهود ناصروا طليحة الأسدي الذي ارتد في حياة الرسول وأدعى النبوة واستطاع شره بعد وفاة الرسول ﷺ^(٥). ولم تذكر هذه المصادر شيئا عن هؤلاء بعد القضاء على فتنة الردة.

(١) انظر محمد حسنين هيكل، الصديق أبو بكر - الطبعة المصرية، ط ٤ ١٩٥٨ م ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق ص ٩٠.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان ص ١١١.

(٤) انظر الطبري تاريخ ج ٣ ص ٤١٩. الديا بكري، الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٢٣٦.

(٥) انظر تاريخ في المغازي والفتوح لمؤلف مجهول، مخطوط سبق ذكره، ورقة ٤٨.

وهكذا نجد أن اليهود كانوا يعيشون في غيبوبة في عهد أبي بكر بعد الضربة القوية التي تلقوها في عهد الرسول، لهذا فلم يتمكنوا من استغلال الحوادث أو المساهمة فيها بشكل مؤثر وفعال. وبعد أن أعاد أبو بكر الأمن إلى نصابه ونجح في القضاء على الفتن والثورات في طول البلاد وعرضها، ظل اليهود على عهدهم لا يضر أحدهم ولا يفتن يهودي عن يهوديته، يدفعون إلى بيت المال ما اتفق عليه من حاصلاتهم أو جزية رؤوسهم^(١). وكتب أبو بكر لأهل نجران كتابا مشابها لكتاب الرسول ﷺ جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم».

«هذا ما كتب به عبدالله أبو بكر، خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران: أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وماشيئتهم وعبادتهم، وغائبهم وشاهدهم، وأساقفتهم ورهبانهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يحشرون، ولا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، وفاء لهم لكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي «عليه السلام» أبدا. وعليهم النصح والصلاح فيما بينهم من الحق».

شهد المسبور بن عمرو - أحد بني القين - وعمرو مولى أبي بكر، وراشد بن حذيفة، والمغيرة وكتب^(٢). وقد وجه هذا الكتاب إلى نصارى نجران ودخل يهودها فيه^(٣).

لم تشر المصادر التاريخية بشيء إلى أحوال اليهود في سوريا والعراق والراجح أن هؤلاء كانوا يمارسون أعمالهم التجارية والصناعية بكل حرية، وأن الذين كانوا في العراق كانوا على جانب كبير من الثراء، ولم يتعرض لهم المسلمون في عهد أبي بكر بشيء يسيء إلى نشاطهم الاقتصادي أو الديني، لأن أبا بكر سار على سياسة التسامح التي اتبعها الرسول معهم في خير.

★ اليهود في عهد عمر:

سار عمر بن الخطاب على سياسة من سبقه في التسامح مع اليهود خاصة وأهل الذمة عامة، ففي عهد هذا الخليفة تم فتح بلاد العراق واستولى المسلمون على كثير من

(١) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٧٧.

(٢) محمد حميد الله، الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٥٨، وثيقة رقم (٩٨).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٧.

المراكز العراقية التي كان يعيش فيها اليهود، وكان هؤلاء اليهود كسائر أصحاب الديانات الاخرى في نظر الفاتحين المسلمين، فمنهم من دان بالاسلام ومنهم من أقام على تأدية الجزية .

ويظهر أن اليهود والنصارى في العراق استبشروا بالفتوحات الاسلامية وساعدوا الفاتحين المسلمين، وذلك لأنهم كانوا يستقلون وطأة حكم الفرس الوثنيين ولا سيما في أخريات أيامهم حيث كان الضعف والانهايار قد ظهر في دولتهم^(١).

جاء في بعض الروايات ان رأس الجالوت - وهو أكبر منصب ديني عند اليهود - قدم الى عمر بن الخطاب وقدم له خدمات جليلة أفاد منها المسلمون، ومقابل هذه الخدمات حصل رأس الجالوت على عهود ومواثيق من الخليفة عمر لصالح اليهود^(٢).

وبعد أن دانت سوريا والعراق ومصر للدولة الاسلامية تغيرت سياسة عمر بن الخطاب من اليهود والنصارى الذين يسكنون ما بين نجران وأطراف سوريا، وانتهج معهم سياسة تقوم على تحويل هذه البلاد الى بلاد اسلامية خالصة وخالية من أصحاب الديانات الاخرى، ومنح لهم حرية العمل والعقيدة في الاقطار خارج الجزيرة العربية وطلب من المسلمين انصافهم وتقدير كل مساعدة يطلبونها او يحتاجون إليها.

وفي سبيل تنفيذ سياسته الاسلامية هذه رأى عمر أن يطهر الأجهزة الادارية في الجزيرة العربية من غير المسلمين، فقد ذكرت بعض الروايات ان عمر طلب الى عامل اليمن أبي موسى الأشعري ان يسرح كاتبه اليهودي ويستبدله بآخر مسلم، وقد تباطأ أبو موسى الأشعري في إجابة الخليفة على طلبه وكان الأشعري يظهر ان الولاية بحاجة الى علمه إلى أن أمره عمر بن الخطاب للمرة الثالثة ان يستغني عنه فاستغنى عنه^(٣).

وفي سبيل تنفيذ هذه السياسة فقد أمر عمر بن الخطاب باجلاء يهود خيبر، وفي سبيل ذلك خرج الخليفة عمر ومعه أربعة قسّام هم، فروه بن عمرو البياضي، وحجاب بن صخر السلمي وأبو الهيثم بن التيهان، وزيد بن ثابت فقسموا خيبر على ثمانية عشر

(١) انظر يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات ط ١ - بغداد - ١٣٤٢هـ، ١٩٢٤م ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ١٠١.

سهما، على الرؤوس التي سمي رسول الله ﷺ، فانه سمي ثمانية عشر سهما وسمي رؤساءهم، ثم جزأوا الشق والنظاة على مثل ذلك، وكان في الشق ثلاثة عشر سهما وفي النظاة خمسة أسهم^(١).

ولما فرغ عمر - رضي الله عنه - من القسمة أخرج يهود خيبر بعد ان جعل لهم مدة يبيعون سلعهم^(٢)، الى سوريا وأريحا^(٣). وذكرت الروايات ان عمر قد سار من خيبر الى وادي القرى ومعه جبار بن صخر بن أمية وزيد بن ثابت وكانا قد اشتركا في قسمة خيبر وهما قاسما المدينة وحاسباهما، وقسما السهمان بوادي القرى وفدك ودفع عمر الى يهود فدك نصف القيمة^(٤).

وقد أجلي عمر رضي الله عنه يهود خيبر وفدك وأبقى يهود تيماء ووادي القرى. ويستفاد من بعض الروايات التاريخية ان نصارى نجران اعتنقوا الاسلام ربما ليقوا في بلادهم لان المسلمين حرموا على أهل الذمة نشر شرائعهم ما بين نجران في الجنوب وأطراف سوريا في الشمال، ولهم نشرها اذا أرادوا في بلاد الصلح^(٥). ثم عاد النجرانيون وارتدوا عن الاسلام، وكان يساكن النصارى في نجران بعض اليهود، فكتب عمر الى أهل نجران ومعظمهم من النصارى وفيهم يهود كتابا جاء فيه .

« . . . فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد وإنه من يشب منكم ويصلح لا يضره ارتداده، ونصاحبه صحبة حسنة، فادُّكروا ولا تهلكوا وليبشر من أسلم منكم، فمن أبى الا النصرانية فان ذمتي بريئة ممن وجدناه - بعد عشر تبقى من الصوم - من النصارى بنجران . ؟ أما بعد فإن يعلى كتب يعتذر ان يكون أكره أحدا منكم على الاسلام أو عذبه عليه، إلا أن يكون قسرا جبرا ووعيدا لم ينفذ إليه منه شيء، اما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ الجزية منكم نصف ما عملتم من الارض ولاني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتهم^(٦). ويغلب على الظن ان النجرانيين فضلوا الهجرة من بلادهم وطلبوا من عمر

(١) الواقدي : المغازي ج٢ ص ٧١٨ .

(٢) انظر ابو عبيد، الأموال ص ١٤٣ .

(٣) William Muir, "The Caliphate its Rise declin & fall" p.158

انظر كذلك الديار بكرى، الخميس في أحوال انفس نفيس ج٢ ص ٥٨ .

(٤) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٣٥٧ . الواقدي : المغازي، ج٢ ص ٧٢١ .

(٥) انظر ابو عبيد، الأموال، ص ١٤٦ .

(٦) أبو عبيد الأموال ص ١٤٥ . انظر ايضا محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية . . . ص ١٥٩-١٦٠ .

ان يكتب لهم امانا في مسيرهم بين المسلمين ، وكتب لهم عمر ما أرادوا وجاء في هذا الكتاب : هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لأهل نجران ، من سار منهم آمن بأمان الله ، لا يضره أحد من المسلمين وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه . أما بعد : فمن مرّوا به من امراء الشام والعراق ، فليوسعهم من حرث الارض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم .

أما بعد : فمن حضرهم من رجل مسلم ، فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا ، من بعد أن يقدموا ولا يكلفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم^(١) . وأشهد عمر على هذا الكتاب بعض المسلمين ممن حضر منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وربما كان هذا الأمان الموجه الى نصارى نجران يشمل اليهود أيضا ، فقد ذكرنا ان اليهود في نجران دخلوا في الصلح الذي دخل فيه النصارى دون ذكرهم في مواد الصلح .^(٢) وقيل إن عمر بن الخطاب لم يجعل نصارى نجران ولكنهم هم الذين طلبوا الجلاء الى بلاد الشام استئفالا لما كانوا يدفعونه من الجزية ، فوافق عمر على خروجهم ، ثم بدا لهم ان يرجعوا في اتفاقهم فأبى عمر ذلك عليهم ، وتخوف منهم على المسلمين فما هو الا أن وافته الفرصة لاخراجهم حتى انتهزها^(٣) .

والرأي الذي يمكن ان يطمنن إليه الباحث هو أن حركة الفتح الاسلامي وخضوع أراضي جديدة وأقوام مختلفة للمسلمين خارج الجزيرة العربية ، أغرى أهل الذمة بالخروج من الجزيرة وخاصة أقاليم الحجاز وشمال اليمن ، حيث أصبح معظم سكانها من المسلمين وأصبحت سياسة الحكومة الاسلامية تعمل على تطهير هذه الاقاليم من غير المسلمين .

وقد ذكرت بعض الروايات وجود بعض اليهود في أريحا بعد ان اجلوا من الحجاز ، فقد التقى بعض آل الحارث أبي زينب المشهورين بقافلة من الأعراب في جهات أريحا

(١) محمد حميد الله ، المرجع السابق ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٧٧ .

(٣) ابوعبيد ، الأموال ، هامش ، ص ١٤٤ . انظر البلاذري فتوح البلدان ، ص ٧٨ .

في عودتها من الشام الى خيبر وتكلم ابن الحارث مع أصحاب القافلة كلاما فيه وجدّ وحنين الى موطنه الأول خيبر، وذكر لهؤلاء الأعراب انه كان يود ان يدخل الاسلام يوم أجلى عمر أسرته حتى لا يتعد عن أرض اجداده ولكنه خشي من تحقير الخلف له لأنه أثر أسرته ووطنه على دينه، سيما وأنه ابن سيد من سادات اليهود^(١).

وبناء على ما سبق نجد ان الوجود اليهودي قد اضمحل من بلاد الحجاز منذ عهد عمر بن الخطاب ولم تعد لهم أية أهمية في الأحداث التي لحقت من بعد لأن الأسر اليهودية التي بقيت في المدينة أو تيماء أو وادي القرى لم تكن تملك القدرة على المساهمة في الأحداث الاسلامية اما سلبا أو إيجابا فاثرت الانصراف لأعمالها الاقتصادية الخاصة، ولا بد للباحث المحقق من التعرض للأسباب التي جعلت الخليفة الثاني يقدم على إجلاء اليهود من أكثر مناطق الحجاز، ولا يعقل ان يقدم عمر على مثل هذا الاجراء دون أسباب موجبة لذلك، لما عرف عن عمر من مقدرة في الأمور الادارية والتنظيمية.

تذكر بعض الروايات ان اليهود ارتكبوا عددا من الجرائم بحق نفر من المسلمين جعلت عمر يسلك هذا الاجراء معهم، فقد كان رسول الله ﷺ يبعث إلى أهل خيبر عبدالله بن رواحه خارصا^(٢). بين المسلمين واليهود، فيحرص عليهم فإذا قالوا: تعديت علينا قال إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض^(٣).

وقد أقام اليهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم حتى عدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبدالله بن سهل أخي بني حارثة فقتلوه فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه وكان عبدالله قد خرج الى خيبر ليبتار منها تمرا فوجد في عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها. ولما علم أهله بخبره قدم أخوه عبدالرحمن ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصه ابنا مسعود، وكان ابن عبدالرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب الدم، فذكروا لرسول الله ﷺ قتل صاحبهم واتهموا اليهود بذلك فقال الرسول: «أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم؟ قالوا: يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما

(١) الواقدي المغازي، ج٢ ص ٦٥٤-٦٥٥.

(٢) الخارص: الذي يقدر «من التقدير والتخمين» ما على النخل والكرم من ثمر، وهو من الخرص اي الظن لأنه تقدير بظن، ابن هشام ج٢ ص ٣٥٤.

(٣) انظر ابن هشام السيرة، ج٢ ص ٣٥٤-٣٥٥.

لا نعلم، قال: أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه؟ قالوا: يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم، ثم وداه الرسول من عنده مائة ناقة^(١). وقيل ان رسول الله ﷺ قد كتب إلى أهل خيبر يسألهم عن القتيل الذي وجد بينهم، فأذكروا صلتهم بالقتل أو علمهم به وحلفوا بالله على ذلك، ولذلك وداه الرسول من عنده^(٢).

لقد ذكرنا هذه القصة لنرى حرص الرسول ﷺ على التسامح والعدل مع اليهود، وقد أقر أبو بكر رضي الله عنه، بعد رسول الله ما بأيديهم على المعاملة التي عاملهم بها الرسول حتى توفي ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدرامن إمارته. ثم بلغ عمر ان رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثبت، فأرسل الى يهود، فقال: «إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم، قد بلغني ان رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتهجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم...»^(٣).

ان قول عمر رضي الله عنه هذا يدل على ان بعض اليهود كان لديهم عهدو تحفظهم من الاجلاء ولذلك استثناهم عمر رضي الله عنه من الجلاء كما سنرى.

ذكر ابن اسحاق ان عبد الله بن عمر خرج الى خيبر في خلافة أبيه ومعه الزبير والمقداد بن الأسود وبينما كان عبد الله نائما غدي عليه في فراشه ففدعت^(٤) يده من المرفقين. فلما أصبح استصرخ صاحبه فأتياه فسألاه: من صنع هذا بك؟ فقال لا أدري، قال: فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيبا فقال: «أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يعامل يهود خيبر على انا نخرجهم اذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر: ففدعوا يديه، كما قد بلغكم

(١) انظر ابن هشام، السيرة ج٢ ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٦. انظر كذلك الواقدي، المغازي ج٢ ص ٧١٤ وما بعدها.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة، ج٢ ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٤) فدعت: أي أزيلت مناصلها عن أماكنها.

مع عدوهم على الأنصاري قبله، لا يشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخير فليحقق به، فاني مخرج يهود فأخرجهم^(١).

وأورد الواقدي «أن مظهر بن رافع الحارثي أقبل بأعلاج من الشام يعملون له بأرضه، وهم عشرة، فأقبل حتى نزل بهم خيبر فأقام بها ثلاثة أيام، فدخل بهم رجل من اليهود فقال: أنتم نصاري ونحن يهود وهؤلاء عرب قد قهرونا بالسيف وأنتم عشرة رجال أقبل رجل واحد منهم يسوقكم من أرض الخمر والخمير إلى الجهد والبؤس، وتكونون في رق شديد، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه: قالوا: ليس معنا سلاح: فدسوا اليهم سكينين أو ثلاثة، قال: فخرجوا فلما كانوا بشار قال لأحدهم، ناولني كذا وكذا، فأقبلوا جميعا قد شهروا سكاكينهم، فخرج مظهر يعدو إلى سيفه وكان في قراب راحلته، فلما انتهى إلى القراب لم يفتحه حتى بعجوا بطنه، ثم انصرفوا سراعا حتى قدموا خيبر على اليهود فأووههم وزودوهم وأعطوهم قوة فلاحقوا بالشام. وجاء عمر الخبر بمقتل مظهر بن رافع وما صنعت اليهود، فقام عمر خطيبا بالناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان اليهود فعلوا بعبد الله ما فعلوا، وفعلوا بمظهر بن رافع مع عدوتهم على عبد الله بن سهل في عهد رسول الله ﷺ، لا أشك أنهم أصحابه ليس لنا عدو هناك غيرهم، فمن كان له بها مال فليخرج فأننا خارج فقاسم ما كان بها من الأموال، وحاد حدودها، ومؤرف أرفها^(٢) ومجل اليهود منها، فإن رسول الله ﷺ قال لهم: «أقركم ما أقركم الله» وقد أذن الله في جلائهم إلا أن يأتي رجل منهم بعهد أو بينة من النبي ﷺ أنه أقره فأقره، فقام طلحة بن عبيد الله فقال: قد والله أصبت يا أمير المؤمنين ووفقت! ان رسول الله ﷺ قال: «أقركم ما أقركم الله»، وقد فعلوا ما فعلوا بعبد الله بن سهل في زمن النبي ﷺ، وما حرضوا على مظهر بن رافع حتى قتله أعبدته، وما فعلوا بعبد الله بن عمر، فهم أهل تهمتنا وظنننا فقال عمر رضي الله عنه: من معك على مثل رأيك؟ قال: المهاجرون جميعا والأنصار، فسر بذلك عمر^(٣).

ولما رأى عمر رضي الله عنه اجتماع الصحابة على رأيه عزم على نفاذه فعلمت يهود بما عزم عليه الخليفة فجاء أحد بني الحقيق إلى عمر وقال له: «أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على أموالنا وشرط ذلك لنا فقال له عمر رضي الله عنه «أظننت أني نسيت قول

(١) انظر ابن هشام، السيرة، ج-٢ ص ٣٥٧.

(٢) الارف: جمع ارفه، وهي الحدود والمعالم .. انظر ابن الأثير، النهاية في غريب المداية ج١ ص ٢٦.

(٣) الواقدي: المغازي ج-٢ ص ٧١٦-٧١٧. يرهان الدين الحلبي، السيرة الحلبي ج-٣ ص ٦٧.

رسول الله ﷺ لك كيف بك إذا خرجت من خير يعدو بك قلو صك ليلة بعد ليلة، فقال هذه كانت هزيمة من أبي القاسم، فقال كذبت يا عدو الله، ثم بلغه رضي الله عنه أنه ﷺ قال: لا يبقى دينان في جزيرة العرب وقوله لأخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب وفي رواية أخرى ما تكلم به النبي ﷺ، أخرجوا اليهود من الحجاز، وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز أي مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقرائها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة، والمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لأن عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم الى تيماء وبعضهم إلى أريحا، وتيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، وقيل له حجاز لأنه حجاز بين نجد وتهامة^(١).

وقيل أن نتعرض لاجراءات عمر بن الخطاب في أجلاء اليهود عن الحجاز، علينا ان نتأكد من صحة الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ بهذا الشأن، ثم نذكر العلة في عدم إخراج يهود اليمن وبعض يهود شمال الحجاز، وعلينا أن نستقصي الحكمة من إجلاء اليهود والنصارى عن بلاد الحجاز.

لقد ورد في الصحيحين الحديث بإخراج اليهود، ففي البخاري أن الرسول ﷺ أوصى وهو على فراش المرض بإخراج المشركين من جزيرة العرب فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(٢).

وفي صحيح مسلم: «روى زهير بن حرب حدثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريح أخبرني أبو الزبير، انه سمع جابر بن عبد الله يقول أخبرني عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»^(٣). وفي رواية للترمذي: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب»^(٤) وجاء في كنز العمال الحديث «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(٥). وحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب».

يشك بعض المستشرقين في صحة هذه الأحاديث ويقولون بأنها قيلت بعد وفاة

(١) انظر برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٦٨.

(٢) صحيح البخاري جـ ٤ ص ٧٩ (كتاب الجزية - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب).

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٦٠ (كتاب الجهاد والسير - باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب).

(٤) الترمذي، سنن جـ ٢ ص ٣٩٨، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

(٥) كنز العمال جـ ٢ ص ٢٧٤، طبع حيدر اباد - حديث ٥٨٧٣، ٥٨٧٤، ٥٨٧٥.

الرسول ﷺ لأغراض خاصة^(١). ومما يرجح صحة هذه الأحاديث ان الرسول ﷺ كان قد اشترط على يهود خيبر ومن حولها إجلاءهم في الوقت الذي يريده المسلمون، وذلك في المعاهدة التي عقدها معهم، ثم إن أحاديث الرسول بإخراج اليهود والنصارى أو المشركين من جزيرة العرب ثابتة ومسلم بصحتها عند أهل الحديث.

وأما بخصوص إجلاء اليهود عن الحجاز وعدم إجلائهم من باقي اقاليم الجزيرة العربية فقد ذكرت فيه عدة تعليقات. وذلك لأن الأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب يتعارض في الظاهر مع أمر الرسول لمعاذ بن جبل بأخذ الجزية من أهل اليمن، كما يتعارض مع ما نعرفه من بقاء اليهود في اليمن الى وقت قريب.

وقد أثبت في ملحق خاص^(٢) رسالة في هذا الموضوع لاحد العلماء، يرى فيها ان الأمر بالاخراج كان عاما من جزيرة العرب وأن بقاء اليهود في اليمن إنما يعود لكون عثمان وعلي رضي الله عنهما شغلا عن اتمام تنفيذ وصية الرسول بما حدث في عهدهما من فتن.

ان الحكمة الظاهرة لنا من الأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، أو من الحجاز إنما هو حفظ القاعدة الاسلامية متينة ونقية، فقد وجد الرسول عليه السلام أن وجود اليهود بين المسلمين في قاعدتهم فيه مضرة للمسلمين لما عرف عن اليهود من قدرة على الدسيسة وإيقاع الفتن. وربما رأى عليه السلام ان وجودهم في الاراضي المقدسة سيشكل خطرا على المسلمين مع الزمن عندما ينصرف المسلمون الى الفتوح خارج الجزيرة العربية، فينفسح المجال لليهود لنشر مفسادهم. لذلك اقتضت السلامة العامة إجلاءهم بعد أن اتهموا بحوادث قتل فردية.

ويرى ابن سعد سببا آخر لاجلائهم فيقول إن خيبر بقيت بأيدي اليهود يعملونها على نصف ما يخرج منها، فلم يزالوا على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وكثر في أيدي المسلمين العمال وقووا على عمل الأرض فأجلى عمر اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين إلى اليوم^(٣).

(١) انظر ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٨٤.

(٢) انظر الملحق رقم (٣).

(٣) الطبقات الكبرى ج٢ ص ١١٤.

وقد أخذ بهذا الرأي ولفنسون واعتبره السبب الجوهرى لاجلاء اليهود عن الحجاز ، ومما قاله بهذا الصدد : « ان إجلاء أغلب طوائف اليهود من خيبر يرجع إلى كثرة الأيدي العاملة من الأسرى الذين كثر عددهم عند العرب بعد فتوح الشام والعراق وفارس وكان هؤلاء الأسرى ذوي خبرة بالأعمال الزراعية كيهود خيبر الذين كانوا يستأثرون بنصف حاصلات الأرض ويعطون النصف الآخر لأصحاب الأسهم من المسلمين ، فرأى المسلمون أن تكون لهم كل هذه الحاصلات ليتمكنوا من تموين أسراهم الكثيرين من جهة وليوجدوا لهؤلاء الأسرى عملاً يقومون به من جهة أخرى ، فأشاروا على أمير المؤمنين باجلاء البطون اليهودية التي لم يكن لها عقود خاصة مع الرسول^(١) .

وهذا الرأي على ما يبدو فيه بعض الصحة ، الا انه ليس السبب الوحيد لتصرف عمر بن الخطاب ، لأن الخليفة انما نفذ وصية الرسول ﷺ الذي امر بإخراج اليهود من جزيرة العرب أو من بلاد الحجاز . ثم ان القول برغبة المسلمين في الاستئثار بحاصلات خيبر فيه مبالغة ، ذلك أن المسلمين اعتمدوا في اقتصادهم في عهد الراشدين على ما جلبته لهم الفتوح واهملت الزراعة في منطقة الحجاز ولم نعد نسمع عن زراعة خيبر ما يثير الاهتمام . ولو كان السبب الاقتصادي هو المقصود لما أجلى عمر رضي الله عنه اليهود من خيبر الى مناطق أخرى تعتبر من اقاليم الجزيرة العربية كتيماء وغيرها . والرأي الذي يقبله العقل هو ما ذهبنا اليه وهو الرغبة في ابقاء منطقة الحجاز إسلامية خالصة لا يخالط أهلها مشرك ، وهو ما سار عليه حكام الحجاز حتى هذه الأيام .

إن هذا العمل يدل على بعد نظر الخليفة عمر الذي كان ينوي توحيد شعبه دينيا واجتماعيا وثقافيا ، وهذا ما تحرص على تنفيذه الأمم المتمدنة الحديثة بمختلف الوسائل^(٢) .

★ اليهود ومقتل الخليفة عمر :

اغتيال الخليفة عمر رضي الله عنه في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة على يد غلام فارسي يدعى «أبولؤلوة» . وكان عمر لا يأذن لسبي بدخول المدينة اذا كان بالغا حتى

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٨٥ .
(٢) تذهب معظم دول العالم اليوم في هذا الاتجاه ، فالولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها للقضاء على الفوارق داخل شعوبها ، وكذلك الاتحاد السوفياتي وغيرهما .

كتب إليه المغيرة بن شعبه وكان أميراً على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صنعا كثيرة ويستأذنه بدخول المدينة لأن فيه منافع كثيرة تعود من صنعه . وأذن له عمر رضي الله عنه بدخول المدينة والإقامة فيها ، وكان المغيرة قد ضرب عليه مائة درهم كل شهر - وفي رواية أكثر من ذلك بقليل - فجاء الغلام الفارسي الى عمر يشتكي شدة الخراج الذي ضربه عليه المغيرة . فقال له عمر ماذا تحسن من الأعمال؟ فذكر له الأعمال التي يحسن صنعها ومنها الرحي التي تدور بالريح ، فأجابه عمر : ليس خراجك بكثير في كنه عملك ، فسخط أبو لؤلؤة ، وانصرف متذمرا يولول . وبعد عدة ليال التقى عمر بالغلام الفارسي فناده وقال له : ألم تقل بأنك تستطيع صنع رحي تطحن بالريح ؟ فالتفت العبد ساخطاً عابساً الى عمر ، - وكان مع عمر رهط من المسلمين - وقال : لأصنعن لك رحي يتحدث بها الناس . فقال عمر : لقد توعدني العبد . فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه وهجم عليه في صلاة الفجر وطعنه في أماكن متعددة من جسده ثم طعن عدداً من المصلين ثم انتحر بخنجره^(١) .

إن هذه الرواية تجعل من مقتل عمر بن الخطاب حادثاً فردياً سببه نقمة هذا المولى الفارسي الذي تخيل أن عدل عمر لم يسعه وأن الظلم قد لحقه ولا خلاص من هذا الظلم الا بقتل الخليفة عمر . ولكن مقتل عظيم من العظماء إنما يكون عادة من تدبير وتخطيط مجموعة من الناس تناوئء هذا الحاكم وتخالفه في الأسس والأساليب التي ينتهجها فكراً وعملاً . وكيف يقتنع الإنسان بأن الحادث إنما هو تدبير فردي من أبي لؤلؤة والشهيد هو الخليفة عمر بن الخطاب الذي أزال ملك الفرس وقضى على سلطانهم ، وهو الذي هز عرش قيصر واقتطع منه بلاد الشام ومصر ، وهو الذي أزال وجود اليهود من بلاد الحجاز ، واضطربهم للخضوع لسلطان المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية .

لكل هذه الأسباب كان الحقد يتأجج في قلوب الناقمين من الفرس والروم واليهود على هذه الدولة الإسلامية التي قضت على دولهم وسلطانهم وأمجادهم ، ولا يستغرب الانسان إذا حاول هؤلاء الموتورون الانتقام من شخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان تاجاً لهذه الدولة .

والذي يرجح الاتجاه السابق ان الروايات التاريخية القت بعض الأضواء على

(١) انظر ابن سعد: الطبقات ج٣ ص ٣٤٥ .

الاطراف المشتركة في عملية مقتل الخليفة عمر واوضحت أن أفراداً من الفرس والنصارى واليهود كانوا وراء هذه الجريمة .

فقد ذكرت بعض الروايات ان عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق قد شاهد ابا لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة النصراني والهرمزان وهم يتهايمسون فيما بينهم ، فلما فاجأهم ارتبكوا وسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه في وسطه ، فلما نظر عبدالرحمن الخنجر الذي استعمله أبو لؤلؤة قرر أنه نفس الخنجر الذي شاهده قبل وقوع الجريمة بوقت قصير^(١) .

وليدو أن هذه الرواية صحيحة لأن ابن عمر اعتمد عليها في أخذ ثأره من الهرمزان وجفينة وابنة لأبي لؤلؤة^(٢) . وإذا علمنا ان الهرمزان كان سيداً من سادات الفرس وأن الإسلام قد جرّده من هذه السيادة ، وأن جفينة نصراني من نصارى الحيرة المتعصبين ، أدركنا عدم استبعاد سعاية هؤلاء باغتيال ابرز زعماء الاسلام آنذاك .

وأما علاقة اليهود بالجريمة فتوضحها الرواية التالية : جاء كعب الأحبار إلى أمير المؤمنين عمر وقال له : إنك ميت بعد ثلاثة ايام ، فقال له عمر : وما يدريك ؟ قال : أجدّه في كتاب الله عز وجل التوراة ، قال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكني أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك . قال : وعمر لا يحس ألماً ولا وجعاً ، فلما كان من الغد جاءه كعب ، وأخبره أنه قد ذهب يوم من الثلاثة ايام وبقي من اجله يومان ، ثم جاء في اليوم الآخر وأخبره انه لم يبق الا يوم وليلة الى صبيحتها^(٣) . ولما كان الصبح حدث لعمر ما حدث .

وكعب الأحبار يهودي من اليمن ، لم يسلم إلا في عهد عمر بن الخطاب^(٤) وقد نسبت إليه أحاديث كثيرة وروايات مستمدة من الكتب اليهودية ، أدخلها في الروايات الإسلامية وعرفت فيما بعد بالإسرائيليات .

ويقول الشيخ الخضري معلقاً على رواية كعب الأحبار «ولو صحّت هذه الحكاية وكنت ممن يحقق هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يدا في مقتل عمر ، أو أنه

(١) انظر ابن سعد ، الطبقات ج٣ ص ٣٥٥ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) أنظر الطبري ، تاريخ ج٤ ص ١٩١ .

(٤) انظر ابن سعد ، الطبقات ج٧ ص ٤٤٥ .

كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين على عمر، وربما يقال لو كان كذلك فما يدعو كعباً إلى إنباء عمر بهذا النبأ، والجواب على ذلك سهل فإنه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً، فإن كثيراً منهم يرون بعد ذلك أن توراته فيها علم كل شيء وأنه صادق في كل ما يخبر به فلا يتردد سامعه لحظة في تصديقه بما يوحى إليه، وكعب هذا ممن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض لأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه^(١).

إن هذه الأدلة تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بوجود العقل اليهودي المشهور بحبك الدسائس والمؤامرات وراء هذه الجريمة.

والذي أراه أنه لا بد أن عمر بن الخطاب قد اتخذ الاحتياطات لنفسه خوفاً من الغدر، فقد أدرك أن أبا لؤلؤة يتوعدده، ولذلك لم يجد المتآمرون فرصة لقتل عمر إلا وهو محرم في صلاة الفجر، حيث لا ينفع احتياط في مثل هذه المناسبة التي يشترك فيها جميع المسلمين، وقد يتسلل بين صفوفهم في الصلاة الغرباء إنه لم يكن يمنع المسجد على أحد.

★ الفتنة في عهد عثمان ودور السبيطة :

إن من الحقائق المسلم بها أنه لكل حكم مؤيد ومعارضين، وقد وجدت معارضة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وتباينت آراء المؤرخين في تفسير أسباب هذه المعارضة، وبلغ التباين حداً زاد القضية إبهاماً بدلاً من توضيحها. فبعض المؤرخين يرى أن ضعف شخص عثمان ووقوعه تحت تأثير أقاربه هو أول أسباب الفتنة، وطبعي أن هذا الفريق يرى أن الفتنة ما هي إلا ثورة شعبية ضد حاكم ضعيف، ويخلقون المبررات لهذه الثورة، ويرى فريق آخر أن سبب الفتنة، هو اليد الخفية لابن السوداء «عبد الله بن سبأ» الذي نشر أفكاره ووزع دعائه في مختلف الأمصار حتى أفسد الرعية على الخليفة وجعلها تثور عليه وتقتله.

وإذا بحثنا في أسباب الفتنة لا يسعنا إلا أن نجمل أسبابها في الأمور الآتية :

١ - الظروف الجديدة التي وجدت في زمن عثمان رضي الله عنه، وهذه الظروف

(١) تاريخ الأمم الإسلامية المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط ٨، ١٣٨٢ هـ - ج ١ ص ٢١.

تختلف عن سابقتها في عهد من تقدمه من الخلفاء، فمن المعروف ان حركة الفتح كانت قد اتسعت وتعاظمت وتقاطرت الخيرات نحو المدينة مما حملته هذه الفتح من غنائم، فوسع سكان المدينة على انفسهم في المسكن والمأكل والمشرب والملبس، فظهر البذخ على سكان المدينة. وهكذا وجدت ظروف جديدة في عهد عثمان كانت حصيلة التطور السياسي منذ فجر الدولة الاسلامية، وكان من نتائج هذا التطور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الجديدة. واذا كانت هذه المظاهر قد بدأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فلم يكن لها هذا الأثر الذي أحدثته في عهد عثمان، لأنها في عهد عمر كانت بداية اولا ولان عمر اخذها بالشدة المعروفة عنه ثانياً، فكان أن تأجل انفجار الموقف الى عهد عثمان بن عفان. وهذا في نظري اهم الأسباب التي ادت الى الحوادث في عهد عثمان وليست كلها، لأن هناك مجموعة أسباب أخرى ساعدت على الإسراع بهذه الحوادث وتنظيمها.

لم يكن من السهل على المؤرخين القدامى تقدير عامل التطور الحضاري على مثل هذه الحوادث كما يقدره مؤرخوا عصرنا، لأن وسائل البحث القديمة لا تقارن مع وسائله الحالية التي جعلت من عامل الزمن «التطور التاريخي» عاملاً حاسماً في الاتجاه العام للتطور البشري، كما لا يمكن تفسير بعض الظواهر التاريخية الهامة بدون هذا العامل.

ومن العوامل المساعدة على إثارة الحوادث في عهد عثمان وعلي الحركة السبيئية، وقد استطاعت هذه الحركة ان تستغل الأوضاع الجديدة لصالحها وتسيرها وفق اتجاهها، فما هي هذه الحركة، وما دورها في الأحداث التي أدت الى مقتل عثمان رضي الله عنه؟.

تنسب السبيئية إلى عبد الله بن سبأ، وقيل إنه يهودي من اليمن قدم في عهد عثمان بن عفان إلى المدينة وأسلم^(١).

(١) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ج١ ص ١٧٤. وابن حزم، الفصل في الملل والنحل، طبعة صبيح - القاهرة، ج٥ ص ٢٠، ومحمد بن يحيى بن ابي بكر الأشعري المالقي الأندلسي التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق الدكتور محمد يوسف زايد - نشر دار الثقافة، ط ١ ١٩٦٤ م ص ٥٥. وعبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع محمد علي صبيح ص ٢٣٣. ومن الجدير بالذكر ان نهاية هذه الشخصية غامضة ويميل البعض الى ان علياً رضي الله عنه احرق ابن سبأ بالنار مع من احرق.

لقد حاول بعض الباحثين المحدثين انكار وجود شخصية ابن سبأ وحركته، وقد اعتمد السيد «مرتضى العسكري» في إثبات خرافة السبئية على نقده لروايات سيف بن عمر التميمي المتوفى بعد ١٧٠هـ، وذلك بعد ان اعتبر سيفاً هذا هو مصدر الروايات جميعها قديمها وحديثها فيما يتعلق بالسبئية^(١).

وقد وردت أخبار الفتنة من طرق متعددة بعضها قوي وبعضها الآخر ضعيف والروايات القوية لا يرقى الشك اليها تفيد ان يدا خفية كانت وراء تنظيم المعارضة وتأليبها ضد عثمان بن عفان^(٢).

وقد وردت أخبار الفتنة في سبع روايات قديمة كل منها منسوبة الى راوٍ قديم شهد الحادثة بنفسه أو اتصل بأشخاص شاهدها، وأصحاب هذه الروايات هم:

- ١ - يزيد بن حبيب (٥٣-١٢٨هـ) وهو مفتي أهل مصر في زمانه.
- ٢ - محمد بن شهاب الزهري (٥٨-١٢٤هـ) وهو محدث الديار الشامية.
- ٣ - ابو خنيس سهم الأزدي الذي حضر الحادثة، وعاش حتى عصر عمر بن عبدالعزيز.
- ٤ - سعيد بن المسيب (١٣-٩٤هـ) احد الفقهاء السبعة في المدينة.
- ٥ - الأحنف بن قيس (- ٧٢هـ) وهو سيد بني تميم الذي ملأت شهرته الآفاق بما عرف عنه من الحلم والكرم والشجاعة، وقد عاصر الفتنة واشترك في صفين.
- ٦ - أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، عاصر الفتنة وعرف أحوالها.
- ٧ - الزبير بن العوام وهو الصحابي المشهور.

وإذا أخذنا بطريقة اهل الحديث في التعرف على صحة الروايات، فعلينا الاعتماد على روايات ابو خنيس سهم الأزدي والأحنف بن قيس وأبو سعيد مولى أبي أسيد

= أنظر الزركلي: الأعلام - مطبعة كوستاستوماس وشركاه، ١٣٧٣هـ - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٤-١٩٥٩م، وقد نسب الزركلي الم. ا. ب. حجر العسقلاني في التهذيب القول بإحراقه، غير ان الروايات التاريخية لا تثبت ذلك.

(١) انظر عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى، منشورات كلية أصول الدين - بغداد.

(٢) 'نظر يوسف العش، الدولة الأموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ص ٣٠ وما بعدها.

الأنصاري^(١). للوقوف على تفاصيل الفتنة التي اودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن الروايات نلاحظ ان الوفد الذي قدم من مصر محتجا على سياسة عثمان لم يكن بنيته اللجوء إلى سفك الدماء، فقد استقبل عثمان الوفد واستمع إلى آرائهم وآخذهم عليه. واستغفر الله وتاب إليه وقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نأخذ ميثاقلك وكتبوا عليه شرطا، وأخذ عليهم الا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم أو كما أخذوا عليه وقال لهم ما تريدون؟ قالوا نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء. قال: لا! إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من اصحاب رسول الله ﷺ، فرضوا بذلك واقبلوا معه إلى المدينة راضين. فقام فخطب، فقال: «إني والله ما رأيت وفداً في الأرض هم خير لحوباتي «لحالي» من هذا الوفد الذين قدموا عليّ». وقال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من له زرع فليلحق بزعره، ومن كان له ضرع فليحتلبه ألا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ، فغضب الناس وقالوا: هذا مكر بني أمية^(٢).

ومن الحوار الذي دار بين زعماء الوفد المصري وبين الخليفة عثمان نجد أن الطرفين قد حُكِّمَ كتاب الله بينهما، وأن المصريين قد ارتضوا من عثمان وعادوا بعد ان حصلوا على بعض الشروط^(٣). ويظهر ان هذه الشروط تدور في مجملها حول العدالة في توزيع مال الفتوح^(٤). والذي أميل إليه هو أن هذه الحركة تصور لنا السخط الذي تبدى في الأمصار على ارستقراطية بني أمية التي مكن لها عثمان.

وعاد المصريون راضون مما حققوه من مقابلتهم مع الخليفة في ضواحي المدينة، والذي يلفت النظر ان هذا الوفد بعد ان قطع مسافة في طريقه الى مصر عرض له راكب في قصته. عجب. فقد أخذ الراكب يتعرض لهم تارة ثم يفارقهم أخرى حتى اشتبه المصريون بأمره وسألوه عن حاله، فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو

(١) المرجع السابق والصفحة.

(٢) الطبري، تاريخ ج٤ ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٥ ص ٦١، طبع المطبعة الجامعية - القدس ١٩٣٦ م.

(٤) المرجع السابق ص ٦٢.

يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . قال : فأقبلوا حتى قدموا المدينة ، قال : فأتوا عليا ، فقالوا : ألم تر إلى عدو الله : إنه كتب فينا بكذا وكذا ، وإن الله قد أحل دمه ، قم معنا إليه ، قال : والله لا أقوم معكم ، إلى أن قالوا : فلم كتبت إلينا؟ فقال : والله ما كتبت إليكم كتابا قط ، قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم قال بعضهم لبعض : «ألهذا تقاتلون ، أولهذا تغضبون ! قال : فانطلق علي ، فخرج من المدينة إلى قرية . قال : فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان ، فقالوا : كتبت فينا بكذا وكذا ! قال : فقال : إنما هما اثنتان : أن تقيموا علي رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت . قال : وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل ، وقد ينقش الخاتم على الخاتم . قال : فقالوا : فقد والله أحل الله دمك ، ونقضت العهد والميثاق ، قال : فحاصروه^(١) .

وهذه الرواية تكشف لنا قصة الراكب ، إذ أن هذا الراكب لم يكن إرسولا عاديا أخذ على عاتقه تنفيذ مهمته بسرية دون أن يعلم أمره أحد ، فهذا هو شأن المرسلين بالأمور الخطيرة ، غير أن هذا رغم خطورة المهمة التي يحملها كان يريد أن يكتشفه المصريون ، حيث كان يرافقهم تارة وينفصل عنهم تارة أخرى ، وهو بهذا كان يريد أن يلفت النظر إليه ، وعندما سأله عن حاله ، لم يتردد بإخبارهم أنه رسول أمير المؤمنين إلى واليه بمصر ، وبهذا قد القى الشبهة على نفسه . وهو ما يريده لأن غايته أن يكتشف الوفد أمره ويعرف حاله ويصل إلى النتيجة التي أرادها مدبروا أمر الرسول والكتاب وهي نقض العهد والميثاق وتآليب المصريين على الخليفة ، وإجبارهم على العودة وتنفيذ المؤامرة الخفية بالخليفة^(٢) .

ويستفاد من الحوار بين زعماء الوفد والخليفة عثمان ، أن أهل الأمصار نقموا على الأرستقراطية التي تكونت في المدينة وتجمعت إليها الأموال ، ولذلك طالبوا بالعطاء ووقف تأييد الدولة لهذه الطبقة الجديدة ، كما نلمح بعض الاشارات التي تفيد أن هذه الأرستقراطية وغالبيتها من بني أمية أخذت تستحوذ على الأمور السياسية بالإضافة إلى الموارد الاقتصادية وضغطت على الخليفة عثمان للوقوف موقفا متصلبا من معارضة أهل

(١) الطبري : تاريخ ج٤ ص ٣٥٥-٣٥٦ .

(٢) انظر يوسف العش ، مرجع سابق ص ٣٧ .

الأمصار وعدم الخضوع لمطالبهم . وإذا صح هذا الاتجاه فيكون ابن السوداء قد تزعم هذه المعارضة مستفيدا من اصوات بعض الصحابة الداعية الى العدالة الاجتماعية كدعوة ابي ذر الغفاري وغيره .

وهذا لا يمنعنا من القول ان الخليفة لا علم له بأمر الرسول وما يحمله جملة وتفصيلا وإن الكتاب يمكن تزويره كما يمكن تزوير الخاتم باسم الخليفة . والذي يزيد الأمر وضوحا ويجعل عملية التزوير حقيقة لا غبار عليها ، أن الوفد المصري عندما قابل علي بن أبي طالب وشرح له قصة الراكب وما يحمله من كتاب باسم الخليفة ، طلب إلى علي ان يرافقه الى عثمان لتعنيفه على فعلته ، ولما رفض علي ان يرافقه قالوا له : فلم كتبت الينا؟ ويظهر ان كتبا كانت تكتب على لسان علي بن ابي طالب تصلهم وتطلب اليهم الحضور الى المدينة ومناجزة عثمان ، وهذه الكتب غير صحيحة لان علي انكرها بقوله لهم : «والله ما كتبت اليكم كتابا قط» .

وهكذا نجد انفسنا امام حقيقة التزوير على لسان الخليفة وبعض الصحابة ، وقد ذكرت بعض الروايات الصحيحة الإسناد كما يقول ابن كثير^(١) «قال مسروق لعائشة رضي الله عنها هذا «قتل عثمان» عملك ، أنت كتبت الى الناس تأمرهم أن يخرجوا اليه فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا ، قال الأعمش : فكانوا يرون انه كتب على لسانها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفي هذا وامثاله دلالة ظاهرة على ان المعارضة زورت كتبا على لسان الصحابة الى زعماء الأمصار يحرضونهم على الثورة كما قدمنا بيانه . وقد شك الخليفة عثمان بأمر الكتاب والخاتم ، وخاطب الوفد قائلا ، انه لم يكتب الكتاب وان من السهل كتابته على لسانه كما انه من السهل نقش الخاتم على شكل خاتمه ، وهو بهذا يدمغ الكتاب والخاتم بالتزوير . ولم يكن قصد الرسول الذي حمل هذا الكتاب ايقاع الوفد بأيدي أمير مصر ، أي أنه ليس مروان بن الحكم الذي يحمل خاتم الخليفة ويكتب باسمه كما تشير اليه النصوص المروية عن الواقدي وغيره من المؤرخين المضعفين في هذه الحادثة ، فعثمان ينفي أن يكون الكتاب بخاتمه نفسه^(٢) .

(١) البداية والنهاية ج٧ ص ١٩٥ . انظر كذلك البلاذري ، أنساب الأشراف ج٥ ص ١٠٣ .

(٢) انظر يوسف العبدى ، مرجع سابق ص ٣٧ .

وبناء على ما تقدم نجد ان اخبار الفتنة وصلتنا عن طرق اخرى غير طريق سيف ابن عمر التميمي ، وهذه الروايات بعمومها لا تخالف رواية سيف وإنما تؤكد صحتها وتضيف اليها بعض التفاصيل . واذا كان المؤرخون يأخذون برواية سيف ، فلأنهم وجدوا فيها كشفاً للبد الخفية التي كانت وراء تنظيم المعارضة على عثمان ، وتزوير الكتب وإشاعة الأخبار الكاذبة التي تسيء الى الخليفة عثمان ، مستغلة بذلك الظروف الجديدة التي وجدت بها خلافة عثمان ، والعناصر الناقمة على هذا الخليفة ، واستغلت في نفس الوقت لين عثمان وتسامحه واستئثار بني امية بتوجيه الدولة في عهده .

لهذا لا يمكن انكار وجود السبئية في أحداث الفتنة ، اذ هي ليست خرافة اخترعها المؤرخون^(١) . فهي حقيقة قائمة وإنكارها يعني إنكار فرقة مشهورة من فرق الشيعة المتطرفة ، ذكرها قدامى المؤرخين للملل والنحل . ومع وضوح حقيقة وجود السبئية يجب ان لا تخفى عن اعيننا الحقيقة الأخرى وهي انه لولا وجود المعارضة ولديها الاسباب الكافية لوجودها لما تمكن عبدالله بن سبا من الوصول الى أهدافه .

★ السبئية في خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

مارست السبئية دورها في أحداث خلافة علي بن ابي طالب ، ونشطت في افساد ذات البين وتوسيع شقة الخلاف ، لتعيش الخلافة جواً من الفوضى لا يسمح بالقاء الأضواء على إفسادها ودسائسها ، وأخذها بالعقوبة العادلة .

فقد روى ان حزب السبئية هو الذي أفسد امر الصلح الذي تم بين علي بن ابي طالب وخصومه في واقعة الجمل المشهورة . وكان ذلك أن رأى أفراد هذا الحزب أن نفاذ الصلح سيكون على دمائهم ، فانفقوا على إفساده ، فكان رأي بعضهم أن يقتلوا علي ويلحقوه بعثمان فتنتشر الفتن وينسى الناس أمر قتلة عثمان ، ولم يأخذ ابن سبا بهذا الرأي ، واقترح على المتآمرين أن ينشبوا الحرب في السر بين الطرفين ، فعدوا في الظلام ، وانسلوا انسلالاً من معسكر علي بن ابي طالب ، حيث خرج المضري الى المضري والربيعي الى الربيعي واليماني الى اليماني ، ووضعوا السلاح في أبناء قومهم من معسكر عائشة وطلحة والزبير ، وثار كل قوم في وجوه اصحابهم الذين بهتوهم . وبهذه الطريقة نهض الزبير وطلحة ونظموا جيشهم ، وباشروا الهجوم على اهل الكوفة وهم

(١) انظر طه حسين ، علي وبنوه ، طبعة دار المعارف ص ٩١ .

يقولون ان اهل الكوفة طوقوهم ليلاً، وأن علياً غير منته حتى يسفك الدماء^(١)، ووضع المتآمرون حارساً منهم بقرب خيمة علي بن ابي طالب ليلغوه ما أرادوه، فلما سمع علي وأهل الكوفة صوت البصريين وهرجهم، سأل عن ذلك، فأجابه الحارس: «إننا ما فجعنا إلا وقوم منهم «أي البصريين» بيتونا، فرددناهم من حيث جاءوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس^(٢)». وأمر علي جيشه بالاستعداد، وهو يقول: وقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحربة، وانهما لن يطاوعانا^(٣).

وفي مثل هذا الجو يسهل على المتآمرين ان ينفذوا اغراضهم سيما وان على رأس المتآمرين يهودي امتلاً قلبه بالحق، بقدرة فائقة من الدهاء والذكاء، وقد قدم لذلك بالتظاهر بالاسلام والتقرب من علي بن ابي طالب، واندس بين أنصار الخليفة مرتدياً ثوب الورع والتقوى، حتى أجلسه الخليفة تحت درجة منبره^(٤).

وهكذا استطاعت قوى المعارضة على اختلافها، اشعال الفتنة الى نهايتها، وركوبها الى منتهاها، فكان ما كان من سفك دماء المسلمين في معركة الجمل، ويوم صفين.

ولم يكتف ابن سبأ في نفث سمومه في الميدان العسكري بل نجد انه تجاوزه الى ميدان العقيدة والاجتماع.

إننا نجد علاقة فكره اليهودي بتعاليمه التي حاول بها ان ينسف العقيدة الاسلامية، فقد اشار بعض الباحثين الى انه هو صاحب القول بالرجعة والوصاية والحلول، وهذه الأفكار الغيبية كان اليهود يقولون بها أكثر من غيرهم، فقد رأينا كيف تنبأ كعب الأحبار بوفاة عمر بن الخطاب، كما نشاهد تنبؤات كثيرة في كتب دانيال^(٥).

والشيعة السبثيون هم الذين يعتقدون بالتوقف ويقولون: «ان علياً يحيى بالسحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه»^(٦) ومثل هذا القول، يقوله اليهود عن إلههم يهوه.

(١) أنظر الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٥٠٦.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) أنظر عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني، مكائد يهودية، ط١ دار القلم ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م ص ١٦٧-١٦٨.

(٥) أنظر فان فلوطن، الشيعة والإسرائيليات، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥، ص ١١٣. واحمد أمين، ضحى الإسلام، ص ٢٤٣.

(٦) فان فلوطن، المرجع السابق والصفحة.

ويذكر ان ابن حزم شبها لعقائد هؤلاء مع عقائد اليهود القائلين «بأن مليكصديق بن عامر بن ارفخشذ بن سام بن نوح والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب «ريقا» بنت نبؤال بن ناحور بن تارح على إسحق ابنه عليه السلام وإلياس عليه السلام ، وفتحاس بن العازار بن هارون عليه السلام أحياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض تركي الصوفية فزعموا ان الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقي الناس في الفلوات والخضر في المروج والرياض وانه متى ذكر حضر على ذكره»^(١).

ومن الجدير بالذكر ان التآمر اليهودي لم يكن وقفا على مرحلة من التاريخ الاسلامي ، او وقفا على المسلمين وحدهم ، فقد رأينا كيف تأمر هؤلاء على عرب الأوس والخزرج قبل الاسلام وكيف واصلوا مؤامراتهم في العهد النبوي والراشدي ، ثم أخذت حركاتهم طابع المنظمات السرية التي تكيد للإسلام والمسلمين ، والحركة الباطنية التي قادها ميمون القداح في الكوفة عام ٢٧٦ هـ تقف دليلا على ذلك^(٢).

ومارس اليهود اسلوب الدسائس في البلاطات الفارسية والرومية ، ولم تخل دولة من دول العالم الحديث من شبكات التجسس والتآمر اليهودي . وحسب الأمة العربية والاسلامية أنها أكثر شعوب الأرض استهدافا لهذا التآمر في عصرنا الحالي .

والنتيجة التي نخلص اليها من كل هذا هو أن التآمر والمكيدة خلق يهودي لم يتخلى عنه اصحابه في مرحلة من تاريخهم ، ويكفي هذا ان يكون رداً على أولئك الذين جاهروا بإبعاد اليهود عن الأحداث في عهد الخلافة الراشدة ، فأرادوا أن يقطعوا مسلسل التاريخ اليهودي من أوسط حلقاته بحجة حياد الباحث ونزاهته .

★ الاسرائيليات :

الاسرائيليات مشتقة من الالفاظ اللاتينية والسريانية والعبرية بمعنى «ممسوح» ، والمراد بالمسح بالزيت المقدس وهو رمز لتتويج الملوك عند الاسرائيليين ومعنى هذه الكلمة ايضاً المحرر أو المخلص الذي بشر به الأنبياء من بني إسرائيل والذي عبده

(١) ابن حزم الظاهري الاندلسي ، الفصل في الملل والنحل ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده جده ص ٢٠ .

(٢) انظر الحبني ، مكائد يهودية ص ١٧١ .

المسيحيون ، وألقوا اليه بالمودة في شخص المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وقد تمسك الناس بهذه العقيدة منذ هبوط آدم عليه الصلاة والسلام ^(١) .

لقد أطلقت التوراة لفظة «المحرر» أو «المخلص» على الملوك والأنبياء والرسل الذين بعثهم الله لتكفير خطايا البشر وانقاذ بني إسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والاضطهاد . وإذا دققنا النظر وتعمقنا في البحث نجد ان عقيدة المهدي المنتظر لم تكن وفقا على بني اسرائيل وانما كانت منتشرة بين جميع الشعوب ، فقد ظهرت في خرافة «تيفون Typhon وهوروس Horus» عند قدماء المصريين ، كما نجدها ايضا في «مذرا Mithra» إحدى القصص الفارسية ثم في كتب الصينيين القديمة ، وكذا في عقائد الهنود ولا سيما ما يتعلق منها بتناسخ «براهما ولا تزال آثار كلمة «إسرائيليات» على جميع العقائد غير الاسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الأول الهجري ^(٢) .

ومن مظاهر الاسرائيليات التنبؤ ببعض الأشخاص والحوادث المعينة والتنبؤ بمصير العالم ، ونجد تشابها بين هذه التنبؤات سواء كان واضعوها من اليهود أو النصارى الذين اعتنقوا الاسلام .

وعن طريق اليهود والنصارى دخلت كتب الكهانة وأساطير الميثولوجيا والتنبؤ بالغيب إلى العرب الذين لم يكن عندهم معرفة بها من قبل . ومن بين هذه الكتب ، كتاب «دانيال» الذي يعود تاريخه الى القرن الأول الهجري ، وتسمى هذه الكتب «بالكتب القديمة» ومازال بعضها محفوظا في المتاحف الأجنبية ، البريطانية والفرنسية والاسبانية . وشاعت كتب دانيال وما بها من التنبؤات بين الناس جنبا لجنب مع كتاب «الجفر» الذي يعزى الى آل البيت وبخاصة إلى علي بن ابي طالب ثم إلى حفيده جعفر بن محمد الصادق ^(٣) .

(١) انظر السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بن أمية ، مرجع تقدم ، هامش ص ١٠٨-١٠٩ .
المرجع السابق والصفحة .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون كتاب الشعب ، ص ٣٠٠ .

وليس غريباً أن يتناقل المسلمون قصص اليهود والنصارى، فهم قد تناقلوا قصص
الفرس والروم وتأثروا بعقلية الشعوب المغلوبة. ويرى المسلمون في الإسرائيلية
خطورة اختلاطها في صميم معتقداتهم، اذ لا شك ان اصحاب الإسرائيليات، لم
يكونوا ينظرون بارتياح لنجاح الدعوة الإسلامية كما لم ينسوا ما فعله المسلمون بدولهم،
وأمجادهم، وربما رأوا ان ولوج هذا الباب هو خير وسيلة لنسف العقيدة الإسلامية من
أساسها، لأنهم يرون أن هذه العقيدة كانت السبب في القضاء على اليهودية والنصرانية
في بلاد العرب.

لهذا يجدر بالباحث ان يقف عند الإسرائيليات ويخضعها للنقد والتحقيق لأن كثيراً
منها نفذ الى ميداني التفسير والحديث وكانت شبهها على الاسلام يحتج بها عليه اعداؤه
ويضيق بها ذرعاً أولياؤه، والتي أصبحت من المشكلات التي نعاني سيئاتها ويصعب علينا
التخلص منها^(١).

وقد اذن الرسول ﷺ بالحديث عن بني إسرائيل بما لا يخالف الكتاب والسنة،
وحذّر من الكذب على لسانه وقال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
تكذبوهم»^(٢) ويؤخذ من بعض الروايات أن الرسول لم يكن يطمئن الى أخبار الكتابيين.
ولكن الإسرائيليات لم تكن بالخطورة التي يخشى منها في عهد الرسول ﷺ وإنما
استشرت واتخذها اعداء الاسلام سلاحاً يشهرونه في كل مناسبة ومما زادها انتشاراً ظهور
الفرق والأحزاب الإسلامية بعد الرسول ﷺ. وأخرج الامام أحمد والبخاري - واللفظ له -
عن جابر رضي الله عنه، قال: نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية، فجاء به الى النبي
ﷺ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن
الخطاب ألا ترى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن
شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو
كان موسى بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل

(١) انظر محمود ابوريه، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط ٣ دار المعارف بمصر ص ١٥٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة الحلبي، ١٣٧٨هـ، وطبعة المطبعة البهية المصرية
- كتاب احاديث الأنبياء - ج ٦ ص ٣٨٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٧ ص ٢٠٩.

الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه احدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : « هو من عند الله ليستروا به ثمنا قليلا » ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم^(١) .

وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى كعب الأحبار عن التحديث وأوعده بالنفي إلى بلاده ، وقال له : « لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة »^(٢) . والذي أراه أن هذا النهي لا يمكن أن يكون بدون اسباب ، فلولا وقوف الرسول ﷺ والصحابة على تسرب أخبار إسرائيلية مخالفة للقرآن والسنة لما كان هذا النهي عن الحديث بالقصص والأخبار الإسرائيلية . ومهما يكن القصد من ترويح هذه الروايات ، فلا يجوز إدخالها في علوم القرآن والسنة .

وإذا أمعنا النظر في اتجاهات بعض فرق الشيعة في التفسير ، نجد انحرافاً مغرضاً في إخراج النص القرآني عن المعنى الذي سبق من أجله . والسببية احدى فرق الشيعة الغلاة التي رفعت عليا الى مرتبة الألوهية ، وجاءت من الأفكار المبتدعة التي كنا قد أشرنا اليها في بداية هذا المبحث . وكانت كباقي الاحزاب الإسلامية تبحث عن سند لهذه الأفكار في كتاب الله وسنة رسوله ، فحرفت ما شاء لها التحريف وحملت الآيات معاني لا تخفى على ذي بصر .

وجدير بالباحث ان يذكر ان المصادر الإسرائيلية لم تكن متيسرة في العهد الراشدي ، ولم يكن الاطلاع عليها ممكنا الا لرجال الدين اليهودي ، فنحن نعرف ان الكتب الدينية سواء كتب اليهود ام النصراني ، ظلت حبيسة الكنس والأديرة حتى مطلع العصور الحديثة ، فكان المسلمون في هذا العهد يتوقون لسماع القصص الديني ويجدون فيه مادة خصبة لإشباع رغبتهم في الاطلاع . ومن هذا الفهم تقبل المسلمون سمين الحديث وغثه ، وأثبت الرواة بعض الروايات التي لا يستسيغها العقل كما اثبتوا روايات تخرج عن دائرة القرآن والسنة .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١٠٨ .

وأنا لست معنياً بتقصي الروايات الدخيلة في علوم التفسير والحديث، فهذا شأن رجال الجرح والتعديل والمختصين بالتفسير، وإنما أريد فقط أن أمسّ هذا الموضوع الذي نشأ في العهد الراشدي الذي أكتب عنه.

ومن أهم الشخصيات التي كان لها يد في نشر الإسرائيليات، ودارت حولها الشبهات شخصيتا كعب الأحبار ووهب بن منبه.

وكعب الأحبار من يهود اليمن أدرك النبي ﷺ وأعلن إسلامه في خلافة أبي بكر أو عمر، وقيل في زمن الرسول ﷺ^(١). وقد ذكرنا من قبل علاقة هذه الشخصية بمقتل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه^(٢). وعلى الرغم من أن بعض القدماء قد وثقوه^(٣) فإن تسلسل المكائد اليهودية، وتنوع أساليبهم يجعل الباحث الحديث يقف إزاء أخبار كعب وقفة حذرة. وقد قال عنه الشيخ رشيد رضا: «كعب الأحبار الذي أجزم بكذبه، بل لا أثق في إيمانه»^(٤) وقال: «لننظر كيف تسلسل انخداع الناس بروايات كعب الكذاب، وجعلوا ذنبها على كتب اليهود لا عليه، وأكثرها لا ذكر لها في كتبهم، وإنما هو الذي افتراها تشويهاً للإسلام»^(٥) وقال: «ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات وأشدّهم تليسا وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان: «كعب الأحبار ووهب بن منبه»^(٦). وقال: كعب الأحبار الذي ادخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الإسرائيليات الباطلة المخترعة، وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده»^(٧).

ثم إن تهديد عمر بن الخطاب لكعب بالنفي لبلاده إذا لم يترك التحديث، يدل على وقوف عمر رضي الله عنه على غايات كعب المعادية للإسلام، وحتى قصة إسلام كعب تثير الشك وتبعث على الريبة، فعندما سأله العباس عن عدم إسلامه في عهد رسول

(١) انظر ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت ط ١٣٢٧هـ، ج ٨ رقم ٧٩٣. وأبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٧هـ، ج ١ رقم (٣). انظر كذلك دائرة المعارف الإسلامية الترجمة الانجليزية، مادة كعب الأحبار، ص ٥٨٢. ورمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رسالة دكتوراة، طبع دار القلم ودار الضياء، دمشق - بيروت ١٩٧٠م ص ١٦٧.

(٢) انظر ص ٤٠١ من هذا البحث.

(٣) انظر ابن حجر، المرجع السابق والصفحة.

(٤) مجلة المنار، ج ٩ مجلد ٢٧، ص ٦٩٧.

(٥) المرجع السابق والصفحة.

(٦) المرجع السابق، ج ١٠ م ٢٧ ص ٧٨٢.

(٧) تفسير المنار ج ٨ ص ٤٤٩.

الله ﷺ وأبي بكر، قال: «إن أبي كان كتب لي كتابا من التوراة، فقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ علي بحق الوالد على الولد ألا أفض الختم عنها، فلما رأيت ظهور الإسلام، قلت: لعل أبي غيب عني علما، ففتحتها، فإذا صفة محمد وأمه فجئت الآن مسلما»^(١).

إن هذا للتبرير: واه، ألم يجد كعب الأحبار صفة محمد إلا بكتاب والده؟ فكيف نصدق هذه القصة ثم نقنع بالمديح والثناء عليه، ووصفه بالعالم الحبر؟! ويرى الشيخ رشيد رضا أن سبب توثيق رجال الحديث له، يعود لاعتنائهم بنقد السند أكثر من المتن^(٢).

ويعلق أحد الباحثين على توثيق كعب وهب بقوله: «ولكن جمهرة من المحققين ارتابت من هذا القول - توثيق كعب وهب - وشكت في أكثره، والواقع أن أكثر ما روي عن هؤلاء من أخبار وأقوال يشير إلى أنهم لم يكونوا على نحو ما قيل عنهم من العلم، وأنهم لم يكونوا أصحاب علم بالتوراة، وأن بعضهم تأمر على الخلفاء بينما كان يتظاهر بخلاف ذلك»^(٣).

وأما وهب بن منبه فإنه من أصول فارسية كما تذكر الروايات عنه، فوالده من هراة بخراسان انتقل إلى اليمن بأمر من كسرى الفرس أنوشروان، وأسلم في حياة الرسول ﷺ، ونشأ وهب في اليمن، وولي القضاء في عهد عمر بن عبدالعزيز، وقيل أنه توفي سنة ١١٤هـ^(٤).

وقد اتهم وهب بالقول بالقدر، وروي عنه أنه قال «كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء في كلها: «من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر، فتركت قلبي»^(٥).

(١) ابن حجر، الإضافة في تمييز الصحابة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٥هـ، ١٩٠٧م ج٥ ص ٣٢٣.

(٢) مجلة المنار ج٨ ص ٢٧٦ وما بعدها.

(٣) جواد علي، مجلة الرسالة - بغداد، عدد ٧٥٧، ٢٣ من صفر ١٣٦٧هـ من يناير ١٩٤٨م، السنة السادسة عشرة مجلد ١٩٤٨ ص ٢٦، بعنوان عبدالله بن عباس.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١١ ص ٢٨٨. وتذكرة الحفاظ، ج١ ص ٩٣. والياغي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، طبع الهند ط ١٣٣٩هـ ص ٢٤٨. والذهبي تاريخ الإسلام، طبع المقدسي - القاهرة ١٣٦٧هـ، ١٩٤٧م ج٧ ص ٤٣٨. وابن قتيبة، المعارف ص ٢٣٣.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٨ ص ٧٩٣.

وأرى في قوله هذا مبالغة واضحة، فمن اين اتى بهذه البضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، ونحن في عصر الطباعة والنشر لا نجد مثل هذا العدد من الكتب عن الأنبياء! وقد تعرض وهب بن منبه لسيل من النقد من قبل كتاب قدامى ومحدثين فقد ضعفه عمرو بن علي الفلاس^(١)، وجاء في تفسير السيد رشيد رضا لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٢) ما نصه: «... وفي التفسير المأثور روايات في صفة الثعبان الذي تحولت اليه عصا موسى عليه السلام، وفي تأثيره على فرعون ما هو الا من الإسرائيليات التي لا يصح لها سند، ولا يوثق فيها بشيء ومنها قول وهب بن منبه: أما إن العصا لما صارت ثعبانا حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا، وقام فرعون منهزما. قال ابن كثير رواه ابن جرير، والإمام احمد بن ابي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله اعلم».

وقد أيد رشيد رضا تضعيف عمرو بن علي الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له، وقال: «بل انا أسوأ فيه ظناً على ما روي من كثرة عبادته، ويغلب على ظني انه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين يكيدون للإسلام وللعرب ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع»^(٣).

وقال الدكتور عبدالعزيز الدوري بشأنه: «ولم يكن وهب دقيقاً بل انه لم يترفع عن الادعاء الكاذب»^(٤). وقال فيه آخر: «انه لم يكن على ما يظهر من الروايات المنسوبة اليه يتورع من التلقين، ليثبت انه صاحب علم بأحوال الماضين وبما سيكون، شأنه في ذلك شأن زميليه كعب الأحبار وابن سلام اللذين يليهما بالمنزلة، أقول ذلك علي الرغم من تلك الصورة التي رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بهالة من التبجيل والإحترام، وعلى الرغم من تلك النعوت التي جاء بها عليه نفر من اصحاب كتب الرجال، على حين كانوا ييخلون بمنح بعضها أناساً أوثق منه واصدق بمراتب ودرجات»^(٥).

ويغلب على الظن ان توثيق بعض رجال الحديث لهؤلاء إنما كان مبعثه تظاهره

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٧٩٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٠٧.

(٣) تفسير المنار ج ٩ ص ٤٤.

(٤) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٦.

(٥) جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ١ ص ١٤٣.

بالعبادة أولاً ، وعدم اطلاع رجال الحديث هؤلاء على مصادر الإسرائيليات ثانياً . ولا ينفع القول بأن لم يكذبوا على الرسول ﷺ في رواياتهم ، وإنما روهها على أنها من الإسرائيليات ليس إلا ! وأي فائدة يرجوها للمسلمين ذلك الذي يعمل على بث الخرافات ونشر التنبؤات الكاذبة ، وكان الأجدر بهؤلاء الذين وصفوا بحسن الإسلام ووفرة العلم ان ينتفعوا بالإسلام الذي يحارب مثل هذه الأكاذيب والخرافات .

وقد ذكر احدهم أن أبرز من عني بالإسرائيليات من المفسرين أبو اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧هـ في كتابه «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» ، وعلاء الدين ابو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عصر بن خليل الشيعي البغدادي المعروف بالخازن المتوفى سنة ٧٤١هـ في كتابه «لباب التأويل في معاني التنزيل»^(١) .

ونورد نموذجاً من كل من التفسيرين السابقين لندرك مدى تسلل الإسرائيليات الى بعض كتب التفسير ، فقد كان في تفسير الثعلبي عندما عرض لتفسير قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿إِذْ آوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ . . .﴾^(٢) . «روى عن السدي ووهب بن منبه وغيرهما رواية طويلة فيها ذكر اسماء الفتية واسم كلبهم ، وفيها حوار غريب بين الفتية وكلبهم فحاولوا رده ، واعجب ما فيها : ان نبينا محمد ﷺ طلب من ربه ان يريه اصحاب الكهف فأجابته بأنه لن يراهم في دار الدنيا ، وأمره أن يرسل اليهم اربعة من خيار اصحابه ليلغوهم رسالته»^(٣) .

ورواية الثعلبي منقولة عن السدي ووهب وغيرهما وفيها « . . . وأسمائهم - أي الفتية - مكشلمنيا وهو كبيرهم ورئيسهم ، وإمليخا : وهو أجملهم وأعبدتهم وأنشطهم ، ومكشيثا ومرطوش ، ونوانسن ، وكيد ، وسططنوس ، وكلبهم قطمير . . . » ثم قال : «قال كعب : مروا بكلب فتبعهم ، فطردوه مرارا ، فقام الكلب على رجله ، رافعا يديه الى السماء كهيئة الداعي ، فنطق فقال : لا تخافوا مني انا احب احباب الله ، فناموا حتى احرسكم . . . » ثم ذكر من قصتهم ما ذكر إلى أن قال : «وقيل : إن النبي ﷺ سأل الله أن

(١) - بدع التفاسير في الماضي والحاضر . . . من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية ، ١٩٧٠م ص ٣١ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ١٠ .

(٣) بدع التفاسير ، المرجع السابق والصفحة .

يريه إياهم، فقال: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك، ويدعوهم الى الإيمان، فقال النبي ﷺ لجبريل، كيف أبعثهم؟ فقال: ابسط كساءك وأجلس على طرف من اطرافه أبا بكر، وعلى الآخر عمر، وعلى الثالث عثمان، وعلى الرابع علي بن ابي طالب، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان، فإن الله تعالى يأمرها ان تطيعك، ففعل فحملتهم الريح الى باب الكهف، فقلعوا منه حجرا، فحمل الكلب عليهم، فلما رأهم حرك رأسه ويصبص بعينه، وأوما برأسه ان ادخلوا، فدخلوا الكهف، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله على الفتية ارواحهم فقاموا: بأجمعهم وقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، فقالوا: معشر الفتية ان النبي محمد ابن عبد الله يقرأ عليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم ما ابلغتم، وقبلوا دينه وأسلموا ثم قالوا: اقرئوا محمدا رسول الله عنا السلام، واخذوا مضاجعهم، وصاروا الى رقدتهم...^(١).

وواضح من سياق كلام الثعلبي انه ينقل الرواية دون ان يعمل فكره ولو للحظة واحدة في ما ينقل من اساطير على لسان وهب وغيره.

وجاء في تفسير الخازن قي معرض تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤ ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ يقول الخازن:

قال وهب بن منبه: «كان أيوب رجلا من الروم، وهو أيوب بن أموص بن تارح بن روم بن عيص بن اسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه ويسط له الدنيا، وكانت له البشينة من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع ارض الشام كلها سهلها وجبلها، وكان له من اصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيول والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه في العدد والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل له آلة كل فدان أتان، لكل أتان

(١) انظر ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، مخطوط ومنه أربعة اجزاء في مكتبة الازهر، تبدأ بأول القرآن وتنتهي عند آخر سورة الفرقان، ج٤ ص ١٢١-١٢٥. على من أراد الاستزادة من أخبار كعب الأحبار ووهب بن منبه أن يرجع الى، الملطي: في كتابه التنبيه في الرد على اهل الأقوال والبدع، وكتب التفسير والحديث، وخاصة تفسير الخازن، وتفسير الثعلبي، ومحمود أبريه في كتابه، أضواء على السنة المحمدية.

من الولد اثنان او ثلاثة او أربعة أو خمسة وفوق ذلك، وكان الله تعالى قد اعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برأ تقياً رحيماً بالمساكين، يطعمهم، ويكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله، مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا، . . . وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيثما اراد، حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع، فلما بعث محمد ﷺ حجب عن السموات كلها إلا من استرق السمع، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فأدرك إبليس الحسد والبغض، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء حيث كان يقف، وقال: إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعاقبته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج عن طاعتك، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله، فأنقض عدو الله حتى وقع على الأرض، فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فقد سلطت على مال أيوب، وهو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال». . . . ثم ذكر أقوالاً غريبة في إفناء مال أيوب اتباعها بقوله: «فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء صعد سريعاً حتى وقف الموقف الذي يقف فيه، وسأل الله أن يسلطه على ولده، فقال الله له: انطلق فقد سلطتك على ولده». . . ثم ذكر ما كان من هلاك ولده وعذابهم، ثم جاء إبليس لأيوب وقال له: لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم، ولو رأيت كيف شققت بطونهم فتناثرت أوعاؤهم لتقطع قلبك عليهم، فبكى أيوب وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أُمِّي لم تلدني، ثم لم يلبث أيوب أن تاب إلى ربه، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً، وسأل الله أن يسلطه على جسد أيوب، فقال له عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله. . فأنقض عدو الله إبليس سريعاً، فوجد أيوب ساجداً، فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه نائل مثل إليات الغنم، ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشن حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة حتى قرح لحمه وتقطع، وتغير وأتين، فأخرجته أهل القرية حتى جعلوه على كناسة لهم وجعلوا له

عريشة، ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته»... ثم ذكر قصة حوار ايوب مع خلصائه ودعواه لرَبِّه ان يكشف عنه ما اصابه من الضر والبلاء، ثم استجابة الله سبحانه وتعالى لتضرعه، ومعاافته مما ناله، ثم نقل عن الحسن «أن ايوب مكث مطروحا على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا، يختلف فيه الدود، ولا يقربه احد غير رحمه» اسم زوجته» ثم إن صبر ايوب أعيا إبليس فاستشار اعوانه فأشاروا عليه ان يأتيه من قبل زوجته، فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة ايوب فتمثل لها في صورة رجل وقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هوذاك يحك قروحه، وتتردد الديدان في جسده، فأخذ يوسوس لها ويذكر جمال ايوب وشبابه، وما هو فيه من الضر، وإن ذلك لا ينقطع عنه ابدا، فصرخت فعلم أنها قد جزعت، فأتاها بسخلة وقال: ليذبح لي هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ: يا ايوب، حتى متى يعذبك ربك؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين الصديق أين لونك الحسن؟ أين جسمك الحسن؟ اذبح هذه السخلة واسترح، فقال لها ايوب: أذاك عدو الله فنفخ فيك، ويلك... والله لنن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله... وطردها... الى آخر القصة»^(١).

ويعلق رمزي نعناعة على ما اورده الخازن بقوله: والعجب ان الخازن ينتهي من هذه القصة، ثم لا يعقبها بأية كلمة تشعر بتكذيبها، أو الشك فيها، مع أنها بلا شك رواية موضوعة مكذوبة، بل ومدسوسة على القرآن، ويمكن دفعها عقلا ونقلا، فالعقل لا يقبل بحال من الأحوال أن يكون أي نبي أو رسول فيه كل هذه المنغرات التي تصد الناس عنه وتباعد بينهم وبينه. والنقل صريح في أن الأنبياء لا بد أن تكون لهم من الصفات البدنية ما يمتازون به، وما يلقي عليهم شيئا من المهابة... وإلا فما معنى قوله تعالى في سورة البقرة الآية: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾^(٢).

وأضيف إلى ما تقدم، أن الأجدر بهذه القصة أن تروى عن أناس يرتادون حانات القمار والمراهنات، وليس على الله وأنبيائه، وهذه القصة وغيرها من الإسرائيليات تكشف عن النية المبيتة لإغراق المعاني السامية الواردة بكتاب الله بوابل من التبرهات والأساطير

(١) تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٥٠-٢٥٤.

(٢) بدع التفاسير في الماضي والحاضر: ص ٣٧-٣٨.

ليكون كتاب الله محل شك العقلاء والمفكرين . وكتاب الله الذي لم يفرض به من شيء ، لا يمكن تفسيره والإحاطة بدقائقه في زمان واحد ، لأنه كتاب كل زمان ، والزمان هو الكفيل بكشف بعض خباياه وأسراره ، وكما نجد بعض الإشارات في القرآن إلى معجزات علم العصر الحديث ، فستأتي معجزات علم المستقبل دليلاً على كمال قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(١) (صدق الله العظيم) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

★ الخاتمة :

هذا بحث يتناول دراسة العلاقات العربية اليهودية قبل الاسلام وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين من وجهة نظر جديدة. فما زالت دراسة العلاقات العربية اليهودية في هذه الفترة تعترضها مشكلات متعددة، رغم كثرة ما كتب في هذا الموضوع من قبل مفكري اليهود والنصارى والمسلمين.

وتكشف هذه الدراسة خطأ الاعتماد على التوراة في دراسة تاريخ اليهود، وقد وقع في هذا الخطأ حتى المؤرخون المسلمون. لقد كان هدف كتبة التوراة ومن بعدهم مؤرخي اليهود ومفكريهم التثبيت في الأذهان «عقيدة الارض الموعودة». وشعب الله المختار». هذه العقيدة التي اهتدى اليها زعماء اليهود بعد حياة التشرد والشتات من فلسطين. وهكذا جاء تحريف التوراة ليخدم الأغراض السياسية والاجتماعية لليهود في مواطن السبي، كما جاءت هذه الأفكار لتعطي صورة صادقة للحالة النفسية المضطربة للجماعات اليهودية.

وفي سبيل ابراز الحقائق المتقدمة عني البحث بدراسة التسميات التي أطلقها كتبة التوراة والمؤرخون اليهود وأنصارهم على ما اصطلح على تسميته باليهود. وفي مجال دراسة التسمية «عبراني، عبرانيين» تبين أن لفظ عبراني وعبرانيين لا تدل على أمة بعينها وإنما يدل على حالة من البداوة أطلقته شعوب الشرق القديم على كل القبائل التي كانت تعيش حياة الترحال والتنقل التي تقتضيها طبيعة الحياة البدوية. ومن خلال استعراض الموضوع السابق تبين ان اليهود يحرصون أشد الحرص على ربط نسبهم بإبراهيم الخليل عليه السلام، مع ان الجموع اليهودية في عصر سيدنا موسى وما بعده، لا تمت بأية صلة لإبراهيم عليه السلام، لأن عصر إبراهيم عصر مستقل بمعتقداته ولغته ومميزاته.

وفي معرض دراسة التسمية الثانية «بني اسرائيل» أو الاسرائيليين اتضح من خلال البحث ان كتبة التوراة إنما يريدون تحقيق الهدف السابق - ربط نسبهم بإبراهيم - غير ان عصر يعقوب «اسرائيل» مكمل لعصر إبراهيم وله مميزاته وصفاته التي تختلف بدورها عن سمات الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة موسى عليه السلام. وفي أثناء الحديث عن الموسويين، «أتباع سيدنا موسى» أثرت عدة ملاحظات منها.

- ١ - إن الجموع التي قادها موسى عليه السلام لا تنتمي إلى سلالة واحدة.
- ٢ - لم تكن كل هذه الجموع تدين بدين موسى عليه السلام.
- ٣ - خرجت هذه الجموع بعد خروج الهكسوس من مصر، واعتبرهم المصريون شركاء للهكسوس في حكم مصر، ولهذا لم يكن خروجهم طوعا وإنما إكراها من المصريين.

٤ - كانت هذه الجموع تبحث عن وطن يفيض بالخيرات ينسيهم العز الذي افتقدوه في مصر.

وقد وجدت هذه الجموع في فلسطين ذات المناخ الجميل والخيرات الوفيرة خير عوض لها عن مصر التي طردوا منها، ولم تكن فلسطين أرضا بدون سكان فقد كان اليوسيون ثم الكنعانيون قد عمروها منذ أجيال عديدة وأنشأوا فيها حضارة تضاهاى حضارات عالم ذلك التاريخ، وإن أغلب المدن التي لا زالت قائمة حتى اليوم هي من صنعهم. ولم يستطع اليهود رغم تحريف أسمائها من طمس علاقتها باليوسيين والكنعانيين. وقد نعمت الجموع التي قادها يشوع - خليفة موسى عليه السلام - إلى فلسطين بحياة نسبية من الاستقرار والنعيم جعلتهم يطلقون على فلسطين فيما بعد - أرض الميعاد - بعد أن شردوا منها على أيدي الآشوريين والكلدان والرومان.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن تاريخ اليهود يبدأ بالخروج من مصر واستيطان بعض أجزاء من فلسطين، ذلك لأن الجموع الهاربة من مصر قد وحدتها المحن والتقت حول أهداف مشتركة، وتعلق بعضها بشريعة موسى لتحقيق غرضها السياسي والاجتماعي، ثم بدلت شريعة موسى في بلاد ما بين النهرين ببرنامج سياسي يتجلى في التوراة الحالية والتلمود.

وهكذا نجد أن هذه الدراسة تهدم الأساس الذي أقام اليهود عليه تاريخهم، وتفسر حركتهم التاريخية تفسيرا اجتماعيا ونفسيا، وتجعل من هذا التاريخ حركة سياسية مستمرة في تحقيقها لبرامجها. وهذا الرأي الجديد يساعد على تفسير العلاقات العربية اليهودية من وجهة نظر جديدة.

وبناء على ما تقدم فنحن أمام حركة سياسية لم تتورع عن تزيف الدين والتاريخ

لتحقيق أغراضها . ولست مبالغا اذا قلت ان هذا الرأي جديد غفل عنه مؤرخونا، فجاء عرضهم للتاريخ اليهودي عرضا متقطعا، مع أن الوقائع التاريخية تثبت دون شك ان الحركة السياسية اليهودية متصلة ومستمرة في تحقيق البرنامج الذي أقره حكماء اليهود منذ عصر الشتات، وان الغايات التي وضعوها نصب أعينهم ما زالت حتى العصر الحاضر هي نفس الغايات التي يعملون على تحقيقها وان تغيرت الخطط والاساليب، ونخلص من هذه الدراسة ايضا الى أن كتبة التوراة وأتباعهم قد سبقوا غيرهم في الدعوة للميز العنصري، عندما اعتبروا شعبهم فوق كل الشعوب، ونظروا البقية مخلوقات الله نظرة ذل واحتقار، وقد أثبت أن الجماعات اليهودية لا تنتمي لجنس واحد، ولا يشكلون سلالة نقية .

وفي مجال بحث العلاقات العربية اليهودية خارج الجزيرة العربية قبل الاسلام، أوضحت الأثر العربي في المعتقدات اليهودية وضربت مثلا لذلك عن التأثيرات العربية في بعض أسفار التوراة وخاصة سفر أيوب .

وقد رجحت الرأي القائل بأن موطن ملكة سبأ، كان في شمال الجزيرة العربية على أطراف فلسطين الجنوبية، وليس في اليمن كما كان سائدا بين المؤرخين .

وفي أثناء الحديث عن مملكة اليهود في فلسطين أبرزت دور القبائل العربية وبعض الشعوب المجاورة في حمايتها من الهجمات الخارجية .

وكذلك تطرقت الى علاقة القبائل المعينية التي ذكرتها التوراة باليهود وذهبت الى أن هذه القبائل إنما كانت تسكن في أطراف الجزيرة الشمالية على حدود فلسطين، ولم تكن القبائل العربية في حالة وفاق دائما مع المملكة اليهودية، فقد وقفت هذه القبائل ضد إعادة بناء الهيكل بعد عودة يهود السبي، ذلك ان هذه القبائل رأت في بعث المملكة اليهودية خطرا يهددها .

وأبرزت في هذه الدراسة أن اليهود كانوا يستغلون الظروف لصالح نشاطهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، سواء أثناء إقامتهم في العراق أو تدمر، أو من خلال علاقتهم مع الشعوب الاخرى .

وأثناء الحديث عن دخول اليهود الى جزيرة العرب ميزت بين فترتين:

الأولى : يعود تاريخها إلى عهد سيدنا موسى ، حيث أقامت جماعة من أتباعه في شمال الجزيرة بعد أن سئمت الحرب وحياة الشقاء والأسفار، ولم تكن هذه الجماعة تتمسك بعقيدة دينية أو أفكار معينة ، بقدر بحثها عن حياة الاستقرار والهدوء ، ولذلك سرعان ما ذابت هذه الجماعة في البيئة العربية ولم نعد نسمع عنها أي خبر .

الثانية : ويعود تاريخها إلى ما بعد حوادث السبي ، والجماعات اليهودية التي دخلت الجزيرة العربية - بعد هذه الفترة - تختلف عن سابقتها بأن لها معتقداتها الدينية والسياسية التي برزت في التوراة والتلمود .

وقد أشرت إلى الغموض الذي يحيط بدخول اليهودية إلى بلاد اليمن وكشفت عن حقيقة العلاقات التي كانت بين اليمن والأحباش ، كما عرضت لأطماع الرومان والفرس باليمن . وعند الحديث عن المجتمع اليربني تطرقت لأشهر البطون اليهودية التي سكنت يثرب ، ثم عرضت لطبيعة العلاقات التي كانت تربط هذه البطون مع بعضها ، وأشرت إلى انقسام البطون اليهودية على نفسها وأثر هذا الانقسام على مستقبل الحركة اليهودية في الجزيرة العربية . وفي ميدان العلاقات العربية اليهودية في يثرب ، بينت الأسباب الحقيقية لهجرات القبائل الأزدية من اليمن ، ووقفت عند علاقة الأوس والخزرج باليهود ، وأبرزت أثر العوامل الاقتصادية في الصراع بين العرب واليهود أولاً ثم الصراع بين الأوس والخزرج ثانياً دون إهمال دور اليهود في الصراع الأخير .

وفي مجال الحديث عن الأثر الفكري لليهودية في بلاد العرب أوضحت أن العرب أثروا باليهود أكثر مما تأثروا بهم ، واستشهدت على ذلك بالأشعار اليهودية ، ودحضت حجج القائلين «بأن البيئة الجديدة التي حل بها اليهود في جزيرة العرب هي التي شلت قواهم الروحانية وغلبت عليهم العقلية البدوية» وعززت رأيي بأن البيئة الجديدة التي حل بها اليهود إنما كانت أخصب بلاد الحجاز ، وفي هذا الميدان تعرضت لبعض العادات ، التي قيل أنها تسربت إلى العرب من اليهود ، وأوضحت أن هذه العادات كالتسيء والصوفان والختان عادات قبلية قديمة عرفت في الحياة القبلية قبل ظهور اليهود على مسرح التاريخ .

وقد انتقلت بعد ذلك لبحث العلاقات العربية اليهودية في العهد المكي، واستجلاء لحقيقة موقف سكان الجزيرة العربية تجاه الدعوة الاسلامية وجدت لزاما علي ان أتعرض لموقف قريش من هذه الدعوة، ذلك ان قبيلة قريش كانت سيدة القبائل العربية في شمال الجزيرة، دون منازع، ولها صلاتها مع اليهود داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وقد تحكمت في هذا الموقف ثلاثة عوامل :-

١ - مركز مكة في الجزيرة العربية، واهتمام القرشيين بالحفاظ على هذا المركز يتضح من محافظة مكة على علاقتها مع القبائل العربية وغير العربية خارج مكة لضمان نمو حركتها التجارية، واهتمامها بالبيت العتيق - الكعبة - «محج العرب» لاستمرار سلطتها الأدبية على باقي وثنيي بلاد العرب.

٢ - دور العصبية القبلية التي كان لها اتجاهان، اتجاه يقاوم نجاح الدعوة الاسلامية واتجاه آخر كان يسهم في نجاح هذه الدعوة.

٣ - مركز الرسول ﷺ في مكة، ودور هذا المركز في إنجاح الدعوة الاسلامية.

وقد عقدت مقارنة سريعة بين الدعوة الاسلامية والديانة اليهودية وخلصت من هذه المقارنة إلى أن اليهودية فشلت في أن تكون ديانة العرب رغم دخولها الجزيرة منذ زمن مبكر قبل ظهور النصرانية. وقد عزوت ذلك إلى مجموعة من الأسباب منها.

١ - الغموض الفلسفي الذي اكتنف اليهودية بعد امتزاجها بالتراثين اليوناني والشرقي، وامتزاج الفلسفة بالدين امتزاجا لم يجعلها دينا خالصا ولا فلسفة محضة.

٢ - ان سلوك اليهود أنفسهم انعكس على علاقتهم مع العرب، وكان هذا السلوك قائما على الشك والريبة والميل الى العزلة، وهي صفات ورثها اليهود بعد حوادث الشتات التي تعرضوا لها عبر تاريخهم، وازداد اليهود عزلة بتمسكهم بالمبادئ السياسية التي أثبتتها رؤساؤهم في التوراة والتلمود.

٣ - الصراع بين اليهودية والنصرانية في بلاد العرب، أضعف الديانتين وجعل العربي لا يثق بهما.

٤ - نظرة العرب العامة الى كل دخيل عليهم، فاليهود غرباء طارئون على بلاد العرب، وازدادت كراهية العرب لهم بعد أن استأثروا باقتصاد الحجاز، وتعاملوا بالربا مع العرب، وحفظ لهم العرب قصصا لا تحصى في الجشع وعدم الرحمة بالفقراء.

وبعد ذلك تعرضت لحالة المسلمين في مكة والوسائل التي اتبعها زعماء قريش في ايقاع الأذى بهم، مما جعل الرسول يأذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة. وقد تناولت بالتعليل أسباب اختيار الحبشة لتكون أولى مهاجر المسلمين وعزوت ذلك إلى ثلاث احتمالات:

- الاول : ما قيل عن عدل النجاشي ملك الحبشة.
- الثاني : بعد المسلمين في الحبشة من ان تصلهم عداوة قريش.
- الثالث : رغبة المسلمين في العمل والارتزاق بعد أن سدت قريش العمل في وجوه المسلمين.

وخلال بحث موقف اليهود من الدعوة الاسلامية، رأيت أن هناك اتجاهين يحكمان هذا الموقف.

الأول : اتجاه فيه تفاؤل يرى أنه بالامكان جذب محمد ﷺ إلى اليهودية اعتمادا على أن التعاليم التي ينشرها محمد تشابه المعتقدات اليهودية.

الثاني : اتجاه متشائم يرى في حركة محمد ﷺ خطرا على اليهودية، وأصحاب هذا الاتجاه ممن اطلعوا على البشارات التي جاءت بها الكتب السماوية السابقة، التوراة والانجيل، بمبعث نبي من العرب اسمه محمد. ولم يتبعوه بغيا وحسدا لأنه ليس من بني اسرائيل، وقد قاوم هؤلاء الدعوة الاسلامية منذ ظهورها مقاومة سلبية، بتعليم العرب أساليب الجدل والحجاج التي قابلوا بها محمدا ﷺ.

إن المتتبع للتاريخ اليهودي يجد أن الاتجاه الثاني هو الذي يمثل خط سير اليهود، لأن اليهود لم يكونوا معنيين كثيرا بأمور الدين بقدر ما كان يعينهم نجاح حركتهم السياسية المتمثلة، بعقيدة الأرض الموعودة وشعب الله المختار.

ورغم التيارات المختلفة التي شهدتها الجزيرة العربية، فقد وجدت المعتقدات

على اختلافها حدا من التسامح في بلاد العرب في البداية، لأن قريشا التي كانت في مركز الزعامة كان يهتمها في الدرجة الأولى الحفاظ على مركزها الاقتصادي والأدبي في جزيرة العرب، وتحفظ بعلاقات حسنة مع الدول المجاورة لجزيرة العرب لنفس الأسباب، وفي نطاق الحديث عن المعتقدات التي أنتشرت في بلاد العرب لم أنس دور الحنيفية بين هذه الأفكار والمعتقدات التي ساهمت في اضعاف الوثنية. وقد ذهب إلى أن جذور الديانات التوحيدية تعود إلى عهود موغلة في القدم نبتت من جنوب الجزيرة العربية.

وبناء على ما تقدم لم يكن عرب الحجاز بعيدين عن الأفكار السائدة، في منطقة الشرق الأوسط بحكم موقعهم التجاري بين الشمال والجنوب من بلاد العرب. ومن خلال تحليل العوامل المختلفة لمجتمع الجزيرة العربية خلصت إلى أن الله سبحانه وتعالى قد هيا المناخ الملائم لنجاح الدعوة الإسلامية، فاختار لنجاحها الرجل المناسب والزمان المناسب ويسر لها عوامل النجاح، فمحمد ﷺ عزيز في عصبته، ولم تعد قريش يدا واحدة خلف زعيم واحد، واعتنق الإسلام أناس من بطون مختلفة من قريش مما أضعف اجماع قريش على مقاومة الدعوة الإسلامية، فهذا أبو بكر من تيم، وعثمان بن عفان من بني أمية، والزبير بن العوام من أسد وعبدالرحمن بن عوف من كلاب، وسعد بن أبي وقاص من بني زهرة من عبد مناف، وغير هؤلاء من بطون مختلفة علاوة على من أسلم من الموالي والعبيد وأصحاب الديانات الأخرى من يهودية ونصرانية.

وعند بحث أسباب إقبال أهل يثرب على الإسلام، ذهبت إلى ربط ذلك بأوضاعها الداخلية ورغبة يثرب في منافسة مكة على الرياسة، وضعف الوثنية فيها بفعل الدعوات والأفكار الداعية إلى التوحيد.

وقد أبرزت حدث بيعة العقبة الكبرى موضحا نتائجها على الحركة الإسلامية من جهة، وموقف العرب واليهود منها من جهة أخرى. واستنتجت قوة يثرب من خلال هذه البيعة، واستعدادها لمواجهة العرب جميعا لحماية الدعوة الإسلامية، وقد وقف اليهود من هذه البيعة موقفا يبعث على الشك والريبة في صدق نواياهم وقد نظر العرب إليهم نفس النظرة، وكانوا يصفونهم «بالثعالب» وقد كان لهذه النظرة دورها في فشل اليهود في مساعي التآمر على الدعوة الإسلامية، وهي ما زالت في المهد. وهكذا نجد أن العرب تعلموا من

خلال تجاربهم الطويلة مع اليهود ان لا يثقوا فيهم وأن يحذروا مكائدهم .

كانت يثرب على جانب عظيم من القوة ومصدر قوتها إنما يعود الى ثروتها الاقتصادية وموقعها على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب ، وعلاقة الأوس والخزرج ببقية البطون الأزدية وخاصة الغساسنة الذين استوطنوا سوريا بعد هجرتهم من اليمن .

لقد كانت البيعة الكبرى مقدمة لهجرة الرسول ﷺ وأتباعه إلى يثرب التي دعيت بعد الهجرة «المدينة» . وقد أبرز البحث موقف المسلمين من اليهود واليهودية على ضوء التصور القرآني ، ورغبة المسلمين في التعاون مع أهل الكتاب في محاربة الوثنية ، وقد سقت هذه المقدمة للتدليل على ان المسلمين كانوا صادقين في رغبتهم للتعاون مع أهل الكتاب وإزالة كل الشكوك التي قد تقف حائلا دون هذا التعاون . وقد نزلت آيات قرآنية متعددة ، تقيم كلها الدليل بعد الدليل لتكون حجة قائمة وكافية على صدق الرسالة المحمدية التي جاءت متممة لما تقدمها من رسائل سماوية .

وقد هاجر الرسول ﷺ الى المدينة وفي ذهنه التصور المتقدم عن أهل الكتاب ، ولذلك أحلهم المسلمون في منزلة رفيعة فوق أهل الوثنية ، وإطلاق تسمية أهل الكتاب عليهم سمو بهم فوق الوثنية وإقرار باحترام المسلمين للكتب السماوية والأنبياء الذين بعثهم الله قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام . ومن هذا المنطلق كان المسلمون يقفون موقف الإشفاق من اختلاف الكتابيين ، ويرون في هذا الاختلاف عائقا أمام تبليغ الرسالة السماوية . وقد انعكس تصور المسلمين لأهل الكتاب في سلوكهم معهم ، فجادلوهم بالحسنى ، وكان هدف المسلمين إقناع أهل الكتاب بان دين الله واحد كما ان إله المسلمين وأهل الكتاب واحد ، وأظهر المسلمون لأهل الكتاب انهم لا يريدون لهم إلا الخير ولا يبتغون منهم إلا أن يتبعوا الحق الذي اتبعه المسلمون .

وفي الحديث عن أعمال الرسول في المدينة تعرضت للوثيقة «الصحيفة» التي كتبت بين الرسول وبقية البطون اليثرية لتكون أول دستور يتقيد به جميع الأطراف المشتركة في هذه الوثيقة . وقد استقصيت صحة هذه الوثيقة في المصادر التاريخية وكشفت عن المصادر التي أوردتها إلينا ، ودلت على صحتها اعتمادا على أسلوبها وتشابه ما جاء فيها مع أحاديث الرسول ﷺ . ثم أبرزت أهمية هذه الوثيقة في التاريخ الاسلامي ، فهي دليل على تمسك الرسول بمبدأ الشورى أولا وإقراره بحق المواطنة لأهل الكتاب في

المدينة ثانيا. وتكفي هذه الوثيقة لتكون خير رد على أولئك الذين يتهمون الاسلام بأنه انتصر بقوة السيف، وان الرعايا في الدولة الاسلامية لا تعامل بدرجة واحدة، ويزعمون ان للمسلمين امتيازات في الحقوق والواجبات حرم منها غيرهم .

لقد اتفقت مع الذين قالوا بأن الوثيقة تتكون من جزئين ، الأول خاص باليهود وكتب قبل معركة بدر، والثاني يتعلق بالمهاجرين والأنصار وكتب بعد بدر، وقد غفل المؤرخون عن حقيقة هامة وهم يتعرضون لهذه الوثيقة الخطيرة، فاستنوا القبائل اليهودية الثلاث الكبيرة منها، وهي قبيلة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وذلك دون تعليل لهذا الاستثناء اللهم إلا التقليل من أهمية هذه الوثيقة، التي كانت تهدف أساسا إلى تمتين الروابط بين المسلمين واليهود في المدينة وتجعلهم يقفون صفًا واحدًا ضد الأخطار التي تهدد مدينتهم، وأي قيمة للوثيقة التي اختصت بموادعة اليهود إذا لم تشترك بها القبائل اليهودية الكبيرة ذات الشأن في المدينة .

وقد حللت مضمون الوثيقة - التي أثبت موادها بملحق خاص - وخلصت من هذا التحليل إلى أن اليهود بمختلف طوائفهم كانوا ملزمين بنصرة المسلمين إذا ما داهمهم عدو خارجي، كما استنتجت من هذه الوثيقة حرص الرسول على ان تكون قاعدة حكمه في المدينة مستندة على الشورى، وأن يسود مجتمع المدينة روح التسامح الديني والاقتصادي .

ونظرا لأهمية هذه الوثيقة فقد منحتها عناية خاصة، يغلب على الظن أنها لم تنلها من قبل .

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ كان راغبا في التعاون مع أهل الكتاب، ونجد هذه الرغبة واضحة في القرآن الكريم، كما جاءت الموادعة دليلا آخر على صدق الرسول في هذا التعاون . ولذلك عرضت لموقف اليهود بعد الوثيقة وبدلا من أن يستجيب اليهود لهذا التعاون، وجدناهم يكيدون للاسلام والمسلمين، وكان هذا الكيد يختلف في الأسلوب ويزداد في الشدة كلما كان ساعد المسلمين يشتد، مما يؤكد الطابع السياسي للحركة اليهودية التي لا تحيد عن أهدافها التي رسمت في التوراة والتلمود . وهذه الحقيقة تصل بين الدوافع السياسية لليهود منذ عصر التشرّد والشتات وبين دوافعهم في العصر الحديث الممثلة بالحركة الصهيونية العنصرية . وأمام إصرار اليهود على تنفيذ مخططاتهم العدوانية

كان لا بد من انفجار الصراع المسلح بينهم وبين المسلمين .

لقد اعتبر بعض المؤرخين معركة بدر سببا في تفجير هذا الصراع بين الطرفين العربي واليهودي ، مع ان هذا الرأي يخالف مسلك المسلمين في علاقاتهم مع اليهود ، فقد ذكرنا ان تصور المسلمين لأهل الكتاب كان تصورا أساسه المنزلة الرفيعة التي أحلهم القرآن بها . وأضيف الى ما تقدم ان المصلحة الاسلامية كانت تقضي بالتعاون مع أهل الكتاب في محاربة أهل الشرك وإعلاء كلمة الإله الواحد ، وفي هذا المجال أثبت حقيقة غفل عن ذكرها المؤرخون ، وهي أن اليهود كانوا يأملون القضاء على الدعوة الاسلامية بسيوف كفار قريش ، ولما فشلت آمالهم بتحقيق ذلك انبروا بأنفسهم للقيام بالمهمة التي عجزت قريش عن تحقيقها ، وهكذا يأتي انفجار العداء بين اليهود والعرب المسلمين دليلا على أن اليهود لم يتخلوا عن نهجهم الذي اتبعوه خلال تاريخهم ، وقوامه التعالي على شعوب الأرض والتباهي على العالم بانهم وحدهم دعاة التوحيد ، وهم الذين سخر الله لهم بقية مخلوقاته لتخدمهم ، ووعدهم فلسطين أرض الميعاد ، الى غير ذلك من تعاليم عنصرية تبدى حاليا في تعاليم الحركة الصهيونية ويكشف عنها سلوك الكيان الصهيوني في فلسطين .

وبناء على ما سبق أبرزت زيف الدعوى القائلة بان سبب العداء بين المسلمين واليهود هو دعوة محمد لهم للدخول في الاسلام ، ذلك لأن الموائيق والعهود التي كتبها الرسول لهم اعترفت لهم بالحرية الدينية ولم تطلب اليهم الدخول في الاسلام وذهبت إلى أن الأسباب الاقتصادية والتعصب القومي والعنصري عند اليهود هي الأسباب الحقيقية لخلافهم مع المسلمين :

وقد عرضت للوقائع الحربية بين المسلمين واليهود من وجهة نظر تأخذ بعين الاعتبار دوافع اليهود الحقيقية في صراعهم مع المسلمين ، هذه الدوافع التي أتت منسجمة مع مسارهم التاريخي . ثم كشفت عن أساليبهم في هذا الصراع ومساعدتهم في جذب المنافقين والمشركين من العرب إلى جانبهم ، ورغم ادراك الرسول محمد ﷺ لأهداف اليهود فقد عاملهم في بداية الأمر معاملة تتسم بالتسامح ، فسمح لبني قينقاع بالجللاء عن المدينة ، كما سمح أيضا لبني النضير بمثل ذلك ، رغم نقضهم العهود وتآمرهم على الجماعة الاسلامية .

وقد انتقم المسلمون من بعض رؤوس الفتنة من اليهود تذكيرا لهم بقدرة المسلمين الذين انتصروا على قريش في بدر، وانذارا لهم لوقف كيدهم والعودة الى رشدهم، ولما تمادى اليهود في عدائهم بعد معركة الأحزاب «الخنديق» أنزل بهم المسلمون أشد أنواع العقوبة بعد أن وجدوا أن اللين والتسامح يزيدانهم إمعانا في العداوة والتآمر.

ومن خلال بحث مراحل الصراع بين المسلمين واليهود تكشف أسباب جديدة لم يذكرها المؤرخون، كبعض أسباب غزوة بني النضير مثلا. وفي كل هذه الحروب مع اليهود كان المسلمون في موقف الدفاع عن النفس، لأن اليهود انضموا إلى صفوف الوثنية علنا للقضاء على الدعوة الإسلامية وأتباعها.

لقد جاءت الحوادث في هذا الصراع لترد على أولئك الذين حاولوا تبرئة اليهود من تهمة التآمر على المسلمين تارة وعلى شخص الرسول تارة أخرى.

وفي أثناء بحث هذه المرحلة من العداء بين المسلمين واليهود تعرضت لموقف كل من المنافقين والمشركين والقبائل اليهودية الصغيرة، وأثر هذه المواقف في سلوك القبائل المختلفة في الجزيرة العربية.

وكدليل على صدق ما ذهبت إليه في كشف النوايا الحقيقية لليهود بينت دورهم في الأعداد لغزوة الأحزاب «الخنديق» الخطيرة، وكيف تنكر اليهود لديانة التوحيد التي طالما تظاهروا بأنهم أصحابها طوال تاريخهم، حينما شهد زعمائهم لزعماء قريش الوثنيين، بأن الوثنية التي تتمسك بها قريش خير من الإسلام الذي يدعو إليه محمد. وفي هذا الموقف دلالة أخرى على تغلب النوازع السياسية عند اليهود على الدوافع الدينية، وأنهم انما يتخذون من الدين ستارا ليخفوا وراءه أهدافهم السياسية العدوانية. ويكشف هذا الموقف اليهودية على حقيقتها، فهي لا تقيم وزنا لشرف الوسائل التي تتبعها في محاربة خصومها. وتأتي هذه النتيجة المستخلصة من العلاقات العربية اليهودية في العهد الراشدي مصداقا للنتائج المستخلصة من العلاقات العربية اليهودية في عصرنا الحاضر.

ومن خلال الحروب بين المسلمين واليهود والمشركين استفاد المسلمون خبرة في الفنون الحربية، وتمرسوا بأساليب القتال وازدادوا اعتمادا على أنفسهم وتمسكا بعقيدتهم الإسلامية وبقيادة محمد ﷺ. وفي هذا الصدد فندت بعض الدعاوي القائلة

بان مقتلة اليهود من بني قريظة كانت حلما يراود بطون الأوس والخزرج منذ الساعة الأولى لمجاورتهم في يثرب، وأوضحت أن الأوس والخزرج يعود لهم الفضل في كثير من المواقف في انقاذ اليهود من القتل، كما حدث مع بني قينقاع، ومحاولة الكثيرين من الأوس لانقاذ بني قريظة من القتل. كما رددت على بعض المستشرقين الذين اعتبروا موقف الرسول من بني قريظة فيه قسوة لا مبرر لها، وبينت ضخامة الجريمة التي أقدم عليها بنو قريظة، وانه كان امام بني قريظة طرق عدة للخلاص من المصير الذي آلوا اليه، وتساءلت كيف يحق لليهود أن يستنكروا هذه المذبحة وتاريخهم حافل بالمذابح الجماعية والبشرية، وذلك منذ أقدم تاريخهم وحتى وقتنا الحاضر، واستشهدت بنصوص من التوراة لمثل هذه المذابح الجماعية التي باركها رب اليهود كما تقول التوراة.

والأسلوب اليهودي السابق سياسة يهودية تمسك بها اليهود منذ أقدم العصور وحتى عصرنا الحاضر، فهم يسدلون ستارا على فضائحهم ومذابحهم، ويعظمون ويضخمون أخطاء الآخرين بحقهم، بل يذهبون الى تصوير سيئاتهم فضائل وفضائل غيرهم رذائل، بأساليب إعلامية تمكنوا منها من خلال تسللهم الى السلطة في معظم دول العالم.

وفي الميدان الاقتصادي، تعرضت للأسباب الحقيقية للتحويلات الاقتصادية التي طرأت على بلاد العرب مع الفتوحات الاسلامية، ورددت على أولئك الذين قالوا بتدهور حالة المدينة الاقتصادية بعد جلاء اليهود عنها.

وبعد غزوة بني قريظة عرضت لأعمال الرسول الاحتياطية كمقدمة لغزو خيبر، وأوضحت ان هذه الأعمال إنما تدل على حنكة سياسية وبعد نظر قصد منها منع قيام تحالف بين يهود خيبر ومشركي مكة والقبائل الضالعة معها، وبينت كيف نجح الرسول في عقد صلح الحديبية مع قريش مما جعله ينفرد بيهود خيبر الذين كانوا يعدون أنفسهم لغزو المدينة.

وفي الحديث عن غزوة خيبر تعرضت لحوادث الغزوة وأسباب المعاملة الحسنة التي عاملهم بها الرسول بعد ان تم له النصر عليهم، وخلصت من ذلك الى أن الرسول ﷺ لم يكن يوما راغبا في سفك الدماء، ودلت على ذلك بعهود الأمان التي منحها لليهود خيبر وفدك ووادي القرى، ومقنا وغيرها من المستوطنات اليهودية.

وقد جاء هذا التسامح بعد ان أدرك الرسول أن اليهود لم يعودوا يشكلون خطرا على الجماعة الاسلامية . وفي الحديث عن غزوة خيبر حللت الدوافع الحقيقية لهذه الغزوة . ودحضت حجة القائلين بان هذه الغزوة كانت طمعا في حصول المسلمين على الأموال والغنائم ، وأظهرت ان هذا الافتراء انما يدل على الجهل بمراحل تطور الدعوة الاسلامية التي لم يكن السلب والنهب والتلصص - كما يدعي بعض المستشرقين - هدفا من أهدافها ، واستشهدت على زيف هذه الدعوى بحديث الرسول ﷺ يوم تجهز المسلمون لغزوة خيبر، فقد قال عليه السلام مخاطبا المشركين والمسلمين على السواء:

« لا تخرجوا إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا » . وقد ناقشت صلح خيبر الذي وردنا من مصدرين، وأوضحنا العلاقة بين نصي الصلح، واثبت التزوير الحاصل في هاتين الوثيقتين، والهدف الذي أراده اليهود من وراء هذا التزوير. وقد أوردت رأيي فيما اشتملت عليه وثيقة صلح خيبر على ضوء ما أشارت اليه المصادر التاريخية الموثوق بها.

وخلال حوادث خيبر أبرزت الدوافع الانسانية من وراء زواج الرسول ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية، وبينت أن هذا الزواج كان جزءا من سياسة التسامح التي اتبعها الرسول مع اليهود بعد ان خضد شوكتهم العسكرية، وقد أثبت هذه السياسة بالعهود والمواثيق التي تكفل للطوائف اليهودية المختلفة حريتها الدينية والاقتصادية.

وبعد وفاة الرسول ﷺ حاولت الكشف عن الدور الذي قام به اليهود خلال حروب الردة، ورغم انني افترضت اشتراكهم في هذه الأحداث، بأساليب الدس والوقعة والتآمر الخفي، فان المصادر التاريخية لم تساعد في توضيح الدور الذي لعبوه في هذه الأحداث الخطيرة التي طالما تمنوها منذ أمد بعيد.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أبرزت دورهم في مقتل بعض الشخصيات الاسلامية، وبحثت الاسباب التي دعت عمر الى اجلائهم عن بلاد الحجاز وأثبت ملحقا خاصا «هو رسالة مخطوطة» تناقش من الناحية الفقهية واللغوية والتاريخية سبب اخراجهم من بلاد الحجاز، وعدم اخراجهم من اليمن، وأشارت الى الحكمة التي أرادها الخليفة عمر من إجرائه هذا، كما أوضحت دور اليهود في مؤامرة اغتيال الخليفة عمر رضي الله عنه.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه تعرضت للفتنة التي حدثت في عهده، وحللت أسبابها، وكشفت عن دور الحركة السبئية في هذه الفتنة بعد ان بينت طبيعة هذه الحركة وأهدافها، وخلصت من كل ذلك إلى أن اليهود الذين فشلوا في القضاء على الحركة الإسلامية بقوة السلاح لجأوا إلى محاولة القضاء عليها بالتآمر والدسائس، وكذلك تعرضت لدور السبئية في الأحداث التي وقعت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب وكانت السبئية تهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم وقياداتهم، واستغلال الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للظهور بمظهر المدافع عن حقوق المسلمين، ومنذ ذلك التاريخ واليهودية تتسلل في التنظيمات السياسية لتوجهها الوجهة التي تخدم غرض اليهودية النهائي المتمثل حاليا في الحركة الصهيونية.

وفي نهاية هذا البحث تعرضت للاسرائيليات كدليل لما ذهبت اليه، من أن اليهودية اتجهت بعد فشلها العسكري لغزو الفكر الاسلامي، ونسف العقيدة الاسلامية من الداخل بعد أن فشلت في القضاء عليها من الخارج.

وبعد هذا العرض الموجز لما اشتمل عليه البحث من نتائج، فإنني لست ممن يحبون المبالغة بما فعلت، فإنني اعتبر محاولتي بدءا بالأمر من أصولها الأولى ومعالجتها معالجة جذرية، ووقوفا عند أدق المعارف وجمعها لها، وقد حشدت لهذه المجموعة من الحقائق التي توصلت إليها ما استطعت من المصادر المختلفة ليخرج هذا البحث بهذه الصورة الجديدة. ونظرا لأن طبيعة هذا البحث تقتضي الدخول في سلسلة من المشكلات، فقد لا يبلغ الباحث بها كل غايتها ويضع لها جميع الحلول المتوخاة. وذلك لأن مشاكل الدراسة التاريخية بشكل عام ودراسة العلاقات العربية اليهودية عبر عصور طويلة بشكل خاص، ليست بالأمر الهين السهل المنال، نظرا لطابع التعقيد الذي تحمله هذه الدراسة من ناحية، ولتنوع المصادر المتوفرة من ناحية ثانية. وهذه الصعوبات لا تساعد دائما على حل واضح لبعض المشكلات القائمة. ولذلك فإن وفقت في عرض بعض المشكلات في هذه الدراسة المعقدة وأخرجتها من الغموض الى الوضوح، أو جعلتها في مكان التنبيه والاشارة فإنني اعتقد انني افرغت جهدي وقضيت مهمتي وتركت للآخرين مهمة ملاحقة هذه المشكلات وحلها على ضوء ما يتوفر من مصادر جديدة.

وكل دراسة يبدي فيها صاحبها رأيا أو ينتهي الى فكرة أو يصدر عن اتجاه، فإن ذلك لبنة في صرح الحياة العلمية سيرتفع فوقها البنيان.

وإذا كنت لا أحب المبالغة بما عملت فلست أحب كذلك المبالغة في تقويم ما توصلت إليه من نتائج، لأنني لا أجرؤ على تسمية عملي «بالعمل الكامل» لأن في مثل هذا القول وقفا لسيل الحياة المتجدد، وإخمادا للفكر المتوقد. غير أن ما سبق وقلته لا يعينني من الإشارة إلى أن هذا البحث في موضوعه ومنهجه ومواده التي قام عليها، هو جديد في دراساتنا التاريخية، وأغلب ظني ان هذه الدراسة هي الأولى من نوعها من حيث ربط حاضر العلاقات العربية اليهودية بماضيها، وتقديم هذا التاريخ الطويل من العلاقات بأسلوب هادف وجديد ينتهي بنا الى تصور الأهداف الأخيرة من الصراع العربي اليهودي، ويمنحنا الفرص لأخذ العبر والعظات المستخلصة من ماضي هذه العلاقات لتكون نبراسا لنا يحدد لنا الطريق في صراعنا الحاضر مع الصهيونية.

وختاما فإنني أترك الجهد الذي بذل في هذه الدراسة لبيوها المكانة التي تستحقها آملا أن تكون مقدمة طيبة ومباركة لدراسات قيمة في هذا الحقل الهام، حتى تستكمل الصورة وتحصل المنفعة، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير، ويجعل عملنا خالصا لوجهه تعالى، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

(الملحق رقم ١)

القبيلة الثالثة عشرة أو «إمبراطورية الخزر اليهودية»

أشارت بعض الصحف العربية إلى أنه صدر أخيرا عن دار النشر «هتشنس» في لندن كتاب بعنوان «القبيلة الثالثة عشرة» أو «إمبراطورية الخزر» للكاتب اليهودي المجري «آرثر - كوستلر» أثبت فيه بالبراهين والأدلة التاريخية من مصادر متعددة أن اليهود الغربيين وخاصة «يهود شرق أوروبا» ليسوا من أصل سامي أساسا، وأن الدعوى التي تذرعت بها الصهيونية من أجل العودة إلى إسرائيل - على اعتبار أن جميع اليهود قد انحدروا من أصل وجنس واحد هو السامية - إن هذه الدعوى لا صحة لها إطلاقا من الناحية التاريخية وكانت أكذوبة كبرى. لقد أعطى هذا الكتاب صورة واضحة لإمبراطورية قديمة عرفت عند المؤرخين باسم «دولة الخزر» وكانت تمتد ما بين البحر الأسود وبحر الخزر. أي أنها كانت تقع بين أكبر قوتين في العصور الوسطى، البيزنطيين في الشمال والمسلمين في الجنوب، ونتيجة لضغط هاتين القوتين على دولة الخزر اضطر ملكها وحاشيته إلى استبدال ديانتهم الوثنية بدين آخر لا علاقة له بهاتين القوتين المتصارعتين وذلك ليحتفظ الخزر باستقلالهم ولكي لا يعطوا أيا من القوتين مبررا للتدخل في شؤون دولة الخزر، فاختاروا الدين اليهودي مشكلين في ذلك الوقت قوة عالمية ثالثة ومتخلصين في نفس الوقت من الدين الوثني الذي انتابه الضعف. كان ذلك في القرن السابع الميلادي. ويقول المؤلف: إن اعتناق الخزر اليهودية لم يكن بسبب رغبة دينية وإنما بدافع سياسي، ومع الزمن بدأ شعب الخزر يعتنق دين ملوكه حتى أصبحت اليهودية الديانة الرسمية والشعبية في بلاد الخزر.

وقد أشار المؤلف إلى رسائل متبادلة بين وزير يهودي من قرطبة في عهد الخليفة عبدالرحمن الثالث في الأندلس مرسله إلى ملك الخزر «جوزيف» وفي هذه الرسائل يستفسر الوزير اليهودي القرطبي عن حقيقة ما سمع عن وجود مملكة يهودية مشيرة لملك الخزر أنه سمع ذلك عن طريق التجار الخراسانيين، وتأكد له ذلك عن طريق البعثة الدبلوماسية البيزنطية في الأندلس.

ويستفسر الوزير في رسائله عن شعب الخزر وطريقة الحكم وقوة الجيش ويتضمن استفساره كذلك عن القبيلة التي ينتمي إليها الملك «جوزيف» من القبائل الاثني عشرة اليهودية التي جاءت إلى أرض كنعان. ولم يستطع الملك الرد على السؤال الأخير لكونه لا ينتمي إلى أصل هذه القبائل إطلاقاً ولا يستطيع إلا أن يخبره عن كيفية اعتناقهم اليهودية قبل ما يقرب من قرنين من الزمان فقط وعن الظروف التي صاحبت ذلك.

ويقول المؤلف بأن نسخاً من هذه الرسائل الخطية موجودة في مكتبة «كرايست» في أكسفورد. كما كشف النقاب في نهاية القرن الماضي عن وجود مصادر عبرية في مكتبة جامعة «كمبردج» سميت «بوثائق كمبردج» فيها مراسلات أحد اليهود «الملك جوزيف»، كما عثر في محتويات «كنيس في القاهرة» - وهو مخزن ديني يهودي قديم - على مراسلات الوزير القرطبي. وأغلب الظن أنها نقلت إلى القاهرة بعد طرد اليهود من إسبانيا، وتحفظت مكتبة لينغراد العامة، بنسخة من جواب الملك جوزيف وهي تعود إلى القرن الثالث عشر على ما ذكره المؤلف.

وعندما سقطت إمبراطورية الخزر في أواسط القرن العاشر الميلادي على يد الأمير الروسي «سفيثوسلاف» تبعثر شعب الخزر في أطراف أوروبا وخاصة في بولندا وأوروبا الشرقية.

وهكذا يكشف هذا الكتاب أسطورة الشعب المختار على حقيقتها كما يكشف أباطيل الصهيونية بوجوب عودة يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين وهم يشكلون قوة عديدة كبيرة. كما ستجردهم هذه الحقيقة من إشهار سيف ادعاء «معاداة السامية» لكل من أراد انتقادهم أو ردعهم في مسألة اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها الحقيقيين^(١).

(١) انظر جريدة الأنباء المغربية الصادرة بتاريخ ١٩٧٦/٥/٤ ص ٨.
انظر جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ ٢٢ أغسطس «آب» من عام ١٩٧٦، عدد ٣٢٧٦٢ لسنة ١٠٢ ص ١٢.

• نشرت لجنة الدراسات الفلسطينية هذا الكتاب بالعربية، ترجمة: حمدي متولي مصطفى صالح، ضمن منشورات: فلسطين المحتلة، بعنوان: إمبراطورية الخزر وميراثها القبيلة الثالثة عشرة، ورغم نشر الكتاب بالعربية ابقينا هذا الملحق على حاله لاعتقادنا بفائدته.

(الملحق رقم ٢)

نص الوثيقة أو «الصحيفة» التي كتبت بين الرسول ﷺ وبين اليهود والأنصار والمهاجرين واعتبرت أول دستور في الإسلام^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ - هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.
- ٢ - أنهم أمة واحدة من دون الناس.
- ٣ - المهاجرون من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٤ - وبنو عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٥ - وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٦ - وبنو ساعدة على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٧ - وبنو جشم على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٨ - وبنو النجار على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٩ - وبنو عمرو بن عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ١٠ - وبنو النبيت على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(١) نقلنا نص الوثيقة من كتاب «مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة» للسيد محمد حميد الله ، لأنها خلاصة مقارنة الروايات التي أوردت هذه الوثيقة» وذلك في الصفحات ٤١-٤٧.

- ١١- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ١٢- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .
(١٢ ب) وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .
- ١٣- وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم ، أو إثما ، أو عدوانا ، أو فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم .
- ١٤- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .
- ١٥- وأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدانهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . -
- ١٦- وأنه من تبعا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .
- ١٧- وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، الا على سواء وعدل بينهم .
- ١٨- وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا .
- ١٩- وأن المؤمنين يبىء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .
- ٢٠- وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .
(٢٠ ب) وأنه لا يجبر مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن .
- ٢١- وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به ، إلا إن يرضي ولي المقتول (بالعقل) ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .
- ٢٢- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره ، أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .
- ٢٣- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد .
- ٢٤- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ٢٥- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .
- ٢٦- وأن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف .

- ٢٧- وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .
- ٢٨- وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
- ٢٩- وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .
- ٣٠- وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .
- ٣١- وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .
- ٣٢- وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .
- ٣٣- وأن لبني الشطية^(١) مثل ما ليهود بني عوف ، وأن البر دون الاثم .
- ٣٤- وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .
- ٣٥- وأن بطانة يهود كأنفسهم .
- ٣٦- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .
- (٣٦ب) وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا .
- ٣٧- وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم .
- (٣٧ب) وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .
- ٣٨- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ٣٩- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
- ٤٠- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
- ٤١- وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .
- ٤٢- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .
- ٤٣- وأنه لا تجار قریش ولا من نصرها .
- ٤٤- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .
- ٤٥- وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

(١) وردت .. عند حسين مؤنس «بني الشطنة» انظر عالم الاسلام ص ١٥٠ .

- (٤٥ب) على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .
- ٤٦- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البرّ دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه .
- ٤٧- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن برّ وأتقى ومحمد رسول الله ﷺ .

(الملحق رقم ٣)

رسالة الامام العلامة صارم الدين بن عبد القادر بن أحمد «التنبيه على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب» والرسالة تبحث موضوع إخراج الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اليهود من بلاد الحجاز دون اليمن وذلك من الجوانب المنطقية واللغوية والشرعية، والرسالة موجهة إلى العلامة جمال الاسلام علي إسماعيل النهي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله وآله الطاهرين»

قلت دامت إفادتكم وقع البحث في رسالتي القاضي أحمد بن صالح والقاضي حسين المغربي في تحرير أدلة إخراج اليهود من جزيرة اليمن وأشرت أن تقرير القاضي أحمد أقوم بمعاني الآثار والذي ظهر حال البحث عكس ذلك، فاما تحرير أدلة القاضي أحمد فاشتملت على خمسة أدلة في الاجلاء. الأول: أن اليمن بمثابة الحرم الشريف فيدخل في مدلول قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾. الثاني: أن اليمن من الحجاز وأن فهم عمر «رضي الله عنه» مسماة لغة غير معمول به فلا ينزل منزلة الراوي. الثالث: أن إعطاء الجزية مشروط برضى الامام فلا يعارض مفهوم الآية. الاخبار الرابع: أن الآية لما دلت على الأمر بالقتال دلت على قوة أحاديث الاجلاء ولم يتكلم على تعارض الآثار بالعموم والخصوص الذي هو مدار البحث في رسالة القاضي حسين المغربي، الخامس: ذكر أقوال أهل المذهب وهي لا تدل الناظر إلى دليل اللهم إلا أن يعضدوها بأدلة مروية عن الآباء معمول بها فصاحب البيت أدرى بالخبر. وأما تحرير أدلة القاضي حسين فبناها على أن أدلة إخراجهم من الجزيرة مخصصة بأمر معاذ بأخذ الجزية في اليمن وأن دلالة الخاص قطعية ودلالة العام ظنية فيقدم الخاص المتقدم على العام المتأخر وقد عضد ذلك عمل السلف من زمن الصحابة فلهم جزاء وأكده أيضا دلالة حذف الأمانة على العموم في قوله تعالى: ﴿وَحَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ وأن المقام خطابي يكتفي فيه بالظن فهذه الثلاثة الأدلة، أعني تقديم الخاص المتقدم على العام المتأخر ودلالة الحذف على العموم وكون المقام خطابي، الظاهر صحتها، فتفضلوا ببيان

وجهها من الضعف أو أرجحية رسالة القاضي أحمد . . . انتهى كلام العلامة الجمالي حفظه الله ونفع بعلمه» .

«وأقول وبالله التوفيق، نتكلم هنا على أصل المسئلة وهو وجوب إخراج اليهود من جزيرة العرب وبه يتضح صحة ما ذهب إليه القاضي أحمد بن صالح من وجوب إخراج اليهود من جزيرة اليمن، فاعلم أنه ذهب أئمتنا عليهم السلام وكثير من العلماء الأعلام الى وجوب إخراجهم من جميع جزيرة العرب التي منها اليمن وجزيرة العرب كما في القاموس وغيره ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن إلى أطراف الشام طولا ومن جدة الى ريف العراق عرضا وذهب آخرون إلى أن الواجب إنما هو إخراجهم من الحجاز خاصة لنا ما عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأوصى عند موته بثلاث خصال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. الحديث» قالوا: المشرك أخص من الكافر والأمر بإخراج الأخص لا يلزم منه الأمر بإخراج الأعم، قلنا: الشرك في الحديث مراد به الكفر مطلقا بدليل ما عند أحمد في مسنده موصولا من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان، والشرك يستعمل في لسان الشارع تارة بمعنى عبادة الأوثان وتارة بمعنى الكفر مطلقا ومن التالي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وأيضا فقد أخرج أحمد والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنه، ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لئن عشت الى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما» وأصله في مسلم بدون قوله لئن عشت الى قابل، قالوا: معارض في مفهوم الغاية في قوله تعالى: ﴿وحتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾، فان الله سبحانه أمر بالمقاتلة لأهل الكتاب إلى غاية وهي إعطاء الجزية ولم يصرح في الآية الكريمة بمكان لا عام ولا خاص، ولا بد من اعتبار المكان إذ كل حديث لا بد له من مكان عقلا والحذف يحتمل ان يكون للتعميم كما ذلك معروف عند من له معرفة ببلاغة الكلام. قلنا مفهوم الغاية في الآية الكريمة يقضي بأنه لا يجوز مقاتلتهم مع تسليم الجزية وهذا المفهوم بعد تسليم كونه حجة يدل على عدم قتالهم الذي هو المغيا بهذه الغاية لا على عدم إخراجهم، فلا يعارض هذا المفهوم أدلة إخراجهم التي صحت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولو سلم دلالة مفهوم

الغاية في الآية الكريمة على ذلك فالمفهوم لا يعارض ما يدل بمنطوقه اتفاقا وكون متن الآية الكريمة قطعي ومتن الآثار المذكورة ظني لا يجدي في المقصود إذ المفهوم هنا من حيث كونه مفهوما ظني «وللعلامة ابن دقيق العيد في معارضته مفهوم القطعي وللمنطوق الظني كلام يحسن نقله هنا، فلم يكن لدي حال الرقم» أيضا على أن تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم وإفادته أصل المعنى عند الشيخ عبد القاهر والتعميم عند السكاكي إذا كان المقام خطابي مع عدم إرادة الحقيقة أو البعضية إنما تكون عند عدم ذكر المفعول به بلا واسطة أو بها وأما عدم ذكر اللوازم الفعلية للفعل من المكان وهيئة الفاعل والمفعول وغيرها كالألة فيما يحتاج فيه إليها فلا يجري فيها ما ذكره أهل البيان في ترك المفعول فلا يقال حذف المكان أو الهيئة أو الألة لقصد التعميم إذ كلامهم في تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم بعدم تقرير المفعول به بلا واسطة أو بها وأما اللوازم الفعلية فهي لازمة لكل فعل متعد أو لازم بحسب ما يقضيه منها وكلامهم فيما يمتنع تصور الفعل المتعدي بدون تصوره قالوا المراد بجزيرة العرب في الحديث الحجاز مجازا من باب إطلاق اسم الكل على البعض بدليل ما عند أحمد والبيهقي وغيرهما من حديث أبي عبيدة بن الجراح قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن قال: «أخرجوا يهود الحجاز - الحديث». قلنا يحتمل أن المراد بالحجاز في الحديث جزيرة العرب مجازا من باب إطلاق اسم البعض على الكل بدليل الأمر بإخراجهم من جزيرة العرب وكلام المجازين شائع، فاختيار كونه من الأول دون الثاني يحتاج إلى قرينة تعينه لتعارض إرادة المجازين قالوا: فهم عمر وعمله يدل على ما قلناه من المجاز، وعمر من أهل اللسان، قلنا عمل الصحابي وفهمه ليس بحجة مع قيام الدليل على خلاف ما عمل به وفهمه، قالوا: ذلك في الأحكام الشرعية وأما في الأوضاع اللغوية ففهم كل عربي ونقله واستعماله حجة. وقد عمل في الحديث بما فهمه لغة من أن المراد بجزيرة العرب الحجاز وأن المراد بالحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها، كيف وهو الراوي لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ولا أترك فيها إلا مسلما». قلنا هذا لا يفيد في المقصود فغايتته أن عمر ترك أخرجهم عن بقية الجزيرة، والترك لا ظاهر له. فيحتمل أن عمر رضي الله عنه إنما شرع بإخراجهم من تلك المواضع ونيتته على إخراجهم من جميع الجزيرة وما لم ينقل عنه ما يدل على أن جزيرة العرب هي هذه المواضع التي أخرجهم منها فقط حتى يقال أنه فهم ذلك لغة وغايتته أن الترك كالفعل لا ظاهر له، فكيف

نترك ما صح عن الشارع لترك محتمل صدر من عمر رضي الله عنه قالوا: لم ينقل عن أحد من الصحابة إنكار لفعل عمر فكان إجماعاً، قلنا قول البعض أو فعله وسكوت الباقي قبل تقرير المذاهب ليس بإجماع بل ولا حجة عند الجمهور من أئمتنا عليهم السلام وغيرهم لعدم الدليل على أحدهما كما علم في الأصول والاحتمال أن بعضهم سكت هنا لكونه عرف من حال عمر رضي الله عنه أن فعله هذا إنما هو شروع في إخراجهم من جزيرة العرب وأن البعض منهم سكت لعدم بلوغ الأمر إليه بإخراجهم من جميع جزيرة العرب، فما كل الصحابة يعلم جميع ما ورد عن الشارع وأن بعضهم سكت توقفاً وغير ذلك من الاحتمالات التي يخرج بها عن كونه حجة ظنية يعارض الأحاديث الصحيحة.

نعم ان علم ان سكوت الباقي رضي بما فعله عمر وعلم أيضاً انه بلغ الدليل على إخراجهم من جميع جزيرة العرب إلى كل مجتهد منهم وأنه لم يرجع عن ذلك الرضى، فان علم ذلك كان إجماعاً منهم أن المراد بجزيرة العرب في الحديث هي الحجاز خاصة ويكون ذلك من الإجماع القولي لا السكوتي لان الطريق الى العلم بالرضى خفي لا يعلم الا باخبارهم عن أنفسهم وذلك يعيده الى الإجماع القولي، ودون ثبوت هذه مهامه لا سبيل إليها قالوا في حديث أبي عبيدة المتقدم أخرجوا يهود الحجاز، ويهود الحجاز خاصة، قلنا انما يتمشى التخصيص به على مذهب أبي ثور من ان الخاص إذا وافق حكم العام خص به، وأئمتنا عليهم السلام وجماهير العلماء لا يقولون به إلا إذا كان الخاص مفهوم مخالفة كما في نحو، في الغنم زكاة في السائمة زكاة كما تقرر في الأصول وكذا لو قيل ان العموم والخصوص بين الحجاز وجزيرة العرب بناء على ان العام قد يقال على ان اللفظ المخرج عنه والتخصيص قد يقال على قصر اللفظ، إذ ذكر الحجاز على هذا من التنصيص على بعض أفراد العام. قالوا: أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي والدارقطني وابن حبان والحاكم والبيهقي من حديث مسروق عن معاذ رضي الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ الجزية من كل حالم ديناراً او عدله من المغافر ثياب تكون باليمن»، فهذا الحديث مخصص لليمن من عموم جزيرة العرب ولا يرد ان بعض ما تقدم كان في مرضه عليه الصلاة والسلام وان ارسال معاذ سابق على ذلك لان الخاص المتقدم مخصص للعام المتأخر فان تقدم الخاص قرينة قوية على أنه لم يرد بالعام جميع ما تناوله وإنما أريد به ما لم يتناوله الخاص، فلا يضر تراخي التعميم وذلك للجمع بين الأدلة، قلنا قال أبو داود هو حديث

منكر، وقال وبلغني عن أحمد انه كان ينكره وذكر البيهقي الاختلاف فيه، فبعضهم رواه عن الأعمش عن أبي وايل عن مسروق عن معاذ، وقال بعضهم عن الأعمش عن أبي وايل عن مسروق ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما بعث معاذاً «وأعله»؟ بن حزم بالانقطاع، قالوا حسنه الترمذي، قلنا وقال بعضهم رواه مرسلًا وانه أصبح، فلو سلم لكان حديثًا حسنًا مرسلًا وهو لا يعارض الصحيح المتصل كما علم حتى يحتاج الى الجمع بينهما بما ذكرتم ولو سلمت المعارضة بقوة هذا المرسل بما في كتاب الأموال لابي عبيد مرسلًا، قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أهل اليمن «أنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية على كل حال». الحديث» وبما رواه ابن زنجويه في الأموال مرسلًا قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكره، فهذه المرسلات إذا قيل إن كلا منها يقوي الآخر فتقوى بمجموعها على معارضة الأدلة الصحيحة المتصلة، فنقول إن أردتم ان العموم والخصوص بين جزيرة العرب وبين اليمن المفهوم من أمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمعاذ ان يأخذ من كل حال ديارًا فليست جزيرة العرب ما يصلح له لوضع واحد، وجزيرة العرب ليست كذلك بل هي علم شخصي كاليمن وصنعاء ومكة والمدينة ولو سلم ان العموم والخصوص بين اليمن وجزيرة العرب بناء على ما قدمنا من ان العام قد يقال على اللفظ المخرج عنه، وان لم يكن عامًا اصطلاحًا فالجواب عنه هو الجواب على التريديد. الثاني وهو ان العام المتأخر بمدة يسع للعمل ناسخ للخاص المتقدم كما سيأتي بيانه، وإن أردتم أن يهود اليمن خاص بالنسبة الى اليهود المذكورين في قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» وغير هذا فمسلم ولكن نمنع ان الخاص المتأخر بمدة يتسع للعمل غير ناسخ بل الصحيح انه ناسخ واليه ذهب جمهور أئمتنا والحنيفية وغيرهم، لان الخاص المتقدم وان كان نصًا في الاشخاص وفي زمان وروده، فليس بظاهر في زمان العام المتأخر فضلًا عن كونه نصًا فيه، والعام المتأخر صار نصًا في زمانه وظاهرًا في مدلول الخاص، فقابل نص نصًا وزاد العام بالظهور في مدلول الخاص فوجب ترجيح العام المتأخر، وحيث لا يلزم نسخ الاقوى بالأضعف لأن ورود العام بلا قرينة تدل على خروج الخاص مع ظهوره فيه أبطل قوته، واما قولكم: ان تقدم الخاص قرينة قوية على ان المراد بالعموم المتأخر هو الخصوص فصادته لأن الظاهر ان العموم

المتأخر رفع للخصوص المتقدم فانك لو أمرت عبدك ليشرى شيء معين ثم نهيته بعد ذلك عن شري كل شيء فانه لو شرى المعين لعدده العقلاء مخالفا للنهي غير ممثّل وشراؤه ليس مستندا فيه الى أمرك، ما ذاك إلا أنه قد صار محجورا حجرا عاما وكذا لو قلت له أكرم زيد التميمي، ثم قلت له بعد ذلك لا تكرم تميميا، فانه بعد النهي يكون مصيبا في الترك، واما عدم اخراج الخلفاء لهم من بقية الجزيرة التي منها اليمن، فاما كون أبو بكر رضي الله عنه فقد صرح العلامة محمد بن ابراهيم الوزير رضي الله عنه ورحمه الله بأن أبا بكر انما تراخى عن تنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باخراجهم لهيجان فتنة أهل الردة التي شغلتهم عن ذلك عقيب موت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واما عمر فقد أجلا جميع من قدر على اجلائه حتى لحق أكثرهم باطراف الشام وبعضهم بسواد الكوفة، قيل وكان (الذي) اجلاهم اربعين الفا من اليهود، وأما أمير المؤمنين كرم الله وجهه فشغله عن ذلك قتال البغاة معاوية وأصحابه، وقد قال في بني تغلب لان مكن الله وطأتي، واما بني امية وبني العباس فلا عبرة بفعلهم ولا تركهم واما الائمة الراشدين من أهل البيت عليهم السلام الذين في اليمن فمن طالع سيرهم وجد بعضهم شغله الجهاد عن ذلك. فان الذهبي ذكر في النبلاء أن الوقعات التي كانت بين الهادي عليه السلام وعلي بن الفضل ثمانون وقعة وبعضهم لم تتمكن وطأته ومن تمكنت وطأته منهم، وهم القليل فيحتمل انه رأى المصلحة في بقائهم فيما عدا الحجاز بناء على ان العلة في الاخراج وعدمه هي المصلحة، وهذا معارض بان العلة هي ما صرح به الشارع، وهي إرادة ان لا يجتمع دينان في جزيرة العرب، ولا يسوغ الاجتهاد في مقابلة النص اتفاقا، نعم يلزم من كونه لا يجتمع دينان في جزيرة العرب مصلحة كما تلزم المصلحة غيره من الأحكام فان جميع الأحكام مبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد، على ان الحجة قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا عبرة بما خالف وما ورد الشارع من قول احد أو فعله، كما بنا من كان، وبالجمل فلا دلالة في ترك أخراجهم من بقية الجزيرة التي منها اليمن على عدم جواز

إخراجهم منها، إذ عدم القول ليس قولاً بالعدم فضلاً عن أن يكون عدم فعلهم دليلاً على عدم جواز إخراجهم بجواز عدم التمكن أو الفراغ، لذلك كما قدمنا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل^(١).

(١) نقلت هذه الرسالة عن صورة المخطوطة بخط المؤلف المحفوظة في مكتبة الامبروزيانا في إيطاليا وكتبها المؤلف في المحرم من سنة ١٢١٩هـ، وقد حصلت عليها خلال عام ١٩٧٢م، كما حصل معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية على صورة مماثلة للتي حصلت عليها وصنفت تحت رقم ١٥٢٩ تاريخ. وقد أثبتتها كما وردت في الصورة دون تصحيح للأخطاء اللغوية أو النحوية. وجاء في نهاية المخطوطة:

انتهى ما أريد نقله من الأم بخط مؤلفها مولانا الإمام العلامة
صبارم الدين ابراهيم ابن عبد القادر ابن احمد غفر الله وليوالديه ولعن أمر
بنقلها وكتابها وقارئها أمين
في شهر محرم الحرام سنة ١٢١٩هـ.

الفهارس العامة*

- ١ - فهرس القرآن الكريم . ٤٥٣
- ٢ - فهرس الحديث النبوي . ٤٦٣
- ٣ - فهرس الاعلام . ٤٦٦
- ٤ - فهرس الأمم والطوائف والقبائل . ٤٩٤
- ٥ - فهرس الاماكن . ٥٠٧
- ٦ - فهرس الاشعار . ٥٢٢
- ٧ - فهرس المصادر والمراجع . ٥٢٧
- ٨ - فهرس الموضوعات . ٥٥٤

* لم نفهرس الفاظ: محمد ﷺ، والإسلام، والعرب، واليهود، والنصارى، والوثنية، والمشركون، وما يشتق منها، وذلك لشيوخ هذه الألفاظ في ثنايا الكتاب. ولم نفهرس كذلك الأحاديث النبوية في المعاهدات والكتب النبوية، كما لم نفهرس «الصحيفة» أو «الوثيقة» ملحق (٢).

١ - فهرس الآيات الكريمة

الآية ورقمها	الصفحة
--------------	--------

(سورة البقرة)

وإذا لقوا الذين آمنوا، قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم... / ١٤	٢٩٥
ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون... / ٧٩-٧٨	١٨١
هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً... / ٧٩	٤١٤
وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم... / ٨٥-٨٤	١٥٠
ولما جاءكم كتاب من عند الله مصدق لما معهم... / ٨٩	٢٨٦
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا... / ١٠٥-١٠٤	٢٨٩-٢٨٨
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية... / ١١٨	٢٨٧
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه... / ١٣٠	٢٠١-٢٠٠
وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من	
المشركين... / ١٣٥	٢٨٧، ٢٠٩، ٢٠١
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم... / ١٣٦	٢٩٣
ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم... / ١٩٨	١٧٧
وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً... / ٢٤٧	٤٢١
لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي... / ٢٥٦	٣٠٦، ٢٩٩
الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه	
الشیطان... / ٢٧٦-٢٧٥	١٧٩-١٧٨

(سورة ال عمران)

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم . . . ١٢/١٣	٣٠٨-٣٠٧
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك	
به شيئاً . . . ٦٤/	٢٩٣
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم . . . ٦٥-٦٨	٢٩١ ، ٢٠٩ ، ٤٠
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار	
واكفروا آخره . . . ٧٢-٧٤	٢٨٤
ليس علينا في الأميين سبيل . . . ٧٥/	٢٢٣
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤذه اليك الا ما دمت عليه قائماً . . . ٧٥/	٢٨٢ ، ١١٨
قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم . . . ٨٤/	
كل الطعام كان حلالاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه . . . ٩٣-٩٥	٢٨٩
قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً . . . ٩٥/	٢٠١
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله . . . ٩٩/	٢٨٣
يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب . . . ١٠٥-١٠٠/	٢٨٣
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم . . . ١١٨-١٢٠/	٢٩٤
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً . . . ١٣٠/	١٧٨
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء . . . ١٨١/	٢٨٢
الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول . . . ١٨٣/	٢٨٧

(سورة النساء)

الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة . . . ٤٤-٤٦	٢٨٧
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . . ٤٦/	٣٤٠ ، ١١٠
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك . . . ٤٨/	٤٤٦
الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت . . . ٥١/	٣٢٩
ومن أحسن ديناً من اسلم وجهه لله وهو محسن . . . ١٢٥/	٢٠١
بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . . . ١٣٨-١٣٩	٢٩٥
وأكلهم اموال الناس بالباطل . . . ١٦١/	١٧٨

(سورة المائدة)

اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب . . . ٥ /	٢٥٥
ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل ويعثنا منهم اثني عشر نقيباً . . . ١٢ /	٢٥٥
فأذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . . . ٢٤ /	٦٠
فان جاؤوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم . . . ٤٣-٤٢ /	٢٧٥
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه . . . ٤٨ /	٢٤٦
وان احكم بينهم بما انزل الله . . . ٥٠-٤٩ /	٢٩٢
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . . ٥٢-٥١ /	٢٩٧-٢٩٦
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً . . . ٥٨-٥٧ /	٢٨٦
قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنّا بالله . . . ٥٩ /	٢٩٢
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم . . . ٦٣ /	١٨٢

(سورة الأنعام)

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . . . ٢٠ /	٢٤٧
ما فرطنا في الكتاب من شيء . . . ٣٨ /	٤٢٢
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل . . . ٩٠-٨٤ /	٢٤٨
وما قدروا الله حق قدره . . . ٩١ /	٢٨٧
وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه . . . ٩٢ /	٢٤٦
أفغير الله أبغعي حكماً وهو الذي انزل اليكم الكتاب . . . ١١٤ /	٢٤٨-٢٤٧
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . . . ١٤٦ /	٢٩٠
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم . . . ١٦١ /	٢٠١

(سورة الأعراف)

- فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين... ١٠٧/ ٤١٧
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
والانجيل... ١٥٧/ ٢٤٩
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق... ١٥٩/ ٥٠
قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله... ١٨٨/ ٢٢٨

(سورة الأنفال)

- وما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء... ٥٨/ ٣٠٧

(سورة التوبة)

- فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا... ٢٨/ ٤٤٥
حتى يعطوا الجزية... ٢٩/ ٤٤٦ ، ٤٤٥
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً... ٣٦-٣٧/ ١٩٦
الأعراب أشد كفراً ونفاقاً واجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله... ٩٧/ ٦٥
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً... ١٠٢/ ٣٤٢

(سورة يونس)

- وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله... ٣٧/ ٢٤٧
وأوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً... ٨٧/ ٥٩
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاستل الذين يقرءون الكتاب... ٩٤/ ٢٤٧

(سورة هود)

- ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه... ١١٠/ ٢٥٠

(سورة يوسف)

- اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ... ٣٧/ ٢٠١
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ... ٣٨/ ٢٠١
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ... ١١١/ ٢٤٦

(سورة النحل)

- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ... ١٠٣/ ٢١٥ ، ١١٠
ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً ... ١٢٣/ ٢٠١

(سورة الاسراء)

- وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ... ٨١/ ٢٥٤

(سورة الكهف)

- اذ آوى الفتية إلى الكهف ... ١٠/ ٤١٨

(سورة مريم)

- يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ... ٧-١٠/ ٢٥٣
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ... ٣٤-٣٦/ ٢٥٢
قال أراغب عن الهتي يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجنك ... ٤٦-٤٨/ ٤٥
رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ... ٦٥/ ٢٥٣

(سورة طه)

- وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ... ١٣٣/ ٢٤٧

(سورة الأنبياء)

وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم... ٧/ ٢٤٨
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين... ٥٦-٥١/ ٤٠
وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر... ٨٤-٨٣/ ٤١٩
ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون... ٩٢/ ٢٤٨

(سورة الحج)

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر... ٢٨-٢٧/ ١٧٦
أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير... ٤١-٣٩/ ٢٦٧
ملة أبيكم ابراهيم هو سماءكم المسلمين... ٧٨/ ٢٠١

(سورة المؤمنون)

قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعملون... ٨٥-٨٤/ ٢٠٨

(سورة النور)

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً... ٦٣/ ٣٣٢

(سورة الشعراء)

اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل... ١٩٧/ ٢٤٧

(سورة النمل)

قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين... ٤٤/ ٧١، ٥٨
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون... ٧٨-٧٦/ ٢٥٢

(سورة العنكبوت)

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن... ٤٦/ ١١٠ ، ٢٥٤
وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به... ٤٧/ ٢٥٠

(سورة السجدة)

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه... ٢٣-٢٥/ ٥٩ ، ٢٥١

(سورة الأحزاب)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود... ٩-١٣/ ٣٣٨
وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم... ٢٦-٢٧/ ٣٤٧
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى... ٦٩/ ٢٩٣ ، ٢٩٤

(سورة سبأ)

ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبي معه والطير... ١٠-١١/ ١٧٥
لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وعن شمال... ١٥-١٦/ ١٤٨

(سورة فاطر)

والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق... ٣١/ ٢٤٧
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق... ٧/ ٢٠١

(سورة الزمر)

ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله... ٣٨/ ٢٠٨

(سورة غافر - المؤمن -)

ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب... / ٥٤-٥٣ ٢٤٨

(سورة فصلت)

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه... / ٤٥ ٢٥٠

(سورة الشورى)

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا اليك... / ١٤-١٣ ٢٥٠ ، ٢٤٨
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم... / ١٥-١٤ ١١٠

(سورة الزخرف)

ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة... / ٦٥-٦٣ ٢٥٠

(سورة العنكبوت)

ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة... / ١٧-١٦ ٢٥١

(سورة الأحقاف)

وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً... / ١٢ ٢٤٧

(سورة محمد)

ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى... / ٢٦-٢٥ ٢٩٦

(سورة الفتح)

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ٢٠/... ٣٦٣
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ٢٧/... ٣٦٣

(سورة المجادلة)

الم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ١٤/... ٢٩٦

(سورة الحشر)

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ٢/... ٣٢٣
ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ٥/... ٣٢٣
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى ٨٧/... ٣٢٤ ، ٣٢٥
والذي تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ٩/... ٣٢٦
الم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا ١١-١٢/... ٣٢٢ ، ٢٩٦
لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم
شديد ١٤/... ٣٧١ ، ٣٦٢ ، ٣٢٢ ، ١٥١

(سورة الممتحنة)

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ٨-٩/... ٢٩٧
يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ١٢/... ٢٣٤

(سورة الصف)

واذ قال موسى لقومه، يا قوم لما تؤذونني ٥/... ٢٩٣

(سورة الجمعة)

هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم... ٦-٢ ٢٨٦ ، ٣٤

(سورة المدثر)

وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة، وما جعلنا عدتهم الا فتنة... ٣١/ ٢٤٦

(سورة البروج)

قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود... ٨-٤ ١٣٥

(سورة الأعلى)

ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى... ١٩-١٨ ٢٤٦ ، ١١٠

(سورة الفيل)

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل... ١/ ١٣٦

(سورة المسد)

تبت يدا ابي لهب وتب... -/ ٢٢٢

(سورة الإخلاص)

قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ٢٨٨

فهرس الأحاديث*

الحدیث	الصفحة
--------	--------

(أ)

أبشروا قد ترحبت خبير وتيسرت	٣٦٩
أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسلمه اليكم	٣٩٥
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٤٤٦ ، ٣٩٨
إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم	٤١٣
إذا قالوا لك أو فاخروك فقولني : ابي هارون وعمي موسى	٣٧٩
أفركم ما أفركم الله	٣٩٧
الآن نغزوهم ولا يغزوننا	٣٥٠
الله اكبر خربت خبير	٣٦٥
اللهم انك قد عرفت حالهم ، وان ليست بهم قوة	٣٦٩
اللهم رب السماوات وما اظللن ورب الرياح وما اذرين	٣٦٥
العقل على المؤمنين ولا يترك مفرح في الإسلام	٢٦٧
المدينة حرام ما بين عاير إلى كذا	٢٦٨
آمن لسانه وكفر قلبه	٢١٤ ، ٢١٣
ان احببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله علي من بني النضير	٣٢٥
ان الختان من خصال الفطرة	٢٠١
ان النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلم	٢٦٩
انشدك بالذي انزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة ان الله يغض	
الحبر السمين	٢٨٧
انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فإن الحرب خدعة	٣٣٦
ان من اعتبط قتلاً عن بينة فانه قود	٢٦٩
اننا لا نريد ان يقال بأن محمداً يقتل اصحابه	٢٩٥
انه من كان على يهوديته أو نصرانيته	٤٤٩
أو قد رأيت ذلك يا سلمان	٣٣٢

* الفهرسة لأحاديث متخبة ، ولا تشمل الأحاديث الواردة في كتب الأمان أو المعامدات .

(ح)

حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار انس بن مالك ٢٦٩

(ق)

قد حكمت حكم الله ورسوله ٣٤٣

قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم ٢٩١

(ك)

كاد ليسلم او كاد ليسلم في شعره ٢١٤

كان اليهود يغزون مع رسول الله فيسهم لهم ٢٧٢

(ل)

لئن عشت ان شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٣٩٨ ، ٤٤٦

لأخرجن اليهود والنصارى ٣٩٨ ، ٤٤٩

لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ٣٦٦

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ٣٣٢

لا تخرجوا الا راغبين في الجهاد ٣٦٧

لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٤١٣

لا حاجة لنا فيهم ٢٧٤

لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا ٣٤٧

لا يقتل مؤمن بكافر ٢٦٩

لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ٢٢٢

لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ٣٩٦

(م)

- ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ٢١٢
من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ٣١٥
من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ٣١٣

(و)

- والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ٢١٨
ولا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك ٢٧٤

(ي)

- يا بني عبد مناف أي حوار هذا ٢٢٢
يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية ٢٢٥
يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ٢٩٤، ٤١٣-٤١٤

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
---------	--------

(أ)

ابراهيم بن جعفر بن محمد بن مسلمة	٣١٤
ابراهيم الخليل	٩ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧-٤١ ، ٤٣-٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧٤ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٤١١ ، ٤٢٣
ابرهة الأشرم	١٥٨ ، ١٤٧ ، ١٤٠ ، ١٣٨
ابروبيوس	١٣٩
أبشعر	١٢٣
ابكار السقاف	١٦
أبي بن خلف	٢١١
أبيل العربي	٦٨
أثناسيوس	٩١
احزيا	٧٢
احمد بن حنبل	٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٦ ، ٤١٣ ، ٢٦٤
احمد بن خباب (ابو الوليد)	٢٦١
احمد سوسه	١٦
احمد بن صالح (القاضي)	٤٤٦ ، ٤٤٥
احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري	٤١٨
أحمس	٥١

الأحنف بن قيس	٤٠٥
أحيحة بن الجلاح	١٧٨
أخاب (الاسرائيلي)	٧٣ ، ٦٦
ابن أخطب	٣٤١
اخناتون	٥٤ ، ٥١ ، ٣٥
الأخنس بن شريق	٢١٩ ، ٢١٨
أخيش	٧٥
آدم عليه السلام	٤١٢
أبادجانه	٣٢٥
أذينة (بن السميدع)	٩٣ ، ٩٢
آرام	٧٦
ارباب بن رثاب	٢٠٩
ارتختشا	٧٧ ، ٣٢
آرثر كوزلر	٢٥ ، ١٧
ارسطوبولس	٨٦-٨٤
الأرقم بن أبي الأرقم	٩٩
ارنولد توينبي	٣٠٧
ارباط الحبشي	١٣٨
ازار بن أبي أزار	٢٩١
أسا	٧٢
استير	٣٢
اسحق	٤١١ ، ٢٥٩ ، ٣٩
ابن اسحاق	٢٦٠-٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ ،
	٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
	٣٩٦ ، ٣١٦
أسد بن عبيد	٣٤٦
اسرائيل (راوي)	٢٦٧
اسر-حدون	٤٣

أسعد أبا كرب (أبا تيان)	١٢١
أسعد بن زرارمة بن عدس أبي أمامة	٢٣٤
اسكندر بالس	٨٢
الاسكندر المكدوني	٣٦٧ ، ٣٥١ ، ٢٢٨ ، ٨٩ ، ٨٦-٨٤
اسماعيل	٢٩١ ، ١١٩ ، ١١٥ ، ٨١
اسنات بنت فوطي فارغ	٥٠
الأسود العنسي	٣٩٠
أسيد بن حضير	٣٣٤ ، ٢٣٤ ، ١٤٥
أسير بن زارم	٣٦٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٢٣
الأشتر	٢٦٨
ابن الأشرف (كعب)	٣١٥-٣١٣
أشعيا	١٩٩
آشه (الحجر)	٩٢
الأصفهاني (أبو الفرج)	١٩٣ ، ١٨٨ ، ١٨٥ ، ١٩ ، ١٢
الأعشى (الشاعر)	٤٤٩ ، ٤٠٨ ، ١٩١ ، ١٨٧-١٨٥
أغسطس	٨٤
اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩
افرايم	٥٠
أكرم العمري	٢٢ ، ١٤
التيמותاس	٨١
الكسندرا	٧٠
الوهيم	٣١
الياس	٤١١
اليعازار التيماني	٦٦
اليوس جالوس	٢٠٦
اليهو	٦٧
امرىء القيس	١٨٩-١٨٧
أمنحوتب الثالث	٣٥
أمية بن خلف	٢٧٩ ، ٢١١

أمية بن أبي الصلت	٢١٦-٢١٣
أمين النجراني	١٣٩
أمية بن قلع	١٩٧
انتبائر الأدومي	٨٢
انتبترس	٨٥ ، ٨٤
أنس بن مالك	٣٧٩ ، ٢٦٩
انطيوخس بن الاسكندر	٨٢
أهوبا بن اسماعيل	٤٣
اوبيل الاسماعيلي	٦٨
اوس بن دبي القرظي	١٩٣
اوس بن قبطي	٢٨٣
ابن أبي أويس	٣١٤
اياس بن معاذ	٢٣١ ، ٢٣٠
ايدوج	١٣٦
ايلوس غالوس	١٢٤
ايلوما - ايلوم	٤١
ايملوكميل	٨٢
أيوب	٤٢٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٠ ، ٦٦-٦٨ ، ٣٢
أيوب بن أموص	٤١٩
أيوب بلدد الشوحي	٦٦

(ب)

باذان (باذام)	٢٢٣
بارون	١٣٢ ، ١٢٨
بحيرا الراهب	٢٠٩
البخاري	٢٦٣
البراء بن معرور	٢٣٥

أبا براء بن عازب ٣١٩
برّة بنت سموءل ١٨٦
برتولمائي ١٣٣
بروكلمان ١٨٨
بروكوب ١٣٧
اليزار ٤١٣
بشر بن براء ٣٧٩
بطليموس ١١٢ ، ٨٢
البغدادى (الخطيب) ٣٧٥ ، ٢٧٣
ابوبكر الصديق ٢٣ ، ٢٤ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٨٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٩ ، ٤٥٠
البلاذري ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ١٢
بلال بن رباح ٢١١
بلقيس ٧٠ ، ٥٨ ، ١٧
بليمنوس ١٠٢
بمبيوس ١٢٣ ، ٨٦
بنتينوس (القس) ١٣٣
بنيامين مزار ١٢٣
بولان ٥٨
بولس ٩١ ، ٧٩
بولص السمساطي ٩١
بومبي ٦١
بومبيوس ٨٤
اليهقي ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩

(ت)

٤٤ ، ٤٣	تارح
١٣٤	التامر
١٣١	تاو فيلس السيلاني
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٢٢	تبان أسعد أبا كرب
١٩	التبريزي
١٠٥	تبمع
٩٠ ، ٨٩	تجلات بلازر
٥٠ ، ٤٩ ، ٤٧	تحوتمس الثالث
٨٩	تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع
٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٣٩٨ ، ٢٧٢	الترمذي
٨٢	تريفون
٧١	تلخونو
١٨٩	أبي تمام
٢٧٧	توماس ارنولد
٥١	تي
١١٧	تيطس
٦٦	تيمان بن عيسو
٤١٢	تيفون
٣١٤	ابن تيمية
٢٣٨	ابن التيهان

(ث)

٣٤٥	ثابت بن قيس بن شماس
٤١٩	الثعلبي النيسابوري
٤٤٨	أبي ثور
١٢٥	ثيوفيلس

(ج)

جابر بن عبد الله ٤١٣ ، ٣٩٨ ، ٣٧٧ ، ٣١٤ ، ٣١٣
جابر (جبر) ٢٥٠
جارستنچ ٥٠
جبار بن صخر ٣٩٣ ، ٢٨٣ ، ٣٨٠
جبريل (جبرائيل) ٢٥٣ ، ٢٢٨
جبل بن جوال بن صفوان الثعلبي ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٤٤ ، ١١٩
جبير بن مطعم ٢٣٩
جبيلة بن الأيهم ١٥٧
أبو جبيلة الغساني ١٦١ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤
جليات ١٧٤ ، ٧٥
أبي أحيحة ٢٦٨
ذي نواس ١٩٧
ابن جريج ٣٩٨
جسم بن شهر ٧٨
جشم العربي ٧٨ ، ٧٧
جعفر بن محمد الصادق ٤١٢
جفينة النصراني ٤٠٢
جلالز ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٢٩ ، ١٢٣-١٢١ ، ١٠٣
جمال حمدان ٥٧
الجمالي (العلامة) ٤٤٦
الجمحي ١٩٣
أم جميل (حمالة الحطاب) ٢٢٢
جميلة ٨٠
جنادة بن عوف (ابو ثمامة) ١٩٧
جندب العربي ٦٦ ، ٦٥ ، ٣٧
أبو جهل بن هشام ٢٧٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠-٢١٨ ، ٢١١

جهم بن الصلت	٣٨٥
جواد علي	٢١٠ ، ١٧ ، ١٤ ، ١١
جورج بوست	١٧
جورجي زيدان	١٧
جوزيف (يوسف)	٤٤٠ ، ٤٣٩
جوليات	٩
جويرة بنت الحارث	٣٥٩

(ح)

ابن أبي حاتم	٢٨٧
الحارث	٣٩٥ ، ٨٥ ، ٨٠
الحارث الأعرج	١٥٧
الحارث بن أوس	٣١٣
الحارث بن أبي زينب	٣٦٩
الحارث بن أبي شمر الغساني	١٨٧
الحارث بن ظالم	١٨٧
الحارث النبطي	٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣
الحارث بن عوف المري	٣٦٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥
الحاكم	٤٤٨
حباب بن صخر السلمي	٣٩٢
حتشبسوت	٥٠
الحجاج بن علاط السلمي	٣٧٢
الحجاج بن يوسف الثقفي	٢١٦ ، ٢١٤
حذيفة	٢٥٥
حزقياس	١٠٣ ، ٧٦ ، ٣٧
ابن حزم	٤٤٩ ، ٤١١
حسان بن ثابت	٣٥٢ ، ٣١٢ ، ١٩٤ ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٣٠ ، ١٢٩
حسن إبراهيم حسن	٢٤

١٢٨	حسن بن تبان أسعد
٢٧٢	الحسن بن عمارة
٤٤٥	حسين المغربي (القاضي)
٢٦٣ ، ٢٢	حسين مؤنس
١٦٣	الحصين بن الأسلت
١٦٤	حضير الكتائب بن سماك
٣٨٠ ، ٣٢٥	ابن أبي الحقيق بن كنانة
٣١٠ ، ٢٦٧	حمزة بن عبدالمطلب
٤٣	حمورابي
٣٧٥	حميد الله، محمد
٢٧٤ ، ٢٧٣	أبي حميد الساعدي
١٢	أبو حنيفة الدينوري
٣٩٥ ، ٣١٥	حويصة بن مسعود
١٣٣	حيان
٤٤٨ ، ٢٦٢	ابن حيان البشتي
١٨٠ ، ٧٢ ، ٦٨	حيرام (أحيرام)
٢٣١ ، ٢٣٠	أبو الحيسر أنس بن رافع
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١	حي بن أخطب
٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥	
٣٨٠ ، ٣٦٢ ، ٣٥٣	

(خ)

٤٢١	الخازن
٣٧٩	أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري
٣٨٣ ، ٢٢٥	خالد بن سعيد بن العاص
٢١١	خباب بن الأثر
٣٤٦	ابن خراش
٢٠	الخزاعي
٤١١ ، ٤٠٢	الخضري (الشيخ)
٣٤٦ ، ٣٤٥	خلاد بن سويد بن ثعلبة

١٥٧	ابن خلدون
٤٠٥	ابو خنيس سهم الأزدي
٣٢٨	خوات بن جبير
١٢	ابن خياط
٢٦٣ ، ٢٦١	ابن أبي خيثمة

(د)

٤٤٨	الدارقطني
١٨٨	دارم بن عقال
٤١٢ ، ٤١٠ ، ٣٢	دانيال
٤٤٨ ، ٦٤ ، ٢٣٦ ، ١٩١ ، ١٨٥ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ٧٥ ، ٦٨ ، ٣٢	داود (النبي)
٣٧٨	دحية الكلبي
٣٦	درايفر
١٨٥	ابن دريد
٤٤٧	ابن دقيق العيد
٤١	دوتي
١٣٨	دوس ذو ثعلبان
٨٢	ديمتريوس الثاني
٥٠ ، ٨	ديورانت
٤٠٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤	ابي ذر الغفاري
١٢٣	ذمم
٤٥٠	الذهبي
١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٣٨-١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٩-١٢٧ ، ١٢٢	ذونواس
٩٣	أبو الذيال
٢٢٨	ذي القرنين

(ر)

٣٩٢	رأس الجالوت
٣٩١	راشد بن حذيفة

٢٩١	رافع بن أبي رافع
٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ١٧٩	أبي رافع
٣٦٤ ، ٣٥٤ ، ٢٣	أبي رافع سلام بن أبي الحقيق
٣٨٠ ، ١٩٣ ، ١٦٦	الربيع بن أبي الحقيق
١٦٣	ربيع الظفري
٤٢١	رحمة (زوجة أيوب)
٤١٧-٤١٥	رشيد رضا
٥١	رعمسيس
٣٤٦	رفاعة بن سموأل
١٨٥	رفاعة بن كعب بن عمرو
٣٤٣	رفيدة
٤٢١	رمزي نعناعة
١٦١	الرمق بن زيد بن غنم
٣٤٦	ريحانة بنت عمرو
٤١١	ريقا بنت نبؤال
١٣٠	ذو رعين الحميري

(ز)

١٨٦ ، ٩٤-٩١ ، ١٧	الزباء
٨٢	زبدائيل
٤٠٩ ، ٣٩٦ ، ٢٢١ ، ٤١	الزبير
٣٩٨	أبو الزبير
٣٤٥ ، ٣٤١	الزبير بن باطا
٤٢٩ ، ٤٠٥ ، ٣٣٤ ، ٢١٧	الزبير بن العوام
٧٠	زبيبة
١٣٢ ، ١٢٨	زرعة بن تبان أسعد
٢٥٣	زكريا
٤٤٩ ، ٢٦١	ابن زنجوية

الزهرى ٢٦٤-٢٦٢ ، ٢٧٤-٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ ، ٤٠٥
زهير بن حرب ٣٩٨
زيد التميمي ٤٥٠
زيد بن ثابت ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٢٧
زيد بن حارثة ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٠٣
زينب ابنة الحارث ٣٨٠ ، ٣٧٩
الزيلعي ٢٧٣

(س)

ساره ٤٥
سالم بن عمير بن ثابت ٣١١
ابن سبأ (عبدالله بن السوداء) ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣
سبأ بن يسجب بن يعرب ١٤٦
سترابو (سترابون) ١٢٤ ، ٨٣
سجاح ٣٩٠
سحنون ٢٧٤
ابن سعد (محمد) ٣٩٩ ، ٣١٦ ، ٢٧٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٢ ، ١١
سعد بن عبادة ٣٤٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٠٨ ، ٢٣٩
سعد بن معاذ ٢٣٤ ، ٢٧٩ ، ٣٢٥ ، ٢٣٦-٢٣٤
 ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٤٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢

٣٧٥ ، ٣٥٢

سعد بن أبي وقاص ٤٢٩ ، ٢١٧
ابو سعد بن وهب ٣٢٧
سعيد بن جبير ٢٨٧
سعيد بن المسيب ٤٠٥
ابو سعيد مولى ابي أسيد الأنصاري ٤٠٥
سعيه أخ السموأل ١٩٠
ابنا سعيه ٣٤٦

ابو سفيان بن حرب	٢١١ ، ٢١٧-٢١٩ ، ٣١١ ، ٣١٧ ،
	٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨
سفيان بن عيينة	٣٢٥
سفيثو سلاف	٤٤٠
السكاكي	٤٤٧
ابن سلام (الجمحي)	١٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤
سلام بن أبي الحقيق	٣٢٣ ، ٣٢٨
ابن سلام (عبدالله)	٤١٧
سلام بن مشكم	١٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
سلمان الفارسي	١١٩ ، ٢٣١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
أم سليط	٣٤٧
سليمان بن داود	١٧ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ،
	٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٤١٩
ام سليم بنت ملحان	٣٧٩
سماك اليهودي	١٩٣
سمشوديتانا	٤٢
السمهودي	١١٤-١١٦ ، ١٨٥-١٩١
السميراء بنت قيس الأنصارية	٣٤٧
سمير	١٦٦ ، ١٦٣
سمية	٢٢١
ابي سنان بن محصن بن حرثان	٣٤٧
سنبط الحوروني	٧٧ ، ٨٣
سنحاريب	٣٧ ، ٧١ ، ٧٦
سنوسرت	٤٢ ، ٤٥
ابن سنيئة	٣١٥
سهل بن حنيف	٣٢٥
السهيلي	٢٧٢
ابن سيد الناس	٢٦٠-٢٦٢
سيديو	١٥٦

(ش)

شاس بن قيس	٢٩٢ ، ٢٨٣ ، ١٦٨
الشافعي	٣١٤
شاهين مكاربوس	١٠٦
ابو الشحم اليهودي	٣٦٣ ، ٣٤٧
شرآ	١٢٣
شرحيل بن يعفر	٣٨٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣
انوشروان	٤١٦
شريح بن حصين بن عمران	١٩٣ ، ١٩١ ، ١٨٧
شريح بن السمؤال	١٨٥
الشريد بن سويد (او بن عمرو)	٢١٤
شعبة (سعيه) بن الغريض	١٩٣-١٩١
شكاروس	٨٤
شلمناصر الثالث	٧٣ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٣٧ ، ٣٣
شمسي	١٢٣ ، ٧٠
شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي	٢٣
شمعون الأرسمي	١٣٨ ، ١٢٥
شمعيا بن لاديا	٧٧
ابن شهاب	٢٦١
شوح بن ابراهيم	٦٦
شنية بن ربيعة	٢١٧ ، ٢١١
شيخو (لويس)	١٩١-١٨٨
شيشق	٤٣

(ص)

٤٤٥ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٣	صارم الدين بن عبد القادر
١٤	صالح العلي
٣٥٨	صفوان بن أمية
٤٣٥ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٠ ، ٣٦١ ، ٣٠١ ، ١٨٥	صفية بنت حيي بن أخطب
٣٤٧ ، ٣٣٦	صفية بنت عبد المطلب
٢٩٢	ابن صلوبا
١٨٩ ، ٩٢	صموئيل
٢٥٠	صهيب الرومي
٢١١	صهيب بن سنان

(ض)

٣٩٨	الضحاك بن مخلد
٣٥٢	ضرار بن الخطاب

(ط)

٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢١٢	أبو طالب
٣١٦ ، ٢٩١ ، ٢٦٧ ، ١٢٨ ، ١٢	الطبري أبو جعفر محمد بن جرير
١٦٤	طلحة بن اياس
٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٩٧ ، ٣٨٥	طلحة بن عبيد الله
٣٩٠ ، ٣٦٤	طليحة بن خويلد الأسدي
٢٢	الطنطاوي
١٨٤ ، ١٩	طه حسين
٧٨ ، ٧٧	طوبيا

(ع)

عائشة	٤٤٦ ، ٤٠٨ ، ٣٤٤ ، ٢٥٤
عابر	٣٧ ، ٣٥
عادل زعيتر	٢٠
عادياء بن حباء	١٩٠ ، ١٨٦ ، ١٨٥
ابو العاص بن الربيع	٣٥٨
العاص بن وائل	٢١١
عاقبة (رايبي)	١٢٤
ابي عامر الراهب	٢١٥
ابي عامر بن صيفي	٢٠٩
عامر بن الطفيل	٣١٩
عامر بن فهيرة	٢١١
عامر اليهودي	٣٦٩
عباد بن بشر	٣١٣
عباد بن حذيفة	١٩٧
عبادة	٨٠
العباس بن عبدالمطلب	٤١٥ ، ٣٧٢ ، ٢٣٤
ابن عباس	٤٤٦ ، ٤١٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٥٥
عباس بن مرداس	٣٢٨ ، ٣٢٧
عبدالله بن أبي حذرر السلمي	٣٦٣
عبدالله بن أبي بن سلول	١٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥
	٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢١
	٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩
ابن عبدالبر	١٨٥
عبدالله بن التامر	١٣٤
عبدالله بن جحش	٢٥٥
عبدالله بن جدعان	٢٠٧
ابو عبدالله الحاكم	٢٧٣

عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب	٢٦٣
عبدالله بن عتيك	٣٥٥
عبدالداز بن جبر	١١١
ابن عبدويه	١٢
عبدالرحمن بن أبي بكر	٤٠٢
عبدالرحمن الثالث	٤٣٩
عبدالرحمن بن عوف	٣٥٩ ، ٢١٧
عبدالله بن رواحة	٤٢٩ ، ٣٩٥ ، ٣٨٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٠٣ ، ٢١٧
عبدالله بن سلام	٣٤٤ ، ٢٨٠ ، ٢٧٣ ، ٢٣١ ، ١٨٢
عبدالله بن سهل	٣٩٧ ، ٣٩٥
عبدالله بن صالح	٢٦١
عبدالله صوريا	٢٩٢ ، ٢٨٨
عبدالعزیز الدوري	٤١٧ ، ١٤
عبدالله بن عمر	٣٩٧ ، ٣٩٦
عبدالله المازني	١٩٠
عبدالفتاح شحاته	١٤
عبدالقاهر	٤٤٧
عبدكلال بن مثوب	١٣١
عبدالمطلب	٢١٩ ، ٢١٢
عبدالمك بن مروان	٢٦٨
عبيدالله بن موسى	٢٦٧
ابو عبيد القاسم بن سلام	٤٤٩ ، ٣٢٥ ، ٢٧٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١
ابي عبيدة	٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٣٥٨ ، ٢٢١
عتبة بن ربيعة	٢١١
عتيبة بن ربيعة	٢١٧
عثمان بن الحويرث	٢٠٦
عثمان بن عفان	٣٥١ ، ٣٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٢١ ، ٢١٧ ، ٢٤
	٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣-٤٠٧ ،
	٤٠٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦

عثمان بن مالك بن العجلان	١٥٦
عثمان بن مظعون	٢٢٥ ، ٢٢٤
عداس الرومي	٢٥٠
عدي بن زيد	٢٨٦
عزرا	٧٦ ، ٧٥ ، ٦٨ ، ٣٢ ، ٣١
العش (يوسف)	٢٦٣
عصماء بنت مروان	٣١١
أبي عفك اليهودي	٣١١
عقبة بن أبي معيط	٢٢٧ ، ٢٢٢
عقيل بن خالد	٢٦١
عكاشة بن محصن الأسدي	٣٥٨
عكرمة بن أبي جهل	٣٣٧
أم العلاء الأنصارية	٣٤٧
علاء الدين ابو الحسن علي بن محمد	٤١٨
علي بن أبي طالب	٢٤ ، ١٩٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣١٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦
	٣٧٣-٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٩
	٤٠٧-٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٣٦
علي اسماعيل النهمي	٤٤٠
علي بن عبدالله	٣١٣
علي بن الفضل	٤٥٠
ابي عمار الوائلي	٣٢٩
عمار بن ياسر	٣٧٥ ، ٣٧٤
ام عمارة	٣٤٧
عمارة بن الوليد	٢٢١
عمرام بن فاهت بن لاوي	٥٠
عمر بن الخطاب	٢٤ ، ٩٧ ، ١٥٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩١-٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨-٤٠٤ ، ٤١٠-٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥
	٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠

عمر بن عبدالعزيز	٤١٦ ، ٤٠٥
عمرو بن أمية	٣١٩
عمرو بن تبان أسعد	١٣٠ - ١٢٨
عمرو بن جحاش	٣٢٠
عمرو بن حزم	٢٦٩
عمرو بن دينار	٣٢٥
عمرو بن سعدي	٣٤٦
عمرو بن شعيب	٢٦٩
عمرو بن علي الفلاس	٤١٧
عمرو بن لحي	١٩٩
عمرو مزيقيا	١٨٥
عمرو بن النعمان البياضي	١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٠
عمير بن عدي	٣١١
عوف بن أمية	١٩٧
عيسى عليه السلام	٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٤١٢ ، ٤٢٠
ابو عيسى بن جبر	٣١٣
عينه بن حصن الفزاري	٣٦٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥

(غ)

غريف الشاعر	١٩٠
غزال بن السموأل	٣٤٥
غوثيه	١٩ ١٤
غوستاف لوبون	١٠٧ ، ٢٠ ، ٨

(ف)

فارح	١٦٣
فان فلوتن	٢٤

٤١٧، ١١٠، ٦١، ٤٥	فرعون
٣٩٢، ٣٨٠	فروة بن عمرو البياضي
٥١، ٥٠	فرويد
٥٨	ابن فضلان
١٥٣	القطيون
٢١١	أبي فكيهه
٤١	فلبي
٢٦٥	فلهاوزن
٤١١	فنجاس بن اليعازار
٢٨٢	فنجاص
٩١	فوتبوس
١٣٣	فيلبس المبشر
١٣١، ١٢٥	فيلوستر جيوس
١٢٧	فيلوكسينوس
١٠٠	فيلون المصري
١٣٤	فيميون (حيان)

(ق)

٣٧٥	ابو القاسم علي بن الحسن
١٨٥، ١٩، ١٢	ابن قتيبة
١٢٥	قسطنطين
١٣١	قسطنطينوس الاروسي
٢١٢	قصي
١٩٧	قلع بن عباد
١٩٧، ١٩٥	القلمس (حذيفة بن عبد فقيم)

٢٣١	ابو قيس بن الأسلت
١٥٢	قيس بن الخطيم
١٩٣	ابو قيس بن رفاعه
٤٠١ ، ٣٣٥ ، ١٨٧ ، ١٣٨	قيصر الروم
٤٧٤	ابن القيم

(ك)

١٣٩ ، ١٣٨	كالب
١٨٥	الكاهن بن هارون بن عمران
٢٦٥	كايتاني
٣٤٧	كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة
٢٦٠	ابن كثير
٢٦٣-٢٦١	كثير بن عبدالله المرني
١٥٥	كرب حسان بن أسعد الحميري
٣٥٩	كرز بن جابر الفهري
١٣٩	كريتر
٩٤	كريس
٤١٦ ، ٣٣٥ ، ٢٢٣	كسرى
١٦٣	كعب (من بني ثعلبة)
٤١٦-٤١٤ ، ٤١٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢	كعب الأحبار
٣٤٦-٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٣٣٦-٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣١ ، ٢٩٢	كعب بن أسد القرظي
٣٥٥ ، ٣١٧ ، ٣١٥ ، ٣١٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠١ ، ١٩٤ ، ١٩٢	كعب بن الأشرف
١٨٥	كعب بن عمرو بن عامر
١٦٣	كعب بن عمرو المازني
٣٥٣ ، ٣٥٢	كعب بن مالك
٢٢٨	ابو الكلام آزاد
١٢٢	ابن الكلبي
٣٧٨ ، ٣٦٤ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣ ، ١٨٦	كنانة بن أبي الحقيق
٢٢٨ ، ١٥٩	كورش

(ل)

أبولابة بن عبدالمنذر	٣٤٢ ، ٣١٠
لخنيعة ينوف ذو شناتر	١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٥٤
أبولهب	٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١١
لوط	١٥٤ ، ١٣١
لوقا	٢٥٣
أبولؤلوة	٤٠٣-٤٠٠
الليث بن سعد	٢٦١

(م)

ماربولس	١٢٧
مارتن لوثر	٣٢
مارتوما	١٣٨
مارجليوث	٣٦٧ ، ١٣٢ ، ١٢٣ ، ١٠٣ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٠ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٣
مالك بن العجلان	١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٥٦-١٥٤ ، ٨٠
مالك بن أنس	٢٦٣
مالك بن أوس	٣٢٥
مشارا	١٢٣
محمد بن ابراهيم	٤٥٠
محمد الباقر بن جعفر الصادق	٢٦٣
محمد بن حبيب	١٨٥
محمد حميد الله	٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٣
محمد زكي ابراهيم	٢٤
محمد بن سلام الجمحي	١٨٤
محمد سيد طنطاوي	٢١
محمد بن كعب القرظي	٣٣٣
محمد بن مسلمة	٣٦٩ ، ٣٦٦ ، ٣٥٨ ، ٣٤٤ ، ٣٢١ ، ٣١٣ ، ١٩٢

٣٩٥ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧ ، ٣١٥	محيصة بن مسعود
٣١٩ ، ٣١٨ ، ٢٨٠	مخيريق اليهودي
٤٠٥	مرتضى العسكري
١٣٢	مرثد عيلان (احسان)
٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ١٩٣	مرحب الخبيري
٤٧	مرفتاح
٤٠٨	مروان بن الحكم
٢٥٨	مريم العذراء
٥١	موريس كوهن
٢٦٣	المزني
٣٥٢	مسافع بن عبدمناف
٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٠٨ ، ١٣٢	مسروق
١٤٨	المسعودي
٣٩١	المسورين عمرو
٢٨٦	مسكين
٤٤٦ ، ٢٦٣	مسلم
٣٩٠	مسيلم الكذاب
٣٥٤	ابن مشكم
٢٤٠ ، ٢٣٤	مصعب بن عمير
٣٩٧	مظهر بن رافع الحارثي
٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٥ ، ٣٩٩ ، ١٩٣	معاذ بن جبل
٣٧٥ ، ١٩٢	معاوية بن أبي سفيان
١٣٢	معد كرب يعفر
٣٢٥	معمر بن راشد
.....	معنوم
٤٠١	المغيرة بن شعبة
٥٨	المقتدر بالله
٣٩٦	المقداد بن الأسود
٤١١	ملكيصديق بن عامر

١٢٣	مناحيم قيل حمير
١٦٣	المنذر بن حرام
٣٤٥	أم المنذر سلمى بنت قيس
٢٣٩	المنذر بن عمرو
١٤٠	منذر اللخمي
١٦٣	المنذر بن حرام
٥٠	منسى
٤٥٠	معاوية
٣٧-٣٥ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢١ ، ١٥	موسى عليه السلام
٦١ ، ٦٠ ، ٥٦-٥٢ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ٤٢	
١١٤ ، ١١٠ ، ١٠٤ ، ١٠٠-٩٨ ، ٦٧	
٢٥٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦ ، ١٥٤ ، ١٢٠	
٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧-٢٥٥	
٣٦٤ ، ٣٤٩ ، ٣٤٢ ، ٣٢٤ ، ٢٩١	
٤٢٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤١٧ ، ٣٨٤	
٣٩٢	أبو موسى الأشعري
٣٢١ ، ٢٦٥ ، ٢٣٣ ، ٢٢	مونتغمري وات
٤١١	ميمون القداح

(ن)

٢٥٥	نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة
٣١٣	أبونائلة
١٩٣ ، ٨٨	النابعة الذبياني
٣٦٧	نابليون
١٠٢	نارام سن
٣٤١ ، ٣٤٠	نباش بن قيس
٨٠	نبايوت
١٨٨	ابن النديم

نبوخذ نصر ١٢٥ ، ١٠٥-١٠٣ ، ٩٠ ، ٥٤
نبونيد ١٨٦ ، ١١٥-١١٢ ، ١٠٥ ، ١٠٤
التجاري ٤٤٦
النجاشي ٤٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٣
نحميا ٨٠-٧٧
النسائي ٤٤٨
النضر بن الحارث ٢٢٧ ، ٢١١
نعيم بن عبدالله النحام ٢٢٥
نعيم بن مسعود الغطفاني ٣٣٨-٣٣٦
نفظويه ١٩١-١٨٨
نوح ٢٩١ ، ٢٥٢

(ه)

هاجر ٧٩
هارون ٣٦١ ، ٢٥٢ ، ١٩٠ ، ١٨٦ ، ١١٨ ، ٩٨ ، ٥١
هاشم ٣٧٥ ، ٢١٢ ، ٢٠٥
هدد عازر ٦٥
هدريان ١١٧
هاليفي ١٢٣ ، ١٠٣
هركانوس ٨٦-٨٣ ، ٦١
الهرمزان ٤٠٢
ابو هريرة ٢٧٣
هريمة ٨٦ ، ٨٥
ابن هشام ١١ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٦ ، ١٩٨ ، ١٩٧
 ٣٧٩ ، ٣٧٧ ، ٣٦١ ، ٣٥٥ ، ٢٣١
هلستيروس ١٣٧
هود ٢٥٢

هودة بن قيس الوائلي	٣٢٩
هوروس	٤١٢
ابو الهيثم بن التيهان	٣٩٢ ، ٣٨٠ ، ٢٣٥
هيرودس	١١٧ ، ٩٤
هيوبرت غريم	٢٦٥

(و)

أبي وائل	٤٤٩
الواقدي	١١ ، ١١١ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣١٦ ، ٣٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٨
ورقة بن نوفل	٢٠٩
وتهي بن صدوق	٤١
ول ديورانت	٣١
ولفسون (اسرائيل)	١٨ ، ٣٨ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨١-١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦-١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٤٠٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨١ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٥٧
الوليد بن المغيرة	٢٢٥ ، ٢١١
ونكلر	١٢٢
وهب بن منبه	٤١٩ ، ٤١٧-٤١٥
وولي	٤١

(ي)

ياسر اليهودي	٣٦٩
ابو ياسر بن أخطب	٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٢٩١

٨٣	ياسون
١٤٧	ياقوت الحموي
٣٢٦	يامين بن عمرو
١١٢	ينرب بن قاين
٦٧	يثرؤ
٣٨٥	يحنة بن رؤبة
٢٥٣ ، ٢٥٢	يحيى عليه السلام
٢٦١	يحيى بن عبد بن بكير
٤٠٥	يزيد بن حبيب
٤٢٤	يشوع
٤٥ ، ٤٤ ، ٣٩ ، ٣٣ ، ١٧ ، ١٦	يعقوب بن اسحاق
٢٩١ ، ٢٥٩ ، ١١٨ ، ٥٣ ، ٥١-٤٧	

٤٢٣

١٣	يعقوب فاير ستون
١١٦ ، ١٢	اليقوبي
٨٢	يوليوس قيصر
٣٣	يهو بن عمري
٩٢ ، ٨١ ، ٧٤ ، ١٦	يهوذا
٧٤ ، ٧٣	يهورام
٧٨ ، ٧٤-٧٢	يهوشافاط
٨٧-٤٧ ، ٣١	يهوه
١٣٥	يوحنا بسالتي
١٣٦	يوحنا (المؤرخ اليوناني)
٩٢	يوحنان
١٢٧	يوسطينوس
٢٥٢ ، ١١٨ ، ١١١ ، ٦٨ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٧	يوسف عليه السلام
١٢٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٨٥-٨٣ ، ٧٠	يوسفوس
٢٧٢	ابو يوسف

٢٦٢	يوسف العث
٣٨٢	يوشع بن نون اليهودي
٨٢	يوناتان المكابي
٢٥٢	يونس

فهرس الأمم والطوائف والقبائل

الصفحة	الأمم والطوائف والقبائل
--------	-------------------------

(أ)

الأتراك ٥٨ ، ٥٧
الأخبار ٣١٢ ، ٢٩١ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١١٩
الأحباش ١٨ ، ٧٤ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦
الأحزاب ٢٢ ، ٢٧١ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٣٣ ، ٣٥٩
الأحناف ٢١١ ، ٢٠٩
اصحاب الاخذود ٢٥٢
الأدوميين ٨٣ ، ٦٧
الارامية (الأراميين) ٩٩ ، ٤٤ ، ٣٩ ، ١١
ارم (بني ارم) ٢٨١ ، ٢٣٠ ، ١١٥
الازد ٢٣٦ ، ١٨٥ ، ١٥٥ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦
أسد (بني أسد) ٢١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٢٩

اسرائيل (بني اسرائيل) ١١، ١٦، ٢١، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٣٤،

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٧،

٤٨، ٥١، ٥٨، ٦٠، ٦٧، ٩٢،

١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠،

١١٤، ١٤٠، ١٥٤، ١٧٤، ١٨٠،

١٨٦، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٣٩،

٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٦،

٢٥٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧،

٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٢٩،

٣٤١، ٣٤٤، ٣٥٦، ٤١١، ٤١٢،

٤١٣، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٨

الاسماعيليين ٦٨، ١١٥

اشج ١٦٤

اشجع ١٦٤، ٣٢١، ٣٣٠

الاشمونيين ١٠١، ١٠٢

بني عبد الأشهل ١٦٧، ٢٣٠

الاشوريون ١١، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٥٤، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٨٢، ٩٩، ١١٥، ٤٢٤

الافرنج ١١٧

الألمان ٥٧

اللاويين ٥١

الأموريين ٤٢، ١٠٥

بني أمية ٢٤، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩،

٢٦٣، ٣٧٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩،

٤٢٩، ٤٥٠

الأنباط ١٧، ٦٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٥، ١٧٣، ١٧٩

الأنصار ١٤٥، ١٩٢، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤،

٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦٤،

٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٦، ٣١١، ٣٢٥،

٣٢٦، ٣٣٥، ٣٥٧، ٤٣١

بنو أنيف	١٤٥
الأوس	١٩ ، ٢١ ، ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٤٥ - ١٥٦ ،
	١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦٣ ، ١٦٨ - ١٦٥ ،
	١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
	٢٣٢ ، ٢٣٦ - ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ ،
	٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٩ ،
	٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ،
	٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٤١١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ،
	٤٣٤
الايطاليين	٥٨

(ب)

البابليون	١٥ ، ٣٢ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٨٦ ،
بجيله	٣٥٩
البصريين	٤١٠
البلغار	٥٨
بلي	١١٨ ، ١٤٥
بنو بهدل	١١٦
بني بياضة	١٦٧
البيزنطيون	١٨ ، ١٢٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٤٣٩ ،

(ت)

التامل	٥٧
التبابعة	١٣٠
التدمريين	٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
تغلب	٤٥٠
تهامات	١٣٢

١٣٢	تود
٤٠٥	تميم
٤٢٩ ، ٢١٧	تيم

(ث)

٣٥٨ ، ١٦٣ ، ١١٦	ثعلبة
٢١٦ ، ٢١٤	ثقيف
١٠٥	ثمود

(ج)

١٤٥	الجدمي
١١٦	جدام
١٠٤ ، ٨٦	الجرهمانية
١١٨	جشنة (بني)
١٥٧ ، ١٤٦	جفنه
١١٦	جنبه (بنو)
١٦٤	جهينة
١٢٩	جو

(ح)

٣٩٤	آل الحارث
٣٥٢ ، ١٢٩ ، ١١٩	بني الحارث
٣٩٥ ، ٣٧٧ ، ٢٨٣ ، ١٦٧ ، ١١٦	بني حارثة
١٤٧	الحبشان
٣٧٣	بني حبيبة
٤٤	الحثين

٤٢	بني حسن
٣٩٧ ، ٣٧٠ ، ١١٢	بني الحقيق
١٢٦-١٢٢ ، ١١٩ ، ٤٨ ، ١٨	حمير
١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٣ ، ١٣١-١٢٨	
٢٠٦ ، ١٩٢ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٣٩	
٤٤٩ ، ٤٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢١٤ ، ٢١٠	الحنيفية
٢٣٥ ، ١٨٩	الحواريين
٨٠	الهوريين

(خ)

٣٥ ، ٣٤	الخابيرو
٤٣٩	الخراسانيين
٣٥٩ ، ١٤٧ ، ١٤٦	خزاعة
٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٥٨ ، ٢٥ ، ١٧	الخزر
١٥٦ ، ١٤٥ ، ١٤٣ ، ٢١ ، ١٩	الخزرج
١٦٨ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٨	
١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩	
٢٣٨-٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨	
٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٧٠ ، ٢٥٩	
٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٤٨ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨	
٤٣٠ ، ٤٢٦ ، ٤١١ ، ٣٨٥ ، ٣٥٥	
٤٣٤	
٣١١ ، ٢٣١	بني خطمة

(د)

١٩٠	بني الديان
-----------	------------

(ر)

الربانين	٢٨٠ ، ٢٥٦
بني الربعة	١١٨
الروم (الرومان)	١١ ، ٦١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣
		١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧
		١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٥٧
		١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٥٢ ، ٢٨١
		٢٣٧ ، ٣٦٨ ، ٤٠١ ، ٤١٣ ، ٤١٩
		٤٢٤ ، ٤٢٦
ذي ريدان	١٣٢

(ز)

بني زريق	١٦٧
بنوزعوراء	١١٦
بني زقورا	١١٩
بني زهرة	٤٢٩

(س)

بني ساعده	٢٣٩
الشامريون	٣٦
الساميين	٤٣ ، ٥٠ ، ٦٥
السبئين	٢٤ ، ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٩٩
		٢٥٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩
		٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤٣٦
السريان	١٣٣
بني سعد	٧٨

٢٨٣	بني سلمة
٨٣	السلوقيين
٣٥٨ ، ٣٣٠ ، ٣١٩ ، ١٦٧	بني سليم
١٤٥	بني سمالك
٥٢ ، ٣٥	السومريون

(ش)

٨٠ ، ٧٧	الأشدوديون
١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠	بني شمعون (الشمعونيون)

(ص)

١٥٢	بنو الصريح
٥٨	الصقالية
٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٢ ، ٣٠٦	الصهيونية

(ض)

٣٥٩	بني الضبيب
-----------	------------

(ط)

٣١٢ ، ١٩٢	طيء
-----------------	-----

(ع)

٣٥ ، ٣٤	العابيرو
٢٨١ ، ٢٣٠ ، ١٠٥	عاد

٣٨٣ ، ١٩١ بني عاديا
٣١٩ عامو بن صعصعة
٤٥٠ ، ٢٦٣ بني العباس
٨٥ ، ٨٤ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٢٧ العبرانيون
١٥٦ بني العجلان
٨١ ، ٨٠ العدنانيين
٤٢٣ عرانيين
١١٧ بنو عريض
٣٣٥ عضل
١١٦ بنو عكرمة
١٩٢ آل علي
١٧٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٤ العمالقة (العماليق)
٣٦١ ، ١٦٣ بني عمرو
٨٩ ، ٣٩ العموريين
٨١ ، ٨٠ ، ٦٧ العمونيين (بني عمون)
٢٧٠ ، ١١٦ بني عوف

(غ)

١١٧ بنو غاديا
١١٩ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ الغساسنة (غسان)
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٥	
١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٤٣٠	
١٦٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ غطفان
٣٣٣-٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٤	
٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣-٣٦٥ ، ٣٨١	

(ف)

الفرس	١٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
	١٤١ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ،
	٢٣٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ،
	٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٦
القروشيم	١٨٢
فزارة	٣٣٠
فلاشا	٥٧
الفنيقيين	٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١٧٣

(ق)

القارة	٣٣٥
القبط	١٧٦
القرائين	٢٥٦
قريش	٢٠ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ،
	٢٠٣ ، ٢٠٥-٢٠٧ ، ٢١١-٢١٣ ،
	٢١٥ ، ٢١٧-٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
	٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،
	٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ،
	٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣-٣٠٥ ،
	٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٤-٣١٧ ، ٣١٩ ،
	٣٢٥ ، ٣٢٧-٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،
	٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ،
	٣٥٧-٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ،
	٤٢٧-٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣

قريظة ٢٢ ، ٢٣ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
 ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٦-٣٣٣ ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٠-٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٤

بنو القصيص ١١٦
 قضاة ٣٥٩ ، ١٦٤ ، ١٤٥
 بني قينقاع ٢٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٧٥-١٧٧ ،
 ١٨٣ ، ٢٤٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩-٢٧٤ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٧-٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
 ٤٣٤

القوط ٥٩
 قيذار ٧٩ ، ٧٨
 قيس عيلان ٣٢٩
 بني قيلة ٢٨٣ ، ١٥٥

(ك)

الكاشيون (الكوشيون) ٣٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٢٤
 الكتائبين ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١-٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٤٣٠
 كلاب ٢١٧ ، ٤٢٩
 بنى كلب ١١٩ ، ٣٥٩

٤٢٤ ، ٦٧	الكلدانين (الكلدان)
١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٢٩ ، ١١٩	بني كنانة
١٢٩ ، ١١٩	كنده
٤٢٤ ، ١٠٤ ، ٩٩ ، ٦٠ ، ٤٧ ، ٤٤ ، ٣٦-٣٤ ، ١٥	الكنعانيون
٢٥٢	أهل الكهف

(ل)

٣٥٨	بني لحيان
-----------	-----------

(م)

١١٦	بنو ماسكة
٣٤٩ ، ١٠٥	المديانيين
١١٦	بنو مراية
٣٨٢ ، ٣٦٤	بنو مرة
١١٦	بنو مزيد
١٦٤	مزينة
٣٥٢	بني مسلمة
٢٠٠ ، ١٩٩ ، ٩٩	المصريين
٣٥٩	بني المصطلق
١٤٥ ، ١١٦	بنو معاوية بن الحارث
٤٢٥ ، ١٥١ ، ١١٢ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٧٥	المعونيون (المعنيين)
٥٨	المغول
٢٠٠ ، ١٠٥ ، ٨٢ ، ٧٣ ، ٦١ ، ١١	المكابيون (المكابي)
٨٦	المكدونيون
٢٣٩ ، ٢١٩ ، ٢١٧	بنو عبد مناف

المنافقون (المنافقين) ٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ،

٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،

٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠-٣٣٢ ،

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،

٤٣٣ ، ٤٣٢

المهاجرين ٢٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٤٣١

الموسويون (قوم موسى) ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٤٢٣

(ن)

بنوناغصة ١١٦

النبط (النبطية) ١١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٣٧٥

النبيت ١٦٧

بني النجار ٣٧٩

النساء ١٤٠

بني النصير ٢٢ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٥-٣١٨ ، ٣٢٠-٣٢٢ ،

٣٢٤-٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ،

٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ،

٣٦١-٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،

٤٣١-٤٣٣

النقباء ٢٣٥

(ه)

٣٦٤	بني هارون
٢٣٩ ، ٢٣١ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٢	بني هاشم
٤٢٤ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨	الهكسوس
١٢٢	بني همدان

(و)

٣٢٩ ، ٢٣١	بني وائل
٢٣١	واقف
٢١١	الوثنيين

(ي)

٢١١	آل ياسر
٤٢٤	اليبوسيون
٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠	الشربيون
١٠٥	بني يفيق
١٣٢	يمنات
١٥	اليمنية
٣٧ ، ٣٤	يهودا
٢٠٧ ، ١١٣ ، ١٠٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٠	اليونان

* • *

فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحة
---------	--------

(أ)

الابلق ١٩٠ ، ١٨٩
اتل ٥٨
أحد ٣٣٣ ، ٣٣١ ، ٣١٩ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٠٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ١٧١ ، ٣٨
ادب ائيل ٧١
ادوم ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٦٧ ، ٦٦
اذرح ٣٨٦ ، ٣٨٥
اذرعات ٣٢٣
ارض الميعاد ٢٠٠
اريجا ٣٩٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٤٩ ، ٥٠ ، ٣٥
اسبانيا ٤٤٠ ، ٢٩٣ ، ٥٩
اسرائيل ٦١
الاسكندرية ٢٠٧ ، ١٣٩
الاسماعيلية ٧٩
اشدود ٧٤
آشور ٥٦
أغلاطية ٧٩
أفرايم ٣١٠
افريقيا ٣٥٢ ، ٢٠٠ ، ٧٩ ، ٧٢
افزوس ١٣٦
اكاد ١٠٢
الأمبروزيانا ٢٤ ، ١٣
الاندلس ٤٣٩

اور ۴۳، ۴۰، ۳۵
اورشلیم ۳۶۸، ۱۰۶، ۸۶، ۷۹، ۷۶، ۶۱، ۵۴
اوروبا ۴۴۰
اوغاریت ۳۵
اوفیر ۷۳، ۷۲، ۶۹
ایسین ۴۲
ایطالیا ۲۴، ۱۳
آیله ۳۸۹، ۳۸۵، ۱۷۹، ۱۰۸، ۷۶

(ب)

بئر السبع ۱۰۱
بئر معونة ۳۱۹، ۳۱۸
باب المنذب ۱۳۷، ۷۹، ۷۴
بابل ۱۱۳، ۱۰۲، ۵۶، ۵۴، ۴۳، ۴۲، ۴۱، ۳۵، ۳۰
بترا (بطرا) ۹۰، ۸۷
البثنية ۴۱۹
البحر الميت ۸۹
البحرین ۱۷۹، ۱۰۳
بلر ۱۵۶، ۱۹۲، ۱۹۳، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۹، ۲۷۴، ۲۸۵، ۲۹۴
 ۳۰۳، ۳۰۷-۳۰۴، ۳۱۰-۳۱۲
 ۳۱۴-۳۱۷، ۳۲۵، ۳۳۰، ۳۸۵
 ۴۳۱-۴۳۳
بسطة ۷۱
بصری ۲۲۳، ۲۲۲، ۱۰۸
بطحان ۱۱۶
بطنه ۷۱
بعث ۱۹۳، ۱۵۰

بغداد	٢٤ ، ٢٢ ، ٢١ ، ١٤
بفلاغونية	١٢٧
الرافدين (بلاد)	٥٢ ، ٤٨ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٢٩
بلاد كنعان	٥٤
البلقاء	٤٠٩
بلميرا	٨٩
بوز (بور)	٦٧
بولندا	٤٤٠
بيت شعاريم	١٢٤-١٢٣
بيت فغور	٣٠
بيت المقدس	٢٨١ ، ٢٧٧ ، ١٠٨
بيروت	٢٣ ، ١٩ ، ١٧ ، ١٤
بيزنطة	١٨

(ت)

تبوك	٣٨٥ ، ٣٧٦ ، ٣٥١
تدمر	٤٢٥ ، ١٨٦ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٠ ، ٤٤ ، ١٧
ترشيش	٧٣ ، ٧٢
تل العمارنة	٣٧ ، ٣٥
تمارا (ثمارا)	٨٩
تهامة	٣٩٨ ، ١٤٧
توزي	٣٥
تيماء	١٠٨ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٦٧ ، ٤٠ ، ١٨
	١١٢ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥٩
	١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠
	٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤
	٣٥٧ ، ٣٨٣-٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣
	٣٩٨

(ث)

ثبار ٣٩٧

(ج)

الجار ١٧٩
جبال سعيير ١٠٢ ، ٨٧
جبل سيناء ٣٠
جبال الشراه ١٠٢ ، ٨٧ ، ٨٢
جت ٧٥ ، ٧٤
جلده ٤٤٦ ، ١٧٩
جرار ٤٤
جربا ٣٨٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣ ، ١١٥ ، ١٠٨
جرها ٨٧ ، ٨٦
جزيرة العرب (الجزيرة العربية) ١٧ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠-٤٢ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤-٧٦ ،
٨٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٠٦-١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٨
جلق ١٦١
جور بعل ٧٥
جينوسوس ٨٥

(ح)

حاران ٤٨ ، ٤٣ ، ٤٠
حبرون ٤٤ ، ٤٣

الحبشة	١٨ ، ٢٠ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦
	١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٣
	٢٢٢-٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٢٨
الحجاز	١٨ ، ٢٤ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٩
	١٠٣-١٠٥ ، ١١٤-١١٧ ، ١١٩
	١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٨ ، ١٤٩
	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٦-١٥٨ ، ١٧٥
	١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣-١٨٦
	١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣١
	٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥
	٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٨
	٣٥١-٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩
	٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨-٤٠١ ، ٤٢٦
	٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥-٤٤٨ ، ٤٥٠
حدياد	١١٩
حديب	١٢٨
الحديبية	٢٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨١
حران	٤٤ ، ١١٣ ، ١١٥
حرة واقم	١١٦
حسمى	٣٥٩
حضر موت	٧٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤
حطبي	٧١
حلب	٨٣
حنينا	٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٣
حوران	٦٦ ، ٨١
الحيرة	١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٤٠٢
حيفار	٧٣ ، ١٢٣

(خ)

٤١٦	خراسان
٨٣	خريدة زبد
٢٣	خزائة القرويين
٥٨-٥٧ ، ١٧	الخزير (بلاد)
٧٤	خليج العقبة
٣٣٢-٣٣٠ ، ٣١٩ ، ٢٩٨ ، ٢٧٤	الخندق
٣٥٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٤	
٤٣٣ ، ٣٨١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧	
٤١٩	خوارزم
٧١	خيابا
١٠٨ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٣٧ ، ٢٣ ، ١٨	خيبر
١٥١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٥-١١٢	
١٨٦ ، ١٨٣ ، ١٨٠ ، ١٦٧ ، ١٥٩	
٣٢٧ ، ٣٢٣ ، ٣٠١ ، ٢٧١ ، ٢٠٦	
٣٥٧-٣٥٣ ، ٣٤٧ ، ٣٣٠ ، ٣٢٨	
٣٧٣-٣٧١ ، ٣٦٨-٣٦٠ ، ٣٥٩	
٣٩٣-٣٩١ ، ٣٨٩ ، ٣٨٥-٣٧٥	
٤٣٥-٤٣٤ ، ٣٩٩-٣٩٥	

(د)

٢٣٩	دار الندوة
١٨٥ ، ٧٥	دان
٧١ ، ٦٧	دдан
١٠٢ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٤٤ ، ١٤	دمشق
٣٨٥ ، ٣٥٩ ، ٢٧٩ ، ٨٧	دومة الجندل
٣٤٩ ، ١٣٨ ، ٧٥	ديدان

(ذ)

ذبي الجدر	٣٢١
ذبي حرض	١٦٢

(ر)

الرافدين (بلاد)	٨٦ ، ٤٤-٤٢
ربة عمون	٨١
الرجيع	٣٦٦ ، ٣٦٤ ، ٣٥٨ ، ٣٣٥ ، ٣١٨
روما	٣٥١ ، ٣٣٣ ، ٢٠٧ ، ٨٤
زهرة	٢٠٧ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٣

(س)

السامرة	٨٣ ، ٧٨ ، ٧٢ ، ٥٤ ، ٣١
سبا	٤٢٥ ، ١٤٨ ، ١٣٣ ، ١٢٥ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٥٨
سروج	٤٣
سليمان (مكان)	٧٩
سور اشدود	٧٥
سوريا	٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٤-٤٢ ، ٤٨-٤٦ ، ٣٥٢ ، ٢٨١ ، ١٣٨ ، ٩٩ ، ٧٦ ، ٧٣
		٤٣٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٣٨٩
سوق بني قينقاع	١٦٣
سيل العرم	١٤٨
سيناء	١٠٣-١٠١ ، ٨٥ ، ٧٩ ، ٧٤ ، ٤٨ ، ٤٠

(ش)

.....	الشام (بلاد)
١٥ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ،	
٧١ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٢ ،	
١١٤ ، ١١٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،	
١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،	
١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ،	
١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ،	
٢١٤-٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ،	
٢٣٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ ، ٣٠٩ ، ٣٢٣ ،	
٣٣٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٥ ،	
٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ،	
٤٠١ ، ٤١٩ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،	

(ص)

.....	الصفاء
٢٢٧ ،	
.....	صفين
٤١٠ ،	
.....	صنعاء
١٤٠ ، ٢٠٦ ، ٤٤٩ ،	
.....	صور
٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ١٨٠ ،	
.....	صيدا
٦٧ ،	
.....	العين
١٧٩ ،	

(ط)

.....	الطائف
١١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٤٧ ،	
.....	طبريا (طبرية)
٧٥ ، ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،	

(ظ)

ظفار ٣٥٨ ، ١٣٩ ، ١٣٤ ، ١٢١ ، ٦٩

(ع)

عدن ٤٤٦ ، ١٧٩

العراق ١٣ ، ٢٤ ، ٤٠-٤٣ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٤

٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،

١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ،

١٧١ ، ٢٠٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠٩ ، ٣٥٢ ،

٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ ، ٤٢٥ ،

٤٤٦

عصر ٣٦٤

عصيون جابر ٧٦ ، ٧٢ ، ٦٨

العقبة ٢٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٤٢٩

عك ١٤٦

عمان ١٤٧ ، ٦٩

عنفرا ١٢٧

عوص ٦٧ ، ٦٦

عويدة ٧١

العيص ٣٥٨

(غ)

الغرينين ٣٥٩

غسزه ٦٩ ، ٨٤-٨٦ ، ١٠٨ ، ٢٠٥

غمر مرزوق ٣٥٨

(ف)

فارس ٤٠٠ ، ٨٦ ، ٢٣
فدان آرام ٤٤ ، ٤٣
فدك ١٨ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٣-١١٥ ، ١٢٠ ، ٣٠١ ، ٢٠٦ ، ١٨٠ ، ١٥٩ ، ٣٥٤ ، ٣٨٤-٣٨٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٣٤
فلسطين ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١-٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤-١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٥٨ ، ٤٤٠ ، ٤٣٢ ، ٣٢٥-٣٢٣ ، ٣٨٩ ، ١٨٠
فنيقية ١٨٠

(ق)

قادش ٤٤
القاهرة ٢٠ ، ١٤
قباء ٣٦١ ، ١١٦ ، ١٠٥
قبية ٣٤٩
القدس ٥٤ ، ٧٨-٧١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٠٥
قرطبة ٤٣٩
قرقر ٦٦ ، ٦٥

١٠٢، ٧٦	قرنا
١٣٣	قطر
١٤٠	القليس
١٣٣	قندافة
١٤٠	القليس
٨٣	قنسرين

(ك)

٣٧٣	كمبرج
٣٧	كركر
١٤٠	الكعبة
٣٤٩	كفر قاسم
٤٤٠، ٥٦	كنعان
٤٥٠، ٤١١-٤٠٩	الكوفة

(ل)

٤٣	لارسا
٦٦	اللجاة
٧٠	لحيان
١٧	لندن
٤٤٠	لينيفراد

(م)

١٤٨، ١٤٦، ١٣٤، ١٢٤، ١٢٣	مأرب
٤٢، ٣٥	ماري
٣٣٣	مجتمع الأسيال

مدريد ١٣

مدلين ٨١ ، ٦٧

المدينة ٢١ ، ٦٦ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٤٧

١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧١

١٧٣-١٧٥ ، ١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣١

٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠

٢٦٦-٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤

٢٧٦-٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧

٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣١٥-٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٩٨

٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩

مرآ ١٤٦

المروة ٢٢٧

مزاحم ١٧٦

مسّا ٧١

مشربة أم ابراهيم ١١٦

مصر ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨-٥٤ ، ٦٠ ، ٦٦

٧٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٨

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٧٩ ، ٢٥٧

٣٠٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨

٤٢٣ ، ٤٢٤

معان ١٠٢

معين ١٠١

المغرب ١٣ ، ١٤ ، ٣٣٢

مقبرة ١٢٣

مقنا ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٤٣٤

مكة ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
 ١١١ ، ١٤٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥-٢٠٧ ،
 ٢١٠-٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٢-٢٢٤ ، ٢٢٦-٢٢٩ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ،
 ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٧-٣٢٩ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٨-٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ،
 ٤٣٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩

منبج ١٢٧
 مؤاب ٣٠ ، ٦٧
 مؤتة ٣٨٠

(ن)

نابلس ٨٣
 نجد ٦٦ ، ٦٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٩٨
 نجران ١٨ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٣-١٣٥ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨-١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٩٠ ، ٢٩١ ،
 ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 نحالين ٣٤٩
 نصيبين ١٢٧ ، ١٣٢
 نعمة (مكان) ٦٧
 النقب ٧٥ ، ٧٩

(هـ)

١٣	هافارد
١٣٤	هجر
٤٤٦ ، ٢٠٥ ، ١٧٩ ، ١٣٦ ، ٧٠	الهند

(و)

١٧١	وادي اضم
٧٩	وادي عربية
١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٨٥ ، ١٨	وادي القرى
١١٤-١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٥١	
١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٦	
٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٥٤	
٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣	
٤٣٤	

١٩٨	وادي منى
١١٦	وادي مهزور
١٣	الولايات المتحدة

(ي)

٧٥	يافا
٧٤	يينة

يُثَرَّب ١٨ ، ١٩ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
 ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ،
 ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
 ١٧٥-١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ،
 ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٤-٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
 ٣٠٧ ، ٣٤٨ ، ٣٦٤ ، ٣٨٠ ، ٤٢٦ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٠

اليَمَامَة ٣٩٨

اليَمَن ١٨ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
 ٧١ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ،
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ،
 ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٣٢ ،
 ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠

يَمَنَة ٧٥

يَهُودَا ٣١ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧

فهرس الشعر

القافية	الشاعر	الصفحة
---------	--------	--------

(ب)

وملعبا	عباس بن مرداس	٣٢٨
فنيأبا	عباس بن مرداس	٣٢٨
مرحبا	عباس بن مرداس	٣٢٨
تؤنبا	عباس بن مرداس	٣٢٨
أخطبا	عباس بن مرداس	٣٢٨
وأقربا	خوات بن جبير	٣٢٨
تصلبا	خوات بن جبير	٣٢٨
مرحبا	خوات بن جبير	٣٢٨
منصبا	خوات بن جبير	٣٢٨
ترتبا	خوات بن جبير	٣٢٨
مرحب	مرحب اليهودي	٣٦٨
مجرب	مرحب اليهودي	٣٦٨
أضرب	مرحب اليهودي	٣٦٨
تحرّب	مرحب اليهودي	٣٦٨
لا يقرب	مرحب اليهودي	٣٦٨

(ت)

استقيت	السموأل	١٨٦
أبيت	السموأل	١٨٦
بنيت	السموأل	١٨٦
وفيت	السموأل	١٨٦

١٨٦	السموأل	ورضيت
١٨٦	السموأل	وليت
١٨٦	السموأل	والتابوت
١٨٦	السموأل	رزيت
٣٦٩	محمد بن مسلمة	تموتي
٣٦٩	محمد بن مسلمة	النبيت

(ح)

١٩٢	سعيه (شعبه)	انواحي
-----	-------------	--------

(د)

٨٨	النابعة الذبياني	الفند
٨٨	النابعة الذبياني	العمد
١٣٠	حسان بن ثابت	حشود
٣٥٢	حسان بن ثابت	سعد
٣٥٢	حسان بن ثابت	الوجد
٣٥٢	حسان بن ثابت	الوفد

(ر)

١٨٧	الأعشى	أظفاري
١٨٧	الأعشى	العار
١٨٧	الأعشى	الوار
١٩٤	حسان بن ثابت (وقيل لكعب بن الأشرف)	الحضر
١٩٨	—	جيار
١٩٨	—	شيار
٣٥٣	جبل بن جوال	والنضير
٣٥٣	جبل بن جوال	لا تسيروا
٣٥٣	جبل بن جوال	تدور
٣٥٣	جبل بن جوال	بور
٣٥٣	جبل بن جوال	عور

(ض)

ماض	محمد بن مسلمة ٣٦٩
قاض	محمد بن مسلمة ٣٦٩

(ع)

وتبع	شاعر بني يفيف ١٠٥
ويمنع	شاعر بني يفيف ١٠٥
وتدمع	كعب بن الأشرف ١٩٢
تصرّع	كعب بن الأشرف ١٩٢

(ف)

أنف	كعب بن الأشرف ١٩٢
-----	---------------	-----------

(ق)

أبلىق	الأعشى ١٨٦
موثق	الأعشى ١٨٦
تطرق	امرئ القيس ١٨٨

(ل)

الأول	حسان بن ثابت ١٦١
المفصل	حسان بن ثابت ١٦١
السلسل	حسان بن ثابت ١٦١
المقبل	حسان بن ثابت ١٦١
الأول	حسان بن ثابت ١٦١
وتجول	السموأل ١٨٩
جميل	السموأل ١٨٩
سبيل	السموأل ١٨٩

ويطول	السموأل	١٨٩
ظلاله	امرأة كافرة	١٤٨
بماله	امرأة كافرة	١٤٨
عياله	امرأة كافرة	١٤٨
بأبوالها	مالك بن العجلان	١٦٢
بإذلالها	مالك بن العجلان	١٦٢
يخذل	جبل بن جوال	٣٤٤
مقلقل	جبل بن جوال	٣٤٤

(م)

واعتزموا	قيس بن الخطيم	١٥٢
كرموا	قيس بن الخطيم	١٥٢
مغرم	الربيع بن الحقيق	١٦٦
يفهم	الربيع بن الحقيق	١٦٦
يظلم	الربيع بن الحقيق	١٦٦
يبرم	الربيع بن الحقيق	١٦٦
مغرم	الربيع بن الحقيق	١٩٣
ظلما	أمية بن أبي الصلت	٢١٣
الحكم	أمية بن أبي الصلت	٢١٦
يهتضم	أمية بن أبي الصلت	٢١٦

(ن)

عين	ذي رعين	١٣٠
رعين	ذي رعين	١٣٠
عيالنا	امرأة مؤمنة	١٤٨
اموالنا	امرأة مؤمنة	١٤٨
سؤالنا	امرأة مؤمنة	١٤٨
ماهالنا	امرأة مؤمنة	١٤٨

١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	وعنينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	جزينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	ويرتدينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	والبرينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	يمينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	الصالحينا
١٦١	الرمق بن زبد بن غنم	تعترينا
١٦٢	الرمق بن زبد بن غنم	السمينا
١٦٢	الرمق بن زبد بن غنم	وينحنينا
١٦٢	الرمق بن زبد بن غنم	الظالمينا
٣٥٢	ضرار بن الخطاب	كالقاهرينا
٣٥٢	ضرار بن الخطاب	مدججينا
٣٥٣	ضرار بن الخطاب	أجمعينا
٣٥٣	ضرار بن الخطاب	مشعوذينا
٣٥٣	ضرار بن الخطاب	رهينا
٣٥٣	ضرار بن الخطاب	متوازيينا
٣٥٣	كعب بن مالك	صابرينا
٣٥٣	كعب بن مالك	متوكلينا
٣٥٣	كعب بن مالك	أجمعينا

« فهرس المصادر والمراجع »

أ - المخطوطات :

★ ابن اسحاق : محمد (١٥١هـ).

١ - مغازي ابن اسحاق، خزانة القرويين - فاس - المغرب، رقم ٢٠٢

★ الإسرائيلي : يوسف بن جريون.

٢ - تاريخ بني اسرائيل، عني بنقله من العبرانية الى العربية ذكر بن سعيد اليماني الإسرائيلي، مخطوط مصور، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية - القاهرة، رقم ١٠٥ تا.

★ البصري : أبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) «الشهير باسم ابن الوكيل».

٣ - أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، دار الكتب المصرية، رقم ٢٦٠٦.

★ البكر : أبو الحسن بن عبدالله بن محمد.

٤ - سيرة ابي ذر قبل الإسلام وحديثه عن الجاهلية، خزانة القرويين فاس، المغرب رقم ١٦١١.

★ بناني : محمد بن عبد السلام (١١٦٣هـ).

٥ - مغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء - خزانة القرويين، فاس المغرب،

رقم $\frac{٥٧٥}{٤١}$

★ البياسي : جمال الدين ابو الحاج يونس محمد بن ابراهيم الانصاري .

٦ - الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، مخطوط مصور، معهد المخطوطات،
جامعة الدول العربية، رقم ٦٥٤ ت.

★ البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ).

٧ - بغية السائل عما حواه كتاب الدلائل، المكتبة الظاهرية - دمشق رقم س ٢٨ .

٨ - تاريخ في المغازي والفتوح لمؤلف مجهول، مخطوط مصور، معهد المخطوطات
جامعة الدول العربية، رقم ١٤٥٥

★ الخزاعي : ابو الحسن علي بن ذي الوزارتين محمد بن احمد بن موسى .

٩ - الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصناعات
والعاملات الشرعية، دار الكتب المصرية تاريخ تيمور ١٩٣٨ تاريخ .

★ الرازي : احمد بن فارس بن زكريا .

١٠ - السيرة النبوية، خزانة القرويين، فاس - المغرب، رقم ٦٨ .

★ ابن زكري : ابو عبدالله بن محمد بن زكري الفاسي .

١١ - رشف الضرب في فضل بني إسرائيل وانعرب، الخزانة الملكية الرباط - المغرب،
رقم ١٦٠١ .

★ الشامي : شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الحافظ المحدث (٩٤٢هـ) .

١٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، خزانة القرويين - فاس،

رقم $\frac{٧٥٨}{٤١}$

★ صارم الدين : ابن عبد القادر بن احمد .

١٣- التنبيه على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب ، مكتبة الامبروزيانا - ميلانو - إيطاليا ، بدون رقم ، كتبت في المحرم من سنة ١٢١٩هـ .

★ الفاسي : تقي الدين الشريف ابي الطيب محمد بن احمد (٨٣٢هـ)

١٤- تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، ج ١ ، خزانة القرويين فاس - المغرب ،

رقم $\frac{١٢٥٠}{٨٠}$

★ القيرواني : أبو زيد .

١٥- الجامع في السنة والآداب والمغازي والتاريخ ، خزانة القرويين ، فاس - المغرب ، رقم ٦٤٥ .

★ المرتضي : أبو حفص .

١٦- كتاب الروضات البهية الوسمية في الغزوات النبوية الكريمة ، خزانة القرويين . فاس - المغرب ، رقم ٢٩٦ .

ب - المصادر العربية والمعربة :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، طبع مطبعة جامعة كمبردج - بريطانيا ١٩٥٢ .
- ★ الأبراشي : محمد عطية .
- ٣ - الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جمالها، ط^١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .
- ★ ابو تمام : حبيب بن أوس الطائي .
- ٤ - ديوان الحماسة، طبعة الرافعي .
- ★ ابورية : محمود .
- ٥ - أضواء على السنة المحمدية، ط^١، مطبعة دار التأليف بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ★ ابو عسل : ايلي ليفي .
- ٦ - يقظة العالم اليهودي، مطبعة النظام، ط^١ القاهرة ١٩٣٤م
- ★ أبو العلاء المعري :
- ٧ - رسالة الغفران، تحقيق محمد عزة نصر الله، دار احياء التراث العربي - بيروت (بلا تاريخ) .
- ★ أبويوسف : يعقوب بن ابراهيم .
- ٨ - الخراج، المطبعة السلفية، ط^٣، القاهرة، ١٣٨٢هـ .
- ★ ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم .

- ٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة جمعية المعارف بمصر.
- ١٠ - الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت.
- ★ أحمد أمين:
- ١١ - فجر الإسلام، ط^١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م
- ١٢ - ضحى الإسلام، ط^٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٢م
- ★ أحمد بن حنبل:
- ١٣ - المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ★ أرفنج : واشنجتون.
- ١٤ - حياة محمد، ترجمة وتعليق علي حسني الخربوطلي، ط^٢، دار المعارف بمصر.
- ★ أرنولد : سيرتوماس.
- ١٥ - الدعوة إلى الاسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور عبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
- ★ الأزرقبي : أبو الوليد. محمد بن عبد الله.
- ١٦ - أخبار مكة، نسخة مصورة عن طبعة المدرسة المحروسة في مدينة غتغنه.
- ١٢٧٤هـ.
- ★ الأشعري : محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي
- ١٧ - التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، نشر دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤م.
- ★ الإصطخري : أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي.
- ١٨ - مسالك الممالك، طبعة القاهرة.

- ★ الأصفهاني : أبو الفرج (٣٥٦هـ).
- ١٩ - الأغاني ، طبعات مختلفة ذكرت في الهوامش .
- ★ الأصمعي : عبد الملك بن قُرَيْب (٢١٧هـ).
- ٢٠ - تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط^١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٧٩هـ - ١٩٠٩م .
- ★ الأعشى : ميمون بن قيس .
- ٢١ - ديوان الأعشى ، شرح وتحقيق محمد محمد حسين ، المكتب الشرفي للنشر والتوزيع ، بيروت .
- ★ الأفغاني : سعيد .
- ٢٢ - عائشة والسياسة ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
- ★ الألوسي : محمود شكري البغدادي .
- ٢٣ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ط^٣ ، دار الكاتب العربي .
- ★ باشميرل : محمد أحمد .
- ٢٤ - سلسلة من معارك الإسلام الفاصلة من ١ - ٦ ، طبع بيروت .
- ★ البتنوني : محمد ليب .
- ٢٥ - الرحلة الحجازية ، ط^٢ ، المطبعة الجمالية بمصر ، ١٣٢٩هـ .
- ★ البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل
- ٢٦ - صحيح البخاري ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ١٣٧٦هـ .
- ★ برستد : الدكتور جيمس هنري .

٢٧ - العصور القديمة، ترجمه داوود قربان، ط^٢، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٠م.

★ بروكلمان : كارل

٢٨ - تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف.

٢٩ - تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط^٥، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

★ بـري : عبدالله.

٣٠ - القومية العربية والقومية اليهودية، مكتبة الحياة - بيروت.

★ البغدادي : أحمد بن علي الخطيب.

٣١ - تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

★ البغدادي : عبد القاهر بن طاهر (٤٢٩هـ).

٣٢ - الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد علي صبيح، (بلا تاريخ).

★ البغدادي : محمد أمين السويدي.

٣٣ - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، مكتبة المثنى - بغداد.

★ البكري : ابو عبد الله بن عبد العزيز بن ابي مصعب.

٣٤ - معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٥٤م.

★ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ).

٣٥ - أنساب الأشراف، ح ١ تحقيق الدكتور محمد حميد الله، نشر معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية، ج ٥ مطبعة الجامعة، القدس ١٩٣٦م.

٣٦- فتوح البلدان، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٩م.

★ البلخي : ابوزيد احمد بن سهل.

٣٧- البدء والتاريخ «نسبه بعضهم الى المقدسي مطهر بن طاهر» مكتبة المثنى بغداد ١٨٩٩م.

★ بودلي : ر.ف.

٣٨- الرسول - حياة محمد - ترجمة عبدالحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج، طبعة دار الكتاب العربي بمصر.

★ بوست : جورج.

٣٩- قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الأميركية - بيروت - ١٨٩٤م.

★ البيضاوي : عبدالله بن عمر.

٤٠- انوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط ١ ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

★ البيهقي : ابوبكر احمد بن الحسين (٤٥٨هـ).

٤١- سنن البيهقي ، ج ٩ ، دار صادر - بيروت عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد - الهند ١٣٥٦هـ.

★ ترتون : .

٤٢- اهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف بمصر.

★ الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩ وقيل ٢٧٥هـ).

٤٣- سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧م.

★ توينبي : ارنولد.

٤٣- فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة عمرالديراوي، ط ٢، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٦م.

٤٤- مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، ط ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

★ ابن تيمية : الشيخ احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام.

٤٥- الصارم المسلول علي شاتم الرسول، دار الفكر - بيروت.

٤٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، بيروت.

★ الجاحظ : عمرو بن بحر.

٤٧- البيان والتبيين، دار الفكر - بيروت.

٤٨- الحيوان، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

★ جاد المولى : محمد احمد وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم.

٤٩- ايام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨م.

★ جرجس : الدكتور صبري.

٥٠- التراث اليهودي الصهيوني، ط ١، عالم الكتب ١٩٧٠م.

★ الجمحي : ابن سلام.

٥١- طبقات فحول الشعراء، دار المعارف بمصر.

★ الجناتي : محمد إبراهيم.

٥٢- اليهود قديما وحديثا، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٧م.

★ ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

٥٣- سيرة عمر بن الخطاب، الطبعة المصرية بالأزهر.

★ الجوهري : الطنطاوي.

٥٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، البابي الحلبي، ط ٢، القاهرة ١٣٥٠هـ.

★ حافظ : علي.

٥٥- فصول من تاريخ المدينة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة.

★ الحاكم : ابو عبدالله محمد بن عبدالله (٤٠٥هـ).

٥٦- المستدرك على الصحيحين في الحديث، ج ٢، مكتبة ومطابع النصر الحديثة الرياض.

★ حتي : فيليب.

٥٧- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، دار الثقافة - بيروت .

★ حتي : فيليب ، وجبور وجورجي .

٥٨- تاريخ العرب المطول ، ط ٤ ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٥ م

★ ابن حزم : علي بن احمد (٣٨٤ - ٤٥٦) .

٥٩- جمهرة أنساب العرب ، طبعة البروفنسال ، دار المعارف بمصر .

٦٠- جواز السيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس - والدكتور ناصر الدين الأسد - دار المعارف بمصر

٦١- الرد على ابن النغريلة اليهودي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٦٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة .

★ حسن : حسن إبراهيم .

٦٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م .

★ الحلبي : علي بن برهان الدين الشافعي .

٦٤- إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون ، المعروفة بالسيرة الحلبية ، المطبعة الأزهرية ، ط ٣ ، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

★ حمدان : الدكتور جمال .

٦٥- اليهود أنثروبولوجيا ، دراسة في سلسلة المكتبة الثقافية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، رقم ١٦٩ .

★ الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت .

٦٦- معجم البلدان ، طبعة الخانجي ، القاهرة .

★ حميد الله : محمد .

٦٧- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار الإرشاد ، ط ٣ ، بيروت ١٩٦٩ م

★ الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي .

- ٦٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٨١هـ.
- ★ خان : ظفر الإسلام.
- ٦٩- التلمود، دار النفائس، بيروت ١٩٧١م.
- ★ خان : الدكتور محمد عبدالمعيد.
- الأساطير العربية قبل الإسلام «رسالة دكتوراة» لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧.
- ★ الخربوطلي : الدكتور علي حسني.
- ٧١- العرب واليهود في العصر الإسلامي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٧٢- العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م.
- ★ ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله.
- ٧٣- المسالك والممالك، مكتبة المثنى - بغداد.
- ★ الخضري : الشيخ محمد.
- ٧٤- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ط ٨، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٢هـ.
- ٧٥- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مطبعة الاستقامة، ط ٧ - ١٩٣٥م.
- ★ خطاب : محمود شيت.
- ٧٦- الرسول القائد، ط ٣، دار الفكر - القاهرة ١٩٧١م.
- ★ ابن خلدون : عبد الرحمن.
- ٧٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر - تاريخ - دار الكتاب اللبناني ودار البيان - لبنان، وطبعة فاس «طباعات متعددة اثبتت في الهوامش».
- ٧٨- المقدمة، طبعة مصطفى محمد بمصر وطبعة دار الشعب.
- ★ خلف الله : الدكتور محمد احمد.
- ٧٩- محمد والقوى المضادة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م.
- ★ ابن خياط : خليفة (٢٤٠ هـ).
- ٨٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم العمري، ط ١، مطبعة الاداب - النجف الأشرف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

- ★ الدباغ : مصطفى مراد.
- ٨١- بلادنا فلسطين، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل.
- ★ دحلان : احمد زيني (١٢٠٤هـ).
- ٨٢- السيرة النبوية والآثار المحمدية، على هامش السيرة الحلبية.
- ★ درمنقم : إميل.
- ٨٣- حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر، دار الفكر.
- ★ دروزة : محمد عزة.
- ٨٤- تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٩٦٩م.
- ٨٥- تاريخ الجنس العربي ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٢م.
- ٨٦- سيرة الرسول ﷺ ، مطبعة عيسى الحلبي ط ٢ القاهرة ١٩٦٥م.
- ٨٧- عصر النبي وبيته ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط ٢ ، بيروت ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ★ ابن دريد : ابوبكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (٣٢١هـ).
- ٨٨- الاشتقاق ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.
- ★ الدوري : الدكتور عبدالعزيز.
- ٨٩- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠.
- ٩٠- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١.
- ★ الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن.
- ٩١- الخميس في أحوال أنفس نفيس ، المطبعة الوهبية ، ١٢٨٣هـ.
- ★ الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود (٢٨٢هـ).
- ٩٢- الأخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.
- ★ الدينوري : ابن قتيبة عبدالله بن مسلم.
- ٩٣- الإمامة والسياسة ، مطبعة النيل بمصر - ١٩٠٤م.
- ٩٤- الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
- وطبوعات أخرى مثبتة في الهوامش.
- ٩٥- المعارف ، دار احياء التراث العربي - بيروت - .

- ★ ديورانت : ول.
- ٩٦- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م.
- ★ الذهبي : أبو عبد الله شمس الدين.
- ٩٧- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، الجزآن ١، ٢، مكتبة القدسي، ١٣٦٧هـ عن نسخة دار الكتب المصرية.
- ٩٨- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٤٧هـ.
- ★ الرازي : الفخر.
- ٩٩- التفسير الكبير، طبعة عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.
- ★ الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.
- ١٠٠- مختار الصحاح «قاموس» ط ١، الطبعة الأميرية ١٩١٩م.
- ★ رزق الله : يوسف.
- ١٠١- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط ١، مطبعة الفرات - بغداد ١٩٢٤م.
- ★ رزوق : أسعد.
- ١٠٢- التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينية - بيروت ١٩٧٠م.
- ★ ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر.
- ١٠٣- الأعلام النفيسة، طبع ليدن، ١٨٩١م.
- ★ رضا : محمد رشيد.
- ١٠٤- تفسير المنار، ط ٤، القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م.
- ١٠٥- محمد رسول الله. طبعة البابي الحلبي، ط ٢، القاهرة ١٩٣٨م.
- ★ رفعت : إبراهيم.
- ١٠٦- مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ط ١ دار الكتب المصرية ١٩٢٥م.

- ★ روهلنج : أوغست.
- ١٠٧- الكنز المرصود في قواعد التلمود، طبع أخيراً بعنوان اليهودي على حسب التلمود، ترجمة يوسف نصر الله - دار المعارف بمصر ١٨٩٩م، مؤسسة دار فلسطين للتأليف والترجمة - بيروت ١٩٧٠م.
- ★ الزبيدي : محمد مرتضى .
- ١٠٨- تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- ★ الزعبي : محمد علي .
- ١٠٩- دفائن النفسية اليهودية، بيروت - ١٩٦٨م.
- ★ الزمخشري : محمود بن عمر.
- ١١٠- الكشف، البابي الحلبي - القاهرة.
- ★ زيدان : جورجى .
- ١١١- تاريخ العرب قبل الإسلام، طبع دار الهلال.
- ★ الزيلعي : جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفي (٧٦٢هـ).
- ١١٢- نصب الراية لأحاديث الهداية، ج-٣، ط ١ مطبعة المأمون بشبرا عن مطبوعات المجلس العلمي بدابيل - سورات الهند، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ★ سابا : عيسى .
- ١١٣- شعر السموّل، مكتبة صادر - بيروت.
- ★ سركيس : ميشيل .
- ١١٤- النهضة الإسرائيلية وتاريخها الخالد، مطبعة رمسيس بالفجالة، مصر.
- ★ سرور: الدكتور محمد جمال الدين .
- ١١٥- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد، دار الفكر، ط ٣، بيروت ١٩٥٩م.
- ★ ابن سعد: أبو عبدالله محمد.
- ١١٦- الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر، ١٩٥٧م.
- ★ السقاف : أبكار.
- ١١٧- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، عالم الكتب، ط ١ القاهرة ١٩٦٧م.

- ★ ابن سلام: ابو عبيد.
- ١١٨- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٨م.
- ★ السمهودي: نورالدين علي بن جمال الدين ابو المحاسن عبدالله بن شهاب الدين (٩١١هـ).
- ١١٩- وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٥م، ١٩٧١م.
- ★ السهيلي: ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (٥٨١هـ).
- ١٢٠- الروض الأنف، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ★ سوسه: الدكتور احمد.
- ١٢١- العرب واليهود في التاريخ، مطبعة وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٢م.
- ★ سيد قطب:
- ١٢٢- في ظلال القرآن، ط٥، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ★ ابن سيد الناس: فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي الإشبيلي المصري.
- ١٢٣- عيون الأثر في فنون المغازي والسير، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ.
- ★ سيديو: ل. أ.
- ١٢٤- التاريخ العام، ترجمة عادل زعتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ★ سيف الدين: إبراهيم نمر والدكتور ليبد إبراهيم احمد.
- ١٢٥- تاريخ العرب، عصر النبوة، ط١، دار الطباعة الحديثة، جامعة البصرة العراق.
- ★ السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن (٩١١هـ).
- ١٢٦- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٣، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- ١٢٧- لباب النقول في أسباب النزول، على هامش تفسير الجلالين.

- ١٢٨- المزهر، شرح وتصحيح محمد احمد جاد المولى وزميلي، ط٢، القاهرة.
- ★ شاروويم: ميخائيل بك.
- ١٢٩- الكافي في تاريخ مصر القديم، طبعة بولاق، ط١، ١٣١٥هـ-١٨٩٨م.
- ★ شحاتة: الدكتور عبدالفتاح علي.
- ١٣٠- تاريخ العرب وعصر الرسول، ط٣، دار النيل للطباعة، ١٩٥٤م.
- ١٣١- تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام، مطبعة عطايا- باب الخلق، القاهرة.
- ★ الشريف: احمد إبراهيم.
- ١٣٢- دور الحجاز في الحياة السياسية، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٦٥م.
- ١٣٣- مكة والمدينة، ط٢، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٦٨م.
- ★ شلبي: الدكتور احمد.
- ١٣٤- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
- ١٣٥- اليهودية «مقارنة أديان» ط٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.
- ★ الشهرستاني: ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (٥٤٨هـ).
- ١٣٦- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ★ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد.
- ١٣٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من حديث سيد الأخيار، ط٢، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- ★ شيخو: الأب.
- ١٣٨- ديوان السمؤل، بيروت، ١٩٠٩م.
- ★ الصعيدي: عبدالمتعال.
- ١٣٩- السياسة الإسلامية في عهد النبوة، دار الفكر العربي - مصر.
- ★ طبارة: عفيف عبدالفتاح.
- ١٤٠- اليهود في القرآن، ط٢، مطابع دار الكتب - بيروت ١٩٤٤م.

- ★ ابن طباطبا: محمد بن علي .
- ١٤١- الفخري في الأدب السلطانية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٦م .
- ★ الطبري: محمد بن جرير (٣١٠هـ) .
- ١٤٢- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٠م .
- ١٤٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر .
- ★ الطنطاوي: علي .
- ١٤٤- سيرة عمر بن الخطاب، المكتبة العربية - دمشق، عبيد اخوان .
- ★ طنطاوي: الدكتور محمد سيد .
- ١٤٥- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط١، بغداد ١٩٦٨م .
- ★ طه حسين :
- ١٤٦- علي وبنوه، دار المعارف ١٩٦٩م .
- ١٤٧- الفتنة الكبرى «عثمان» ١٩٦٨م .
- ★ ظاها: الدكتور حسن .
- ١٤٨- الفكر الديني الإسرائيلي، مركز البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨ .
- ★ العائدي: محمود .
- ١٤٩- مخطوطات البحر الميت، جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان ١٩٦٧م .
- ★ عابدين: الدكتور عبدالمجيد .
- ١٥٠- بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة .
- ★ عاقل: الدكتور نبيه .
- ١٥١- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥م .
- ★ العباسي: الشيخ عبد الرحيم بن احمد (٩٦٣هـ) .
- ١٥٢- معاهد التنقيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م .
- ★ ابن عبد البر: ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد .
- ١٥٣- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة احياء التراث الإسلامي، ١٩٦٦م .

- ١٥٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق البجاوي، مكتبة نهضة مصر.
 ★ عبد العليم: الدكتور مصطفى كمال،
 ١٥٥- اليهود في مصر «رسالة دكتوراة» مكتبة القاهرة الحديثة، ط ١، ١٩٦٨ م.
 ★ عبده: الإمام محمد.
 ١٥٦- تفسير جزء عم، ط ٥، مطابع الشعب.
 ★ ابن العبري: غريغوريوس الملطي.
 ١٥٧- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٨ م.
 ★ ابن العربي: القاضي أبو بكر.
 ١٥٨- العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار السعودية للنشر.
 ★ عرجون: الدكتور صادق إبراهيم.
 ١٥٩- عثمان بن عفان، مطبعة الاستقامة، ط ١، القاهرة ١٩٤٧ م.
 ★ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن.
 ١٦٠- تاريخ دمشق، ج ١ تحقيق صلاح الدين المنجد، طبعة مصر.
 ★ العسقلاني: ابن حجر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي.
 ١٦١- الإصابة في تمييز الصحابة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٥ هـ.
 ١٦٢- تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت، ط ١، ١٣٢٧ هـ.
 ١٦٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة الحلبي ١٣٧٨ هـ وطبعة المطبعة البهية المصرية.
 ★ العسكري: مرتضى.
 ١٦٤- عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى، منشورات كلية أصول الدين - بغداد.
 ★ العش: الدكتور يوسف.
 ١٦٥- الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان. مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٥ م.
 ★ العقاد: عباس محمود.
 ١٦٦- إبراهيم أبو الأنبياء، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م.
 ★ علي: الدكتور جواد.
 ١٦٧- تاريخ العرب في الاسلام - السيرة النبوية - مطبعة الزعيم - بغداد، ١٩٦١ م.
 ١٦٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ م.
 ★ علي: سيد أمير.

- ١٦٩ - روح الاسلام، تعريب عمر الديراوي، ط ٢، دار العلم للملايين ١٩٦٨م.
- ★ العلي: الدكتور صالح أحمد.
- ١٧٠ - محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة الارشاد - بغداد.
- ١٧١ - تنظيمات الرسول الادارية في المدينة - بغداد.
- ★ علي: الدكتور فؤاد حسنين.
- ١٧٢ - التوراة الهيروغليفية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة.
- ١٧٣ - المجتمع اليهودي حتى تشريده، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٦م.
- ★ عمروش: أحمد راتب.
- ١٧٤ - الفتنة ووقعة الجمل، رواية سيف بن عمرو الضبي الأسدي ت ٢٠٠ هـ، دار النفائس ١٩٧٢م.
- ★ ابن العميد: جرجس بن الياسر بن أبي المكارم.
- ١٧٥ - تاريخ المسلمين، طبعة دار الكتب المصرية.
- ★ غالب: مصطفى.
- ١٧٦ - تاريخ الدعوة الاسلامية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
- ★ غلاب: الدكتور محمد سيد.
- ١٧٧ - تطور الجنس البشري، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٤، ١٩٧٠م.
- ★ فارس: حبيب.
- ١٧٨ - الذبائح التلمودية أو صراخ البريء، تحقيق وتعليق عبدالعاطي جلال، (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ★ الفاروقي: اسماعيل.
- ١٧٩ - الملل المعاصرة. في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨م.
- ★ الفاسي: أبو المكارم عبدالكبير بن أبي المفاخر سيدي محمد الحسني الادريسي الكتاني.
- ١٨٠ - التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة المنورة العلية، طبعة الرباط ١٣٤٦هـ.

- ★ الفاسي : محمد بن أحمد بن علي المكي .
- ١٨١ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، وبهامشه الدرّة الثمينة في تاريخ المدينة ، طبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٦ م .
- ★ فان فلوتن :
- ١٨٢ - السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م .
- ★ فروخ : الدكتور عمر .
- ١٨٣ - تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين - بيروت .
- ★ فلهاوزن : يوليوس .
- ١٨٤ - تاريخ الدولة العربية - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة ، إدارة الثقافة العامة ، ١٩٥٨ م .
- ★ الفيروزبادي : محمد بن يعقوب .
- ١٨٥ - القاموس المحيط ، مطبعة السعادة بمصر .
- ★ فيصل : الدكتور شكري .
- ١٨٦ - المجتمعات الاسلامية في القرن الأول الهجري ، مكتبة المثنى - بغداد ١٣٧١ هـ .
- ١٩٥٢ م .
- ★ الفيل : الدكتور محمد رشيد .
- ١٨٧ - اليهود وعلم الأجناس ، مطبعة شفيق - بغداد .
- ★ الفيومي : احمد بن محمد بن علي المغربي .
- ١٨٨ - المصباح المنير ، ط ٣ ، المطبعة الاميرية بمصر - ١٩١٢ م .
- ★ القرشي : يحيى بن آدم .
- ١٨٩ - الخراج ، المطبعة السلفية ، ط ٢ ، القاهرة - ١٣٨٤ هـ .
- ★ القرطبي : أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ وقيل ٦٥٦ هـ) .
- ١٩٠ - تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ، مطبعة دار الكتب المصرية ط ١ ١٣٥١ هـ ، ط ٢ ١٣٨٠ هـ .
- ★ القسطلاني : الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب الزراعي .

- ١٩١ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المطبعة الشرقية ١٣٢٦هـ - ١٩٠٧م.
- ★ ابن قيم الجوزية: ابو عبدالله محمد بن ابي بكر ايوب الزراعي.
- ١٩٢ - زاد المعاد في هدى خير العباد، المطبعة المصرية ومكتبتها.
- ١٩٣ - هداية الحيارى من اليهود والنصارى، وبهامشه كتاب الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن بك باجه جي زاده، ط ١، مطبعة التقدم بمصر ١٣٢٢هـ.
- ★ ابن كثير: عماد الدين اسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ).
- ١٩٤ - البداية والنهاية، مكتبة المعارف ومكتبة النصر - الرياض، ط ١ ١٩٦٦م.
- ١٩٥ - تفسير ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية - بيروت.
- ★ ابن كثير: ابو الفداء عماد الدين اسماعيل (٧٣٢هـ).
- ١٩٦ - المختصر في أخبار البشر، دار المعارف - بيروت.
- ★ الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى (٦٣٤هـ).
- ١٩٧ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مكتبة الخانجي.
- ★ الكلبي: هشام بن محمد.
- ١٩٨ - الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية ١٩٢٤م،
- ★ كوهين: أهرون.
- ١٩٩ - الشرق العربي، ترجمة جبرا نقولا، دار الجليل بعكا.
- ★ كيرا: ادوارد.
- ٢٠٠ - كتبوا على الطين، ترجمة د/ محمود حسين الأمين، ط ٢، دار بغداد ١٩٦٤م.
- ★ لوبون: غوستاف.
- ٢٠١ - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي القاهرة.
- ★ ليليتال: ألفرد.
- ٢٠٢ - ثمن اسرائيل، ط ٤ ترجمة حبيب نخولي وياسر هوارى.
- ★ مالك: رمزي حبيب.
- ٢٠٣ - إسرائيل واسماعيل، دار البعث - بيروت.
- ★ المحامي: محمود كامل.

٢٠٤ - اليمن شماله وجنوبه، تاريخه وعلاقاته الدولية، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

★ المحلي: الجلال المحلي والجلال السيوطي.

٢٠٥ - تفسير الجلالين، طبعة الضباع، مكتبة الجمهورية المصرية.

★ محمد: الدكتور محمد عوض.

٢٠٦ - المسألة الصهيونية في نظر العلم، القاهرة ١٩٤٧م.

★ ابن مزاحم: نصر (٢١٢هـ).

٢٠٧ - وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط ٢ القاهرة ١٣٨٢هـ.

★ المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ).

٢٠٨ - التنبيه والاشراف، دار التراث، ط ١، بيروت ١٩٦٨م.

٢٠٩ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، كتاب التحرير ١٩٦٦م.

★ مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج.

٢١٠ - الجامع الصحيح، طبعة شركة الاعلانات الشرقية - القاهرة ١٣٨٤هـ.

★ مظهر: جلال.

٢١١ - محمد رسول الله، سيرته وأثره في الحضارة، مكتبة الخانجي، ط ١ القاهرة ١٩٤٧م.

★ المغربي: السموّل بن يحيى (٥٧٠هـ).

٢١٢ - بذل المجهود في إفحام اليهود، مطبعة الفجالة بمصر.

★ مغلطاي: الحافظ علاء الدين بن قليج.

٢١٣ - سيرة مغلطاي، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦هـ.

★ المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ).

٢١٤ - إمتاع الأسماع، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢١٥ - النزاع والتخاصم بين أمية وهاشم، طبع ليدن ١٨٨٨م.

★ مكاريوس: شاهين.

٢١٦ - تاريخ الاسرائيليين، مطبعة المقتطف.

- ★ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم.
- ٢١٧ - لسان العرب «قاموس» دار صار - بيروت.
- ★ موسكاتي: سبتينو.
- ٢١٨ - الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ★ مؤنس: الدكتور حسين.
- ٢١٩ - عالم الاسلام، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.
- ★ الميداني: عبدالرحمن حسن حبنكه.
- ٢٢٠ - مكائد يهودية، دار العلم، ط ١ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ★ ناصيف: عصام حفني.
- ٢٢١ - محنة التوراة على أيدي اليهود، مطبعة الرسالة، ط ١، القاهرة ١٩٦٥م.
- ★ ابن نباتة: جمال الدين محمد (٧٦٨هـ).
- ٢٢٢ - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة.
- ★ النجار: عبدالوهاب.
- ٢٢٣ - تاريخ الخلفاء الراشدين، مكتبة وهبة، مطابع دار الكتاب العربي ط ٢ القاهرة ١٩٦٠م.
- ٢٢٤ - قصص الأنبياء، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ★ ابن النجار: الشيخ محمد بن محمود.
- ٢٢٥ - الدرة الشمينية في تاريخ المدينة على هامش شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.
- ★ ابن النديم: محمد.
- ٢٢٦ - الفهرست، مطبعة خياط.
- ★ النسفي: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود.
- ٢٢٧ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
- ★ نعنائه: رمزي.
- ٢٢٨ - الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير «رسالة دكتوراه»، دار القلم ودار الضياء، دمشق - بيروت ١٩٧٠م.

- ٢٢٩ - بدع التفاسير في الماضي والحاضر، منشورات وزارة الأوقاف الأردنية ١٩٧٠م.
- ★ نعنائه: محمود.
- ٢٣٠ - المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م.
- ★ هاردينج: لانكستر.
- ٢٣١ - آثار الأردن تعريب سليمان موسى، منشورات وزارة السياحة الأردنية.
- ★ هامرتون: (وآخرون).
- ٢٣٢ - تاريخ العالم، ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية.
- ★ هرتز: ح. ه.
- ٢٣٣ - في الفكر اليهودي، ترجمة الفرد يلوز، دار مجلتي للطبع والنشر.
- ★ ابن هشام: عبد الملك المعافري (١٥١).
- ٢٣٤ - السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ط ٢ البابي الحلبي - القاهرة.
- ٢٣٥ - التيجان في ملوك حمير، رواية ابن منبه، ط ١٣٤٧ هـ.
- ★ الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب.
- ٢٣٦ - صفة جزيرة العرب، طبع ليدن ١٩٦٨م.
- ★ الهندي: رحمة الله بن خليل.
- ٢٣٧ - إظهار الحق، المطبعة العلمية بمصر ١٣١٥هـ.
- ★ الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين.
- ٢٣٨ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال طبع الهند.
- ★ هون-: الدكتورة سيجرد.
- ٢٣٩ - شمس الله تسطع على الغرب، أو فضل العرب على أوروبا، ترجمة فؤاد حسنين علي، دار النهضة العربية، مصر ١٩٦٤م.
- ★ هيكل: الدكتور محمد حسين.
- ٢٤٠ - حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٣، ١٩٦٨م.
- ٢٤١ - الصديق أبوبكر، ط ٤، مطبعة مصر، ١٩٥٨م.
- ٢٤٢ - عثمان بن عفان، مكتبة النهضة المصرية، ط - ١٩٦٨م.
- ٢٤٣ - في منزل الوحي، مطبعة النهضة المصرية، ط ١٩٥٣م.

- ★ وات : مونتقمري .
- ٢٤٤ - محمد في مكة تعريب شعبان بركات ، المكتبة العصرية - صيدا ، بيروت .
- ٢٤٥ - محمد في المدينة تعريب شعبان بركات ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر .
- ★ وافي : الدكتور علي عبدالواحد .
- ٢٤٦ - الأسفار المقدسة قبل الاسلام ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ط ١ ١٩٦٤م .
- ٢٤٧ - اليهود واليهودية - مكتبة غريب .
- ★ الواقدي : أبو عبدالله محمد بن عمر (٢٠٧هـ) .
- ٢٤٨ - مغازي الواقدي ، مطبعة جونز مارسدن .
- ★ ابن الوردي : زين الدين عمر .
- ٢٤٩ - تنمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البدرائي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ١٩٧٠م .
- ★ ولفنسون : إسرائيل .
- ٢٥٠ - تاريخ اللغات السامية ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م .
- ٢٥٢ - تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٧م .
- ٢٥٢ - موسى بن ميمون ، ط ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م .
- ★ ولز : هـ . جـ .
- ٢٥٣ - معالم تاريخ الانسانية ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، ط ٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦م .
- ★ اليافعي : أبو عبدالله محمد بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (٧٦٨هـ) .
- ٢٥٤ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ★ يعقوب الثالث : اغناطيوس بطريك انطاكية وسائر المشرق .
- ٢٥٥ - الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية - بيروت .
- ★ اليعقوبي : أحمد بن واضح أبي يعقوب (٢٩٢هـ) .
- ٢٥٦ - تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ١٩٦٤م .

★ يوسفوس :

٢٥٧ - تاريخ يوسفوس اليهودي ، المطبعة العلمية - ابراهيم صادر - بيروت .

ج - دوائر المعارف والدوريات :

أ - دوائر المعارف :

١ - دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة الانجليزية .

٢ - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - طبع دائرة معارف القرن العشرين ، ١٩٢٤ م .

ب - الدوريات :

١ - مجلة الجامعة المصرية ، السنة الثالثة - العدد الأول .

٢ - مجلة الرسالة - السنة السادسة عشرة ، العدد ٧٥٧ .

٣ - مجلة العربي الكويتية ، الأعداد : ١٠ ، ٢٦ . ٨٥ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٨٤ .

٤ - مجلة كلية الامام الأعظم ، العدد الأول ١٩٧٢ م .

٥ - مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ١٧ بغداد ١٩٦٩ .

٦ - مجلة المنار ، مجلد ٢٧ ج ٨ .

٧ - مراجع أخرى ، وصحف عربية ، مختلفة ذكرت في الحواشي .

د - المراجع الأجنبية :

1) Baron, Salo. W:

- A Social and Religious History of The Jews, 2 nd Ed. New York, 1957.

2) Barton, G.A.:

- **Archaeology** and The Bible 5 th, Ed. 1927.

3) Encyclopedia:

Britannica, vol. 13, 15.

4) **Encyclopedia:**

The Jewish Encyclopedia, 1905, vol 8.

5) Goitein S.D.:

Jews and Arabs. New York 1964.

6) Graetz. H.:

History of the Jews, Philadelphia, 1956. vol 2,3.

7) Tichtenstedler, Ilse:

- Cultural Relations Between Jews and Arabs in the middle Ages, New York, 1948.

8)

- Some References to Jews in pre-Islamic Arabic Literature proceedings of The American Academy for Jewish Research, vol. 10, 1940.

9) Margolouth D.S.:

- The Relations Between Arabs and Israelets prior To The rise of Islam, London, 1924.

10)

- Muhammed and The Rise of Islam. London, 1932.

11) Muir. Sir William:

- The Caliphate its Rise, Decline and fall. Edinburgh, 1924.

12) Montogemery, **watt**:

- Muhammad At Mecca, Oxford 1956.

13) Montogemery, **walt**:

- Muhammad At Medina, Oxford 1956.

14) Montogemery, **watt**:

- MUHAMMAD Prophet and states man, oxford university.

15) Nicholson:

- A literary History of The Arabs, Cambridge, 1930

16) O. Fjss Feldet:

- The Hebrew King dom, Cambridge University press 1965, vol, 2.

17) Oleary **delacy, D.D.:**

- Arabia Before Muhammed - London 1927.

18) Olmestead. A.E.:

- History of **palestine** and syria.

19) Parks. JaMES:

- A History of the Jewish people penguin Books.

20) phllby, H. st. J.B.:

- The Back ground of Islamic-Being, asketch of Arabian History in pre-Islamic Times, Alexandria, 1947.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧

الفصل الاول

- اليهود وبداية تاريخهم	٢٧
- التوراة كمصدر للتاريخ	٢٩
- من هم العبرانيون ؟	٣٢
- ابراهيم الخليل في التاريخ	٣٨
- هجرته عليه السلام الى مصر	٤٤
- الإسرائيليون أو (بنو) إسرائيل	٤٥
- الموسويون (أتباع موسى)	٥٠
- اليهود	٥٤

الفصل الثاني

العلاقات العربية اليهودية القديمة خارج الجزيرة العربية

- العرب في المرويات القديمة	٦٥
- العرب واليهود في زمن سليمان	٦٨
- سليمان وبلقيس	٧٠
- العرب يقاومون تجديد بناء الهيكل	٧٧
- العلاقات بين الأنباط واليهود	٨٠
- أثر الأنباط في ديانة اليهود ولغتهم	٨٧
- اليهود في تدمر	٨٨

الفصل الثالث

- اليهود في جزيرة العرب ٩٥
- بداية الوجود اليهودي في جزيرة العرب ٩٧
- مواطن اليهود في شمال الجزيرة العربية ١٠٨
- اليهود في يثرب ١١٢
- اليهود في تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر ١١٦
- البطون اليهودية في بلاد الحجاز ١١٦
- اليهود في اليمن ١٢٠
- مذبحه نجران ١٣٤

الفصل الرابع

- بين العرب واليهود في يثرب ١٤٣
- أشهر البطون العربية في يثرب ١٤٥
- العلاقات بين القبائل اليهودية ١٤٩
- بين العرب واليهود ١٥١
- العلاقات بين الأوس والخزرج ودور اليهود فيها ١٦١
- أثر اليهود في الجزيرة العربية ١٦٨
- الحياة الفكرية ليهود الجزيرة العربية ١٨١
- النسبي والنساء ١٩٥
- الصوفة والصوفان ١٩٨
- الختان ١٩٩

الفصل الخامس

- العرب واليهود ازاء الدعوة الإسلامية ٢٠٣
- موقف قريش ٢٠٥
- مركز مكة في الجزيرة العربية ٢٠٥

- دور العصبية في موقف قريش من الدعوة الإسلامية ٢١٢
- مركز الرسول ﷺ في مكة ٢٢٠
- هجرة المسلمين الى الحبشة ٢٢٢
- موقف اليهود من الدعوة الاسلامية ٢٢٦
- الرسول يعرض نفسه في المواسم - بيعة العقبة ٢٢٩
- موقف قريش من البيعة الكبرى ٢٣٨
- موقف اليهود من هذه البيعة ٢٣٩

الفصل السادس

- محمد ﷺ في المدينة ٢٤٣
- الموقف بعد الهجرة ٢٤٥
- موقف المسلمين من اليهود كما يصوره القرآن الكريم ٢٤٥
- موقف اليهود من هجرة محمد إلى المدينة ٢٥٦
- أعمال الرسول في المدينة ٢٦٠
- وثيقة المودعة التي كتبها الرسول بين المهاجرين والانصار واليهود ٢٦٠
- الوثيقة في المصادر التاريخية ٢٦٠
- اهمية الوثيقة ومدى صحتها ٢٦١
- تاريخ الوثيقة ٢٦٤
- مضمون الوثيقة ٢٧١
- ماذا كان موقف اليهود بعد المودعة ؟ ٢٧٨
- حرب الجدل والكلام بين المسلمين واليهود ٢٨٥
- تحالف اليهود مع المنافقين ٢٩٤
- تحالف اليهود مع المشركين ٢٩٨

الفصل السابع

- الصراع المسلح بين اليهود والمسلمين في العهد النبوي ٣٠١

٣٠٣ أسباب الصراع
٣٠٥ غزوة بني قينقاع
٣١١ موقف اليهود بعد جلاء بني قينقاع
٣١٢ مقتل كعب بن الأشرف
٣١٥ غزوة بني النضير
٣٢٨ دور اليهود في غزوة الاحزاب
٣٤٠ غزوة بني قريظة
٣٥٣ أعمال الرسول الاحتياطية قبيل غزوة خيبر
٣٦٠ غزوة خيبر
٣٧٨ زواج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب اليهودية
٣٨٢ يهود فدك
٣٨٣ وادي القرى
٣٨٣ تباء

الفصل الثامن

٣٨٧ العرب واليهود في عهد الخلفاء الراشدين
٣٨٩ في عهد أبي بكر
٣٩١ اليهود في عهد عمر
٤٠٠ اليهود ومقتل الخليفة عمر
٤٠٣ الفتنة في عهد عثمان ودور السبيثة
٤٠٩ السبيثة في خلافة علي بن أبي طالب
٤١١ الاسرائيليات
٤٢٣ الخاتمة
٤٣٩ الملاحق
٤٣٩ الملحق رقم (١)

٤٤١	الملحق رقم « ٢ »
٤٤٥	الملحق رقم « ٣ »
٤٥٢	الفهارس العامة
٤٥٣	فهرس الآيات الكريمة
٤٦٣	فهرس الاحاديث
٤٦٦	فهرس الاعلام
٤٩٤	فهرس الامم والطوائف والقبائل
٥٠٧	فهرس الاماكن
٥٢٢	فهرس الشعر
٥٢٧	فهرس المصادر والمراجع
٥٥٤	فهرس الموضوعات